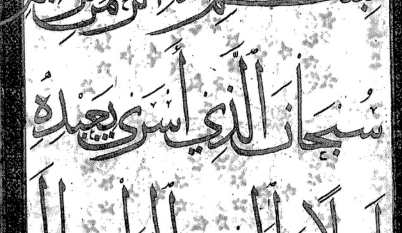
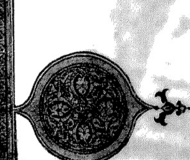
مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

د. محمد عبد القادر حاتم

الإعلام في القرآن الكريم





الأعمال

مهرجان القراءة للجميع
للطفل - للشاب - للأسرة
جمعية الرعاية المتكاملة

الفكرية

الإعلام فى القرآن الكريم

د. محمد عبد القادر حاتم

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى: فاتحة القرآن الكريم

التقنية: الوان مائية على ورق يدوى

المقاس: ٢٤ × ٤٢ سم

محمد راسم (١٨٩٦ - ١٩٧٤)

مصور كبير ورائد لفن المنمنمات فى العصر الحديث. أخذ على كاهله إحياء فن الرقش والمنمنمات والتزويق، وهى الفنون التى استوعبتها المخطوطات العربية، وفى اللوحة المنشورة على الغلاف قام الفنان بعمل زخارف متميزة، مزج فيها الألوان الزرقاء بدرجات اللون البرتقالى المختلفة، ثم شغل مساحة صرة اللوحة بأن وضع بها سورة فاتحة الكتاب بالخط الثلث، وفى الجزء الأعلى كتب اسم الآية، أما فى الأسفل فكتب داخل مساحة المستطيل (لا يمسه إلا المطهرون).

محمود الهندى

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د. سمير سرحان



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣
مكتبة الأسـرة
برعاية السيدة سوزان مبارك
(سلسلة الأعمال الفكرية)
إشراف: مصطفى غنايم

الإعلام فى القرآن الكريم

د. محمد عبدالقادر حاتم

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

فهرس

الموضوع	الصفحة

الجزء الأول

الإعلام في القرآن الكريم

الجزء الثاني

القرآن الكريم

الموضوع ـ والوسيلة ـ والغاية

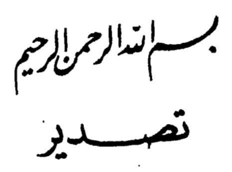
الموضوع	الصفحة

الجزء الثالث
الرسول

الجزء الرابع
القرآن والإعلام

الجزء الخامس
الإنسان في القرآن

الموضوع	الصفحة



تصـــدير

بقلم : فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق
شيخ الأزهر

إن القرآن الكريم كتاب الله أنزله على رسوله محمد صلّى الله عليه وسلّم بلاغاً للناس ، ودعوة إلى الصلاح والإصلاح . بيَّن الله فيه أصول العبادات ، وضوابط المعاملات وأنماط الأخلاق التي ارتضاها الله لبني الإنسان ، حتى تستقر حياتهم على هذه الأرض ، ويستمر نماؤها ، فتعمر بهم ، وتأخذ زخرفاً ، وتسفر عمّا اختزنه الله فيها وعليها من أرزاق للناس .

إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ، نشأت على شواطئه ومن ثمراته علوم متنوعة افترعها علماء المسلمين من نصوصه المباركة ، فكانت علوم القرآن التي ما تزال تترى ، ففي كل وقت يستظهر المسلمون ، بل وغير المسلمين صنوفاً من العلوم ، تتنوع تبعاً لتخصص الدارس لهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه تنزيل من حكيم حميد .

ويستمر هذا الاستظهار ويثمر تحقيقاً لوعد الله الذي لا يتخلف .

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ﴾[1] فهو كما وصفه أحد ممن لم يؤمنوا بالرسالة المحمدية من أهل قريش : إن أعلاه لمثمر ، وإن أسفله لمغدق .

وهذا المؤلَّف « الإعلام في القرآن الكريم » للدكتور محمد عبد القادر حاتم

(١) من الآية ٥٣ سورة فصلت .

إبراز لوظيفة هامة لكتاب الله واستظهار لمهمة من مهامه ، لوضـع بني الإنسان على الطريق الصحيح في حياتهم ، تلك هي الإعلام .

وهل جاءَ القرآن إلاَّ بلاغاً للناس ، ولينذروا به ، وليذكر أولـو الألباب ، وهـل كانت الرسالة النبوية إلاَّ بلاغاً لكتاب الله الذي حمل إلى الناس خَيْرَي الدنيا والآخرة استنارت به العـرب بعد عنـاد واستعلاء ، فـانقادوا لـلإسلام وبـالقرآن بعـد شرود ، واستجابوا للدعوة بعد إباء وانتقلوا به ومعـه من الضلالـة إلى الهدى والـرشاد ، ومن البداوة إلى الحضارة ، ومن الجهالة إلى العلم ، ومن الفرقة إلى الألفـة والوحـدة ، ومن الضعف إلى القوة .

تحدَّث المؤلِّف عن القرآن من زاوية تخصّصه الذي مارسه علماً وعملاً، ومهَّد لذلك بالحديث عن الإعلام والإسلام ووسائل الإعلام وقت نزول القرآن ، موضوعاً ووسيلة وغاية ، وطبيعة البيئة التي نزَّلَ فيها القرآن ، وما كـانت تموج بـه من عقائـد وعادات تأصَّلت حتى أثمرت إصراراً على ما كان ، وصدوداً عن كل جديد .

كل ذلك بالأدلة التي واجهت هذه القلوب الصدئة ، والطباع الحادة ، فردتهم إلى الصواب والجادة . هذا المؤلِّف ، وهو يجلي طرائق القرآن الكـريم في الإبلاغ والإعلام بدعوة الإسلام ، مبيناً سموّها وجديتها وواقعيتها وصدقها . يضـرب الأمثال ويعرض نماذج من أخبار أمم خلت ، كانت قد تخلَّت عن دعوة الحق التي دُعيت إليها وهو يقرر كل ذلك ، مورداً نماذج من آيات القرآن ، وضعت أصول الدعوة والإعلام مستظهراً أن مـا جرى عليـه الإعلام غيـر الإسلامي أو « الـلاّإسلامي » كمـا جاء في سطوره كان ملتوياً غير مستقيم في موضوعه وفي وسائله وأهدافه .

فالقرآن مثلاً يصنِّف الناس ويخاطب كل صنف بما يناسبه موضـوعاً ووسيلة ، فهؤلاء المؤمنـون الذين اتَّبعـوا النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، وآمنـوا بـالقـرآن ، لهم خطاب وأسلوب ، ثم الكافرون والمنافقونِ ، لكل منهم خـطاب وموضـوع ، ثم هو يحـدد مهمة الـداعي صاحب الـرسالـة في آيات بيّنـات ، ويـزوده بـالأمثـال ليكـون الامتثال ، يشرح حجج القوم ويناقشها مفنِّداً إيَّاها داعياً لحرية الاعتقاد معلماً لرجال الإعلام أن صدق الموضوع وجديته وجدته من أهم طرق الإقناع الإعلامي .

ويجلو المؤلّف حقائق كثيرة في مجال الإعلام الإسلامي الصادق ، فيتحدث عن صفات رجل الإعلام ، والتدرّج في إذاعة وبيان ما يوجّه إلى الناس طلباً لاستجابتهم ، وأهمية التكرار في الإقناع ، وهذا ما اتّبعه القرآن في عرض بعض القصص بأساليب متغايرة يمهِّد بها لحكم يشرعه ، نهياً عن محرم ، أو تقريراً لغرض ، أو مثبتاً لعقيدة ، أو مغيراً لمادة .

ويستمر الكتاب في بيان المسؤولية الإعلامية في القرآن واستمرارها ، ويتحدث عن جهاز الإعلام الإسلامي الذي كان يتمثل في الوفود التي تعلم الناس وتعلن أحكام الإسلام وعن أدب هذا الإعلام استمداداً من القرآن الكريم ، مبيناً أن في هذا الكتاب المعين الذي لا ينضب للمادة الإعلامية الإسلامية التي ينبغي بثّها إلى الفرد والجماعة والأمة ؛ إذ على القرآن قامت أمة ، وتأسست دولة اشتدَّت حتى امتدَّت شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، فما وهنت ولا استكانت ، ولا اعتدَت ، وإنَّما اتَّسمت بالحق والعدل .

والكتاب بما حواه من بحوث إعلامية بيِّنة يعتبر إضافة لعلوم القرآن بلغة العصر وأساليبه ، وتقريباً لمادة الإعلام الإسلامي للدارسين وللعاملين في حقل الإعلام بوجه عام ، فقد رسم أكثر من صورة مضيئة بنور القرآن ، حتى كأنما هي نماذج حية متحركة ، تقول الحق وتنطق بالصدق .

والكتاب ، بعد بحوثه الرائقة ، وجولاته الصادقة في استبانة وجه الإعلام المضيء في القران ، ينتهي إلى عناصر محددة لأدواء وصف لها الدواء ليصح الإعلام الإسلامي ، ويبرأ من علله ، ويقترح الوسائل والسبل لتنشيط الدعوة الإسلامية وإعداد الدعاة ، وتيسير الأجهزة الإعلامية ، وتزويدها بالوسائل والأدوات التي أنتجها علم هذا العصر من إذاعة مسموعة ومرئية وكتب وصحف ، تواكب الأحداث وتتفاعل معها انتفاعاً ودفاعاً ، حتى يكون للمسلمين ذاتيتهم الإعلامية المستظلّة بالقرآن .

وبعد :

فهذا جهد يذكر ، فيشكر للمؤلِّف الدكتور محمد عبد القادر حاتم ، أدعو الله

أن ينفع به فيما هدف إليه . وهو ، يعد ، قدوة للتزود من علوم القرآن والاستزادة منه ولقد صدق الله إذ وصف كتابه القرآن فقال :

﴿ .. ونـزَّلنـا عليـكَ الكتـابَ تِبْيـانـاً لِكُـلِّ شَيءٍ وهـدىً ورحمـةً وبُشـرىٰ للمسلمين ﴾[1] .

(١) من الآية رقم ٨٩ من سورة النحل .

تقـــديم

لماذا هذه الدراسة ـ أهدافها

حدث عندما كنت ألقي محاضرة عن الإعلام في إحدى الجامعات ، أن وجّه إليّ أحد الحاضرين سؤالاً عن دور الإعلام في مجال نشر الأديان والرسالات السماوية وأثر ذلك على ذيوعها وانتشارها بين الناس .

والتمست الإجابة عن هذا السؤال فيما أعلمه عن الوسائل التي اتّبعت في الإسلام حين أمرَ الله تبارك وتعالىٰ رسوله صلّى الله عليه وسلّم بتبليغ رسالته للناس ، وما زوّده به القرآن الكريم من توجيه إلى الطرق والوسائل التي ينبغي اتّباعها في هذا المجال .

وكان اختياري للإسلام لإبراز دور الإعلام في نشر الرسالات السماوية يرجع إلى سببين رئيسيين :

الأول : أن الإسلام قد حقّق ذيوعاً وانتشاراً واسعاً في زمن وجيز لم يشهده تاريخ الرسالات والدعوات ، فقد انتظمت دعوته شعوباً كثيرة تتباين في أصلها وثقافتها وعقيدتها ، آمنت كلها بالإسلام ، واستقرّت دعوته في عقولها ووجدانها وعاشت به حتى يومنا هذا والإسلام يزوّدها بالقيم والمبادىء التي تحيا عليها وتعتزّ بها لما ترجوه منها من خير في الدنيا والآخرة .

الثاني : أما السبب الثاني فيرجع إلى سموّ ومثالية أساليب ووسائل الدعوة في

الإسلام وتمسّكه الشديد بتقدير الإنسان واحترام حريته وكرامته ، فتجرّدت دعوته من أساليب الإكراه والضغط فكان الصدق والإخلاص وحب الخير والإنسان ، ركائز أساسية نهض عليها الإعلام في الإسلام ، وحقق بها أسرع انتشار شهده تاريخ الدعوات والرسالات .

وإذا كان المقام أثناء المحاضرة التي أشرت إليها لم يسمح بإبراز كل الجوانب المتصلة بدور الإعلام في الإسلام ، فقد كان هذا السؤال حافزاً إلى مزيد من الدراسة والبحث في هذا الموضوع للإحاطة بكل ما يتصل بهذا الدور الخطير لإبرازه أمام المشتغلين بالإعلام وغيرهم من طلّاب العلم والمعرفة .

وتبرز من خلال هذه الدراسة عدة أهداف من ذلك :

١ ـ أن مبادىء الإعلام السليم التي نحن في أشد الحاجة إليها الآن، سواء في الدعوة الدينية أو الاجتماعية أو السياسية تتضح ،لنا في أجلى صوره وأوضح بيان في القرآن الكريم ، وهي بعد تمثل توجيهاً إلـهياً وسنة نبوية تتصف بكل الكمال .

٢ ـ أننا نواجه في هذا العصر بتيارات فكرية معادية لمبادىء الإسلام وللأديان بصفة عامة ، وهي تغزو عقول الشباب في كل أنحاء العالم، ومقاومة مثل هذه التيارات ينبغي أن تتم في إطار الأساليب والوسائل التي اتّبعها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بتوجيه من ربه وحققت كل هذا النجاح والانتشار للدين القيّم .

٣ ـ أن غياب هذا الإعلام السليم ، قد أتاحَ الفرصة للدعايات المغرضة التي تسعىٰ لاحتكار الدعوة لنفسها والتأثير بها على الجماهير وخاصة الشباب سواء لدفعهم نحو التطرّف أو التقوقع مما يمثل دعوة إلى الهدم أو الجمود في عالم يبنى ويتقدم بإيقاع سريع . . مما يؤخر الأمة الإسلامية عن ملاحقة التقدم الحضاري الذي نجحت في تحقيقه أول عهدها بالإسلام .

٤ ـ أن ثورة الاتصال العالمية وما حققته في هذا العصر من تقدم يتيح لوسائل الإعلام السليمة وأساليبه التي اتّبعت في نشر الإسلام ، أن يحقق أفضل النتائج وتأتي

بخير الثمرات ، مما يجنبنا وسائل أخرى ثبت إخفاقها وفشلها في تحقيق الهدف :

وقد رأيت إتماماً للفائدة أن أقدم لهذه الدراسة بعرض لنظرية الإعلام كما بلورتها الأبحاث المتخصصة في عصرنا الذي برزَ فيه الإعلام كفن وعلم يملك تأثيراً عميقاً وواسعاً على الجماهير ليستطيع القارىء أن يقارن بين ما سنّه الإسلام في هذا المجال وما حققه الفكر العالمي ، وهي مقارنة تتجلى نتيجتها فيما حققه الإسلام من انتشار كعقيدة سماوية راسخة في وجدان مئات الملايين من البشر وتمثل إلهاماً دائماً ومتجدداً لهم لتحقيق كل مبادىء العدل والخير والسلام . . .

ومن واجبي أن أسجّل هنا تقديري للأبحاث والدراسات الإسلامية القيّمة والعميقة التي أُتيح لي الاطّلاع عليها والاستعانة بها في تفسير آيات القرآن الكريم وشرح السنّة النبوية الشريفة ، والتي ضمّت مقتطفات من مؤلّفات أصحابها العلماء لتأييد بعض وجهات النظر في هذا البحث. وإني أذكر هنا مع كل الشكر والتقدير من هؤلاء العلماء المؤلفين أصحاب الفضيلة والفضل : الإمام الشيخ محمد عبده ، والشيخ مصطفى عبد الرازق والشيخ محمود شلتوت والدكتور عبد الحليم محمود والشيخ محمد أبو زهرة والشيخ عبد العزيز عيسىٰ والشيخ محمد متولي الشعراوي والدكتور أحمد محمد الحوفي والدكتور محمد عبد الله دراز والدكتورة بنت الشاطىء والدكتور عبد الكريم الخطيب والشيخ كامل محمد حسن والشيخ عطية صقر ، ثم مؤلفات المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والمجلس الأعلى للبحوث الإسلامية وندوات اتحاد الجامعات العربية .

كذلك أقدم شكري للأستاذ محمود شعبان على ما قدّمه من عون في هذا البحث وأشيد بجهد السيد/ أحمد عبد الفتاح السيد والشيخ عبد الحميد البحراوي في كتابة ومراجعة أصول البحث . .

أسأل الله تبارك وتعالىٰ أن ينتفع به الدعاة والباحثون والقرّاء وأن يوفق الجميع إلى ما فيه خير المسلمين والإسلام .

المؤلف

تمهيد

عن الإعلام والإسلام

ثلاثون عاماً في الإعـلام علمياً وعمليـاً ـ عناصـر الإعلام في القـرآن الكريم ـ وعناصر الإعلام الحديثة .

القرآن الكريم كتاب منزّل ورسالة الرسول والبـلاغ ـ أساليب تبليـغ الرسـالة ـ الإنسان والاستجابة .

أرى من الواجب أن أستهلّ هـذا البحث ، بحقيقة اتّضحت لي بعـد ممارسـة علمية وعملية للإعلام استمرّت ثلاثين عاماً ، فحوى هذه الحقيقة الناصحة أن كل ما نقوله اليوم في الإعلام ، لا جديد فيه ، ويستطيع كل من يقرأ القرآن الكريم ، ويتدبّر الانتشار الواسع والسريع للإسـلام الذي لا مثيـل له في تـاريخ الـرسالات أن يتبيّن بوضوح وجلاء أن الدعوة إلى الإسلام والوسائل والأساليب التي اتّبعت في هذه الدعوة بتوجيه سام من القرآن الكريم كانت الأساس المكين لانتشار الإسلام وأساس إيمـان مئـات الملايين من البشـرية الأمـر الذي يـدعونـا إلى الاعتراف بـأن هذه الأسـاليب والوسائل تمثل أفضل وأكثر وسائل الإعلام وأساليبه فاعلية وتأثيـراً في نفوس الأفـراد والجماعات والشعـوب وأن المثل الأعلى لأي داع أو دعـوة يوجـد كامـلاً في القرآن الكريم .

وإذا كانت نظريات الإعلام الحديثة تدور حول عناصر يمكن حصرها بالمبادىء التالية :

ــ وجود عقيدة أو فكرة أو رسالة يُراد نشرها .

ــ توافر أساليب ووسائل إعلامية ، مقروءة ومسموعة ومرئية لتوصيلها للناس .

ــ معرفة مدى استجابة مستقبل الرسالة لها .

ــ قياس وتحديد مدى ما يظهر من سلوكه متفقاً مع هذه الرسالة ، وهو ما يعبر عنه برد الفعل .

ــ مراجعة الرسالة نفسها على ضوء ما قام به الداعية أو حقيقة الوسائل . . أو الأساليب لمعالجة رد الفعل إذا لم يتفق مع مضمون الرسالة .

هذه المبادىء تمثل كل ما تقوم عليه النظريات الحديثة في الإعلام وكل ما يدرس في معاهده في شتى أنحاء العالم ، وما يعكف على تحليله وتفصيله أساتذة الإعلام في محاضراتهم ومؤلفاتهم ، فإذا انتقلنا إلى الإعلام في القرآن ، فإن مثلنا يكون كمثل من سما بفكره وقلبه من الأرض إلى السماء .

ذلك أن الرسالة هنا هي رسالة الله سبحانه وتعالى . . والداعية هو الرسول النبيّ محمد عليه الصلاة والسلام ؛ الإنسان الكامل والوسائل والأساليب أنزلت له بوحي من السماء وهي تتصف بذلك مع كمالها وسموّها بسماتها المؤثرة إلى الإنسانية تتفق مع العقل وطبيعة الإنسان ، والمستقبل في القرآن هو الإنسان خليفة الله في أرضه .

ونستطيع في نطاق جهد المجتهد أن نحدد بعض عناصر الإعلام القرآني في التالي :

العنصر الأول : هو القرآن الكريم عقيدة وأخلاقا وشريعة :

أ ـ وهو كتاب من عند الله ﴿ ما فرّطنا في الكتابِ من شيء ﴾ ، وهو جامع شامل كامل . . وبه العقيدة والشريعة . . والمنهج الذي يجب أن يتبع في الحياة بل نجد فيه أيضاً الشرح الوافي لكل عناصر الإعلام وما يجب أن تكون عليه .

ب ـ نزل القرآن الكريم وبه تحديد واضح لأهداف الرسالة . . ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَىٰ النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إلى صِرَاطِ العزيزِ الحميد ﴾ [إبراهيم ١] .

جـ ـ ثم نجد أسلوب ضرب الأمثال للعبرة والعِظَة وتثبيت قلوب المؤمنين على الإيمان .

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا للنَّاسِ في هذا القرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُون ﴾ [الـزمر : ٢٧] .

﴿ إنَّ هذا القرآنَ يهدي لِلَّتي هِيَ أَقْوم وَيُبَشِّرُ المُؤمنينَ الذينَ يعملونَ الصالحاتِ أنَّ لهم أجراً كبيراً ﴾ [الإسراء : ٩] .

﴿ يَـا أَيُّهَا النَّاس قد جاءَتكم مـوعظةٌ مِنْ رَّبكم وشفـاءٌ لما في الصّـدورِ وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين ﴾ [يونس : ٥٧] .

د ـ ويبيِّن الله سبحانه وتعالىٰ أن القرآن الكريم رسالة عالمية .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ للعالمين ﴾ [التكوير : ٢٧] .

هـ ـ يقول الله تعالىٰ : ﴿ تَبَارَكَ الذي نزل الفرقانَ على عبدهِ ليكونَ للعالمين نذيراً ﴾ [الفرقان : ١] .

وسمَّاه الله تعالىٰ بالفرقان لأنه يفرِّق ويفصل بين الحق والباطل وبين الهـدى والضلال بل بما فيه من تفرقة بين نهج مستقيم للحياة وآخر منحرف . فالقرآن يرسم منهجاً واضحاً للحياة كلهاً في صورتها المستقرة في الضمير وصورتها الممثلة في الواقع ليكون للعالمين نذيراً .

ليبدأ به عهد الرسالة العامة الشاملة .

والعنصر الثاني يتصل بمبلغ الرسالة :

وهـو رسول الله محمـد صلَّى الله عليه وسلَّم فهـو النبي وخاتم الأنبيـاء الذي خصَّه الله تعالىٰ بصفات معينة تؤهله ليحمل رسالة السماء ومن أهم هذه الصفات أنه يتحلَّى بأخلاق القرآن الكريم ، وقال الله تعالىٰ فيه :

﴿ وَإِنَّكَ لعلى خلقٍ عظيم ﴾ [القلم : ٤] .

﴿ لَقَدْ كَانَ لكُمْ في رسولِ الله أُسوةٌ حسنة ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

﴿ يَـا أَيُّهـا النبيّ إِنَّا أَرْسَلْنَـاكَ شاهـداً وَمُبَشِّراً ونـذيراً * وداعيـاً إلى الله بإذنـه وسراجاً منيراً ﴾ [الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] .

تحديد المهمة : ﴿ يَا أَيُّها الرَّسول بلِّغ ما أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رسالته ﴾ [المائدة : ٦٧] .

﴿ ما على الرَّسولِ إِلَّا البلاغ ﴾ [المائدة : ٩٩] .

لا إكراهَ في الدين :﴿إنَّما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر﴾[الغاشية : ٢١ ، ٢٢] .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [النحل : ١٢٥] .

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [البقرة : ٢٥٦].

﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً ان عليك الا البلاغ ﴾ [الشـورى : ٤٨] .

ومما يروى عنه صلى الله عليه وسلم انه اوصى صاحبه « معاذ بن جبل » عند خروجه إلى اليمن بألا يزعج نصرانياً في نصرانيته أو يهودياً في يهوديته لما جاء بالهدي القرآني .

﴿ ولا تجـادلوا أهـل الكتـاب إلا بـالتي هي أحسن الا الـذين ظلمـوا منهم ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

العنصر الثالث يتصل بالوسائل الإعلامية :

فقد كانت وسائل الرسول صلى الله عليه وسلم كلها عمل وقول وانتقال وتخطابة مع ارسال المبعوثين والدعاة إلى جهات مختلفة بدءاً من المدينة المنورة إلى مواطن

القبائل ومنابر الاسواق والاتصالات الشخصية في المواسم ، ثم رسائله إلى ملوك العالم وحكامه بعد ذلك .

والعنصر الرابع يتصل بأساليب الدعوة من ذلك ما جاء في القرآن الكريم من :

١) الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] .

﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

٢) الدعوة ليس بها اكراه ﴿لا إكراه في الدين .... ﴾ .
٣) اتباع اسلوب التدرج على نحو ما اتبع في أسلوب تحريم الخمر .
٤) أسلوب التبسيط من الأساليب التي أمر بها الله تعالى :

﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ﴾ [الأحزاب : ٥] .

ودعا إليها الرسول صلى الله عليه وسلم وقد نصح معاذاً وزميله حين أوفدهما إلى اليمن قائلاً « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا » رواه مسلم .

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] .

٥) كذلك أسلوب تصنيف الناس في المجتمع . . لكل فئة في المجتمع أسلوب معين : فأسلوب مخاطبة المؤمنين غير أسلوب مخاطبة الكافرين وهذان الاسلوبان غير أسلوب مخاطبة المنافقين .

٦) أسلوب المجادلة والحوار ؛ وكانت الآيات تنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم لمناقشة أهل الكتاب في مناسبات يحتاج فيها الناس إلى قول الله سبحانه وتعالى وكانت اللغة العربية وسيلة الاتصال بين الناس ومن الواضح أن العرب قبل نزول القرآن الكريم كانوا على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة . وحسبنا للتدليل على ذلك أن هذا الميدان هو الميدان الذي تحداهم القرآن الكريم فيه .

٧) كـذلك اتبـع القـرآن أسلوب الثـواب والعقـاب فللمؤمنين الجنـة وللكفـار والمنافقين جهنم .

٨) اسلوب مناشدة الضمير الانساني بفتح الله لباب التوبة فالإنسان فيما يبتلى به من معصية وذنب مرجو للتوبة فتكون توبته اقراراً بالذنب وعزماً على عدم الاصرار عليه ، او الرجوع اليه .

﴿ ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ﴾ [النحل ٦١] .

﴿ وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون ﴾ [النور : ٣١] .

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

٩) اسلوب استقراء التاريخ واحداثه كما يبدو في قوله تعالى :

﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين وكفى بـربك هـادياً ونصيـراً ﴾ [الفرقان : ٣١] ، ولله الحكمة البالغة؛ فإن بروز المجرمين لحرب الأنبياء والدعوات ظاهرة تاريخية تعمل على طبعها بـطابع الجـد الذي ينـاسب طبيعتها ويمنحهـا القوة والصلابة بكفاح اصحاب الدعوات للمجـرمين الذين يتصـدون لها مهمـا كلفهم من مشقة حتى تميز الدعوات الحقة من الدعوات الزائفة ويمحص القائمين عليها ويطرد الزائفين منهم وكذلك فإن بروز المجرمين في طريق الانبياء مما يجعل الدعوة تأتي في أوانها لعلاج الفساد والانحراف .

١٠) اسلوب الأمثال : ﴿ ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربـك لذو مغفرة وذو عقاب أليم ﴾ [فصلت : ٤٣] .

أنه وحي واحد ورسالة واحدة وكذلك استقبال واحد من البشرية وكل ذلك يمنح الرسول شعوراً بالقوة والصبر والتصميم لأنه يمضي في طريق سار فيها من قبـل نوح وابراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من تلك العصبة المختارة من بني البشر أجمعين .

١١) اسلوب التوازن : ﴿ إن ربك لـذو مغفرة وذو عقـاب أليم ﴾ [فـصلـت :

٤٣] ذلك كي تستقيم نفس المؤمن وتتوازن فيطمع في رحمة الله وبمغفرته فلا ييأس منها أبداً ويحذر عقاب الله ويخشاه فلا يغفل عنه أبداً وسنجد أن التوازن هو طابع الاسلام الأصيل .

﴿ والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً ﴾ [الفرقان : ٦٧] .

وهذه ثورة الاسلام التي يحققها في حياة الافراد والجماعات ويتجه إليها في التربية والتشريع يقيم بناءها على التوازن والاعتدال .

١٢) أسلوب تهذيب الأخلاق : قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وقال الله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

كما قال تعالى :

﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم : ٤] .

وقالت السيدة عائشة في وصف اخلاق النبي صلى الله عليه وسلم :

« كان خلقه القرآن » .

لذلك فإن من أساليب الاعلام في القرآن الكريم « اسلوب تهذيب الاخلاق » فيقيم الدعوة على أسس الاخلاق الكريمة وتهذيب الشعور والإحساس مما ينبىء عن وجود دستور كامل لنظرية أخلاقية كاملة في القرآن الكريم . .

١٣) آداب الدعوة : يقول تعالى في التوجيه إلى آداب الدعوة :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين * ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم * واما ينزعنك

من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ﴾ [سورة فصلت : ٣٣ - ٣٦] .

إن النهوض بواجب الدعوة إلى الله أمر شاق وعظيم لأنه يواجه التواءات النفس البشرية وجهلها ، واعتزازها بما ألفت ، واستكبارها أن يقال :

إنها كانت على ضلالة ، وحرصها على شهواتها وعلى مصالحها ، وعلى مركزها الذي قد تهدده الدعوة إلى إله واحد ، كل البشر أمامه سواء .

وصدق الله تعالى : إذ يقول :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

إن كلمة الدعوة حينئذ هي أحسن كلمة تقال ، وتصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء . ولكن مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة ، ومع الاستسلام لله الذي تذوب امامه الذات فتصبح الدعوةُ خالصة لله ليس للداعية فيها شأن الا التبليغ .

ولا على الداعية بعد ذلك أن تتلقى كلمته بالإعراض ، أو بسوء الأدب ، أو بالتبجح في الانكار . إنه إنما يتقدم بالحسنة فهو في المقام الرفيع ، وغيره يتقدم بالسيئة فهو في المكان الدون :

﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ﴾ .

وليس له أن يرد بالسيئة ، فإن الحسنة لا يستوي أثرها - كما لا تستوي قيمتها - مع السيئة والصبر والتسامح والاستعلاء على رغبة النفس في مقابلة الشر بالشر يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة ، فتنقلب من الخصومة إلى الولاء ، ومن الجماح إلى اللين :

﴿ ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ .

وتصدق هذه القاعدة في الغالبية الغالبة من الحالات ، وينقلب الهياج إلى

وداعة ، والغضب إلى سكينة ، والتبجح الى حياء ، بسبب كلمة طيبة ، ونبرة هادئة ، وبسمة حانية في وجه هائج غاضب متبجح مفلوت الزمام !

١٤) اسلوب الجزاء : ومن أجل الهداية إلى الخير ، وحفزاً للاستجابة لدعوة الإيمان أوجد الخالق العظيم ، اسلوب الجزاء للمحسن والمسيء على مستوى الأفراد والجماعات قال تعالى ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى إلاّ مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ [غافر : ٤٠] ، ثم وضعت الضوابط لذلك فيقول تعالى :

﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قرابى إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير ﴾ [فاطر : ١٨] .

وحقيقة فردية التبعة والجزاء ذات أثر حاسم في الشعور الاخلاقي ، وفي السلوك العملي سواء . فشعور كل فرد بأنه مجزي بعمله ، لا يؤاخذ بكسب غيره ، ولا يتخلص هو من كسبه ، عامل قوي في يقظته لمحاسبة نفسه قبل أن تحاسب ! مع التخلي عن كل أمل خادع في أن ينفعه أحد بشيء ، أو أن يحمل عنه أحد شيئاً كما أنه ـ في الوقت ذاته ـ عامل مطمئن ، فلا يقلق الفرد خيفة أن يؤخذ بجريرة الجماعة ، فيطيش وييئس من جدوى عمله الفردي الطيب ، ما دام قد أدى واجبه في النصح للجماعة ومحاولة ردها عن الضلال بما يملك من وسيلة .

١٥) اسلوب حسن الخلق الذي يتصف به عباد الرحمن في الدعوة :

يقول تعالى في صفة عباده ، وما يتحلون به من خلق كريم واحساس مرهف رقيق :

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ [الفرقان : ٦٣] .

ها هي ذي السمة الأولى من سمات عباد الرحمن : أنهم يمشون على الأرض مشية سهلة هينة ، ليس فيها تكلف ولا تصنع ، وليس فيها خيلاء أو كبرياء ، ولا

تصعير خد ولا تخلع أو ترهل . فالمشية ككل حركة تعبير عن الشخصية ، وعما يستكن فيها من مشاعر . والنفس السوية المطمئنة الجادة القاصدة ، تخلع صفاتها هذه على مشية صاحبها ، فيمشي مشية سوية مطمئنة جادة قاصدة ، فيها وقار وسكينة ، وفيها جد وقوة . وليس معنى : ﴿ يمشون على الأرض هوناً ﴾ أنهم يمشون متماوتين منكسي الرؤوس ، متداعي الأركان متهاوي البنيان .

وهم في جدهم ووقارهم وقصدهم إلى ما يشغل نفوسهم من اهتمامات كبيرة ، لا يتلفتون إلى حماقة الحمقى وسفه السفهاء ، ولا يشغلون بالهم ووقتهم وجهدهم بالاشتباك مع السفهاء والحمقى في جدل أو عراك ، ويترفعون عن المهاترة مع كل مهاتر وطائش : ﴿ وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ لا عن ضعف ولكن عن ترفع ، ولا عن عجز إنما عن استعلاء ، وعن صيانة للوقت والجهد أن ينفقا فيما لا يليق بالرجل الكريم المشغول عن المهاترة بما هو أهم وأكرم وأرفع .

١٦) اسلوب التبشير والانذار : يقول تعالى مبشراً ومنذراً الناس لحفزهم إلى الاستجابة لدعوة رسوله صلى الله عليه وسلم :

﴿ وما أرسلناك الا مبشراً ونذيراً * قل ما أسألكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً * وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴾ [الفرقان : ٥٦ - ٥٨] .

وبهذا يحدد واجب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو التبشير والانذار ولم يكن بعد مأموراً بقتال المشركين وهو في مكة لضمان حرية التبشير والانذار كما أمر به بعد ذلك في المدينة ، وذلك لحكمة يعلمها الله نحس منها أنه كان في هذه الفترة يعد الرجال الذين ترتكز اليهم هذه العقيدة الجديدة ، وتعيش في نفوسهم ، وتترجم في حياتهم ، وتتمثل في سلوكهم ، لكي يكونوا نواة المجتمع المسلم الذي يحكمه الإسلام ويهيمن عليه ، ولكي لا يدخل في خصومات وثارات دموية تصد قريشاً عن الإسلام وتغلق قلوبهم دونه ، والله يقدر أنهم سيدخلون فيه بعضهم قبل الهجرة وسائرهم بعد الفتح ، وتكون منهم نواة صلبة للعقيدة الخالدة بإذن الله .

على أن لب الرسالة بقي في المدينة كما كان في مكة هو التبشير والإنذار إنما

جعل القتال لإزالة الموانع المادية دون حرية الدعوة ، ولحماية المؤمنين حتى لا تكون فتنة ، فالنص صادق في مكة وفي المدينة على السواء :

﴿ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴾ . .

١٧) التتابع في الرسالة حسب حاجات القلوب واستعدادها للتلقي :

ويقول عز وجل في حكمة تتابع الدعوة والرسالة والتمهيد لها في قلوب الناس :
﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا ﴾ . . [الفرقان : ٣٢] .

ولقد جاء هذا القرآن ليربي أمة ، وينشىء مجتمعاً ، ويقيم نظاماً . والتربية تحتاج إلى زمن وإلى تأثر وانفعال بالكلمة ، وإلى حركة تترجم التأثر والإنفعال إلى واقع . والنفس البشرية لا تتحول تحولاً كاملاً شاملاً بين يوم وليلة بقراءة كتاب كامل شامل للمنهج الجديد ، إنما تتأثر يوماً بعد يوم بطرف من هذا المنهج ، وتتدرج في مراقيه رويداً رويداً ، وتعتاد على حمل تكاليفه شيئاً فشيئاً .

ولقد جاء القرآن بمنهاج كامل شامل للحياة كلها ، وجاء في الوقت ذاته بمنهاج للتربية يوافق الفطرة البشرية عن علم بها من خالقها ؛ فجاء لذلك وفق الحاجات الحية للجماعة المسلمة ، وهي في طريق نشأتها ونموها ، ووفق استعدادها الذي ينمو يوماً بعد يوم في ظل المنهج التربوي الإلّهي الدقيق . جاء ليكون منهج تربية ومنهاج حياة .

ومن أجل هذا كله نزل القرآن مفصلاً يبيِّن أول ما يبيِّن عن منهجه لقلب الرسول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ ويثبته على طريقه ، ويتتابع عليه :

﴿ كذلك لنثبت به فؤادك ورتَّلناه ترتيلا ﴾ .

والترتيل هنا هو التتابع والتوالي وفق حكمة الله وعلمه بحاجات تلك القلوب واستعدادها للتلقّي . .

﴿من عملَ سيّئة فلا يُجزى إلَّا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ [غافر : ٤٠] .

فقد اقتضى فضل الله أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيِّئات ، رحمة من الله بعباده ، وتقديراً لضعفهم ، وللجواذب والموانع لهم في طريق الخير والاستقامة ، فضاعف لهم الحسنات ، وجعلها كفارة للسيئات ، فإذا هم وصلوا إلى الجنة بعد الحساب ، رزقهم الله فيها بغير حساب .

الرأي العام عند ظهور الإسلام :

وتناولت الآيات شرح أساليب الكفار والمنافقين ، وكان الإعلام في القرآن يتحدث عن كل نوع من أنواع الرأي العام ؛ يتحدث عن المشركين الذين يعبدون الأصنام ، وعن أهل الكتاب الموجودين في هذا العهد وعن غير هؤلاء ممَّن كانوا في مجتمعهم .

وكانت هناك ثلاثة أقسام للرأي العام :

الأول : الأغنياء وأصحاب النفوذ وأطلق عليهم القرآن الكريم « الملأ » وهؤلاء كان عنادهم شديداً خشية أن تضيع سيطرتهم ونفوذهم لو انتشر الإسلام .

الثاني : بقية أفراد الشعب الفقراء .

الثالث : طوائف الرقيق .

وكانت هناك أيضاً اليهودية والنصرانية ، فنزلت آيات كريمة كثيرة في أهل الكتاب ، وهناك تصنيف لأهل الكتاب لكل منهم آيات .

أما الفقراء فكانوا أسرع إلى قبول الدين ولكن كانوا يخشون الأغنياء .

وأما الأرقاء فإن الإسلام كان الطريق والسبيل الكريم لاطمئنانهم وراحة أنفسهم .

وظهر بعد امتداد الإسلام فئة المؤمنين وفئة الكفار وفئة المنافقين . كانت الآيات عن المؤمنين أقل من الآيات عن الكفار وهذه أقل من الآيات عن المنافقين .

وفئة المسلمين تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول :

﴿ الـذين آمنوا وتـطمئن قلوبهم بـذكـر الـله ألا بـذكـر الله تـطمئن القلوب ﴾
[الرعد : ٢٨] .

القسم الثاني : ينطبق عليهم قول الله تعالىٰ :

﴿ قالت الأعراب آمنًا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ [الحجرات : ١٤] .

فالإيمان منـوط بالقلب طمـأنينة وعقيـدة ويمارسـه المؤمن في الإسلام عقيـدة وسلوكاً ، كما أنه موكول إلى عقل وقلب الإنسان المستقبل للرسالة السماوية ، فكل مؤمن رقيب على نفسـه خاضع لرقابتها وهو أدرى بما يفرط منه وما يندم عليه ويستغفر له .

وتقرر العقيدة الإسـلامية ألاَّ تفـاضل بين النـاس إلاَّ بالتقـوى والعمل الصـالح والعلم الذي ينتفع به .

﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنَّما يتذكر أولـوا الألباب ﴾
[الزمر : ٩] .

وهناك تقسيم آخر للمؤمنين :

الرأي العام المؤمن القريب أو القائد وهم المقربون للرسول ـ صلَّى الله عليـه وسلَّم ـ وهم صحابته الذين بدأ معهم الدعوة وتحملوا مـع الرسـول ـ صلَّى الله عليه وسلَّم ـ كل مشقة وجهـاد ، وطالبهم الرسول دائماً بأن يكونوا قدوة لغيرهم .

والرأي العام المؤمن من كافة المؤمنين الـذين تلقوا الـرسالـة بعد الـرأي العام المؤمن القريب من رسول الله وكل هؤلاء جاهدوا وأدّوا واجبهم نحو الله والرسول .

وهناك آيات لمخاطبة هؤلاء المؤمنين ، يـأتي الحديث عنهـا في موضعهـا من الكتاب .

إنَّ من يستعـرض سيرة الـرسـول صلَّى الله عليـه وسلَّم ويتلمَّس من خـلالهـا

أهداف رسالته التي بعث من أجلها ، وقد حققها الله تعالىٰ له بعد جهادٍ طويل، يمكنه أن يحصر بعض هذه الأهداف في أمورٍ ثلاثة ينطوي فيها بعض ما جاء في الكتاب والسنّة من الأوامر والنواهي وما يتصل بها من الصالحات الباقيات .

أ ـ إصلاح حال العباد فيما بينهم وبين ربّهم .

ب ـ إصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه .

جـ ـ إصلاح حال المجتمع الإسلامي ، وواجب كل فرد نحو هذا المجتمع الذي يعيش فيه سواء في أسرته أو مجتمعه أو في الدولة وعلاقاتها .

تلك أهداف ثلاثة يرتبط بعضها ببعضٍ وأولها يعتبر أساساً لثانيها وثالثها . . والهدف هو سعادة العبد في دنياه وآخرته ولا يتم هذا الهدف الأسمى إلّا بتحقيق هذه الأهداف الثلاثة .

وإذا كان الإسلام دين قوة وعزّة فإن مظهر هذه القوة وتلك العزة متصل تمام الاتصال بقوة المجتمع وعزّته ومبلغ تمسكه بمبادىء دينه . . ويشير إلى هذا المعنى قول الرسول صلّى الله عليه وسلّم في حديث . . « بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً » ؛ أي أن أركانه كأركان البناء التي يُقام عليها البيت، فإذا هدم ركن منها انهارَ جميعه . وقال الله تعالىٰ : ﴿ واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرّقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] لذلك يجب ألّا نتهاون في شيء من مبادىء الدين حتى تبقى قوته وعزّته ﴿ ولله العزّة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [المنافقون : ٨] كذلك فإن الرسول صلّى الله عليه وسلّم يقول : « ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب » .

فكل عمل يصدر من الإنسان . . ولا يقوم على أساس من التقوى وصدق الإيمان واتّباع رسالة الله فهو لغو باطل ولو ألبسه صاحبه أحسن صورة من البر والإحسان ،وكل قول يصدر عن قلب لا يؤمن بالله فإن الله لا يرفعه إليه ، ويؤكد هذا القول ما جاء به القرآن الكريم في شأن من كفرَ ولم يؤمن بالله ربه . يقول الله تعالىٰ

في شأن الكافرين : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ [سورة النور ـ آية ٣٩] .

ويقول كذلك في شأنهم ﴿ أعمالهم كرماد اشتدَّت به الريح في يومٍ عاصف ﴾ [سورة إبراهيم : آية ١٨] .

جاء رجل إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يسأله : « قل لي يا رسول الله في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك»، فقال له : « قُل آمنتُ بالله ثم استقم » . وهكذا أشارَ النبي صلَّى الله عليه وسلَّم إلى أن الإيمان أولاً لأنه كالأساس لقبول الأعمال ؛ فالإيمان أساس ، والأعمال بعده لبناء البيت عليه ، ولا يعول على بناء بدون أساس ، فلا خير في عمل يقوم على غير إيمان بالله تعالىٰ ، ولذلك يتبيَّن أن معنى الهدف الأول من أهداف الإسلام هو عقيدة وأخلاق وشريعة .

ومن هدف الرسالة الإسلامية إصلاح حال العباد أولاً فيما بينهم وبين ربهم ؛ وذلك بتحقيق الإيمان الصادق وإذا عرف المسلم من أين يبدأ عمله . . وعرف أن الأساس الذي تبنى عليه الأعمال هو إصلاح القلوب وتطهير النفوس أدرك أن القلوب المؤمنة تنبت فيها شجرة الضمائر الإسلامية الواعية وتقوم في هذه القلوب الرقابة الدينية على كل عمل من أعمال الإنسان .

وهكذا يستعدّ لتحقيق الهدف الثاني من أهداف الرسالة الإسلامية وهو إصلاح حال العبد في خاصة نفسه وذلك لا يكون إلّا إذا استقامَ واستجاب لله ورسوله فلا يخرج عن حدود الله فيما رسمته الشريعة الإسلامية وبينته السنة المحمدية ،ذاكراً في جميع أحواله قول الله تعالىٰ : ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ﴾ [سورة البقرة : آية ٢٢٩] .

وإذا كان الهدف الثاني من أهداف الرسالة الإسلامية هو العمل الصالح الذي تعود فائدته إلى الإنسان نفسه فيما يكسب من الصالحات الباقيات فإن هذا يقتضي أن يكون على علم بما كلفته به الشريعة حتى يميِّز بين الحلال والحرام وبين الطيب والخبيث .

أما الهدف الثالث من الرسالة السماوية فهو إصلاح حال المجتمع وواجب كل

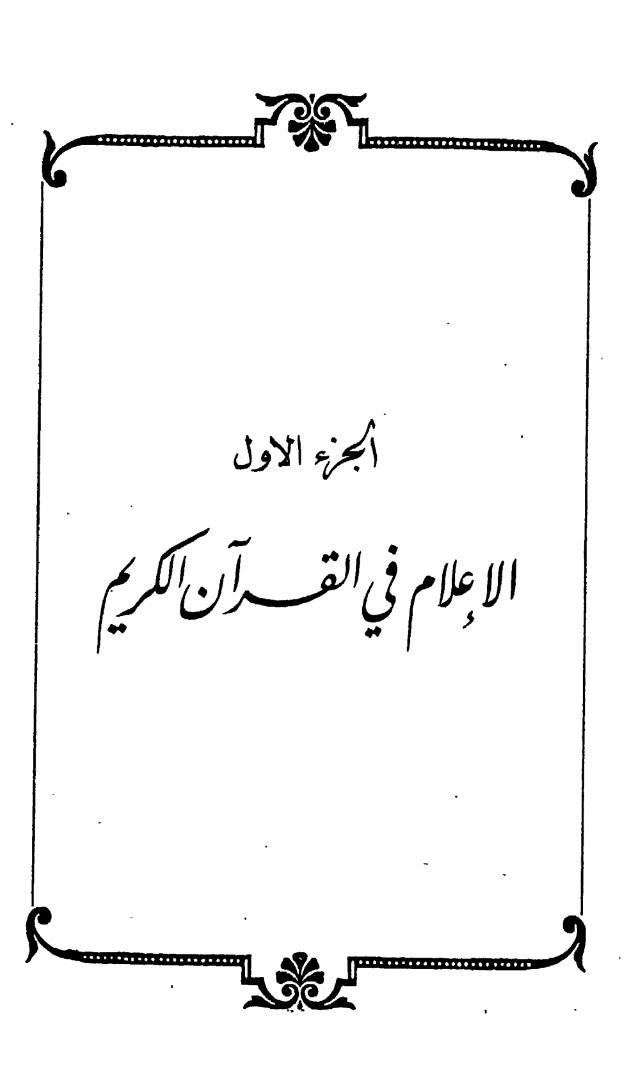
فرد نحو المجتمع الذي يعيش فيه والأصول التي اتفق فيها جميع الأنبياء في كل عصر . . ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾ [سورة الشورىٰ : آية ١٣] .

وقوة الإسلام وعزته يرتبطان بقوة المجتمع الذي يتمسك بمبادئه ،ولذلك تضافر الكتاب والسنّة على تشريع المبادىء القويمة والآداب الاجتماعية التي تربي المجتمع تربية دينية ،ويكون أفراد المجتمع كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضاً ،ويكون كالجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمىٰ .

ولا شك أن إصلاح المجتمع يتوقف على صلاح طائفتين الطائفة المشرّعة والطائفة المنفذة . . . وبفساد إحداهما يفسد المجتمع .

وان الشريعة الإسلامية قد رسمت للناس منهج الحياة العزيزة الكريمة وأن الله تعالىٰ قد جاءهم بكتاب مبين ضمنه مصالح العباد وهو أعلم بما فيه نفعهم وقد ملأه بالنذر والتهديد ليقوم بذلك عوجهم ، وأرسل إليهم خاتم الأنبياء وأنزل عليه هذا الذكر ليبيّن للناس ما نزل إليهم .

وقد أدّى النبيّ محمد صلّى الله عليه وسلّم رسالته ،وتولّى أمر الرسالة أصحابه من الخلفاء الراشدين فمن المسؤول عن هذه الرسالة الإسلامية بعد أن مضى هؤلاء جميعاً وسلموا الرسالة لمن بعدهم وأصبحت أمانة في أعناقهم ، وفي أعناق من يرثهم من بعدهم ؟ ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .



الجزء الاول

الإعلام في القرآن الكريم

* * *

نظرية الإعلام وثورة الاتصال في العصر الحديث :

ـ الإنسان والإعلام ، الوسائل المقروءة ، الوسائل السمعية ، الوسائل السمعية البصرية ، الوسائل الشخصية .

ـ الهدف من نظرية الإعلام ، شخصية رجل الإعلام ، الفكرة الإعلامية ، شروط يجب توافرها في الفكرة الإعلامية .

ـ المرسل إليه سواء كان فرداً أو جماعة أو شعباً من الشعوب .

ـ التأثير والاستجابة ـ المؤثرات : الحسية ـ العقلية ـ النفسية ، الاستجابة ورد الفعل ، التكرار ، المتابعة ، الملاحظة .

ـ أساليب غير مشروعة للتأثير على العقل .

الرأي العام :

ـ تعريف الرأي العام وطبيعة الرأي العام ، أنواع الرأي العام ، وتكوين الرأي العام ، خصائص الرأي العام .

ـ أنواع وتقسيمات الرأي العام .

ـ الحياة على شبه الجزيرة العربية قبل نزول القرآن .

شبه الجزيرة العربية ، السكان والحضارة ، مكة موطن نزول القرآن ، اللغة العربية وتطوّرها في قريش وأسباب ذلك .

ـ الإعلام قبل نزول القرآن :

العقائد الدينية قبل نزول القرآن .

ـ الحالة السياسية والاجتماعية في العالم حول شبه الجزيرة العربية ـ الدين ـ اليهودية واليهنود ـ المسيحية وفرقها ـ المجوسية ـ الوثنية ـ نظرة عامة على العقائد .

القرآن الكريم وصورة الحالة الدينية في العالم .

ـ بيزنطة ترث الامبراطورية الرومانية .

الصراع بين بيزنطة وفارس .

الإسهام الحضاري لهذه الدول .

موقف الإنسان .

* * *

نظـرية الإعـلام
وثورة الاتصـال بالجماهير

* الإنسان والإعلام :

يعيش العالم اليوم في ثورة الاتصال الجماهيري التي يطلق عليها Mass Communication .

وسنذكر في هذا الفصل والفصول التالية ، المبادىء والأساليب والوسائل التي تتبعها وسائل الاتصال المعاصرة ، والعوامل المؤثرة والاستجابات الناتجة عنها لدى الجماهير وطرق قياسها وتطويرها . ونوضح بعد ذلك رد الفعل المناسب او السلوك الذي ينبغي ان يتخذه رجل الإعلام إزاء هذه الاستجابات لتحقيق اهدافه .

ولتصوير أثر هذه الثورة على الانسان المعاصر ، يكفي ان نذكر ان الإعلام الموجه إلى الإنسان لا يتوقف الآن في أية لحظة من لحظات النهار او الليل ،وان هذا الإنسان يواجه منذ اللحظة التي يفتح فيها عينيه وينهض من نومه بمؤثرات إعلامية تتسابق للتأثير على عقله واتجاهاته وتظل تلاحقه طوال اليوم والليل حتى يتجه لينام .

الإذاعة التي لا تكف عن بث إرسالها لحظة ، تستقبله ساعة نهوضه من نومه ، وصحف الصباح تنتظره قبل أن يخرج من بيته فإذا خرج إلى الشارع واجهته ملصقات لا حصر لها توجه إليه ألواناً مختلفة من الدعاية والاعلام في الترام او على جانبي الطريق او جدران الأبنية العالية .

فإذا انخرط في عمله فإن احاديث زملائه تحمل إليه ما لم تنشره الصحف او تبثه

الإذاعات من اسرار وشائعات .

وفي وقت الفراغ تتاح للإنسان الفرص لمشاهدة العروض السينمائية والمسرحية ذات الأهداف المتباينة ، كما يستطيع ان يستمع إلى محاضرات ويشهد ندوات تتحدث في كل شيء . . وإلى مشاهدة معارض فنية وصناعية وزراعية تقدم إليه آخر ما توصل إليه عقل الانسان من ابتكارات في كل مجال .

وفي المساء إذا اتيحت له فرصة التأمل وجد بعض المجلات التي تجذبه بإخراجها الجذاب ليطالع فيها ما تقدمه له ، حتى التليفزيون ببرامجه التي تستخدم كل الإمكانات البشرية والتكنولوجية يشد انتباهه من بداية الإرسال حتى نهايته .

ومن هذا العرض لموقف الإنسان الإعلامي ، ندرك ان المواطن المعاصر لا يأوي إلى فراشه ، قبل أن يقرأ ويرى ويسمع كماً هائلاً من المعلومات والمشاهد تعرض افكاراً واتجاهات وفنوناً ودعايات تستهدف كلها شد انتباهه وتوجيهه إلى هدف من أهدافها ، وهي تحاصره حصاراً محكماً لا سبيل إلى الإفلات منه ، حصاراً لم يشهده الإنسان في أي عصر .

ونستطيع ان نحصر الاتصال الجماهيري المعاصر في الوسائل الرئيسية التالية :

١) الوسائل المقروءة ، وتتمثل في : الصحافة ـ وكالات الأنباء ـ المطبوعات ، من كتب إلى نشرات ، ملصقات .

٢) الوسائل السمعية وتتمثل في : الإذاعة ـ الخطابة ـ الندوة ـ الشائعات ـ المناقشة .

٣) الوسائل البصرية وتتمثل في: الفنون ـ لوحات تشكيلية ـ نحت ـ رقص .

٤) الوسائل السمعية ـ البصرية ، وتتمثل في : التليفزيون ـ المسرح ـ السينما .

٥) الوسائل الشخصية ، وتتمثل في : المقابلة ـ المحادثة .

ويزود العلم والتكنولوجيا الحديثة هذه الوسائل كل يوم بكل جديد يساعده على جذب الإنسان وشد انتباهه والتأثير عليه لا يقف في وجهها بعد المسافات أو سعة

البحار والمحيطات او كثافة الغابات وارتفاع الجبال الشاهقة ، لأنها استطاعت ان تتجاوز كل هذه العوائق لتصل إلى كل انسان في عقر بيته لتبثه ما تحمل ، واصبح في وسع الانسان في أي مكان ان يرى ويسمع ما يحدث في اقصى الأرض بعيداً عنه في نفس وقت حدوثه ، عن طريق الأقمار الصناعية كذلك نجد أن كثيراً من الوسائل العلمية الحديثة تستخدم احدث ما ابتكره العقل البشري في نقل فكرة أو أفكار معينة وتضمنها موادها الإعلامية والدعائية للتأثير على المواطن كفرد ، أو للتأثير على الجماعة أو على أي شعب من الشعوب . وهذا الجهد العلمي الجبار كله يستخدم اسلوباً شائعاً يمكن أن يكون حلقة ذات اجزاء ثلاثة ، الأول يتضمن الفكرة او موضوع الإعلام الذي يراد نقله إلى الحلقة التالية المتمثلة في وسائل الاعلام اما الحلقة الأخيرة فتتمثل في المستقبل لهذه المواد وهو عقل الإنسان .

ولا بد من ان يكون الجهد العلمي والفني(١) من ناحية الفكرة ومواد الإعلام قد صيغ بأسلوب علمي حتى يستقبلها عقل المواطن ويقتنع بها،يعمل بهديها وليصبح سلوكه متأثراً لها . وبناء على ذلك أصبح الإتصال بالجماهير علما يقوم على مبادىء مدروسة كما أن مواد الإعلام يجب ان تصاغ بأسلوب فني خاص ويستخدم أحدث ما ابتكره العقل البشري للتأثير على عقل الإنسان وهو ما سوف نعرض له في الفصول التالية .

الهدف من نظرية الاتصال الإعلامي .

إن الهدف من الإعلام هو توصيل الأفكار والمعلومات إلى المستقبلين فأساس العمل الإعلامي ان تكون هناك فكرة معينة نريد توصيلها إلى المرسل إليه وهو إما فرد أو جماعة أو شعب أو عدة شعوب .

فإذا اتبع المرسل إليه السلوك الذي تدعو له الفكرة ، فإن رجل الإعلام يكون قد حقق غرضه ، وإذا لم يتبع المرسل إليه السلوك الذي تدعو له الفكرة يكون رجل

---

(١) Floyd: H. Allport, «Toward a Science of Public opinion, The public Opinion Quartely (January, 1937, Vol, 1 No. 1) Page 23.

الإعلام قد فشل في تحقيق غرضه ، ويمثل هذا المبدأ المبدئي اول خطوة على طريق تقييم الإعـلام . ومن الـواضـح ان هـذا المبـدأ يتضمن سلسلة من العمليـات والاستجابات ينبغي دراستها لكي يتضح الطريق الذي يجب ان يتبعـه رجل الإعـلام ليتحقق من ان المرسل إليه قد استقبل هذه الفكرة استقبالاً موفقاً .

وتتكون هذه السلسلة من : ـ

١) شخصية رجل الإعلام .

٢) موضوع الفكرة .

٣) الأساليب العلمية والفنية التي تتبع لعرض الفكرة .

٣) استخدام وسائل الاتصال بالجماهير وهي كما اوضحنـا وسائـل سمعية أو وسائل بصرية او وسائل سمعية ـ بصرية او اتصال شخصي .

٥) شخصية المرسل إليه وطبيعته فهو أما فرد او جماعة أو شعب أو شعوب .

أ ـ وهنـا تجب دراسـة العـوامـل الخـارجيـة والـداخليـة التي تؤثـر على المستقبل سواء كان فرداً او جماعة أو شعباً من الشعوب .

ب ـ وأثر الفكرة في نفسية الفرد .

٦) نوع التأثير الذي سيحدث في المرسل اليه .

٧) العوامل المؤثرة سواء الحسية أو العقلية أو النفسية .

٨) الاستجابة التي ستنتج عن المؤثر .

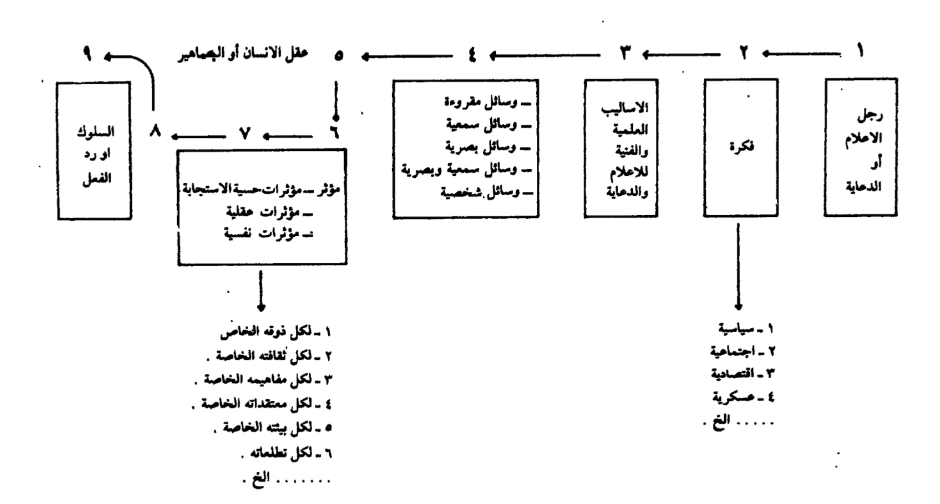
٩) السلوك أو رد الفعل وهو آخر حلقات هذه السلسلة، ويبين الرسم التوضيحي حلقات هذه السلسلة العامة من عمليات الاعلام والاستجابة لها .

وإذا كان السلوك أو رد الفعل للفرد أو الجماعة متفقاً مع الهدف الذي ترمي إليه الفكرة فإن الإعلام يكون قد حقق هدفه .

ونتحدث عن كل حلقة من حلقات هذه السلسلة :

أولاً : شخصية رجل الإعلام :

يجب أن يتميـز رجل الإعـلام بصفات خـاصة ، منهـا أن يكون مـوضـع ثقـة الشخص الذي توجه إليه الفكرة ، وأن يتصف بالاحترام والخبرة والصدق وأن يكون



رجـل الاعلام
١
٢
٣
٤
٥
عقل الانسان أو الجماهير
٩
رجل الاعلام أو الدعاية
فكرة
الاساليب العلمية والفنية للاعلام والدعاية
ـ وسائل مقروءة
ـ وسائل سمعية
ـ وسائل بصرية
ـ وسائل سمعية وبصرية
ـ وسائل شخصية
٦
٧
٨
مؤثر ـ مؤثرات حسية الاستجابة
ـ مؤثرات عقلية
ـ مؤثرات نفسية
السلوك او رد الفعل
١ ـ سياسية
٢ ـ اجتماعية
٣ ـ اقتصادية
٤ ـ عسكرية
..... الخ .
١ ـ لكل ذوقه الخاص
٢ ـ لكل ثقافته الخاصة .
٣ ـ لكل مفاهيمه الخاصة .
٤ ـ لكل معتقداته الخاصة .
٥ ـ لكل بيئته الخاصة .
٦ ـ لكل تطلعاته .
.... الخ .

متخصصاً في مجاله ، ومهما تكن عظمة الفكرة أو قدسيتها فإن رجل الإعلام له أهميته الكبرى ، ويكفي أن نذكر في هذا قول الله تعالى حينما وصف الرسول عليه الصلاة والسلام : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، فتبليغ رسالة القرآن بما يمثله من عظمة وقدسية تطلبت أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم متصفاً بصفات خلقية وأجملها القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ [القلم : ٤] .

وخلاصة القول في شخصية رجل الإعلام انه يجب أن يكون مزوداً بالعلم وبصفات خلقية حميدة ، وهما أمران يحققان له الثقة ويكسبانه احترام الجميع .

ثانياً : الفكرة الإعلامية :

إن الفكرة هي أساس العمل الإعلامي ، ويجب ان نحددها على الوجه التالي :

أ ـ نشأة هذه الفكرة لدى الفرد أو الجماعة أو الرأي العام العالمي .

ب ـ اعداد الفكرة « ليعتنقها » الفرد أو الجماعة أو الرأي العام العالمي .

ثالثاً : نوعية الفكرة ، فهناك :

ـ أفكار سياسية : مثل عقيدة سياسية أو فلسفة سياسية أو مبادىء حزب أو اتباع سياسة داخلية أو سياسة خارجية ، أو الرد على دعاية العدو أو تنفيذ سياسته .

ـ أفكار اجتماعية : مثل نشر فكرة تنظيم الأسرة أو الدعوة لعقيدة دينية أو مبدأ اجتماعي معين أو سياسة في الحقل الاجتماعي أو نشر سياسة جمعية او لفت النظر إلى أهمية خاصة لحالة اجتماعية .

ـ أفكار اقتصادية : مثل نشر مذهب اقتصادي معين كالاشتراكية أو الرأسمالية أو سياسة تجارية مثل بيع أو شراء سلعة أو اسهم ومستندات أو اعلام تجاري او نشر السياسة الاقتصادية لحزب من الأحزاب أو هيئة من الهيئات أو مؤسسة من المؤسسات .

ـ أفكار عسكرية : مثل التمهيد لحرب عامة أو لمرحلة عسكرية مثل الدفاع أو الهجوم أو الانسحاب ، أو القيام بحرب نفسية ودفاعية للرد على دعاية العدو أو رفع الروح المعنوية لدى الشعب أو قواته المسلحة .

رابعاً : شروط يجب توافرها في الفكرة الإعلامية :

ولكي تتحقق الأهداف من بث فكرة معينة عن طريق أجهزة الاتصال يجب أن تتوفر لها الشروط التالية :

ـ أن يوضع للفكرة أو المواد المتعلقة بها تخطيط ، وأن تكون مدروسة علمياً بعد تحليل اتجاهات وميول الرأي العام ازاءها .

ـ اختيار أحسن وأنسب وسيلة اتصال جماهيري لتوصيل الفكرة إلى المرسل إليه .

ـ أن تكون الفكرة واضحة ومفهومة عند المرسل إليه .

ـ أن تتمكن الفكرة من أن تحقق فعلاً التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب .

ـ أن تخدم الفكرة مصالح المرسل إليه ، وأن يكون في حاجة إليها .

ـ التأكد من أن التأثير والاستجابة والسلوك المطلوب هي في جانب الصالح العام .

وتعمل وسائل الاتصال على دفع الفكرة إلى عقول الجماهير اما لتقتنع بها أو لتنزع من عقولها فكرة أخرى غيرها . ومحصلة كل هذا هي الوصول إلى سلوك معين مستهدف .

ـ ان تكون الفكرة المعروضة قد درست وناقشت الآراء المعارضة لها وأن يعلم المرسل إليه هذه الأفكار وهذه الآراء المعارضة مقدماً وما تتضمنه من اخطاء او انحراف . . وبذلك يتحصن المرسل إليه ضد أي فعل مضاد للفكرة التي يستقبلها .

ـ ان تكون الفكرة ملائمة ومتفقة مع أفكار المستقبل لها ، فإذا كانت الفكرة لا تتمشى مع أفكاره فقد تجد صعوبة لدى عقل المرسل إليه ليصدقها وينبغي مواجهة مثل هذا الموقف .

ـ كذلك ينبغي أن تكون الفكرة المعروضة غير مصاغة في صيغة أمر أو استعلاء

على المرسل إليه ، فالمرسل إليه يجب دائماً أن يشارك في صنع حياته بنفسه وأن يأخذ لنفسه القرار ويستجيب طواعية بعد اقتناع .

ـ أن تكون الفكرة متفقة مع قيم المجتمع كله إن أمكن لأن المرسل إليه يريد عادة ان يحقق أفكاره بشرط أن يسلك السلوك الذي ترضى عنه الجماعة التي يعيش فيها .

الأساليب العلمية والفنية للإعلام : (وسائل الاتصال) :

عندما ينتهي رجل الإعلام من اتباع الشروط الواجبة لنجاح الفكرة فإنه يلجأ إلى الأساليب العلمية والفنية للإعلام عنها عن طريق وسائل الاتصال التي تتمثل في التالي :

أولاً : وسائل مقروءة : الصحف والمجلات والكتب والنشرات .
ثانياً : وسائل سمعية : الإذاعة والندوة والخطابة والمناقشة والشائعة .
ثالثاً : وسائل بصرية : اللوحة الفنية والرقص والنحت .
رابعاً : وسائل سمعية ـ بصرية : التليفزيون والمسرح والسينما .
خامساً : وسائل شخصية : المقابلة والمحادثة .

خامساً : المرسل إليه :

الفرد أو الجماعة او الشعب أو الشعوب

قبل أن تصل الفكرة من وسائل الاتصال إلى المرسل إليه فإنه يجب على رجل الإعلام والدعاية ان يدرس شخصية المرسل إليه دراسة علمية سواء كان فرداً او جماعة أو شعباً أو شعوباً ، وتكون هذه الدراسة على أساس أن الفكرة ووسيلة الاتصال مناسبتان لشخصية المرسل إليه وطبيعته وعلى رجل الإعلام أن يكون على بينة من النقاط التالية في دراسته لشخصية المرسل إليه :

١) ان لكل فرد أو جماعة أو شعب ذوقه الخاص .
٢) ان لكل فرد أو جماعة او شعب ثقافته الخاصة .
٣) ان لكل فرد او جماعة أو شعب مفاهيمه الخاصة .

٤) ان لكل فرد أو جماعة او شعب معتقداته الخاصة .
٥) ان لكل فرد أو جماعة أو شعب بيئته الخاصة .
٦) ان لكل فرد أو جماعة او شعب تطلعاته الخاصة .

سادساً : التأثير والاستجابة :

يجب أن ننظر إلى الفكرة على ضوء عوامل مختلفة لكي تؤثر في عقل المرسل اليه ، حيث ان المرسل إليه عندما تصله الفكرة يتلقاها على النحو التالي :

١) ان يقارنها بالأفكار التي يعتنقها .
٢) ان يبستعيدها على ضوء اللاشعور او اللاوعي أو العقل الباطن .
٣) ان ينظر إليها من وجهة نظر التقاليد التي نشأ عليها .
٤) ان يفحصها في ضوء المعتقدات الدينية التي يؤمن بها .
٥) ان يوائمها مع نوع الحياة التي يحياها والثقافة التي يسلكها .
٦) ان يزنها من ناحية التطلعات التي يسعى إلى تحقيقها .
٧) ان يربطها بالنواحي الإنسانية التي يتوخاها في سلوكه الخاص .

لذلك فإن المرسل إليه يعمد إلى مقارنة هذه الفكرة بالأفكار التي يعتنقها ، كما يعمد إلى المقارنة بين النتائج المترتبة على قبولها بحيث لا تتعارض مع النتائج التي يتطلع إليها .

وهنا يدور صراع عنيف بين كل ما يؤمن به وبين ما تحتويه الفكرة وسواء رفض الفكرة أو قبلها وهذا يقودها إلى عملية أخرى هي عملية الاستجابة للمؤثرات الحسية والعقلية والنفسية .

المـؤثـرات :

وتنقسم المؤثرات إلى ثلاثة أنواع :

١) **المؤثرات الحسية** : تستثير الأحاسيس الطبيعية كالحب أو الكراهية أو الفرح أو الحزن أو التعاسة أو . . . . الخ .

٢) المؤثرات العقلية : تستثير العقل والتفكير كالتصديق والتكذيب والتأييد والرفض والاعجاب والاستنكار . وهي ردود فعل عقلية .

٣) المؤثرات النفسية : تخاطب العقل الباطن أو اللاشعور والخبرات والتجارب في داخل اللاوعي الناتجة من صراع النفس وشتى ضروب التعارض أو التوافق بين الماضي والحاضر وهي صادرة عن ردود فعل نفسية .

فإذا استخدمت وسائل الاتصال والاعلام كل هذه المؤثرات بالقدر الملائم والظروف الملائمة وفي الوقت الملائم وبالعلم والخبرة ودراسة الرأي العام وتحليله لأمكنها أن تحقق نجاح عملية التوصيل لتنتج التأثير المطلوب كما أن وقوع أي خطأ مباشر أو غير مباشر من شأنه أن يؤدي إلى فشل عملية التوصيل ، وقد ينتج تأثيراً عكسياً تماماً يتولد داخل الفرد المتعرض لوسائل الاعلام والاتصال .

الاستجابة :

١) قد يقبل الانسان الفكرة بعقله باعتبارها فكرة وجيهة ولكنه يرفض أن يسلك السلوك المطلوب لأنه يرفضها بقلبه أما لأنه لا يريد ذلك وأما لأنه عاجز عن ذلك .

٢) أو قد لا يقبلها ولكنه يسلك سلوكا إيجابياً مع الفكرة ، أي أنه يرفضها بعقله لأنها غير صائبة ولكنه يقبلها أما لأنها بدعة مستحبة أو لأنه عاجز عن مقاومة اغراء الأخذ بها .

سابعاً : السلوك أو رد الفعل :

بعد أن يقتنع المرسل إليه بقبول الفكرة أو رفضها تبدأ عملية استرجاع المؤثرات التي ذكرناها مرة أخرى. ولكي يكون السلوك مطابقاً للفكرة فإن المرسل إليه يراجع نفسه ليكون سلوكه الشخصي متمشياً مع السلوك الجديد المراد له ، بناء على قبوله للفكرة أو رفضه لها وهل هذا السلوك الجديد يتوافق مع السلوك الجماعي الجديد المراد أن يسلكه جميع المتعرضين للاستجابة المماثلة أي المقارنة بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ، وعندئذ يدور صراع بين الفرد ونفسه .

لذلك كلما كانت سلسلة الاتصال الجماهيري[1] مقنعة وواضحة وصريحة بالنسبة لأكبر عدد من الأفراد ، استجاب الأفراد للفكرة ، وهذا يرجع إلى وجود صراع عنيف بين ما يريده الانسان بدافع ميوله ورغباته وبين ما تريده له وسائل الاتصال والاعلام لذلك يحرص رجل الاتصال أو الاعلام في مجالات : الفكرة - التأثير - الاستجابة - ردود الأفعال على أن تتم كلها على نحو سليم لا يحدث فيه تعارض أو تنافر بين التأثير والاستجابة من ناحية وبين ردود الفعل السلوكية من ناحية اخرى .

والاعلام الناجح هو الذي ينجح في جعل المبادىء الثلاثة (الفكرة والتأثير والاستجابة) متحركة بدون ضغط أو كبت أو الزام ، ولذلك يلجأ الاعلام ووسائل الاتصال إلى الطرق التالية لمنع التضارب أو الخلل .

١) التكرار : وهو طرح الفكرة مرات ومرات وفي أشكال جديدة ومناسبات وظروف مختلفة لكي يصل إلى الغرض المطلوب .

٢) المتابعة : لتعميق وترسيخ الفكرة في عقول الجمهور وطرح نتائجها مرات ومرات في أشكال ومناسبات مختلفة .

٣) الملاحقة : لتجديد شباب الفكرة وإكسابها مزيداً من الحيوية والتأثير .

وعن طريق هذه الوسائل الثلاث يحدث الاغراء فيتحقق التجاوب والتفاعل والالتحام والمشاركة بين الاعلام والجمهور .

وهناك مثل عملي يجب على رجل الاعلام ان يضعه أمامه في هذا الموضوع وهو انه إذا ذهب شاب من الشرق مثلاً إلى دولة غربية ليتلقى فيها علومه فقد ينسجم هذا الشاب في المجتمع الجديد وينجح في علومه ، كذلك هناك احتمال أن يفشل مثل هذا الشاب في ذلك المجتمع بسبب ان ثقافته تختلف تماماً عن الثقافة الغربية وهذا ما يسمى بالثغرة الثقافية Culture-Gap وكلما كانت هذه الثغرة كبيرة فإن هذا الشاب يصاب بصدمة ثقافية Culture-Chok وبذلك يفشل في تلقي العلوم ، وهذا

---

(١) Harwook 1. Childs, «An Introducte to Public Opinion » (New York, John Wiley and Sons Inc: 1940) 48.

المثل يوضح أهمية فهم ودراسة المجتمع الذي يوجه إليه الاعلام .

أساليب غير مشروعة للتأثير على العقل :

ان الانسان مخلوق معقد يتأثر سلوكه بعوامل ظاهرة وخفية .

والسلوك الاجتماعي للإنسان[١] يحدث نتيجة تأثيرات داخلية صادرة من داخل الانسان أو من عوامل خارجية وكلها مرتبط بعضها ببعض وكل هذا ينتج عنه سلوك الانسان .

كما أن كل إنسان يفكر وينفعل ويسلك سلوكاً معيناً .

ولا يفترق أحدنا عن الآخر في ذلك ، وفي أنه يفكر وينفعل ويسلك ولكن طريقة التفكير وطريقة الانفعال وطريقة السلوك تختلف ، فالناس يختلفون في طبيعتهم وفي تكوينهم .

وتحاول وسائل الاتصال بالجماهير ذات الاهداف المتطرفة إحداث مؤثرات معينة على عقل الانسان بدرجات متفاوتة وقد يصل بها حرصها على تحقيق هدفها إلى فرض نوع من الاستسلام العقلي على المستقبل ليتوقف عن المقاومة ويصبح مستعداً لتقبل أية إيحاءات تفرض عليه .

ومعنى هذه الطريقة محاولة توجيه الفكر الإنساني أو العمل الانساني ضد رغبة الفرد الحر أو ضد ارادته أو عقله .

وتهدف بعض هذه الوسائل المتطرفة إلى وسائل أكثر عنفاً ، كعمليات غسيل المخ[٢] المعروفة في مجتمعات الضغط والقهر . وتتيح لتحقيق ذلك خطوات مع المطلوب التأثير عليهم نلخصها في التالي :

١) الاعتراف للكشف عن الأخطاء .

٢) إعادة التعليم والتثقيف أي إعادة تشكيل الفرد في القالب المطلوب وهذه العملية ليست هي « قتل العقل » التي تحقق خضوعاً لا إرادياً عند الفرد وتجعله تحت

---

(١) Samuel A. Stouffer, «A study of attitudes» Scientific American (May, 1945. Vol. 180, No. 5) P. 14.

(٢) «Brain washing».

سلطان نظام لاتفكيري بحيث يصبح في غمرة رق آلي لا حيلة له فيه ولا قـدرة على تجنبه .

٣) فرض مؤثرات معينة على عقل الانسان بدرجـات متفاوتـة مع طبيعتـه حتى يصل إلى درجة الانهيار ، بحيث يتوقف المخ ويصبح الإنسان في حالة ضياع تام ، ويصبح مستعداً لتقبل أية إيحاءات تفرض عليه .

أما محاولات قتل العقل والتأثير عليه التي تلجأ إليها هذه المذاهب فنوجزها في الآتي :

١ ـ عـزل الشخص عن الحياة العـامة : مثـل وضعه في زنـزانة أو عـزلـه عن أصدقائه .

٢ ـ الضغط الجسماني : مثل الحرمان من الطعام والنوم حتى يصل إلى حالة الاعياء والانهيار ممـا يؤدي إلى اضطراب الملكـات العقلية ، ويمكن من استخـدام الايحاء نحو الشخص الواقع تحت هذا التأثير .

٣ ـ التهديد وأعمال العنف : مثل استخدام العنف والضرب أو خيانة الصديق .

٤ ـ الإذلال والضغوط : مثل إرغام الشخص على توجيه عينه نحـو الأرض أو استجوابه لمدة طويلة .

٥ ـ الدروس القهرية الجماعية : وهي تؤدي إلى حدوث الانفصام العقلي وهو مـرض عقلي خطيـر يتميز بـالانسحاب من الـواقع والعـزلة والاضـطراب في التفكير لتحقيق الإستسلام النفسي .

ولا شك أن عمليات غسل المخ أو قتله أو التـأثير عليـه عمليات لا تعتبـر من الاعلام بل هي عمليات ارهابية لقهر الانسان وإرهابه لاعتناق مبادىء محددة والعمل بها سلوكياً .

ولقد ذكرنا هذه الأمثلة لنحيط بكل الوسـائل التي تتبـع في التأثيـر علي تحمل الإنسان ، وإن كانت غير مشروعة وبعيدة عن تقـدير الإنسـان واحترام كـرامته وعقله وحريته .

الـــرأي العَـــام[1]

تمثل دراسة الرأي العام أهمية خاصة لرجل الاعلام ، لأنهـا توضـح له كيفيـة التعامل مع الجماهير التي يوجه إليها حملته الاعـلاميـة سواء بالنسبة لموضوع الفكرة أو وسـائل طـرحها وتـوقيت ذلك بـالنسبة للجماهير . وفي دراستنـا للرأي العـام نبدأ بالحديث عن تعريفه .

أولاً : تعريف الرأي العام :

من الصعب تعريف الرأي العام تعريفاً جامعاً مانعـاً كما يقـول أصحاب علم المنطق ، ويرجع ذلك إلى غموضه ، واحتمال وجود تعريفات كثيرة له .

ومن أهم التغريفات التي ظهرت لمعنى الرأى العام :

١) أنه ميول النـاس نحو قضيـة ما ، إذا كـان هؤلاء الناس من فئـة اجتماعيـة واحدة .

وهذا هو رأي العلامة «دووب» ولكن كلمة ميول لها أكثر من معنى ، كمـا أن الرأي العام ليس مجموع الآراء الفردية ولكنه نتيجـة النقاش بين الأفـراد ، حيث اننا نرى في كثير من الأحيان أن الآراء تسود ، ثم تصل الجماعة إلى رأي أخير كان في أول الأمر رأياً فردياً ثم عدل واستقر عليه رأي الجماعة مع انه كان رأياً فردياً .

ويقول العلامة « دووب » أيضاً : أن الرأي العام هو حاصل ضرب الآراء الفردية في بعضها ، وليس حاصل جمعها[2] .

وهذا تعريف حسابي فيه ذكاء ، وليس فيه وضوح .

٣) ويرى العلامة فلويد البورت[3] :

---

(١) من كتاب الرأي العام وتأثيره بالإعلام والدعاية ـ للمؤلف .

(٢) E. Z. Bogadue - The Making of Public Opinion P.5.

(٣) Lorman J. Powell - Anatomy of Public Opinion P.2.

أن الرأي العام وهو تعبير لجمع كبير من الأفراد عن آرائهم في موقف معين يهم غالبية لها تأثير في الموقف .

وهذا التعريف يختلف عن رأي « دووب » الذي يلتفت إلى ميول الناس بينما « البورت » يتحدث عن التعبير العملي لميول الناس سواء كان هذا التعبير رأياً أو سلوكاً صريحاً واضحاً .

ونحن نرى من وجهة نظرنا أن « الرأي العام هو الحكم الذي تصل إليه الجماعة في قضية ما » .

ويشترط لتحقيق الرأي العام السليم شروط من أهمها :

١ ـ أن تكون هناك مناقشات وافية حول القضية المطروحة .

٢ ـ ان تكون القضية مثارة بكل حقائقها ، عن طريق القادة أو أجهزة الاعلام والدعاية ، أو عن طريق الجماعات والهيئات العامة .

٣ ـ أن يكون الاتجاه الذي تتخذه الجماعة في هذه القضية متفقاً تماماً مع المعتقدات العامة للناس مثل العقيدة الدينية أو الوطنية أو القومية أو غيرها من العقائد التي يعتنقها الشعب .

ثانياً : وظيفة الرأي العام :

هناك وظائف هامة للرأي العام في بناء المجتمعات وتسييرها ، وقيادتها وأهم هذه الوظائف هي :

١) سن القوانين والغاؤها :

من الشروط الاساسية[1] لنجاح القوانين ، ان يكون ممثلو الرأي العام في البرلمان ممثلين له فعلاً نتيجة لانتخاب حر ، حتى يكون تشريع القوانين والغاؤها نابعاً عن رغبة الرأي العام الممثل في نوابه أمام المجالس الشعبية .

(١) A. V. Dicey. «Lectures on the Relation between Law on Public Opinion in England during the Nineteenth Century».

كما يشترط ان يمهد لهذه القوانين عن طريق اجهزة الاعلام والدعاية حتى يتبين الرأي العام ما هو صالح من القوانين التي تصدر من أجله ، وتطبق عليه .

وأحياناً تصدر قوانين توافق عليها البرلمانات قبل التمهيد لها عند الرأي العام ، وهي وسيلة خاطئة لا تؤدي إلى النتائج المطلوبة ، وقد حدث أن صدر قانون منع الخمور في امريكا ، قبل أن يعرف الرأي العام اضرار الخمور وفوائد القانون الذي صدر لمصلحة الشعب الامريكي . وقال الرئيس الامريكي «ولسن» حنيذاك :

« انها وسيلة خاطئة لعمل شيء « حسن » » .

والرأي العام أقوى من القوانين بل أنه يستطيع أن يلغي البرلمان نفسه إذا اخطأ هذا البرلمان .

كما أن الرأي العام عاطفي ، بينما القانون صارم وتحكمه مواد صريحة .

ولو عقدنا مقارنة بما حدث من تحريم الخمر في الإسلام وما حدث من صدور قانون امريكي حديث يمنعها لأدركنا هذه الناحية الهامة في اتجاهات الرأي العام . فقد بدأت آيات تحريم الخمر في القرآن الكريم بالتمهيد عن طريق منع شرب الخمر قبل الصلاة في قوله تعالى : ﴿ لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى ﴾ وانتهت إلى التحريم المقترن ببيان الأضرار في قوله تعالى : ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون ﴾ .

وكان هذا التمهيد مع بيان الاضرار هو الوسيلة الاعلامية للاقناع قبل صدور قرار التحريم .

٢) مساندة الرأي العام للهيئات الاجتماعية والسياسية والقادة والمفكرين :

يقوم الرأي العام بدور أساسي في مساندة الأفكار الاجتماعية والسياسية وغيرها، بل إن تأييد الرأي العام هو العنصر الاساسي لنجاح أية فكرة تدعو إليها هيئة من الهيئات أو يدعو إليها القادة والمفكرون .

وقد تظهر فكرة سابقة لأوانها يدعو إليها مفكر من المفكرين ، فيقف ضدها

الرأي العام ، ويقاومها ، ثم لا تلبث أن يتغير الاتجاه بعد سنوات ويعتنق الرأي العام هذه الفكرة ويؤيدها .

٣) رعاية الرأي العام للمثل الاجتماعية والخلقية :

هناك عوامل أساسية(١) تصنع المثل الاجتماعية والخلقية من أهمها القوة التي تصنع الحق ، والعادات التي تحكم سير المجتمع ، والعقل الذي يتحكم في العواطف ويمنعها من الجموح والانحراف ، والرأي العام الذي يعتبر سند الأخلاق .

ومن الواضح أن الرأي العام كعامل أساسي في رعاية القيم الاخلاقية بما يملك من سيطرة ، إنما يؤدي دوراً خطيراً وهاماً ومستمراً في صيانة المثل العليا للمجتمعات .

وإذا فقد الرأي العام سيطرته الاخلاقية يحدث دائماً التفكك والانهيار وقد أكد التاريخ أن سقوط الامبراطوريات العظيمة وزوالها كان يرجع في الأصل إلى فقدان سيطرة الرأي العام على مظاهر القوة والعادات والعقل في هذه المجتمعات .

٤) الرأي العام ورفع الروح المعنوية :

من أهم وظائف الرأي العام رفع الروح المعنوية عند الجماهير التي تكونه لأن سيطرة الرأي العام على المجتمع تؤدي بالضرورة إلى البعد عن التفرقة بين أبناء الوطن الواحد وتزيل الفوارق بينهم وتحقق الوحدة بين مشاعرهم .

وكلما(٢) قويت سلطة الرأي العام ازداد تأمين مصالح الشعب وثوقاً وإذا ضعفت سلطة الرأي العام تعرضت مصالح الشعب للأخطار .

إن سلطة الرأي العام تبث روح التعاون بين أبناء الوطن الواحد وتحدث التقارب بين فئات الشعب فتوحد اتجاهاتها ، وتسيطر على مبدأ أساسي في حياة الشعوب ، وهو الاتفاق على الأهداف ، وهذا الاتفاق يؤدي حتماً إلى نجاح الشعوب في بلوغ غايتها ، وتحقيق أمانيها .

---

(١) Leonard W. Dook, «Public Opinion and Propaganda» New York: John Wileyand SonsInc.1945)P.48.

(٢) Raphael Demos, «The Philosophy of Plats» (New York: Charles Seribner's Sons, 1939) PP. 219 - 239 - 352, 360, 372.

ثالثاً : أنواع الرأي العام :

هناك أنواع كثيرة من الرأي العام من أهمها :

١) **رأي عام باطني** : وهو أن يكون الشعب غير راض عن شيء ولا يستطيع التصريح أو المناداة بهذا الرأي .

٢) **رأي عام صريح أو ظاهر** : وهو أن يكون الشعب قد استطاع بوسائل الاعلام المختلفة أن يعبر عن رأيه في موضوع معين .

٣) **رأي عام فعلي أو واقعي** : هو أن يكون الشعب قد قام بعمل فعلي ضد الحكومة القائمة ، وذلك بثورة شعبية أو انقلاب عسكري .

٤) **رأي عام ساكن أو كامن** : هو أن يقف الشعب من قضية ما موقف اللامبالاة أي موقفاً سلبياً أو لم يتخذ منها موقفاً أو إذا كانت ميول افراد الشعب مختلفة بالنسبة لقضية ما ولم يتخذ الشعب بذلك موقفاً معيناً نحو هذه القضية .

٥) **رأي عام مؤقت** :

أ ـ ان يكون هناك تقارب بين أفراد الشعب بالنسبة لحادث عارض مثل زلزال أو كارثة . . أو في فترة الخطر . . فيتكون رأي عام نتيجة التعاطف أو الشعور بالخطر . . ولكن حينما ينتهي الخطر وتزول آثاره ينتهي التقارب بين الرأي العام .

ب ـ كذلك قد تعمل وسائل الاتصال بالجماهير على تكوين رأي عام مؤقت بالنسبة لقضية ما .

جـ ـ كذلك تعمل الخطب السياسية على تكوين رأي عام مؤقت .

د ـ كما تعمل الأحزاب السياسية والجماعات والهيئات على تكوين رأي عام مؤقت بالنسبة لأهداف محددة أو برامج مؤقتة ، فإذا انتهت هذه الأهداف أو في حالة حل هذه الأحزاب أو الجماعات ينتهي الرأي العام المؤقت نتيجة لانتهاء الأصل .

٦) **الرأي العام الكلي** : يتكون من كل افراد الشعب وأساسه القيم والمبادىء التي يعتنقها الشعب بالنسبة للدين أو الحضارة أو التاريخ ، وهذا رأي عام مستقر على مرور الزمن .

٧) **الرأي العام اليومي** : وهو الآراء اليومية التي تبديها الجماعة نتيجة لفكرة في الصحف وخصوصاً الصحف الاخبارية التي تتبع اسلوب الاثارة أو نتيجة عمل من الحكومة أو حادث طارىء وهذا الرأي متقلب حسب الآراء المختلفة .

رابعاً : تكوين الرأي العام :

يتكون الرأي[1] العام نتيجة لعناصر كثيرة هي في الأصل مقومات تكوين الرأي الفردي ، والانسان الفرد يتكون رأيه بعد انصهار العناصر التي تصنع افكاره وعواطفه ، وقد وصل علماء الاعلام إلى أن هذا الرأي يتكون كما يلي :

١) نتيجة النشأة والبيئة .
٢) نوعية الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد.
٣) نوعية الثقافة.
٤) تأثير وسائل الاتصال.
٥) أهمية تأثير الدين والتقاليد الموروثة.
٦) أهمية المدرسة والبيت.
٧) أهمية التجارب الانسانية الماضية.
٨) الظروف التي يعيشها ويفكر فيها للمستقبل .

ومع تركيب الرأي أو تكوينه على هذه الصورة فإن هناك تقسيماً نوعياً آخر نلخصه فيما يلي :

١) **الرأي الشخصي** : يكونه الفرد ويعلن عنه صراحة .
٢) **الرأي الخاص**: يكونه الفرد ولا يعلن عنه ، ولكنه قد يعطيه سراً في الانتخابات أو يعبر عنه لأخلص اصدقائه .
٣) **رأي الغالبية**: ما يزيد على نصف الجماعة
٤) **رأي الأقلية**: ما يقل عن نصف الجماعة .

---

(١) Gustav Lebon, «The Crowd - A study of the Popular Mind» (London: T. Fisher Unwin, 1896 translation) P.32.

٥) **الرأي الائتلافي** : رأي عدد من الأقليات مختلفة الآراء وكلها انضمت مع بعضها من أجل الاتفاق على هدف معين وفي ظروف معينة .

٦) **الرأي الساحق** : اكثرية الجماعة التي اتفقت على رأي .

٧) **رأي الاجماع والرأي الجامع** :

أ ـ وفيه تتحد كل الآراء الفردية والجماعية والرأي العام نفسه .

ب ـ وتظهر فيه عقيدة عامة يقف الجميع خلفها مثل الدين أو الشيوعية أو الرأسمالية في بعض البلاد .

جـ ـ لا يناقش ولا يسأل . . ولكنه المجال الذي تجري فيه معظم المناقشات .

د ـ لا يستطيع احد تغييره لأنه نتيجة عوامل تاريخية ودينية مختلفة .

٨) **رأي عام قائد** : ـ يتكون من قادة الرأي سواء كانوا ساسة أو كتاباً أو علماء ، وهي فئة لا تتأثر بوسائل الاعلام ولكن هي التي تؤثر في هذه الوسائل .

٩) **رأي عام مثقف** : ـ يتكون من المتعلمين وهم يتأثرون بوسائل الاعلام ولكن قد يؤثرون في وسائل الاعلام .

١٠) **رأي عام منساق** : ـ يتكون من الغالبية الأمية من الشعب ، وهم يؤمنون بكل ما يجيء في وسائل الاعلام ويأخذونه كقضية مسلمة .

خامساً : خصائص الرأي العام :

من الصعب تعميم خصائص الرأي العام ولكن العلامة « كانتريل » وضـ شاملة للرأي العام هي :

١) الرأي العام الساكن أو الكامن[١] . . يتحول إلى رأي عام صريح . . في حالة ظهور قضية هامة بعد حدوث قلق أو تصادم أو هزيمة أو خيبة أمل .

---

(١) Edward Alsworth Ross, «Social Control» (The memillan, 1901).

٢) الرأي العام الباطني . . يتحول إلى رأي عام ظاهري أو خارجي . . أي يفصح عن نفسه في حالة كون القضية أصبحت لها قوة كبيرة وأن النتائج من التحويل ستكون إيجابية ناجحة . . مثل حالة الثورات .

٣) يقوى الرأي العام . . ولا يسهل خداعه . . لو كان متعلماً وعالماً بكل اطراف الموضوع .

٤) يشتد الرأي العام حساسية . .. بالنسبة للحوادث العامة .
٥) قد يكون هناك رأي عام لقضية ما . . ولكن لا يعرف الرأي العام كيف يصل لحلها .
٦) ينمو الرأي العام . . إذا كسب رأي الغالبية .

٧) قد يكون الرأي العام مائعاً . . ليقلل من خيبة الأمل أو التصادم أو القلق أو الثورة .

* * *

أما نواحي الضعف في الرأي العام فيمكن تلخيصها فيما يلي :

١ ـ أن يصاب الرأي العام باللامبالاة . . في حالة عدم اهتمام الناس بالشؤون العامة .

٢) أن يصاب الرأي العام بحالة من الإثارة[١] . . في حالة اذكاء الروح العسكرية والتبشير بالنصر .

٣) ان يهدأ الرأي العام في حالة حدوث تغييرات سطحية في العادات أو التقاليد .
٤) أن يضعف الرأي العام من ناحية الأخلاق إذا لم تحافظ الجماعات على الأخلاق .

٥) قد يضعف الرأي العام نحو قضية ما . . إذا قلت الاهتمامات الشخصية أو اهتمامات الجماعة .

٦) قد يضعف الرأي العام العالمي في حالة تباعد الأخلاق العامة للشعوب .

---

(١) George Sabirie, «A History of Political Theory».(New York.Henry Holt and Co. 1937) P.64.

٧) قد يتحول الرأي العام بقوة نتيجة الكوارث العامة أكثر من أي عامل آخر .

٨) قد يتحول الرأي العام بقوة مؤيداً أو معارضاً . . نتيجة نجاح وثقة الشعب في الزعيم مثلاً .

لذلك ينبغي للباحث أن يتوقف قليلاً لدراسة الاتجاه الذي يحدد الهدف .

الاتجاه[١] : Attitude

لقد وضعت تعريفات مختلفة للاتجاه ، يتم تناول بعضها على الوجه الآتي :

(١) تعريف « بوجاردوس Bugardus »[٢] : هو الميل الذي يوجه سلوك الفرد نحو بعض عوامل البيئة أو يبعده عنها ، ويضفي هذا الميل على الفرد معايير موجبة تبعاً لاقترابه من عوامل البيئة ، أو يضفي عليه معايير سالبة تبعاً لابتعاده عنها .

(٢) تعريف « جود Good »[٣] عام ١٩٧٣ : هو تهيؤ الفرد أو ميله لكي يستجيب بصورة معينة تجاه موضوع أو موقف أو قيم ، وهو عادة ما يكون مرتبطاً بالعواطف والإحساسات . . . والاتجاه لا يمكن ملاحظته بطريقة مباشرة ، ولكن يستدل عليه من السلوك الظاهر للفرد سواء أكان سلوكاً لفظياً أو غير لفظي .

وبالنظر إلى هذا التعريف ، نجد أنه يركز على العنصرين العاطفي والسلوكي ، بينما لا يهتم بنفس الدرجة بالعنصر المعرفي للاتجاه .

(٣) تعريف تايلور[٤] ـ عام ١٩٦٢ : « هو ميل للاستجابة ، حتى ولو لم تحدث الاستجابة فعلاً » .

---

(١) نحو العلم والعلماء ـ جامعة المنيا .

(٢) Bogardus, E., Fundamentals of Social Psychology, Fourth Edition, (New York: Appletion - Century - Crofts, Inc., 1950)P. 65.

(٣) Good, Carter V., Dictionary of Education, Third Edition, (New York: Mc Graw - Hiil Book Company, 1973), P.49.

(٤) رالف تايلرر ، أساسيات المناهج ، ترجمة جابر عبد الحميد جابر ، وأحمد خيري كاظم ، (القاهرة : دار النهضة العربية، ١٩٦٢) ص ١١٩ .

أنواع وتقسيمات الرأي العام بالنسبة لمشكلة ما :

إذا أردنا أن نبحث أنواع وتقسيمات الرأي العام في أي مجتمع من المجتمعات وجب علينا أن نضع مشكلة من المشاكل أمامنا ثم نبحث الرأي العام وأنواعه وتقسيماته في مواجهة المشكلة .

فمثلاً : لو بحثنا أزمة الشرق الأوسط في عام ١٩٧١ فإننا نجد أن تقسيمات الرأي العام العالمي بالنسبة لها : إما رأي عام منحاز ضد العرب أو رأي عام محايد أو رأي عام مؤيّد للعرب . . أو رأي عام مؤيّد لاتجاه معين مثل تحقيق السلام في المنطقة . ومن هنا فإننا نقسم الدراسة كما يلي :

١) رأي عام منحاز .
٢) رأي عام محايد .
٣) رأي عام مؤيّد .
٤) رأي عام مؤيّد لاتجاه .

وإذا بحثنا أيضاً بالتفصيل أنواع وتقسيمات الرأي العام . . نحو مشكلة الشرق الأوسط مثلاً ، فإننا نجد أنه إذا سُئل مسؤول بريطاني ، فإن هذا المسؤول يعلن رأيه في التليفزيون مثلاً ويسمي هذا الرأي رأياً شخصياً لأن هذا الرأي يتكون لدى الشخص بعد استماعه لآراء كثيرة ، فيعلن رأيه على شاشة التليفزيون ، وقد يكون لهذا المسؤول رأي خاص يحتفظ به لنفسه ـ وهو يخالف في كثير من الأحيان رأيه الشخصي الذي أعلنه بالنسبة للمشكلة ـ ومن هنا نجد أن كثيراً من التصويت السري يختلف تماماً عمّا يظهر أمام الناس جهاراً . . ولذلك نلاحظ أن معاهد بحوث الرأي العام تبدي في كثير من الأحيان نتائج مختلفة تماماً عن الآراء التي تبدو أنها ستظهر في النتائج .

ومن هذا المنطلق يلزم أن نلم بنظريات الإعلام اللاّإسلامية .

ـ الإعلام الناجح يحتاج إلى معلومات متنوعة ومعرفة عميقة بنفسية الفرد والمجتمع ، والإعلامي لا بد أن يكون لديه موهبة واستعداد وقدرة ذاتية لمعرفة كل

فنون وأساليب الإعلام وكيفية التعامل مع البشر . . وفوق كل هذا وذاك . . أن يكون الإعلام صادقاً حراً . مقنعاً واضحاً سريعاً في الرد متجاوباً مع العقول والنفوس حسب ثقافاتهم المختلفة بلا قهر ولا سيطرة ولا إكراه .

إذا كانت نظريات الإعلام اللاّإسلامية مبنية على رسالة ورسول ووسائل وأساليب إعلامية ومرسل إليه ثم ردود الفعل . . فإننا نجد أن هذه النظريات الإعلامية اللاّإسلامية ـ والتي تطبق في العالم اليوم ـ موضع نقد مستمر لأنها بعيدة عن الإنسانية وبها الكثير من العيوب مما جعل ليس فقط **مفكرى** العالم بل الإنسان العادي في أي دولة يشكو من هذا النظام الإعلامي ، ويطالبون بنظرية إعلامية عالمية جديدة تحترم حقوق الإنسان وآدميته .

وإذا شرحنا كل عنصر من هذه الرسالة فإننا سنجد :

أولاً ـ الرسالة أو العقيدة :

إن الكثير من العقائد والفلسفات والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية . أصبحت لا تجعل الإنسان يعيش في حرية وأمان وما الصراعات العالمية والإقليمية أو الداخلية . . ما هي إلاّ نتيجة لهذه العقائد والنظم . .

ثانياً ـ الرسل أو حاملو هذه الفلسفات :

إننا نجد بعض هؤلاء الرسل سواء من أصحاب شركات مالكة للصحف أو شركات مالكة لوكالات الأنباء والإذاعات[1]، نجد الكثير منهم لا يعمل إلاّ من أجل الربح . . أو السيطرة أو خدمة لأنظمة ومنظمات تؤمن بالسيطرة على الإنسان لتحقيق **أهدافها التى نرى الكثير منها يمكن وصفه بأنه لا إنسانى ولا يحترم حرية وآدمية الإنسان مما جعل الإنسان غير آمن على أسرار بيته أو مقوّمات مجتمعه أو أمن وطنه . . أوحتى حياته الشخصية .**

ثالثاً ـ الوسائل سواء الصحف أو الكتب أو الأفلام أو التليفزيون :

نجد الكثير من وسائل الإعلام لا تستخدم إلاّ الإثارة والجنس وتصوير الإرهاب

---

(١) الاستاذ رمضان لاوند .

والعنف وأساليب لغسل مخ الإنسان بحيث تجعله كأنه تحت تأثير مخدر أو في حالة اللاّوعي أو فاقد للحرية والاختيار كأنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي ليتقبل بعد ذلك ما يرسل له بعد هذا الضغط النفسي الإكراه الفكري أو حالة شلل العقل .

وأين كل هذا وبعض أساليب الرسالة السماوية ﴿ لا إكراهَ في الدين ﴾ أو ﴿ ما على الرسول إلاّ البلاغ ﴾ أو ﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾ .

بالرغم من أن الرسالة السماوية هي رسالة الله رسالة الحق وكل أساليبها مبنية على حرية العقل في الاختيار والأساس هو الإقناع لا الإخضاع .

رابعاً ـ الإنسان :

أصبح مخ الإنسان في كثير من الأوقات في عصر الثورة ـ لا يمكنه أن يكون الرأي السليم وكيف يتأتى له ذلك وهو واقع منذ أن يفتح عينيه في الصباح **إلى** أن يغفل عينيه في المساء إلى سيل منهمر من الأنباء والمعلومات المتناقضة **أو** الملفّقة أو المضللة أو الكاذبة وكل منها له أسانيده وتفسيراته **وآراؤه** ومقالاته فأصبح الإنسان يلهث وراء الحقيقة؛ فهذا نبأ من إذاعة، وهذا تكذيب له . . تكوّن الأنباء كما **يشاء لها من غير أن تراعي حقوق الإنسان الأساسية بالرغم من أن هناك إعلان عالمي لحقوق** الإنسان اتفق على نصوصه . . ولكن كل يطبقها كما يريد ويبغى . . **وتجتمع** المؤتمرات وتعقد الاتفاقيات الإعلانية الدولية . . ولكن ما من ملتزم **بما يقول** . . فنسمع اليوم وكل يوم . . صيحات تنادي . . وشعارات يرفعها **المفكرون « نحو نظام إعلامي جديد »** .

ولكن مرة أخرى ما من مجيب . . لما ينادون . . بل مرات أخر ، وما من منفذ لما يتفقون عليه ولا مصدق لما يقولون ويعلقون . . .

فضاعت الحقيقة وضاع حق الإنسان في أن يعلم الحق . . وضاعت حقوق الدول والمجتمعات وكم من أجهزة إعلامية رفعت شعار حرية الإعلام ومسؤولية الإعلام وهي لا ترعى حرية ولا مسؤولية ولا الأخلاق الإعلامية السليمة .

وهكذا احتار الناس في هذا النوع من الإعلام بعد أن ثبت فشل أكاذيبه في كسب القلوب والنفوس وإقناع العقول .

الحياة على شبه الجزيرة العربية قبل نزول القرآن

شبه الجزيرة العربية

تشمل شبه الجزيرة العربية ، الأراضي التي تحدّها شمالاً فلسطين وبادية الشام ، ومن الشرق الحيرة ونهريْ دجلة والفرات والخليج العربي ومن الجنوب المحيط الهندي وخليج عدن ومن الغرب البحر الأحمر .

وقد جعل هذا الموقع شبه الجزيرة العربية في حصن حصين عصمها من الغزو الأجنبي أو العقائدي ، كما أن جدب وقسوة الحياة على الصحراء التي تكونها صرف عنها المستعمرين في العهود القديمة ، وإذا استثنينا اليمن التي تصلح أجزاء من أرضها للزراعة لكثرة نزول المطر عليها فإن سائر بلاد العرب جبال وأودية وبواد لا زرع فيها ولا تقوم عليها حياة غير الحياة البدوية التي تعتمد على الارتحال وراء الخضرة أو الماء طلباً للمرعىٰ أو للتجارة ، ليتبادلوا المنافع والثمرات مع جيرانهم الذين يعيشون على حدود تلك الصحراء المترامية الأطراف .

وكان الارتحال من أجل التجارة إلى بلاد الروم في اتجاه الشمال وإلى بلاد الهند وما وراءها من ناحية الشرق ، وكانت الصحراء العربية طريق التجارة التي تجتازها من الشرق قادمة من الهند وما جاورها إلى مصر وغيرها من البلاد غرباً . .

وقد رسم سكان شبه الجزيرة العربية طرقاً للقوافل التي تعبرها من الشرق إلى الغرب أو الشمال ، كما كانوا هم حراس تلك القوافل الذين يحرسونها ويرشدونها إلى مسالك الصحراء ودروبها .

وفي هذا يقول الرحالة «هيرن» : إن طريق القوافل لم يكن متروكاً للاختيار بل مرسوماً ومقرراً عن طريق التجربة والممارسة ففي هذه الأرجاء الممتدة من الرمال التي تجتازها القوافل كان المسافر يلتمس بعض الأماكن هنا وهناك ليستريح فيها من حرارة

وجدب الصحراء حيث ينبت النخيل إلى جانب عيون الماء التي أحالت هذه الأماكن إلى واحات تنعم بالخضرة والماء التي يجد فيها المسافر مركزاً للراحة وأصبحت مع الأيام مستودعاً للتجارة ، يأتي إليها بدو الصحراء للحصول على ما يحتاجون اليه من منتجات صناعية أو زراعية مقابل تبادل ما ينتجونه على الصحراء من إنتاج حيواني أو نباتي .

السكان والحضارة

ولم يعرف بدو الصحراء كغيرهم من الشعوب التي تتاخمهم نظاماً سياسياً مركزياً ، فكانت كل قبيلة تنظم أعداداً من الأسر التي تربطها العصبية والدم تقوم حياتها على التحالف والجوار ، لدفع العدوان بالعدوان ، وكان الذي يدخلها دون الانتماء إلى قبيلة من القبائل ، أو في حمى جار بجيره ، يتعرض للعدوان والضياع ولم تشجع هذه الظروف الناس على ارتيادها والبحث عن أخبارها ، ومن أجل هذا ظلّت شبه الجزيرة مجهولة عن غالبية الشعوب إلى أن نزل القرآن الكريم بالإسلام ، فأصبحت مركز حياة خصبة وملهمة لكثير من شعوب الأرض على طريق الإيمان والتقدم .

وإذا كانت الحضارة قد تركت آثارها على الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية في اليمن فإن سائر أنحاء شبه الجزيرة ظلّ يعيش على البداوة التي لا تألف الحياة الحضَرية وتترفع عن أعمال أهل الحضر .

وكان لكل قبيلة صنم تدين له بالعبادة وكانت هذه المعبودات تختلف في الشكل والنوع ؛ فالصنم ما كان على شكل إنسان ويصنع من المعادن أو الأخشاب ، والوثن يتكون من أحجار اكتسبت شكلاً غير عادي في الغالب . أما النصب فهو عبارة عن صخرة ليست لها هيئة محدودة ، وكانوا يردونها إلى أصل سماوي أو بركاني خرج من جوف الأرض ، وامتازت أصنام اليمن بدقة الصنع .

وأشهر هذه الأصنام هو الصنم الذي اتخذه أهل مكة كبيراً لآلهتهم « هبل » الذي صنع من العقيق على صورة إنسان وقد كسرت ذراعه فصنعوا له ذراعاً من الذهب ، وكان يسكن الكعبة ويحج الناس إليه من كل مكان .

وكان الكثيرون يتخذون لهم آلهة من الأصنام والنصب في بيوتهم يطوفون بها حين خروجهم وعودتهم . . على أن الفكرة الأساسية التي سادت في كثير من أنحاء شبه الجزيرة العربية عن هذه الأوثان والأصنام ، كانت تعتبرها واسطة بين الناس والله ؛ يتخذونها زلفى ويتقربون بها إليه . . ومع مضيّ الزمن ذبلت هذه الفكرة ونسوا هذه الرابطة واحتلت الأصنام والأوثان منزلة ضخمة في تفكيرهم وحياتهم . وقد ظلّت هذه الأوثان والأصنام تحتل مكانة عزيزة في نفوس السكان حتى تحطمت بنزول القرآن الكريم وظهور الإسلام لتختفي من حياة الناس وفكرهم إلى الأبد .

وإذا كانت القبيلة تمثل الوحدة الأساسية للحياة الاجتماعية على الصحراء ، وكان قوام حياتها الترحال طلباً للمرعى والماء فقد كان طبيعياً أن ينشب الصراع بين القبائل المختلفة في سعيها الدائب وراء أسباب الحياة التي ضنت بها الطبيعة على أرضهم .

وتمتلىء أيام العرب بالحروب والشحناء ، وإذا كان أفراد القبيلة الواحدة يتضامنون بقوة وينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوماً مما أدى إلى وقوف القبائل بالمرصاد لبعضها البعض وأضافت الحروب المتصلة بين هذه القبائل إلى جدب الصحراء وفقدها عنصراً جديداً زاد من عزلة وفاق أهل هذه الصحراء وقسوة الحياة عليها .

وأثرت هذه الحياة بدورها على الإنسان الذي عاش على الصحراء ، الذي يمضي حياته كلها في نضال مستمر للمحافظة على أسباب الحياة والدفاع عنها فاتّصف بالجرأة والشجاعة والقوة ورفض الضيم أو الركون إلى الاستسلام . ويمكن القول أن العربي الذي عاش على الصحراء قد توفرت له بنية قوية وقامة فارعة وقدرة هائلة على تحمل الصعاب والصبر ، فلم تتعرض نفسه لما يفسد فطرتها ، فظلّ وفياً لأرضه وقبيلته ولتقاليده ومبادئه رافضاً لكل ضغط أو ضيم يفضل الموت على أن يعيش ذليلاً أو يوسم بالجبن ؛ فكان العربي على الصحراء من أشد الناس اعتزازاً بحريته وكرامته كما اشتهر بالشجاعة والجسارة والإقدام . وأصبح العرب بهذه الصفات حماة للتجارة التي تجوب بلادهم من الشرق إلى الغرب أو العكس ، وتمكنهم من الاتصال بغيرهم من الشعوب كالفرس والهنود والمصريين وغيرهم . ونستطيع القول إن بدو

الصحراء لم يكونوا كما ادَّعى البعض يعيشون حياة تتصف بالجهل والتخلف لأن ما خلفوه من آثار أدبية وأخبار يؤكد أنهم عاشوا حياة خصبة رغم بساطتها وبداوتها ، وأنهم أشادوا في شعرهم بكم هائل من الأخلاق الفاضلة جعلتهم يحيون حياة خلقية أرفع في مستواها من بعض الشعوب التي جاورتهم .

ويمكن القول أن العرب قبل نزول القرآن وظهور الإسلام ، قد ملكوا مقومات ذاتية على درجة من المتانة والقوة وأنهم اكتسبوا من تجارة الشعوب والاتصال بها شخصية مميزة . وحسبنا دليلاً على ذلك أن القرآن الكريم تحدَّاهم في مناسبات مختلفة كما أبانَ وكشفَ عمَّا اتصفوا به من عناد وحدة في الخصومة واستمساك قوي بما ألِفوا من عادات وتقاليد وعقائد . .

كان نظام الحكم يقوم على الولاء لشيخ القبيلة الذي يتَّصف بالحكمة والقوة والكرم ويعتبر عنواناً للقبيلة ورمزاً لما تتَّصف به من خلال وصفات ، وقد يورث الأب الرئاسة لولده إن كان كفؤاً للرياسة أو لأحد أقاربه . . من أجل ذلك احتلَّت الأنساب منزلة كبرى في حياتهم ؛ فإذا عظمت قوة القبيلة اتجهت إلى غزو ما حولها من أرض وأخضعت القبائل الأخرى لهيمنتها وأحياناً تفرض عليها الجزية .

مكة موطن نزول القرآن :

وتبرز على صفحة هذه الحياة ، مدينة « مكة » ، التي نزلَ القرآن الكريم بها على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ومنها انطلقت دعوة الإسلام الأولى تخاطب أهلها من قريش وتلين قلوبهم وعقولهم لتطوعها للدين القيم .

لقد احتلَّت مكة قبل نزول القرآن الكريم منزلة خاصة بين العرب ، فكانت بكعبتها بيت الله الحرام أهم مركز ديني تهفو إليه أفئدة الناس يحجون إليه في شهور معلومة كل عام . كذلك كانت مكة مركزاً هاماً من مراكز التجارة ، وقد نمت هذه التجارة وازدهرت بما سنَّه العرب من أشهر حرام تقع في موسم الحج تكف فيها عن القتال وإيقاع الأذى بعضهم ببعض ، وعلت منزلة مكة أيضاً بما أُقيم حولها من أسواق ، كانت مجالاً خصباً للتجارة والشعر وتبادل المعلومات وأشهر هذه الأسواق سوق عكاظ

التي تقع في الجنوب الشرقي من مكة على بعد ٣٥ كيلومتراً منها عند مكان منبسط ووادٍ فسيح نبت فيه النخيل والعشب وكثرت عيون الماء .

وكانت سوق عكاظ تحتل أهمية خاصة في المجال الإعلامي ذلك أنها كانت تُقام قبيل موسم الحج وبذلك كان الحجاج من جميع القبائل يلتقون فيها ليحققوا أهدافهم التجارية والعقائدية ، وكان موسم السوق يقع في الأشهر الحرم التي تغمد فيه السيوف فيلقى الرجل قاتل أبيه فيكظم غيظه ولا يناله بسوء تعظيماً للشهر الحرام . . وبهذا أمن الناس على أرواحهم وأموالهم ، واحتلّت سوق عكاظ أهمية كبرى عند كافة القبائل .

وكانت كل قبيلة تنزل في مكان خاص بها ومن المشهور أنها كانت تعقد في شهر ذي القعدة من كل عام قبيل موسم الحج من أوله حتى العشرين منه . وقال الأزرقي في مؤلفه عن تاريخ مكة يصف انعقاد السوق :

« فإذا كان الحج خرج الناس إلى مواسمهم فيصبحون بعكاظ يوم هلال ذي القعدة يقيمون به عشرين ليلة تقوم فيها أسواقهم والناس على مراتبهم منحازين في المنازل تضبط كل قبيلة أشرافها وقادتها ويدخل بعضهم مع بعض للبيع والشراء ويجتمعون في بطن السوق فإذا مضت العشرون انصرفوا إلى سوق مجنة فأقاموا بها عشراً وأسواقهم قائمة فإذا رأوا هلال ذي الحجة انصرفوا إلى سوق ذي المجاز ثم إلى عرفة وكانت قريش وغيرها من العرب تقول : لا تحضروا سوق عكاظ والمجنة والمجاز إلاّ محرمين بالحج ، وكانوا يعظمون أن يأتوا شيئاً من المحارم أو يعتدي بعضهم على بعض في الأشهر الحرام أو في الحرم .

وبالإضافة إلى الصفة التجارية للسوق فقد كانت تؤدي وظائف اجتماعية وثقافية هامة في حياة العرب ؛ فمن كانت له خصومة كبيرة أو وقع عليه غدر من غيره انتظر حتى عكاظ ليرفع الراية بشكاته وينهض الخطيب ليخطب ويدين الغادر أو المعتدي ويصيح رجل منهم « ألاّ أن فلان بن فلان قد غدر فاعرفوا وجهه ولا تشاهروه أو تجالسوه ولا تسمعوا منه قولاً » .

ومن كان له دين على رجل آخر جعل موعد الوفاء في عكاظ .

ومن كانت له حاجة استصرخ القبائل بها ، وفي عكاظ كانت تعقد الخطبة والزواج حيث ينهض أهل العروسين فيفخر بقومه شعراً أو نثراً .

وفيها كانت القبائل تخلع الفاجر من أبنائها فتعلن أنها خلعته ولا تحتمل له جريرة ولا تطالب بدمه إذا أصيب في جرم .

وكان الدعاة يجتمعون في عكاظ ، للدعوة لعقائدهم أو نواهيهم واشتهرت خطبة قس بن ساعدة التي ألقاها على جمل بسوق عكاظ يدعو فيها إلى الزهد ويرغب ويرهب .

وحين بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم ظل يدعو الناس سراً ثلاث سنوات وفي السنة الرابعة ذهب إلى عكاظ يتبع الحجاج حيث نزلوا يدعوهم إلى أن يأووه وينصروه ويؤمنوا بما جاءه من ربه ، واستمر على ذلك سنوات .

أما الأمر الثقافي فقد كانت عكاظ أشبه بمعرض يعرض فيه الفصحاء ألوان بلاغتهم وقدرتهم اللغوية والشعرية .

وكان لعكاظ رئيس يقوم بأمر الموسم ويقضي بين المتخاصمين .

وكان أثر عكاظ كبيراً في إزالة الفوارق بين القبائل العربية كما كانت عاملاً هاماً من عوامل التقارب بين اللهجات ، وكان طلاب الشهرة ومن يسعى إلى ذيوع الصيت يهرعون إلى عكاظ أثناء الموسم ليسمعوا الناس أصواتهم على مستوى شبه الجزيرة العربية كلها

وقد عملت عكاظ وما تمثله في حياة العرب على علو مكة وارتفاع منزلتها فاصبحت أكبر مدن شبه الجزيرة العربية وأعظمها شأناً . . وساعد على ذلك أيضاً ما اتصف به أهلها من قريش من تفوق ثقافي واقتصادي واجتماعي ؛ إذ نشاهد في مكة أول صور المشاركة الجماعية في إدارة شؤون المدينة حيث أقيمت بها دار الندوة التي يتشاور فيها القرشيون في سائر أمور مدينتهم ، سلمها وحربها وما تأخذ أو تدع من أمور . .

وكانت مكة من أوائل المجتمعات التي نظمت الإعلام بأسلوب يتفق مع مقتضيات ذلك العصر ؛ فقد عينت منادٍ يعلن لأهلها بما يقع من أحداث من وقتٍ لآخر . وكانت توجد بجانب وظيفة المنادي ما لا يقل عن اثنيّ عشر منصباً وزعت على رؤساء العشائر والبطون من ذلك السقاية ، ورئاسة دار الندوة وإمارة اللواء وحماية الكعبة وسدانتها ورفادة الحاج والقبة والأعنة والأزلام .

وفي مجتمع مكة الذي سادَ المال والتجارة فيه ظهرت الفوارق الاجتماعية الواسعة وكانت هناك قلة من الأغنياء أصحاب الأموال والتجارة ، كونوا طبقة الأشراف وكانت القوانين والتقاليد التي تشرع لصالح القمة كما تدار كافة مرافق المدينة ومؤسساتها لتحقيق النفع والحماية لها وبجانبها عاشت أعداد كبيرة من الرقيق والجواري ، يقومون على أداء الأعمال الشاقة ورعي الإبل والأغنام التي يملكها السادة كما يقومون على خدمتهم والترفيه عنهم .

أما أثر هذه الحياة على الجوانب الثقافية والفكرية ، فمن الواضح أن العرب قبل نزول القرآن الكريم كانوا على درجة عالية من الفصاحة والبلاغة وحسبنا للتدليل على ذلك ، إن هذا الميدان هو الميدان الذي تحداهم القرآن الكريم فيه ، لما حققوا فيه من مستوى عالٍ ورفيع ، وقد ترك عصر ما قبل الإسلام تراثاً شعرياً ضخماً ، قلَّ أن نجد له نظيراً عند الشعوب الأخرى وما زال هذا التراث حتى اليوم يردد ويحفظ ويتغنَّى به كما يشهد المتذوق لهذا الشعر بالصدق إذ يرى فيه تسجيلاً دقيقاً لمآثر عصرهم ومناقبهم وانتصاراتهم وأيامهم الحافلة بالصراع والكفاح .

اللغة العربية :

اللغة هي وسيلة الاتصال بين الناس ، وهي الوسيلة الرئيسية للإعلام ، بها تنتقل الأفكار والمعلومات والعواطف من إنسان إلى إنسان ، وبها يخاطب عقل الإنسان ووجدانه ، للتأثير على سلوكه واتجاهاته ولتغييرها ، لذلك كان من الضروري أن نفرد مكاناً خاصاً للغة العربية وهي اللغة التي تخاطب بها العرب وتواصلوا ، وكذلك هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم يحمل لهم أروع الآيات التي توجههم إلى ربهم وإلى شؤون حياتهم من جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

والتشريعية والعقائدية إلى الحياة الأخرى وما ينتظرهم فيها من جزاء .

ويرجح علماء اللغة أن اسماعيل جد العرب تعلّم العربية من جُرْهُمْ التي هاجرت من اليمن إلى مكة وتزوج منهم ،كما يقال إنه كان لإسماعيل لغة أخرى غير العربية قد تكون العبرية أو الكلدانية ، ذلك أن أمه هاجر كانت مصرية وأبوه ابراهيم عليه السلام يعرف الكلدانية ويبدو أن لغة أبويه قد امتزجت بلغة أصهاره فنشأت من أبناء اسماعيل وذريته أجيال جديدة تتحدث العربية .

وقد أخذت اللغة العربية مفرداتها وقوامها من كثير من الروافد ، حتى تطورت إلى الفصحى في إبّان زوال الدولة الحميرية في مستهلّ القرن السادس الميلادي ، وبسطت سلطانها على أكثر أنحاء شبه الجزيرة العربية وبها توحد اللسان العربي على شبه الجزيرة العربية .

واللغة العربية من اللغات السامية التي تمتاز بكثرة مفرداتها وتنوّع أساليبها ووضوح مخارج حروفها وتنوّع القياس بها وتتقدم اللغة العربية في هذه المجالات على اللغات السامية الأخرى .

وهناك رأي يقول أن العربية هي أصل اللغات السامية أو أنها في القليل الأقرب إلى السامية الأولى لنشأتها في الوطن الأصلي للساميين ، وصيانتها داخل شبه الجزيرة العربية بعيداً عن التأثر باللغات الأخرى .

وقد تطورت اللغة العربية عبر أجيال عديدة . . ويرجع علماء اللغة أكبر الفضل في تجليتها وتطورها إلى قريش سكان مكة التي نزل بها القرآن الكريم وأهل الحرم . ويرد الدكتور أحمد محمد الحوفي في مؤلفه عن الحياة العربية من الشعر الجاهلي أهمية دور قريش في هذا المجال إلى الأسباب التالية :

١) الدين :

إذ أن قبيلة قريش تقيم بوادٍ غير ذي زرع وهم مفتقرون إلى أن تهوى أفئدة لناس إلى بيتهم المحرم ، وقد استجاب الله تبارك وتعالىٰ إلى دعاء إبراهيم عليه لسلام فجعل الكعبة قبلة العرب أجمعين يحجون ويعتمرون إليها

وكانت القبائل تفد على مكة للحج تحمل على لسانهـا لهجات شتّى وقـريش تستمع إلى الوافدين وتستصفي منها ما يروقها وتثري لغتها الفصحى كما كان النازلون بهـا ينقلون عن قريش ويبثّـون في شبه الجـزيرة مـا أخـذوا عن قـريش من مفـردات وأساليب .

٢) التجارة :

وإذ كـان القرشيـون يرتحلون في كـل عام رحلتين إلى الشـام واليمن وكـانـوا يضربون في الأرض من فارس إلى الحبشة وهم قوم صناعتهم الكلام فكانوا يضيفون إلى لغتهم ما يغذيها ويرقيها .

٣) الموقع الجغرافي :

كان أهل الكعبة التي جعلها العرب مركزاً دينياً يتجهـون إليه وهم في طمـأنينة وأمن على حيـاتهم وأموالهم وقـد ذكرهم الله تعـالىٰ بهذه النعمـة بقولـه ﴿ لإيـلافِ قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا ربَّ هذا البيت * الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف ﴾ [القريش : ١ - ٤] .

وقال الزمخشري إنهم كانوا آمنين في رحلتهم لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم أحد وغيرهم من الناس يتخطفون وفي هذا يقول القـرآن الكريم ﴿ أوَلَم نمكن لهم حـرماً آمنـاً يجبى إليه ثمـرات كل شيء رزقـاً من لـدنّـا ولكن أكثـرهم لا يعلمون ﴾ [القصص : ٥٧] .

٤) المكانة السياسية :

وقـد استمدّتهـا قريش في الجـاهلية من نفـوذهـا الـديني والاقتصـادي ، وفي الإسلام بظهور رسول الله عليه الصلاة والسلام فهم أهله وعشيرته « وقد قال أبو بكر الصدّيق رضيَ الله عنه في تأكيد هذه المكانة قوله المعروف أثناء النزاع على خلافة رسول الله فقال : إن العرب لا تدين إلاّ لهذا الحي من قريش » .

٥) رقي قريش وغناها :

فقد كانت مكة أغنى مناطق شبه الجزيرة العربية وأرقاها على مدارج الحضارة فكانوا أقدر على تطويع لغتهم للتعبير وإثرائهـا لمسايرة حياتهم الراقية ذات الثراء الحضاري والمادي .

٦) وجود أسواق العرب الكبيرة على مقربة منها :

وهي أسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز ، وفيها تردد شعر أعظم شعراء العرب كعمرو بن كلثوم والنابغة والأعشى والخنساء وحسان ،كما بثت منها أروع الحكم التي نطقَ بها حكماؤهم كقول قس بن ساعدة الإيادي يعظ الناس: «أيها الناس استمعوا وعوا كل من عاش مات وكل من مات فات ، وكل ما هو آت آت إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً نهاد موضوع وسقف مرفوع وبحار تموج وتجارة تروج ، وليلٌ داج وسماء ذات أبراج أقسم لئن كان في الأرض رضاً ليكونَنَّ بعده سخط وإن لله عزت قدرته ديناً هو أحبُّ إليه من دينكم الذي أنتم عليه مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون أرضوا فأقاموا أم تركوا فناموا . . . » إلى آخر ما قال في ذلك .

لكل هذه الأسباب كان لرؤساء قريش ولسانها المقام الأول في المجتمع العربي قبل نزول القرآن الكريم لما اتصفوا به من شجاعة وما حازوا من ثروة وشرف وما امتازوا من حسن الخطاب وفصاحة اللسان .

وحسب لغة قريش كمالاً وتماماً أن القرآن الكريم نزل بها ليحفظ هذه اللغة ويصونها إلى آخر الزمن .

الفنون الأدبية :

ويتصل باللغة الفنون الأدبية الأخرى التي يعبر بها أهل الإبداع عن مشاعرهم وأحاسيسهم ويضمنونها أجمل الصو والأساليب لتصوير مجتمعهم ، وفي هذا المجال يبرز الشعر العربي ، كأداة تعبيرية بلغ بها العرب أعلى المراتب ؛لما امتازت به اللغة العربية من كثرة في المترادفات ودقة في التعبير ، وثراء في الأساليب والمشتقات بالإضافة إلى ما تحمله من رنين وجرس يجعلها أطوع للشعر وموسيقاه . وبهذا كله ارتفع

الشعر بين العرب فاحتلَّ أسمى منزلة ، وقام الشعراء مقام الصحف في عصرنا ، يعبرون عن اتجاهات قبائلهم ويشيدون بفعالها في أجزل الألفاظ وأجمل الصور البيانية .

وكان الشعر عند العرب قبل نزول القرآن هو وسيلة التعبير الأدبي الوحيدة ، وكانت القصيدة الرصينة البليغة تنتقل على ألسن الناس في كل مكان لتحدث أثرها في النفوس .

ويقدم لنا التاريخ الأدبي أمثلة كثيرة لشعراء بلغ أثر شعرهم شأواً بعيداً سواء في حضّ أخوانهم على خوض المعارك أو الحط من شأن أعدائهم والنيل منهم وغيرهم ارتفع بهم شعرهم إلى مقام الملوك ليصبحوا من ندمائهم وخواصهم .

الإعلام قبل نزول القرآن

منذ أكثر من ألف وخمسمائة عام ، وفي وقت غابت فيه وسائل الاتصال المعروفة لنا هذه الأيام من اتصالات سلكية ولاسلكية أو صحافة أو إذاعة أو تليفزيون وأقمار صناعية ، من حق الانسان أن يعجب حين يعلم ان على شبه الجزيرة العربية ، كان الشاعر في أقصى الجنوب ، ينشد قصيدة شعر في مناسبة من المناسبات ، فلا يمضي وقت طويل حتى تكون هذه القصيدة على كل لسان على أرض شبه الجزيرة الممتدة الأطراف الواسعة الأرجاء .

وكان القتال ينشب في الشرق أو الغرب فيسمع نبأه العرب جميعاً ويسارع كل حليف لنصرة حليفه ولا يقع حادث سواء كان صغيراً أو كبيراً إلا بلغ الناس في كل مكان ، فيستجيبون لدواعيه كل بحسب اتجاهاته وولائه . .

ومن حقنا أن نقول ان هذه الظاهرة الفريدة في ذلك الزمن البعيد لم ترصد عند أي شعب من الشعوب التي عاشت في تلك الحقبة البعيدة من الزمن ، وان العرب وحدهم قد استطاعوا ان ينشئوا وسائل للاتصال تتصف بالتلقائية تعمل على نقل الأحداث والوقائع وفنون الأدب والشعر إلى كل مواطن على أرضه . . وانهم عاشوا في ذلك الزمن في وحدة اعلامية لا نظير لها في عصرهم. وقد أدرك مجتمع شبه الجزيرة العربية الأهمية الكبرى للاعلام . . ساعدته في مناسبات مختلفة على مواجهة مواقف غاية في الخطورة فقد هرعت القبائل العربية لنجدة اخوانهم في الشرق عندما هاجمتهم جموع كسرى واستطاعوا أن يهزموا تلك الجموع في موقعة ذي قار ويردوا جيش كسرى إلى وراء الحدود .

واستطاع العرب في وقت متأخر أن يسجلوا وقائع أيامهم التي كانت تحدث على أي موقع مما يدل على علمهم بها وبكل تفاصيلها كما أنهم نقلوا الينا كماً هائلاً من شعرهم وقصصهم ، في وقت لم يكن التدوين معروفاً كما تفشت فيه الأمية فلم

يعرف الكتابة إلا عدد قليلٌ من الناس لا يتواجدون في كل الأماكن ، ويدلنا كل هذا لأن هذه الأشعار والوقائع والأحداث ، قد انتهت إلى علم قاعدة عريضة من الجماهير وانها بدورها حفظتها ونقلتها إلى الأجيال التالية حتى أمكنَ تدوينها في العصر الإسلامي .

فما هي وسائل الاتصال التي مكنت العرب قبل نزول القرآن ، من العلم بهذا التراث وحفظه ؟

تأتي اللغة العربية في مقدمة هذه الوسائل ، فقد كانت بدقة الفاظها وتنوع التركيبات والأساليب فيها أقدر ما تكون على خلق الايقاع الذي تطمئن اليه الاسماع وتحفظه الذاكرة ، كذلك فتن العربي باللفظ الجميل وبالشعر الجيد وأصبح الشاعر الذي يقول الشعر كالاذاعة التي يستمع إليها كل إنسان ينتقل شعره من مكان إلى مكان ، والشعر يتضمن في الغالب وقائع وأحداث وبطولات ومواقف تحتل منزلة سامية في نفسه . ولافتتانه بالبطولة والجمال تعود العربي أن يكون سريع الحفظ قوي الذاكرة ليحفظ ما اعجبه وفتنه .

وكان الشاعر يختار لالقاء قصيدته المكان المناسب الذي يجتمع فيه الناس ، كالحج والمواسم والاسواق ، وكانت القصيدة التي ينعقد الاجماع على الاعجاب بها تعلق فوق الكعبة ليراها العرب جميعاً اثناء حجهم أو عمرتهم ، ومن ثم تنتقل القصيدة إلى كل مكان وكانت الأسواق التي تحدثنا عنها قبل ذلك أفضل الأماكن التي يتجه الشعراء والقصاص إلى إلقاء قصائدهم بها فأصبحت هذه الأسواق المنتشرة في كل مكان والتي يؤمّها الناس بصفة دورية ، ميداناً نشطاً للإعلام . ويقول أبو المنذر في تاريخ مكة : « انه كانت بعكاظ منابر في الجاهلية يقوم عليها الشاعر والخطيب بشعره أو خطبته التي يعدد بها أفعال قومه ومآثرهم وأيامهم عاماً بعد عام .

وكانت هذه الأسواق تقام طول العام ويحضرها العرب من قرب ومن بُعد وكانت تقام فيها مسابقات الخيل وتنشد الأشعار بالإضافة إلى التجارة وتبادل المنافع وكان رؤساء القبائل يتبادلون المعلومات ويعقدون المحالفات وأصبحت هذه الأسواق كأسواق الاغريق القدماء الذين يجتمعون فيها في المواسم ويحضرها فلاسفتهم

وشعراؤهم ،ويقدمون فيها تمثيلياتهم التي تعرض أيامهم ومواقفهم .

فإذا تركنا الأسواق والشعراء ودورهم الاعلامي نلتقي بوسيلة من أهم وسائل نقل المعلومات على أرض شبه الجزيرة العربية وهي التي تتمثل في الرواة الحفاظ الذين كانوا يتبعون خطوات الشعراء أينما رحلوا أو حلوا ويحفظون ما قالوا ثم ينقلونه إلى الناس ، وإذا كان رواة شعراء اليونان القدماء قد نقلوا إلينا ما لا يقل عن ثلاثين ألف بيت من الشعر فإن رواة العرب قد نقلوا إلى الأجيال التي تلتهم مئات الألوف من أبيات الشعر العربي في العصر الجاهلي .

ويروى أن « حماداً » الراوية قد حفظ وحده سبعة وعشرين ألف بيت وقد حضر حماد مجلساً للوليد بن يزيد فسأله الوليد : بم استحققت اسم الراوية ؟ فقال له : لأني اروي لكل شاعر تعرفه أو سمعت به يا أمير المؤمنين.ثم أروي لأكثر منهم ممن لا تعرفه ولا سمعت به ثم لا ينشد أحد شعراً قديماً أو حديثاً إلا ميزت القديم من المحدث ، فسأله فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ .

قال : كثير واستطيع ان انشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة . قال الوليد : سأمتحنك في هذا :

ثم أمره بالإنشاد فأنشد حتى ضجر الوليد فأناب من يسمع منه حتى انشده الفين وتسعمائه قصيدة جاهلية واخبر بذلك فأمر له بمائة ألف درهم .

ويذكر ان أبا تمام الراوية كان يحفظ من أشعار الجاهليين أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقطعات .

وكانت أيام الحج والعمرة وسيلة فعالة لنقل المعلومات والوقائع وغيرها من فنون القول ، بين العرب جميعاً الذين جعلوا الحج إلى بيت الله الحرام والطواف بالكعبة من شعائرهم التي يجلونها ولا يتأخرون عن أدائها مهما كلفهم الأمر ،وفي هذا اللقاء الدوري الذي يستمد أصوله من دعوة إبراهيم عليه السلام وقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود * وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ﴾ [الحج : ٢٦ ، ٢٧] .

وفي هذا اللقاء الذي فرضه اللّه على العرب في شبه الجزيرة العربية كان الناس يلتقون ليتعارفوا ويتبادلوا الأنباء والمعلومات ويستمعوا إلى الشعراء بلغة وأسلوب محبب إلى نفوسهم .

وكان للقوافل التي تجوب شبه الجزيرة من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب ، دورها في الاعلام قبل الإسلام ، لأنها كانت تربط الحضر بالبادية ، والأمم المجاورة بالشعب العربي على الصحراء ، وكانت تنزل في مراحل من الطريق للانتجاع والراحة ، ويتبادل الجميع انباء الحضر والبادية وانباء الشعوب المجاورة .

وبهذه الوسائل التي ارتبطت بها حياة كل عربي ارتباطاً قوياً على اسس عقائدية واقتصادية ووجدانية ، استطاع العرب ان ينشئوا اتصالاً دائماً مع بعضهم البعض ومع الأمم المجاورة مكنهم من ان يعلموا ما يقال وما يدور على أرضهم وأرض من حولهم بأدق تفاصيله ، ليصبح تراثاً قوياً يملك القدرة على البقاء لتتناقله سائر الأجيال . .

***

العقائد الدينية قبل نزول القرآن :

اليهودية ـ المسيحية ـ المجوسية ـ الوثنية .

الدين والحياة البشرية :

كان الدين وما يزال أحد المقومات الاساسية التي تقوم عليها الحياة البشرية، وإلى الدين ترد كل القيم والمبادىء والسجايا التي تنظم الحياة ، وترتب الحقوق والواجبات التي تستقيم بها ، وبالدين توطدت الأخلاق والفضائل وكل ما يسمو بحياة الانسان ويمنحها الاستمرار والتقدم .

اليهودية واليهود :

وظلت الأديان السماوية تؤدي دورها في الابتعاد بالحياة الإنسانية عن الشر والانحراف الخلقي . . حتى اتى وقت عصفت فيه عواصف السيطرة والتعصب بهذه الأديان ؛ فتفرق أصحاب اليهودية اشتاتاً في أنحاء العالم في بؤر خاصة بهم يغلقونها

على أنفسهم يجترون فيها الشعارات التي يدعون بها الامتياز على سائر الناس ويحتقرونهم ويكيدون لهم تحت لواء هذا الشعار الخداع ؛ فإذا خرجوا إلى الحياة باشروا الحرف والمهن المدمرة للمجتمعات التي آوتهم ، فيتاجرون فيما حرم الله ويقرضون الناس بالربا الفاحش .

ولم يكن لليهودية عند نزول القرآن مكان عند اغلب الشعوب التي عاشت في ذلك الزمن وكانت اعداد قليلة منهم تعيش بين الشعب العربي في شبه الجزيرة العربية وخاصة في اليمن وفي يثرب وفي فلسطين ، كما عاشت اعداد اخرى ، في مصر والعراق منذ زمن بعيد .

المسيحية وفرقها :

وبالنسبة للمسيحية ، فيلاحظ أن دولاً كبرى قد اعتنقتها كالدولة الرومانية التي امتد نفوذها في وقت من الأوقات على أجزاء كثيرة من أوروبا ثم ورثتها الدولة البيزنطية ، أو دولة الرومان الشرقية التي ملكت أجزاء من اليونان وشرق اوروبا وأكثر بلاد الشرق الأوسط كسوريا ومصر وشمال افريقيا . وامتد نفوذ الدولة البيزنطية على بلاد مختلفة من افريقيا كالحبشة ، وآمن شعبها بالمسيحية اسوة بالروم .

وفي القرن السادس الميلادي بدأت المذاهب المتعددة تحدث انقسامات واسعة بين الجماعات التي دانت بالمسيحية ، وتصارعت هذه الفرق وفعل التعصب الأعمى فعله في النفوس وتدخلت الدولة البيزنطية في هذا الصراع وزادته اشتعالاً بالانحياز في بعض الأحيان إلى فريق دون فريق آخر . . ومد العون إلى فريق آخر على حساب الفرق الأخرى ويصف أحد رهبان المسيحية هذا الخلاف فيقول : « كانت انحاء كثيرة ملأى بالجدل ، وتسمع الواناً من الخلاف في كل مكان في الأسواق وعند الباعة ، والصيارفة فإذا كنت تريد قطعة من ذهب ، فلا بد أن تدخل في جدل مع البائع أو المشترين عما خلق وعما لم يخلق ، وإذا اردت ان تشتري خبزاً ووقفت مع المشترين فيسألك البائع عن الأب الأعظم والابن ، والابن خاضع له ، وإذا سألت غلامك عن الماء الساخن لحمامك سألك ما تقول في خلق الابن من العدم » .

وظلت فرق المسيحية تعيش في ظل الدولة البيزنطية تعقد المؤتمرات لحسم هذا النزاع فتزيد بها حدة الخلاف بدلاً من ان تحسمه وكانت الدولة تمد من حبال الجدل . . حتى يظل الامبراطور رأس الدولة البيزنطية ملجأ تلوذ به كل فرقة طلباً لحمايته ورجاء تأييده لها ، واجتهدت كل فرقة في جذب الانصار إليها والتبشير لمذهبها بين كافة شعوب الامبراطورية حتى آمن بعض القبائل العربية على حدود شبه الجزيرة العربية ، كالغساسنة وأهل الحيرة واللخميين والمناذرة بالمسيحية .

المجوسيـة :

وإلى الشرق من شبه الجزيرة العربية سادت المجوسية التي تقوم على عبادة النار في بلاد فارس وان كان قد اصابها ما أصاب اليهودية والمسيحية من صراع واختلاف فتوزعت في فرق وطوائف حول آلهة الخير والشر المتعددة طلباً للحماية وكما لاذت الفرق الدينية في بيزنطة زمناً بامبراطور بيزنطة لجأت الفرق المجوسية المختلفة إلى ملك الفرس تنشد حمايته وجعل صاحب العرش هذا الاختلاف وسيلته لضرب الفرق بعضها ببعض كلما قوي نفوذ إحداها وشعر بتهديدها لنفوذه على الشعب .

الوثنيـة :

وعاشت المسيحية والمجوسية تساندها القوتان العظميان في العالم ، الامبراطورية البيزنطية والامبراطورية الساسانية المتاخمتان لشبه الجزيرة العربية ، ومع ما بذله رجال الدين في الدولتين من جهود لنشر دينهما في شبه الجزيرة العربية ، فقد ظلت شبه الجزيرة بعيدة عن التأثر بهما تأثراً يذكر ، فظل اهلها على دينهم يقربون للأوثان والأصنام ويجعلونها زلفى إلى الله . . وكان الناس يخلعون على الأوثان كل صور التقديس ويهرعون اليها لقضاء الحاجات أو يسعون إليها في طلب المشورة إذا اختلطت عليهم الأمور . .

نظرة عامة على العقائد في العالم :

وفي خضم الصراع بين فرق هذه الأديان وخواء الوثنية من المعنى والحق ،

ضاع جوهر الدين ، وما ينطوي عليه من فضائل وقيم ومبادىء ، واضطربت لذلك شؤون الحياة البشرية ، وازداد الملوك والحكام عتواً وظلماً واستبيحت الأموال والحرمات بغير حق .

ولم تكن انحاء العالم الأخرى اسعد حالاً من حالة تلك البلاد ، إذ تفشت الوثنية والمذاهب الدنيوية في آسيا وافريقيا وزاد سلطان الكهنة وسدنة المعابد قوة ونفوذاً مكنهم من اخضاع العامة والخاصة لسلطانهم الجائر .

كذلك احترفت الكنيسة في اوروبا الوظيفة الكهنوتية واحتكرت العلم والشفاء والغفران ، وطاردت العلم التجريبي والعلماء الذين توصلوا عن طريقه إلى اكتشافات جديدة وأوقعت بهم واضطهدتهم وعذبت بعضهم حتى الموت وأصبحت الكنيسة في العصور الوسطى سيفاً مسلطاً على رقاب طلاب الحق والمعرفة والحرية وخضع لها الملوك والأفراد خضوعاً مطلقاً . ثم استخدمت سلاح الحرمان ضد مخالفيها في الرأي سواء كانوا ملوكاً أو أفراداً واكتظت الأديرة بالرجال والنساء الذين رفضوا الحياة ، واعرضوا عما فيها من زينة ومتاع حلال . . ليعيشوا حياة خشنة قاسية ، لتعذيب الاجساد وامتهانها واعتبرت النظافة جريرة تباعد بين الروح وطهارتها وأصبح الزاهد الطاهر الروح ، هو أبعد الناس عن النظافة وأكثرهم حرماناً لنفسه من الطيبات واعتبر ظل المرأة رجساً من عمل الشيطان . وشهدت أوروبا فترة من الزمن وهي ترى الرهبان والراهبات يتجولون في انحاء البلاد لاختطاف الأطفال ليباعدوا بينهم وبين الحياة مع أهلهم وذويهم رغبة في تخليص أرواحهم من شرور الحياة ولينشؤهم على الحرمان والكبت .

* * *

وعلى الاجمال فيمكننا القول ان روح الدين قد توارت واختفت في أكثر انحاء الأرض ، وعاش الذين اعتنقوا الأديان على قشور لا تمت للأديان بأي سبب واستحدثوا بدعاً لإذلال الانسان والتحمت السلطة الزمنية بالسلطة الدينية لتحقيق مصالحهما المشتركة على حساب حق الجماهير العريضة في الحياة الحرة الكريمة

* * *

القرآن الكريم يصور الحالة الدينية في العالم :

ويطالعنا القرآن الكريم في آياته البينات بوصف حكيم هو أصدق ما يوصف به الموقف الديني للعالم قبل نزوله فيقول عز وجل لليهود الذين بدلوا الكتب وتركوا ما بها من آيات وتوجيه إلهي نحو الخير والفلاح . . ﴿ مثل الـذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات اللّه واللّه لا يهـدي القوم الـظالمين ﴾ [سورة الجمعة آية ٥] ثم يقـول تعـالى : ﴿ فبمـا نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات اللّه وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بـل طبع اللّه عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً * وبكفرهم وقـولهم على مريم بهتـاناً عظيماً * وقولهم انا قتلنـا المسيح عيسى آبن مريم رسول اللّه ومـا قتلوه وما صلبـوه ولكن شبه لهم ﴾ [النساء من ١٥٥ - ١٥٧] .

ثم يقول عز وجل بياناً لما اتصفوا به من صفـات : ﴿ فبظلم من الـذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل اللّه كثيراً * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتـدنا للكـافرين منهم عـذاباً أليمـاً ﴾ [النسـاء : ١٦٠ ، ١٦١] .

وقد أورد القرآن في الذين اعتنقوا اليهودية ولم يعملوا بما فيها من خلال دعوته للخير ، آيات كثيرة ، واكتفينا بما اوردناه لما فيه من دلالة على سوء مـا انتهى وضع أصحاب هذه الديانة عند نزول القرآن .

ويبين اللّه تعـالى لنا ، مـا ساد هؤلاء وهؤلاء من تعصب وخـلاف فيقـول عـز وجل : ﴿ وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتـاب ﴾ [البقـرة آية ١١٣] ، ويصـوّر اللّه تعـالىٰ انحـرافهم عن الحق إلى الضلال ومن الجوهـر الى القشور ومـا اتصفوا به من كفر وظلم وبغى . فيقول عز وجل : ﴿ وقالت اليهود عزير ابن اللّه وقالت النصارى المسيح ابن اللّه ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم اللّه انى يؤفكون ﴾[التـوبة: ٣٠] ثم يقول عزَّ وجلّ : ﴿ وقالت اليهود يد اللّه مغلولـــة غلت أيديهم ولعنـوا بما

قالوا ﴾ [المائدة : ٦٤] ﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممّن خلق ﴾[المائدة : ١٨] .

وينزل القول الحكيم في حال أهل المسيحية على ذلك الزمن فيقول تعالى : ﴿ اتخذوا احبارهم ورهبانهم ارباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ﴾ [سورة التوبة آية : ٣١] .

ويقول تعالى : ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ [الحديد : ٢٧] .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [التوبة : ٣٤] .

* * *

الحالة السياسية والاجتماعية في العالم قبل نزول القرآن

ـ نظام الحكم في الامبراطوريتين الكبيرتين بيزنطة وفارس .
ـ الحالة الاجتماعية والحضارية فيهما .

بيزنطة ترث الامبراطورية الرومانية :

ورثت امبراطورية الروم الشرقية (بيزنطة) الامبراطورية الرومانية الغربية التي حطمتها الغارات المتوالية للمغول القادمين من شرق آسيا وامتد سلطان بيزنطة فملكت اليونان وآسيا الصغرى وسوريا وفلسطين ومصر وشمال افريقيا وامتد نفوذها السياسي إلى وسط افريقيا فحالفت امبراطور الحبشة ، وجعلته منفذاً لسياستها ومستجيباً لما تتقدم به إليه من مطالب .

الصراع بين بيزنطة وفارس :

وحين اصبحت بيزنطة دولة عظمى بحكمها لهذه الشعوب العريقة بتاريخها وحضارتها ، وبما كانت تملكه من ثرواتها وما تجبيه من الضرائب احتدم الصراع بينها وبين دولة الفرس التي حكمها الساسان دهوراً طويلة . وقد هزم الفرس الروم اثناء حياة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ، ثم هزم الروم الفرس بعد وفاته بقليل وتنبأ القرآن بهذه الوقائع فيقول تبارك وتعالىٰ في القرآن الكريم : ﴿ غلبت الروم * في أدنىٰ الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين ﴾ [الروم : آية ٢ ـ ٤] .

واضطربت الأمور في الدولتين العظميين قبل نزول القرآن وبعد نزوله ، فكان قادة الجيوش في بيزنطة يثبون على المتربع منهم على العرش ويقتلونه ليجلسوا مكانه ، حدث ذلك أكثر من مرة ، وجاء بهذه الطريقة هرقل الامبراطور الذي قدر له ان يواجه جنود الإسلام وهم يمضون لنشر دين اللّه علي العالم ، ليلقى الهزيمة على أيدي المجاهدين في سبيل اللّه ودينه .

وفي فارس كان الأمراء يسعون إلى مثل سعي قادة بيزنطة فقتل في أربع سنوات أربعة ملوك من الذين تولوا العرش ، الواحد بعد الآخر ؛ يقتل بعضهم بعضاً ، غيلة وغدراً أو جهاراً نهاراً . . ليثب على مقعده .

وكان نظام الحكم يقوم على سلطة الفرد المطلقة ويقيم الملك أو الامبراطور رؤساء الاقطاع أو القادة نواباً له على الأقاليم المختلفة يقرون له النظام ويجبون له الضرائب ويملكون الاقطاعيات بمن عليها من الفلاحين والعاملين ، وفي مجتمع كهذا ضاعت المساواة والعدل ، وخضع عامة الناس للقيد والسوط والسيف .

ويصف ج . هـ ويلز حال هاتين الامبراطوريتين في تلك الحقبة من التاريخ فيقول : « لو ان هاوياً للتنبؤ في التاريخ استعرض أحوال العالم عند مستهل القرن السابع الميلادي لأمكنه ان يستنتج بحق ، انه لن ينقضي وقت طويل حتى تقع اوروبا وآسيا بأكملها في قبضة المغول ، ذلك أن أوروبا الغربية فقدت كل شاهد يدل على النظام كما ان الدلائل كلها كانت تشير إلى ان دولتي الروم والفرس لن ترجعا حتى تدمر كل منهما الأخرى ، وكان الانقسام والخراب يعملان عملهما في الهند ، وما كانت هذه النبوءة عبثاً باطلاً بأي حال ، لأن المغول حققوها في القرن الثالث عشر الميلادي الذي قدر فيه لأمير مغولي أن يحكم أرضاً تمتد من جنوب الدانوب إلى المحيط الهادي شرقاً كما كتب لاسرات تركية أن تحكم الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية جميعاً وتسود مصر ومعظم بلاد الهند » .

« أما النقطة التي ربما تعرّض فيها ذلك المتكهن للخطأ فهي عدم تقديره بالضبط لقدرة أوروبا اللاتينية على استرداد قواها وتجاهله للقوى الكامنة في الصحراء العربية إذ أن بلاد العرب ربما لاحت لعينه على صورتها التي دامت عليها منذ أزمان سحيقة مرتعاً لقبائل صغيرة متناوشة من الرحل لا أمل يرجىٰ منها . ولكن ما حدث بعد ذلك كان مثيراً للدهشة إذ سطع نجم العرب سكان الصحراء بباهر الضياء مدة قرن وجيز من الزمن حافل بكل أسباب القوة والعظمة ومدوا فيه نظام حكمهم ودينهم ولغتهم على رقعة تمتد من بلاد الأندلس حتى حدود الصين ومنحوا العالم حضارة جديدة وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم » .

الاسهام الحضـــاري :

وإذا انتقلنا إلى ميدان الحضارة وإسهام هذه القوى في بنائها وتطورها ، ومكانة حضارتهما في التراث الإنساني فبوسعنا أن نقول ان الامبراطورية البيزنطية قد عاشت في ظل حضارة الرومان اللاتينية وحضارة الفينيقيين والاغريق والمصريين القدماء بكل ما حوت من علوم وفنون عريقة القدم بالغة الخطر في حياة الجنس البشري وتطوره، أما الفرس فقد التقت عندهم حضارة إيران والهند ، ومذاهب الشرق الأقصى في الفكر والعقيدة . وبين الامبراطورية البيزنطية في الغرب والأخرى الفارسية في الشرق امتدت بينهما صحراء شبه الجزيرة العربية الجرداء التي ينتقل عليها البدو من مكان إلى مكان طلباً للمرعى والماء ولم يخلفوا لنا حضارة مادية محسوسة ولكنهم تركوا لنا تراثاً أدبياً من الشعر والحكمة بلغ مستوىً عالياً في الصياغة والمضمون .

وقد عاشت الامبراطوريتان الكبيرتان في حرب مستمرة مدة ستة قرون متـوالية انهكت فيهـا قـواهـا .. . وتسببت في ضيـاع الأرواح والأمـوال الكثيـرة التي كـانت الدولتان تجبيها من عامة الناس وخاصتهم طوعاً أو كرهاً .

موقف الانســان :

ونستطيع ان نقول ان العالم قبل نزول القرآن الكريم كـان يشقى غايـة الشقاء بالنزاع المضطرم في عقائده ، ويتغلب القهر والفـاقة والفـوضى بسبب جور الحكام والحـروب الكثيرة التي لا تنتهي التي أحـالت المدن إلى خـرائب وأطلال واحـرقت الحقول الخضراء لتتحول إلى أرض جرداء ودعتها الخضرة والنضارة .

وقد أدى كل ذلك إلى ضياع الإنسان وإهدار كرامته وقهره وفقد كل انسان على وجه الأرض ، حتى الحكام والملوك والأباطرة ، كل أسباب الأمن والطمأنينة لقد كانوا جميعاً يحيون في الظلام الذي لا انقشاع له .

ثم قضت حكمة اللّٰه ان يطلع الفجر .

وأن يكـون طلوعه على أرض جـرداء بعيدة عن آثـار الحضارات التي انشـأها الانسان .

وقضت رحمة اللّه ان يذهب القهر والظلم من على ظهـر الأرض فتزل القـرآن الكريم نوراً وهدى وبشرى لكـل انسان في العـالم انزلـه اللّه على رسولـه محمد بن عبـد اللّه صلى اللّه عليه وسلم في مكـة المكرمـة ليقود البشـرية على طـريق الخيـر والفلاح . .

* * *

* * *

ـــ قبيل التنزيل .

ـــ تنزيل القرآن .

ذيوع القرآن وانتشاره ، القرآن لم يفرط في شيء ، الأدلة على أن القرآن من عند الله تعالى ، مدة نزول القرآن عن طريق الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

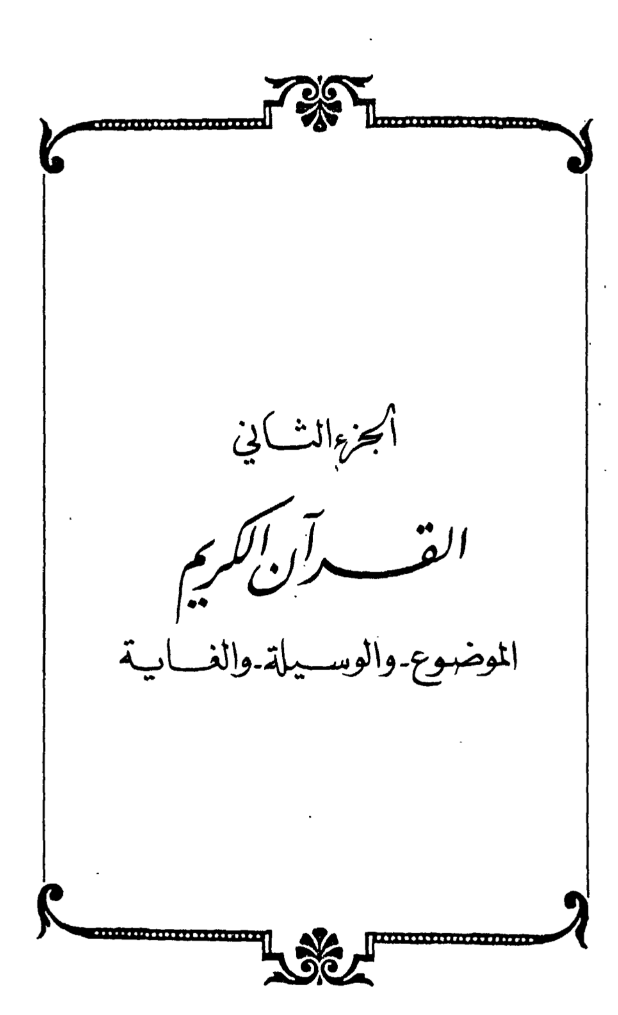
ـــ القرآن والإسلام .

فكرة الإسلام ـ القيم ـ الإيمان والمساواة ـ الإخاء ـ الحرية والتحرر ـ العدل ـ العدالة الاجتماعية ـ السلام ـ تربية الضمير والوازع من داخل الإنسان .

ـــ عالمية وشمول دعوة القرآن .

ـــ الآيات القرآنية .

* * *



الجزء الثاني

القرآن الكريم

الموضوع - والوسيلة - والغاية

القــرآن الكـريم

قبيل التنــزيل :

قبل بعثة سيدنا محمـد بن عبد الله بستـة أشهر كـان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتعبد في غار حراء بمقتضى الرؤيا الصالحة الصادقة في ظل الإلهام الإلهي ، والحصانة الربانية بعيداً عما تلوّث به قومه من الشرك وعبادة الأوثـان والأصنام ، بـل حفظه الله من الاشتراك في عاداتهم التي يرتفع عنها مقام النبوة ، كما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه تطلع مرة إلى أن يحضر بعض مجالس قومه التي يجتمعون فيهـا للتسلية في أفراحهم بسماع بعض الآلات التي يلهون بها فألقى الله عليه النوم حتى فات وقتها ولم يتم له الاشتراك معهم في تلك العادات . ولم يزل النبي منقطعاً للتعبد في غار حراء يستلهم الرشد والهداية من ربه حتى جاءه الوحي السماوي ونـزل عليه بقوله تعالى :

﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علّم بالقلم * علّم الإنسان ما لم يعلم ﴾[سورة العلق : ١ ـ ٥] .

بعد ذلك بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو سراً من يتوسم منهم الخير من أهله وأصحابه إلى الإيمان مدة ثـلاث سنوات حتى لا تصـدم الدعـوة في بدئهـا بمعوقات الشرك والكفر التي ذهبت جذورها بعيداً في نفوس أهل الجاهلية الذين ورثوا مع الكفر تعصباً شديداً لما خلفه لهم آباؤهم من عادات وعقائد، يضحّون في سبيلها بأعز

ما يملكون وبحياتهم إذا اقتضى الأمر .

من أجل ذلك سلك رسول اللّٰه صلى الله عليه وسلم سبيل التدرج في دعوته . وقد استجاب لرسول اللّٰه خلال هذه المدة عدد قليل من خاصة أصحابه وأهل بيته ، هداهم اللّٰه بفضله إلى نوره وشرح صدورهم بدينه . وكان عدد هؤلاء المؤمنين يزداد يوماً بعد يوم وثبت اللّٰه تعالى إيمانهم بتوالي تنزيل القرآن حتى كان الواحد منهم يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن تقذف به في النار . ثم جاء الإذن لرسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم أن يجهر بدعوته وأن يصدع الأمر للّٰه ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ [الحجر : ٩٤] .

ثم تمضي سنوات عديدة تمر فيها الدعوة إلى اللّٰه بمراحل مختلفة فقد ظل صلوات اللّٰه وسلامه عليه ثلاثاً وعشرين سنة يدعو قومه وأقرب الناس إليه متذرعاً بالحكمة والصبر وقوة العزيمة واحتمال الأذى ـ وقد بدأ هذه الدعوة من يوم أن وجّه اللّٰه الخطاب بقوله جلَّ شأنه : ﴿ يا أيها المدثر * قم فأنذر * وربك فكبر * وثيابك فطهّر * والرجز فاهجر * ولا تمنن تستكثر * ولربك فاصبر ﴾ [المدثر آية : ١ ـ ٧] .

تنزيل القرآن :

﴿ كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [إبراهيم : ١] .

﴿ ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون ﴾ [الزمر : ٢٧] .

﴿ ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ [الإسراء : ٩] .

﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ [يونس : ٥٧] .

﴿ ان هو إلا ذكر للعالمين ﴾ [التكوير : ٢٧] . صدق اللّٰه العظيم

نزل القرآن على رسول اللّه محمد بن عبد اللّه صلى اللّه عليه وسلم في القرن السابع الميلادي ليبلغه إلى عالم افتقد العدل والأمن وفرض فيه على الناس القهر والظلم ، وعاشوا في ظلمات بعضها فوق بعض لا يدرون متى يأتي الفجر . وقد اخترنا بعض الآيات البينات التي صدرنا بها هذا الباب والتي يصف فيها اللّه تعالى قرآنه العظيم وكلها تعد الناس بالنور بعد الظلمات والهدى بعد الضلال والبشرى للذين يعملون الصالحات وموعظة وشفاء لما في الصدور ويهدي للتي هي أقوم ، وفيه يضرب اللّه للناس من كل مثل لعلهم يتذكرون .

الآثار العظيمة التي أحدثها نزوله على المستوى العالمي :

ويعتبر القرآن والآثار التي أحدثها أهم وأعظم كتاب شهده تاريخ البشرية ، وتأتي هذه الشهادة من كتاب ومؤرخين من الغرب ومن كل مكان في العالم . وعن أثر القرآن يتحدث الفيلسوف جوستاف لويون فيقول : « ان الشرق بفضل القرآن يعيش في طمأنينة وسلام ، وقد بلغت شعوبه التي هي أكثريه البشر درجة ظاهرة من السلام الهادىء الذي هو عنوان كل سعادة على خلاف ما نشهده من انقسامات وخلافات وحياة صاخبة مدمرة . لقد تمتعت شعوب الشرق بما خسرناه من التماسك والسلام فمعتقدات هذه الشعوب ما تزال قويمة وتحافظ أسرها على استقرارها القديم فبقيت مقومات الحياة كالإيمان والأسرة والقيم والاخلاق والتقاليد التي أصابها في العرب ما أصابها من الهدم بقيت مؤثرة في الشرق بفضل الإسلام الذي أقامه القرآن». ويقول ول ديورانت مؤلف قصة الحضارة أنه لا يعادل القرآن في آثاره كتاب آخر عرفه الناس وهو بإجماع الآراء خير كتاب عرفته الإنسانية .

ويتحدث في موضوع آخر عن أثره فيقول: إن القرآن يبعث في النفوس أسهل العقائد وأقلها غموضاً وأبعدها عن التقيد بالمراسم والطقوس وأكثرها تحرراً من الوثنية والكهنوتية ، وقد كان له الفضل في رفع المستوى الاخلاقي والثقافي لاعداد لا تحصى من البشر ، وهو الذي أقام للمسلمين قواعد نظامهم الاجتماعي كما أقام الوحدة الاجتماعية لهم وحرر عقولهم من الخرافات والاوهام ومن الظلم والقسوة وبعث في نفوس الأذلاء الكرامة والعزة وأوجد بين المسلمين درجة مناسبة من

الاعتدال والبعد عن الشهوات لم يوجد لها نظير في أية بقعة من بقاع العالم يسكنها الرجل الأبيض وحثهم في الوقت نفسه على التوسع بنشر تعاليمه بين الشعوب ، فحققوا من الفتوحات ما لم يشهده التاريخ كله . ويذكر ول ديورانت أن القرآن عرف الدين الإسلامي وحدده تحديداً لا يجد المسيحي ولا اليهودي الصحيح العقيدة ما يمنعه من قبوله فيقول :

﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

تلك اذن هي منزلة القرآن ومكانته يعترف بها العلماء والمؤرخون ممن هم على دين آخر غير الإسلام .

ذيوع القرآن وانتشاره :

أما عن ذيوع القرآن وانتشاره بين الناس فيذكر جوستاف لوبون : «إن القرآن لم ينتشر بالسيف بل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب وحدها ، اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخراً كالترك والمغول وبلغ القرآن من الانتشار في الهند التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل ما ارتفع به عدد المسلمين إلى أكثر من خمسين مليون نفس (الف كتاب حضارة العرب الذي اقتبسنا منه ذلك عام ١٨٨٤ م) وعدد المسلمين الآن في الهند وباكستان يتجاوز مائتيّ مليون نفس » .

ويستطرد غوستاف لوبون حديثه فيقول : «إن عدد المسلمين يزداد في الهند باضطراد يوماً بعد يوم بدخول مواطنين جدد في الإسلام بالرغم من أن الانكليز هم سادة الهند ، وإنهم يجهزون باستمرار البعثات التبشيرية إلى الهند لتنصير الهنود والمسلمين على غير جدوى .

ويذكر هوتنجر الذي أعد قائمة طويلة بالأخلاق الكريمة والآداب الحميدة التي

حض القرآن الناس عليها ثم يعلق صاحب القائمة على ما حوته بقوله : « انها تحتوي اقصى ما يمكن ان يؤمر به إنسان من التحلي بمكارم الأخلاق والابتعاد عن العيوب والآثام » .

والقرآن الكريم حوى كل ما يخطر على بال الإنسان مما يتصل بالحياة الدنيا والحياة الآخرة من قريب أو بعيد وحوى كل توجيه سام وكريم يحقق الإنسان به أعظم قدر من السعادة والسلام وفي هذا يقول اللّه تبارك وتعالى :

﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [النحل : ٨٩] .

واعتقد أن تناول آيات القرآن الكريم المتصلة بتنظيم الاجتماع الانساني وتوفير الشروط الضرورية للحياة الفاضلة في أسس مراتبها لم يأخذ حقه حتى الآن من البحث والدراسة ، وإن تقديم القرآن الكريم وآياته في هذا المجال تستحق المزيد من البحث والعرض ، ليكون ما وضعه للناس واضحاً ومتسقاً أمام جماهير المسلمين في كل مكان ليدركوا مدى ما بلغه من سمو وما يقدمه من حلول سليمة للمشاكل التي تواجههم في حياتهم المعاصرة .

القرآن لم يفرّط في شيء :

وبقدر ما وسعني الطوق أبدأ بخطوة على هذا الطريق بأن اقدم أبرز الجوانب التي عني بها القرآن الكريم في شؤون الحياة التي يحياها الناس ... ولا أدعي لنفي أحصيت كل شيء في هذا الميدان ولكن اسجل ما انتهيت إليه كخطوة على الطريق .

والهدف من بيان هذه الجوانب وثيق الصلة بموضوع الكتاب لأن القرآن الكريم وإن كان قد بيّن لنا الوسائل والأساليب السليمة للاعلام قد دعانا إلى تبليغ ما تضمنه من آيات ، تدعو لخير الحياة وتقدمها وتتمثل هذه الجوانب فيما يلي :

ـ نظرة القرآن إلى الانسان والحياة الدنيا .
ـ نظرة القرآن إلى نظام الحكم وتنظيم الدولة .
ـ الاقتصاد في القرآن .

- القضاء في القرآن .
- الجهاد في القرآن .
- الدعوة والاعلام وواجب الدولة في هذا المجال .
- التضامن والتكافل في القرآن .
- نظام الاسرة والآداب المتصلة بها .
- مبادىء الحرية والاخاء والمساواة في القرآن .
- أسباب صلاح المجتمعات وفسادها .
- الأخلاق في القرآن .
- القرآن وعلم النفس وإصلاح الإنسان نفسياً وروحياً .
- العلاقات بين المسلمين وغيرهم من الشعوب في القرآن .
- القصص القرآني وأهدافه التربوية والاعلامية .
- التربية في القرآن الكريم .

ان دراسة هذه الجوانب وغيرها على ضوء العلوم الحديثة يمكن أن يقدم للناس خدمة جليلة تثبت إيمانهم وتعرفهم بجوهر الدين واهدافه وغاياته السامية .

كما أنها تقدم لرجال الدعوة والاعلام ، مادة وافرة وخصبة تخدم الحياة وتحقق اهدافهم في الاعلام والدعوة لخير هذا الدين ، كما تقدم اجوبة شافية للرد على الاسئلة التي تثار في العقول بالنسبة للحياة المعاصرة وموقفها من الدين وخاصة عند الشباب .

يقول تعالى في تنزيل القرآن :

﴿ لكن اللّٰه يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى باللّٰه شهيداً ﴾ [النساء : ١٦٦] .

وفي القرن السابع الميلادي ، والعالم كما بيّنا في الفصل السابق يعتنق عقائد ومذاهب مختلفة ذهب جوهرها وبقيت قشورها التي تصارع الناس حولها واختلفوا . . وحين سادت نظم سياسية واجتماعية واقتصادية جائرة ممعنة في قسوتها وظلمها . . في هذا القرن انزل اللّٰه تبارك وتعالى القرآن ، على رسوله محمد بن عبد اللّٰه صلى اللّٰه

عليه وسلم بمكة في قلب صحراء العرب المنعزلة في واد غير ذي زرع ولا يجد المرء كلمات أفضل لتصوير هذا الحادث العظيم الشأن ، الجليل القدر في نتائجه وآثاره أفضل من قول العزيز الحكيم :

﴿ كتاب انزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد . . ﴾ [إبراهيم : ١] .

ومن قوله تعالى :

﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً ﴾ [الاسراء : ٩] .

والحديث عن إخراج الناس من الظلمات إلى النور تعبير رمزي على أعظم درجة من الأمانة والبلاغة في تصوير حال العالم كله وتخبطه في الظلمات وما يبشر به من النور الذي سيخرج إليه بالقرآن .

كما أن الحديث عن الهداية إلى الأقوم في كل أمر هو حديث عن بلوغ المثل الأعلى الذي يعد به القرآن الكريم المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالنسبة لما يأخذون أو يدعون من أمور الحياة .

الأدلة على أن القرآن من عند الله تعالى :

ويزعم بعض المستشرقين أنه من كلام محمد ، وقد تصدى لدحض أقوالهم كثيرون من علماء المسلمين .

وفي هذا المقام فإننا نكتفي ببعض الأدلة التي تؤكد بالدليل العقلي والمنطق أن القرآن الكريم منزل من لدن رب العالمين . . وأنه ليس من كلام أحد من البشر . . لأنه لا قدرة لأحد من البشر على ما ورد به من آيات بينات تعرض ماضي البشرية وحاضرها . . وتتنبأ بمستقبلها على هذا النحو من الصدق والبلاغة والاعجاز .

ومن الآيتين اللتين أوردناهما في صدر هذا الفصل ، قلنا أن القرآن بشّر الناس بأنه مخرجهم من الظلمات إلى النور ، وانه سوف يهديهم إلى الأقوم أو المثل الأعلى

في كـل أمر ، ومن المعـروف أن هاتين الآيتين انـزلتـا بمكـة ، حيث واجهت دعـوة الإسلام الصد والعناد من قريش وكان المسلمون قلة قليلة في حالة ضعف وضيق لا تبشر بأمل ،ولا تسمح لبشر أن يتنبأ بمستقبل الحياة العـظيم الذي وعـدت به هـاتان الآيتان ، وان اللّه تعالى الّذي يعلم الغيب ويقدره وهو وحده القـادر على صنع هـذا المستقبل الرائع .

والسؤال الذي يطرح نفسه ، هل تحقق هذا المستقبل الذي بشرت بـه هاتـان الآيتان؟ ومن الخير أن نلتمس الإجابة على هذا السؤال من أقوال شخصيات علمية تزن ما تقول بالميزان العلمي الدقيق . . ومن الخير أيضاً ان تكون هذه الشخصيات على غير دين الإسلام حتى تتجرد من الهوى ولا تتهم بالميل ونقدم في هذا المجال أقوالاً ثلاثة :

أولاً : ما قاله الدكتور غوستاف لوبون في مؤلفه عن حضارة العرب إذ يقرر :

« كانت الأمم الاغريقية والآسيوية ، وقت ظهور محمد قد فقدت مثلها العليا ، فلم يبق لحب الوطن وعبادة الآلهة اثر في نفوس ابنائهـا ، وكانت الأثـرة كل مـا في قلوب الناس . وقد استطاع محمد ان يبدع مثلاً عالياً قوياً للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا ، وفي ذلك الإبداع تتجلى عظمة محمد ، ولـم يلبث الإسلام أن منح الشعوب التي خضعت لسلطانه مصالح مشتركة وآمالاً مشتركة موجهاً بذلك جهودهـا نحو غرض واحد مع انها كانت ذات مصالح مختلفة قبل ذلك ؛ هذا الغرض هو عبادة اللّه والعمل بأوامره لتحقيق الحياة الفاضلة والمثل الأعلى من كل أمر» .

فنحن إذن باعتراف هذا المؤرخ الغربي إزاء عصر المثل العليا والأقوم في كل أمر كما جاء بالآية المباركة وتحقيق هذا العالم والتنبوء به يتجاوز قدرة أي انسان .

ثانياً : ما ذكره الفيلسوف الاشتراكي المعاصر روجيه جارودي الذي يقول :

« لا يمكن تفسير سرعة التوسع العربي وتشعبه بالقوة الحربية ذلك أن العـرب المسلمين ، لم يكونوا في كل معاركهم الأكثر عدداً وعدة ولكن العامل الحاسم لهذا النصـر ، هو ان الفـاتح العـربي كان يجلب معـه إلى عـالم مستعبـد مقهـور مقـطع

الأوصال ، أشكالاً راقية من التنظيم الاقتصادي والعقائدي والاجتماعي ، تستند إلى قانون مكتوب ومقدس .

ان الفاتح العربي ، أضاف إلى العالم سمواً اخلاقياً يدور حول السماحة وسمواً عقلياً تدور حوله روح نقدية في مواجهة التعصب الاستبدادي الذي شاع في العالم » .

ألا يصور هذا مما وعد به القرآن من إخراج الناس من الظلمات إلى النور؟ وهل كان في وسع أحد أن يتنبأ بالمستقبل الذي تحقق على هذا النحو الرائع ؟ وهل كان بوسع محمد بن عبد اللّه الأمي الذي نشأ في مجتمع منعزل وسط صحراء جرداء أن يمد آفاق بصره إلى العالم كله ويتنبأ له بهذا المستقبل ؟ .

العقل والمنطق يقولان على وجه اليقين أن هذا فوق طاقة البشر وأنه لا يقدر عليه إلا الخالق العظيم الذي يعلم الغيب ويقدّره .

ثالثاً : ما ذكره عالم الرياضيات والفلك في هيئة أبحاث الفضاء الامريكية حيث يقول دكتور مايكل هارت :

« لقد جاء محمد في أول قائمة الخالدين من عظماء العالم لأنه هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستويين الديني والدنيوي ، وتبدو هذه الحقيقة أوضح ما تكون للناس بعد مرور اربعة عشر قرناً على حياته ولا أعرف غايات أكثر سمواً على هذين المستويين مما جاء به . من أجل ذلك أؤمن بأن محمداً هو أعظم الشخصيات أثراً في تاريخ البشر » .

هل كان بوسع محمد الأمي الذي لم تصله صلة ما بعلوم الناس وثقافتهم وحضارتهم أن يقيم هذا العالم الذي يتصف بالسمو الديني والدنيوي بغير عون إلهي [illegible] البشر ؟

ويصدق فيه قول العزيز الحكيم :

﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان

ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] .

وقوله تعالى :

﴿ رسولاً يتلو عليكم آيات اللّٰه مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور ﴾ [الطلاق : ١١] .

تلك إذن إرادة اللّٰه ، وهذه آياته البينات تهب رسوله الأمين الحكمة والإيمان والنور ليهدي الناس ويخرجهم بإذنه من الظلمات إلى النور .

ودليل آخر يأتينا من واقع معترف به ، فأهل الأديان من يهود ومسيحيين يؤمنون أن التوراة قد أُنزلت على موسىٰ عليه السلام وأن الإنجيل أوحي به إلى عيسىٰ عليه السلام . فأية غرابة يرونها في نزول القرآن على رسول الإسلام الذي صنع به هذا العالم المتصف بالكمال والسمو ما دامت السوابق المعترف بها تشهد بأن اللّٰه ينزل كلماته وآياته على من يصطفي من عباده ليبلغ لخلقه آياته ويوجههم إلى طريق الخير والصلاح ، وقبل موسى وعيسى عليهما السلام يعترفون بأن الزبور أنزل على داود عليه السلام والصحف انزلت على إبراهيم عليه السلام .

وبعد ، فقد كانت حياة محمد قبل أن ينزل القرآن حياة اتصفت بالصدق والأمانة ، ومن كانت هذه صفاته التي عرف واشتهر بها لا يمكن ان ينقلب بين يوم وليلة مدعياً ما ليس بصدق ، مفرطاً في صفات اتصف بها طوال اربعين عاماً ، وكانت موضع تكريم وفخار له .

ويقدم الدكتور محمد عبد اللّٰه دراز في مؤلفه « النبأ العظيم » أمثلة ذات دلالة واضحة عن مبلغ صدقه وأمانته في دعوى الوحي ، وإنه لم يكن يأتي بشيء من القرآن من تلقاء نفسه فيقول :

ــ إنه كانت تنزل به نوازل من شأنها أن تحفزه إلى القول وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم ، بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالاً ومجالاً ولكن كانت تمضي الليالي والأيام تتبعها الليالي والأيام ولا يجد في شأنها قرآناً يقرؤه على الناس . فقد

أرجف المنافقون بحديث الأفك عن زوجه عائشة رضي الله عنها ، وأبطأ الوحي وطال الأمر والناس يخوضون فيه حتى بلغت القلوب الحناجر وكلما سئل كان يقول بكل تحفظ واحتراس : « إني لا أعلم من الأمر شيئاً » ثم إنه بعد أن بذل جهده في التحدي والسؤال، والكل يقولون ما علمنا عليها من سوء، ويمضي شهر وبعض الشهر ويقول لعائشة : «يا عائشة إما انه بلغني كذا وكذا ـ مما يقول الناس ـ فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله » . هذا كلامه بوحي ضميره وهو كما ترى كلام البشر وكلام الذي لا يتبع الظن ولا يقول ما ليس له به علم ، ثم انه لم يغادر مكانه بعد ان قال هذه الكلمات حتى نزل صدر سورة النور معلناً براءتها ومصدراً الحكم بشرفها وطهارتها (الحديث أخرجه الشيخان) .

فماذا كان يمنعه لو ان أمر القرآن إليه أن يقول هذه الكلمة الحاسمة من قبل ليحمي عرضه ويذب عن شرفه ويقطع ألسن المتخرصين ، ولكنه ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله .

ومثال آخر يقدمه لنا الدكتور محمد عبد الله دراز ، يقول :

كان يجيئه القول في مناسبات أخرى ، على غير ما يحب ويهواه ، فيخطئه في الرأي يراه ويأذن له في الشيء لا يميل إليه ، فإذا تلبث فيه يسيراً تلقاه القرآن بالتعنيف الشديد والعتاب القاسي والنقد المر حتى في أقل الأشياء خطراً: مثل قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك ﴾ [سورة التحريم : ١] ، وقوله تعالى : ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، وقوله عز وجل : ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ﴾ [التوبة : ١١٣] ، وقوله تعالى معاتباً رسوله في إقباله على رجل مشرك وإعراضه عن رجل مؤمن : ﴿ أما من استغنىٰ * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعىٰ * وهو يخشىٰ * فأنت عنه تلهىٰ ﴾ [سورة عبس : ٥ ـ ١٠] ، وكذلك كان العتاب في أسرىٰ بدر .

أرأيت لو كانت هذه التقريعات المؤلمة صادرة عن وجدانه ، معبرة عن ندمه ووخز ضميره ، حين بدا له خلاف ما فرط من رأيه ، أكان يعلنها عن نفسه بهذا

التهويل والتشنيع ألم يكن له من السكوت عنها ستر على نفسه واستبقاء لحرمة آرائه .

ويستطرَد الدكتور دراز ، في تفسير هذه الظاهرة ، فيقول : وأنت لو نظرت في هذه الذنوب التي وقع العتاب عليها ، لوجدتها تنحصر في شيء واحد ، هو أنه عليه السلام كان إذا ترجح بين امرين ولم يجد فيهما إثماً اختار اقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه وتأليف خصمه وأبعدها عن الغلظة والجفاء ، ولم يكن لديه نص يخالفه . كل ذنبه أنه مجتهد بذل وسعه في النظر ورأى نفسه مخيراً فاختار ؛ على ان الذي اختاره كان خير ما يختاره ذو حكمة بشرية ثم يأتي القرآن لينبهه إلى ما هو ارجح في ميزان الحكمة الإلهية .

ثم ينزل قوله تعالى : ﴿ وان تبدو ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به اللّٰه ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٤] فأزعجت هذه الآية الصحابة إزعاجاً شديداً لأنهم فهموا منها انهم سيحاسبون على كل شيء حتى حركات القلوب وخطراتها فقالوا : يا رسول اللّٰه انزلت علينا هذه الآية ولا نطيقها . فقال لهم : « أتريدون ان تقولوا كما قال أهل الكتاب من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » فجعلوا يتضرعون بهذه الدعوات أياماً حتى أنزل اللّٰه تعالى بيانها بقوله عز وجل : ﴿ لا يكلف اللّٰه نفساً إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وموضع الشاهد من ذلك أن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم لو كان يعلم تأويلها من أول الأمر لبين لهم خطأهم ولم يكن يتركهم في هذا الهلع الذي كاد يخلع قلوبهم وهو بهم رؤوف رحيم ، ولكنه كان مثلهم ينتظر تأويلها ولأمر ما أسر اللّٰه عنهم هذا البيان ، ولأمر ما وضع حرف التراخي في قوله تعالى : ﴿ ثم ان علينا بيانه ﴾ [سورة القيامة : ١٩] .

وكان حين ينزل القرآن في أول عهده بالوحي يتلقفه متعجلاً فيحرك به لسانه وشفتيه طلباً لحفظه وخشية ضياعه من صدره ، ولم يكن ذلك معروفاً من عادته في تحضير الكلام ، لا قبل دعواه النبوة ولا بعدها ، ولو كان ذلك من عادة العرب ، ويأتيه الوحي يقول اللّٰه تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ [القيامة : ١٦] ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضىٰ إليك وحيه وقل رب زدني علماً ﴾ [سورة طه : ١١٤] فلو كان القرآن من نفسه لجرىٰ على سنة كلامه ولكنه كان أمام تعليم يفاجئه وقتياً ويلم به سريعاً .

وفي سنوات الدعوة بمكة ، شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اعراض قومه عن الاستماع للقرآن ، كما صدوا الناس عن الاصغاء له ، واضطهدوا الفئة القليلة التي آمنت به ، وتنزل تلك الآية : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ [سورة المائدة : ٦٧] . ويرى أصحاب الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحرسه بالليل بعض أصحابه فلما نزلت هذه الآية خرج وقال لأصحابه : « يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله » فانصرفوا ، فهل كان بوسع رسول الله ان يفعل ذلك ويأمر حرسه بالانصراف لو كان القرآن من عنده وليس من عند الله ، وهو يعلم ان الوثنيين يطلبون دمه ويتربصون بحياته وليس بجانبه من يدافع عنه . ان العقل يرفض هذا الزعم لأول وهلة ، لأن الإنسان لا يكذب على نفسه ويجاذف بحياته .

ويجمع علماء اللغة إلى أن أسلوب الآيات القرآنية يختلف اختلافاً كبيراً عن الأحاديث النبوية ، ولا يمكن أن يكون للرجل اسلوبان يقوم بينهما مثل هذا الاختلاف الواسع ؛ فالآيات القرآنية في قمّة البلاغة والفصاحة حتى يتحدى الله العرب قاطبة وهم أهل بلاغة وفصاحة أن يأتوا بسورة مثله ، ويؤكد هذا التحدي في الحاضر والمستقبل فيقول عز وجل : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ [البقرة : ٢٤]. ويمضي عصر نزول القرآن وتأتي عصور بعدها عصور والتحدي قائم مستمر وتعجز كل الأجيال المتعاقبة عن التحدي إلى يومنا هذا وتظل عاجزة إلى أن يشاء الله .

وبهذا يظل القرآن الكريم ، المنزل من الله العلي العظيم ، في بلاغته وأسلوبه ، في تنبوءاته الصادقات ، وفي تشريعاته الحكيمة الخالدة ، وفي كل ما استحدث من أساليب وحقائق ، وما توجه به من دعوات للناس تحضهم على الخير وتصرفهم عن الشر ، وفي كل ما بشر به وأنذر يظل معجزة المعجزات ، ينأى عن قدرة الانس والجن لأنها تنزيل من لدن عزيز قدير حكيم لا تتسامى إلى مقامه وقدرته قدرة أحد من خلقه .

ويقول المرحوم الاستاذ محمد فريد وجدي في ذلك : « ولا مشاحة في أن

القرآن فصيح قد اخرس بفصاحته فرسان الخطابة وقادة البلاغة، وهو حكيم بهر الفلاسفة، وهو حق الزم كل ضال الحجة، وهو هدى وشفاء لما في الصدور وكل هذه الصفات جليلة تؤثر في العقل والشعور والعواطف والميول فتحكم فيها تحكم المالك في ملكه ، ولكنه فوق ذلك روح من أمر اللّه تصل من روح الانسان إلى حيث لا تصل إليه أشعة البلاغة والبيان .

هذه الروحانية تظهر جلياً عندما تكون آية من آياته جاءت على سبيل الاستشهاد والاقتباس في صفحة كبيرة ، فإنك ترى تلك تتجلى لك من بين السطور وخلال التراكيب كأنها الشمس في رائعة النهار مهما كانت درجة تلك الصفحة من البيان ومنزلتها من جمال الاسلوب وجزالة الالفاظ » .

* * *

مدة نزول القرآن :

أما مدة نزول القرآن فقد ذكر أبو الحسن علي بن الواحدي النيسابوري في « أسباب النزول » عن حديث ينتهي إلى الحسن : أن نزول القرآن كان بين أوله وآخره ثلاث وعشرين سنة ، أنزل عليه بمكة ثماني سنين قبل الهجرة ، وبالمدينة عشر سنين تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ [الإسراء : ١٠٦] .

وقد تباينت أهداف آياته المنزلة بمكة عنها في المدينة ولم يفرط في مجمله في شيء وتناول كل ما يخطر على بال الإنسان من قضايا عقائدية واجتماعية وفكرية واقتصادية تقدم أكمل الحلول لبناء مجتمع الإنسان على أسس سليمة ، كما عرض الحياة الآخرة وحبب إليها مخاطباً العقل والوجدان بأبلغ وأجمل بيان ، مما نعرض له في الفصول التالية .

القرآن والاسلام

﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي
ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ [سورة المائدة : ٣]

في الحديث عن نظرية الاعلام ، ذكرنا أن العملية الاعلامية تبدأ بفكرة أو رأي معين أو موضوع خاص ، وتكون وظيفة الاعلام تبليغ الفكرة أو الرأي أو الموضوع بوسائله وأساليبه المختلفة ، لتحقيق أهداف متحددة ، تعمل على اعتناق المستقبل للاعلام ، للفكرة أو الرأي أو الموضوع المطروح عليه ويسلك السلوك المناسب الذي يتفق مع ما تدعو إليه الفكرة أو الرأي أو الموضوع . ويكون الاعلام ناجحاً إذا كانت إستجابة الجماهير تامة وسريعة ، ويكون هذا النجاح نسبياً إذا قل أو كثر عدد المستجيبين له من الجماهير ، ويكون الفشل إذا لم تتحقق هذه الاستجابة .

وقد رأينا في الفصل السابق أن الله تبارك وتعالى أمر رسوله بأن يبلغ رسالته للناس بقوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ﴾ [سورة المائدة : ٦٧] ، ومن الواضح أن هذه الرسالة كانت الإسلام كدين ونعمة كبرى اتمها الله تعالى على عباده .

فكرة الإسلام :

والإسلام الذي جاء به القرآن ، يتجاوز حدود الفكر أو الرأي أو الموضوع الخاص ، لأنه يتسع ليشمل حياة البشرية في الماضي والحاضر والمستقبل بل ينفذ من الحياة الدنيا إلى الحياة الأخرى ، فيرسم للإنسانية صورة بالغة الدقة والدلالة ليحفزها على الإيمان والعمل الصالح الخير ، ويحذرها من مخالفة ما أمر الله به ومن الأعمال الشريرة والفواحش التي تشوه وجه الحياة وتصنع الشقاء والتعاسة للناس .

وإذا كان من الصعب والعسير ، ان نحيط بكل ما جاء بالقرآن في شأن الإسلام وما دعا إليه ، فإننا نرى ، ونحن بصدد الحديث عن تبليغ رسالة الإسلام للناس والاعلام عنها ، انه من الضروري أن نبين في هذا الباب ، أهم ما جاء به الإسلام من قيم الخير لصالح البشرية وهدايتها وتقدمها ونعرض لما وجهنا إليه من وسائل وأساليب للدعوة إليها والاعلام عنها . ونقتصر في هذا الباب على القيم التي تعتز بها الحياة الإنسانية وتزداد بها خصباً وثراء .

القيم في الإسلام :

الإيمان :

وأول هذه القيم الإيمان الذي ينظم عمل الإنسان وفكره وسلوكه ، فلا يقبل عمل بغير إيمان فيقول تعالى في القرآن الكريم : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [سورة النحل : ٩٧] - وكل عمل أو فكر أخرج الإيمان بالله من حياة الإنسان يعتبر عملاً باطلاً يقود إلى الضلال .

ويتسع الإيمان في الإسلام ليشمل الإيمان بالله ووحدانيته وقدرته التي لا تحدها حدود ، كذلك يشمل الإيمان بالملائكة وكتب الله المنزلة على رسله ، كما يشمل الإيمان برسل الله جميعاً لا تفريق بين رسول ورسول ، والإيمان بالحياة الأخرى التي يجزي كل إنسان نيها عما قدم من أعمال في الدنيا .

ويترتب على هذا الشمول ، قيام العقيدة والدين ، بوظيفتها في تقويم الحياة البشرية لتمضي في الاتجاه الذي وجهها الله تعالى إليه ، وهو التوجيه الذي يقودها إلى العمل الصالح والخير والتقدم .

وقد لعب هذا الإيمان في حياة المسلمين أول عهد الدنيا بالإسلام دوراً هاماً في نقل القبائل العربية التي عاشت قروناً طوالاً متفرقة متصارعة ، من التفرق والصراع إلى الوحدة ، ومن الأنانية والعدوان إلى التكافل والتعاون ، واستحضر المسلمون الأوائل إيمانهم بالله في كل وقت من أوقاتهم ، فعصمهم من الانحراف وقادهم على

طريق الخير والفضيلة ، وبالإيمان بما وعد الله المجاهدين في سبيله حقق المسلمون الأوائل انتصارات كبيرة على قوى أكثر منهم عدة وعدداً وكانت أقرب إلى الحضارة وأكثر أصالة في التاريخ .

ويحقق هذا الإيمان في نفس المسلمين التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة المجموع على نحو فريد ومثالي . . وتتعدد الأمثلة من حياة المسلمين على أول عهدهم بالإسلام على تمكن الإيمان واستحضار الله في حياتهم ، فهم ينهضون إلى الصلاة خمس مرات في كل يوم من الصباح الباكر قبل أن تشرق الشمس إلى غروبها وفي الجزء الأول من الليل ، وفي كل صلاة من الصلوات الخمس ، يتوجه المسلم بالحمد إلى ربه الرحمن الرحيم . . الذي يبعث الناس بعد موتهم ويملك يوم الدين ثم يدعو الله ان يهديه إلى طريق الخير المستقيم . فهذا الاستحضار والدعاء جعل الدين منظماً ومراقباً لسلوك الإنسان واعماله في كل وقت من الأوقات بالليل والنهار وعلى امتداد حياته كلها .

ومن الأمثلة التي تروى على تأصل هذا الشعور في نفس المسلم ما ورد من عهد الخليفة عمر ثاني خلفاء المسلمين بعد رسول الله ان امرأة أرادت أن تخلط اللبن بالماء قبل أن تبيعه ورأتها ابنتها فقالت لها الفتاة بأن الإسلام يمنع هذا الغش وقد أمر أمير المؤمنين الناس ان يمتنعوا عن غش اللبن .

قالت الأم : أين نحن من أمير المؤمنين الآن ؟ . . . وأنى له أن يرانا وهو نائم في بيته ونحن في بيتنا .

قالت الفتاة : إن كان امير المؤمنين لا يرانا ، فإن الله يرانا .

والإيمان في الإسلام يحقق التوازن والسلام الاجتماعي ، فالإيمان بالله وبما أمر به من عدل وإحسان وعمل صالح وخلق خير وعفو وتسامح وطهارة وأخوة ، وتواضع قد حقق كمال الفرد بدنياً ونفسياً واجتماعياً فتوازنت فيه كل نوازع النفس .

ولا يعني هذا بأي حال من الأحوال ، إهدار الحياة الدنيوية أو إهمالها لأن الله كما وضح الإسلام خلق الانسان ليعيش هذه الحياة ويتمتع بطيباتها دون إسراف أو

تبذير ودون شح أو تقتير . . فيقول اللّه تعالى في القرآن : ﴿ وابتغ فيما أتاك اللّه الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن اللّه إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن اللّه لا يحب المفسدين ﴾ [سورة القصص : ٧٧] .

ويتحدث رسول الإسلام عن الوظيفة الاجتماعية للإيمان وارتباط الإيمان بما يؤكد أهداف الاجماع البشري فيقول : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

ويعد اللّه تعالى في كتابه العزيز المؤمنين الذين عملوا الصالحات بخلافة الأرض وتولّي الأمر عليها فيقول جل شأنه : ﴿ وعد اللّه الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ [سورة النور آية ٥٥] .

وكان إيمان المسلمين في أول عهد العالم بالإسلام بهذا الوعد الإلهي وراء كل انتصاراتهم وثقتهم بأنفسهم فمكنتهم من هزيمة المشركين من قريش الذين ملكوا المال والسلاح والعدد على أرض شبه الجزيرة العربية ، ومن هزيمة جيوش الامبراطورية البيزنطية وجيوش امبراطورية الفرس بعد ذلك .

تحصيل الإيمــان :

إذا كانت هذه منزلة الإيمان فمن الواجب أن نتحدث عن نظرية الإسلام في تحصيل الإنسان للإيمان وكيف يتوصل إليه ليصل نفسه باللّه تعالى وبما يأمر من خير وعدل وإحسان ، وما يعد به الإنسان من رحمة وخير في الدنيا والآخرة .

هنا نفرق بين فريقين من الناس ، عامتهم وهؤلاء يأتيهم إيمانهم سهلاً لأنهم ينشئون على ما نشأ عليه آباؤهم ، ثم يستقر هذا الإيمان في نفوسهم لا يتزعزع ولا تصاحبه حيرة فهو راسخ متين ، يملأ القلب وتطمئن إليه النفس ، ويجعله يتحمل الشدة والنعمة شاكراً ، يصبر على ما تأتيه به الحياة ولا ييأس أبداً من رحمة اللّه التي لا يقنط منها أبداً ، واللّه عنده عون لمن لا عون له ، وهو يراه في كل شيء ويحس به في كل وقت ، واللّه تعالى عنده هو الغاية في كل شيء ، في الجلال والعظمة ،

والبأس والقوة ، في العدل والحكمة في الخير والرحمة وغير ذلك من الغايات الخيرة الفاضلة السامية .

وهناك بعد ذلك إيمان الخاصة ، الذين لا يؤمنون إلا عن اقتناع وتفكير وهم يقيسون كل ما يعتقدون بمقياس العقل والمنطق - والإسلام لم يرفض مذهب هؤلاء بل دعا إليه ، حتى اشتملت الفلسفة الإسلامية على حيز كبير في إثبات وجود الله والإيمان به عن طريق العقل والمنطق - ولم يكن ذلك حق رجال الدين وحدهم ، بل ان كل فلاسفة الإسلام قد شغلوا بهذا الأمر وكتبوا فيه وحققوا في تاريخ الفكر والفلسفة البشرية أعظم محاولة ناجحة للتوفيق بين العلم والإيمان الذي يدعو إليه الدين .

واتجه فريق من المسلمين إلى إدراك هذه الحقيقة عن طريق الإلهام والقلب ، فهم يرون أن القلب مقر المناجاة النفسية ومركز الإشراق والإلهام بشرط ان تصفو نفس الإنسان وتتجرد للإدراك عن طريق الإلهام . وهؤلاء هم فريق المتصوفين الذين يؤمنون بالعاطفة القوية المشعة بالنور ويضعونها مكان العقل في إدراك ما لا يدرك وبهذا يتم الإيمان بالله عندهم . انهم يعلمون أن الحواس عاجزة عن رؤية الله لأنه غير مجسم وهم يرون ان العقل لا يرقى إلى الله لعجز الجزء عن الاحاطة بالكل ، ولا تبقى إلا المعرفة الذوقية التي تقوم على الإلهام والاتصال بالله والفناء فيه فإذا تحقق للإنسان ذلك أصبح في غير حاجة إلى البرهان العقلي على وجود الله ، بعد ان استقر الإيمان به في القلب .

والإيمان عند هذا الفريق من الصوفيين يعتمد على الذوق والتجربة الشخصية التي تقوم على أساس من الشعور والوجدان ؛ فهو ينبعث من داخل النفس ومن الباطن ، فيدرك الصوفي بالاحساس عظمة الله وجلاله ، ويصعب عليه ان يصور هذا الاحساس للآخرين ، وكل ما يستطيعه هو دعوتهم إلى الرجوع إلى داخل أنفسهم وباطنهم ليحسوا بما أحس ويدركوا بالإلهام ما ادرك . ولهؤلاء الصوفيين الذين يدركون الإيمان بالله عن طريق التجرد والإلهام والاتصال ، مكان في الفكر الإسلامي ، كذلك احتل أصحاب المذهب العقلي في إدراك هذا الإيمان مكاناً

هاماً ، وهم يستمدون موقفهم العقلي من دعوة الإسلام نفسها ، وما أنـزل بالقرآن الكريم ، من دعوة الإنسان إلى النظر في الأشياء لإدراك سر خلقها وتطورها حتى يهتدي إلى الله .

وفي هذا الشأن نرى عالم الاجتماع الإسلامي ابن خلدون يقول أن الإنسان يتميز عن الحيوان بالفكر الذي هو هبة من عند الله وان قدرة الإنسان على تخيل الذات الكاملة ، وقدرته على أن يميز الخطأ من الصواب تنبع من العقل الذي وهبه الله له دون سائر الكائنات .

وقد أيد هذا المذهب الفيلسوف الإسلامي ابن رشد ، فقال ان الإسلام قد طلب منا ان ننظر فيما هو موجود وان نعرفه بالعقل كمثل قوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ [الحشر : ٢] ومثل قولة تعالى : ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

ويقول ان الآيات التي توجب التأمل والنظر بالعقل لا تحصى في القرآن ، والله يوجب علينا اعتبار الموجودات ، ومعنى الاعتبار (التدبر) أي استنباط المجهول من المعلوم وهو ما يسمى بالقياس أي قياس المجهول بالمعلوم للوصول إلى نتيجة منطقية ومن هنا نشأ مذهب في الفلسفة الإسلامية يحث المسلمين على الإيمان بالله تعالى عن طريق العقل والبرهان .

ولا اعتقد أن المجال هنا يسمح بعرض آراء هؤلاء الفلاسفة ونكتفي بالإشارة إلى أنّ الإسلام لم يحرم النظر العقلي حتى بالنسبة لإدراك الوجود والإيمان بالخالق وان هذا الجزء الفلسفي لتحقيق هذا الإدراك قد احتل في الفلسفة الإسلامية مساحة كبيرة .

وقد أوجز أحد أئمة الإسلام الشيخ محمد عبده ما انتهت إليه الفلسفة الإسلامية في هذا المجال بقوله أن وحدة الكون وانتظامه على هذا النحو الملموس في الكون يقتضي وجود خالق قدير حكيم لا تصل إليه قدرة أو حكمة . وفيما يتصل بالتصديق برسالة محمد رسول الإسلام إلى الناس ، يقول الإمام محمد عبده أن

سبيلنا إلى ذلك هو العقل أيضاً ، فلم تكن هناك في حياة محمد رسول الله خوارق أو معجزات تستدعي إيمان الناس ، ولكنه جاء بالقرآن الكريم الذي أوحي إليه من ربه ، لهداية الناس إلى الخير في كل أمر من أمور حياتهم وآخرتهم ، وموضحاً للنظام العام للحياة والكون وهو نظام محكم لم يصبه الوهن أو الاختلال من أي سبيل مع تعاقب الأيام والسنين والقرون . وقد كان اتباع العرب والمسلمين لهذا القرآن ، وراء وحدتهم ونهضتهم الخلقية والاجتماعية والثقافية ، كما كان وراء انتصاراتهم على غيرهم من الشعوب ، وكان محتوياً على كل القيم التي سمت بها حياتهم من كل جوانبها فأسسوا حضارتهم التي أنارت العالم طوال ستة قرون .

وتبقى في هذا الباب كلمة أخيرة تتصل بالإيمان وموقف العلم الحديث منه ونظرة الفكر العلمي إليه في هذا العصر ، ومن حسن الحظ ان بعض كبار العلماء في الولايات المتحدة قد كفونا مشقة الحديث الطويل في هذا المجال حين تصدى عدد من اساتذة الجامعات مي شتى العلوم بالولايات المتحدة ونشروا رأيهم في هذا الموضوع في كتاب عنوانه « الله يتجلى في عصر العلم » (The evidence of god in our expanding universe) . ومحور الكتاب يدور حول سؤال وجهه الناشر إلى هؤلاء العلماء، يقول السؤال: هل تعتقد في وجود الله وكيف دلتك دراستك وبحوثك عليه؟ وقد أثبتت إجابتهم التالي :

ـ اعترف علماء الطبيعة أن قوانين الديناميكا الحرارية تؤكد انه لا بد ان يكون لهذا الكون بداية . فإذا كان للكون بداية فلا بد من يبتدىء من صفاته العقل والإرادة واللانهاية ، وأن هذا الخالق غير مادي حتى تختلف طبيعته عن طبيعة المادة المكونة من ذرات وشحنات ليست أبدية وادراك الخالق يكون باستخدام العنصر غير المادي فينا بالعقل والبصيرة .

ـ ان فروع الطبيعة تثبت ان هناك نظاماً معجزاً يسود هذا الكون أساسه سنن وقوانين كونية ثابتة ، يكشف العلماء عنها رويداً رويداً ان هذا النظام البديع لا بد له من منظم هو الحكيم القدير الخبير .

ـ ان الأرض بالذات هيئت على احسن صورة لتكون صالحة للحياة ، وليس

من المعقول ان يكون ذلك مجرد مصادفة أو خبط عشواء ، وتؤكد الدراسة انه لو كانت الأرض صغيرة كالقمر لعجزت عن احتفاظها بالغلافين الجوي والمائي ، ولصارت درجة الحرارة مؤدية إلى موت الكائنات عليها .

ـ ولو كان قطر الأرض أكبر لتضاعفت مساحة سطحها وأصبحت جاذبيتها للأجسام عليها أكبر مما يؤثر على الحياة وتتسع مساحة المناطق الباردة وتنقص مساحة الأراضي الصالحة للحياة . وعلى هذا فإن الأرض بحجمها وبعدها الحاليين عن الشمس وسرعتها في مدارها تهيىء للانسان اسباب الحياة والإستمتاع . ولا بد ان يكون كل ذلك قد نشأ بحكمة وتصميم ، كما يستحيل على المصادفة ان تحقق هذا النظام المحكم .

ـ ان جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته وعندما نقوم نحن العلماء (الحديث هنا للدكتور ميريت ستانلي كونجدن استاذ بكلية تربيني بفلوريدا) بتحليل ظواهر هذا الكون ودراستها حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار صنع الخالق وعظمته ، ذلك هو الله الذي لا نستطيع أن نصل إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ، ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود وليست العلوم الا دراسة خلق الله وآثار قدرته .

ـ وفي هذا يقول القرآن الكريم كتاب الإسلام الذي أنزل على رسول الله محمد . ﴿ أمن خلق السماوات والأرض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم ان تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون ﴾ [سورة النمل آية ٦٠] ـ وقوله تعالى ﴿ أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [النمل : ٦١] .

ـ ان علوم الكيمياء تشير إلى أن بعض المواد في سبيل الزوال أو الفناء والبعض الآخر يسير نحو الفناء بسرعة ضئيلة أو بسرعة كبيرة ، فالمادة ليست أبدية أو أزلية ؛ إذ أن لها بداية . وتدل الشواهد في الكيمياء وغيرها من العلوم الطبيعية ان بداية المادة لم تكن بطيئة او تدريجية بل وجدت بصورة فجائية وتستطيع البراهين العلمية تحديد

الوقت الذي نشأت فيه . وعلى هذا فإن هذا العالم المادي لا بد ان يكون مخلوقاً وهو منذ خلق يخضع لقوانين وسنن محددة ليس لعنصر المصادفة دخل فيها . فإذا كان هذا العالم المادي عاجزاً عن ان يخلق نفسه او يحدد القوانين التي يخضع لها فإن ذلك يقودنا إلى الإيمان بأن هذا العالم قد تم بقدرة كائن غير مادي يتصف الخالق بالعقل والحكمة التي لا تحدها حدود .

ـ ان الإيمان بالله مصدر سعادة لا تحد في حياة كثير من البشر ، ويزداد إيمانهم كلما تأملوا أنفسهم ، من الميلاد حتى الموت ومن خلال المرض والصحة والنجاح والاخفاق . ان كل اكتشاف جديد للنفس واطوارها يدعم الإيمان بالله وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن المنزل على رسوله محمد ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ﴾ [سورة فصلت : ٥٣] .

ـ يعترف كثير من الأطباء انه خلال ممارستهم لعلاج المرضى ، وجدوا ان الإيمان بالله يكون جزءاً عاماً من العلاج من الأمراض النفسية والبدنية ويعترفون بأن الجسم الإنساني يصبح على افضل ما يمكن من الاتزان الذي يقربه من الشفاء عندما يكون الانسان على وفاق مع خالقه وبدون ذلك يكون معرضاً للاضطراب والمرض .

ـ ويصرح ماكس بلانك العالم الطبيعي الذي فتح الطريق إلى اسرار الذرة « ان الدين والعلوم الطبيعية يقاتلان معاً في حركة مشتركة ضد الشك والجحود والخرافة وستظل الصيحة الجامعة في هذا . . الحروب وسوف تكون دائماً إلى الله » .

ـ ان الإيمان بالله واستحضاره في نفس الانسان ، هو الذي يحفظ للبشرية أمنها وسلامها ، وسط هذا الصراع الذي تحتفظ فيه كل الدول بقنابل وأدوات كثيرة للدمار الشامل تكفي لتدمير العالم مرات عديدة وهو أمر قد يغري به الالحاد حين يسعى لإثبات قوته او للتنفيس عما في نفسه من كراهية لعالم الإيمان فيكون ذلك دمار العالم والحياة على الأرض .

وينبغي أن نرد انكار الله وشيوع الإلحاد في عالمنا ، إلى أسبابه الحقيقية وما يسود العالم من بلبلة تحدثها المنظمات الفوضوية والإلحادية والسياسات التي تعتمد على عقائد مادية وكلها تهدف إلى محاربة الإيمان بالله لأنه يتعارض مع مبادىء

ومبررات وجودها ويهددها من الأساس .

ونختم هذا الفصل ، بتعريف شامل جامع لوصف الإيمان والمؤمنين في القرآن الكريم كتاب الإسلام ودستوره العظيم . . يقول تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون * الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون * اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ [سورة الأنفال : ٢ ـ ٤] .

المســاواة :

يمكن القول انه عند ظهور الإسلام ، كانت البشرية كلها تعاني من التفرقة بين ابنائها سواء على المستوى العام أو على المستوى الخاص لكل شعب او أمة وكانت التفرقة بين الناس تستمد اسبابها من سيادة مبدأ القوة والقهر وتحكم القوي في الضعيف تحكماً يصل إلى حدود الرق والعبودية ، وقد أدت الحروب والصراعات المختلفة في كل مكان من المعمورة إلى تكوين طبقة العبيد من الأسرى نتيجة الحروب ونتيجة لعمليات السلب والنهب التي تعدت الأموال إلى الأفراد .

كذلك كانت هناك تفرقة طبقية تستمد أسبابها من امتيازات تقررت على مدى التاريخ لبعض الطبقات كرجال الدين والحكم وغيرهم وكانت هذه الحقوق تتوارث ، فيرثها الابن عن ابيه واجداده . وفي البلاد القديمة كبلاد الاغريق والرومان كانت اعداد العبيد اضعاف اعداد الأحرار .

ولم يعرف العالم الغربي مبدأ المساواة الا على صوت فلاسفة الثورة الفرنسية في القرن السابع عشر وما بعدها ، ومن فرنسا انتقلت فكرة المساواة إلى بلاد اوروبا مع تفاوت زمني بينها كان آخرها ما حدث اثناء الثورة البلشفية في عام ١٩١٧ التي رفعت شعارات مختلفة لتحقيق المساواة بين افراد المجتمع ، واستخدمت من أجله الصراع الدموي وقضت على بعض الطبقات التي تميزت على غيرها في الماضي ، ولم تمض سوى سنوات حتى اصبح اعضاء الحزب يمثلون طبقة جديدة تحتل منزلة متقدمة بين افراد الشعب على المستويين الاجتماعي والاقتصادي ، ونسيت شعارات المساواة .

ولم يتح لكثير من الدارسين وخاصة في دول اوروبا وأمريكا معرفة دور الإسلام في إقرار مبدأ المساواة وتطبيقه باعتباره قيمة حيوية يدعو إليها القرآن وتنبع أساساً من العقيدة الإسلامية ، وسوف يعلم هؤلاء اذا اتيحت لهم معرفة الإسلام ان يدركوا ان المساواة بين البشر قيمة قررها الإسلام قبل الثورة الفرنسية بألف عام تقريباً ، كما انه طبقها تطبيقاً عملياً لا نجده في اي نظام آخر .

فالقرآن يقرر أن جميع بني البشر من أصل واحد وان تفرقوا شعوباً وأجناساً وألواناً فهم جميعاً ابناء أب واحد وام واحدة ، اشتركوا جميعاً في عملية واحدة للخلق حين يمرون في اطوار واحدة لا فرق بين انسان وآخر .

وإذا كانوا يتفقون ويتساوون في البداية عند الميلاد ، فإنهم جميعاً ينتهون إلى مصير واحد بالموت .

يقول الله تبارك وتعالى في القرآن : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء ﴾[سورة النساء : ١] ثم يقول في آية أخرى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ﴾ [سورة الحجرات : ١٣]. وحين تشير هذه الآية إلى المساواة في النشأة فإنها تحدد هدفاً من أهداف الخلق ، وهو التعارف والتعاون ، على مستوى الأفراد والشعوب ، باعتبارهم أبناء أسرة واحدة .

ويذكر رسول الإسلام محمد بطريقة واضحة هذه القيمة فيقول : « انه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى أو بعمل صالح كلكم لآدم وآدم من تراب » هنا تأكيد لوحدة الأصل ، التي تؤكد المساواة بوحدة التكوين والخلق ، ثم يكون التفاضل بين الأفراد مرتبطاً بالعمل والتقوى ، والتقوى تعني العمل بما أمر الله ، والابتعاد عما نهى عنه ، فلا مجال هنا كي يتمايز الناس بأصولهم وأجسامهم وأموالهم وقوتهم ، ولكن التمايز يكون على أساس اكثرهم طاعة لربه وأكثرهم بذلاً للعمل الصالح .

وقيام الرابطة بين قيمة المساواة وقيمة العمل الصالح ، تمثل تقديراً سامياً لمضمون المساواة ومنزلتها في الإسلام . ويحدثنا القرآن الكريم عن موقف من

مواقف رسول الله ، وكيف عاتبه الله ووجهه إلى تعاليمه في شأن هذه القيمة المقررة ، حين اعرض عن مؤمن فقير أعمى بعد أن دعاه واهتم بأمر سيد شريف ذي مال من اشراف مكة ، كان يطمع في استجابته لدعوة الإسلام .

فإن الله تعالى لم يرض عن هذا الموقف الذي ميز فيه الرسول الرجل الغني عن الفقير فينزل على رسوله توجيهه السامي في هذا الموقف يقول القرآن : ﴿ عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا انها تذكرة ﴾ [سورة عبس : ١ - ١١] .

هنا نرى الله يذكر رسوله بأسلوب فيه عتاب بأن ضعف ذلك الأعمى وفقره لا يصح أن يكون سبباً للاعراض عنه ، لأنه قد يكون اقرب إلى الصلاح والتقوى والطهارة من ذلك الغني الذي ظل اقرب إلى الجحود والكفر .

وقد طبقت المساواة بين الناس على عهد رسول الله وعهد خلفائه من بعده في كافة الوان النشاط الانساني والاجتماعي ، وفي نطاق الأسرة والمجتمع .

فقد زوج رسول الله بنت عمته زينب بنت جحش وهي من أسرة من اشراف قريش أباً وأماً ، لزيد بن حارثة الذي كان عبداًرقيقاً ، وزوج عبد الرحمن بن عوف أحد قادة الإسلام اخته لبلال بن رياح الذي كان عبداً رقيقاً ، وعرض عمر بن الخطاب ثاني خلفاء المسلمين على سلمان الفارسي وهو من الموالي الذين خضعوا في الماضي للعبودية ان يزوجه ابنته .

وكانت الولاية سواء ولاية عمل مدني أو عسكري على هذه القاعدة ، فلا يختص الاشراف وأبناؤهم بالإمارة على المدن الإسلامية وجيوشها ، ولكنها تعطى للكفء من المسلمين ، ولو كان عبداً ؛ فقد ولى رسول الله إمارة جيشه الذي حارب الروم البيزنطيين في اول مرة لهم إلى زيد بن حارثة احد الموالي ، وكان خالد بن الوليد اشهر قادة المسلمين جندياً في هذا الجيش تحت امر زيد ، كما ان ابنه أسامة كان امير جيش آخر ، ومن جنده أبي بكر الصديق اول الخلفاء عمر بن الخطاب ثاني خلفاء المسلمين .

ونرى مثالاً فريداً على تغلغل المساواة في نفس المجتمع الإسلامي فيما روي عن عمر بن الخطاب جين حضرته الوفاة ، وطلبوا منه ان يعين من يخلفه على حكم المسلمين فقال : لو ادركني احد رجلين لجعلت هذا الأمر إلى واحد منهما ولوثقت بأنه سيقوم به خير قيام ، الأول سالم مولى ابي حذيفة والثاني أبو عبيدة بن الجراح ، والأول كان فارسياً من الرقيق ، فاستطاع بعمله وكفاءته أن يكون من خيرة المسلمين ، وقال عنه رسول الإسلام محمد : الحمد لله الذي جعل في أمة الإسلام مثله .

ولا يعني هذا ان المسلمين اتجهوا إلى معاملة العبيد والطبقات الدنيا من المجتمع معاملة تتسم بالعطف او الرعاية ، بل استقرت المساواة الحقيقية وأصبحت قيمة ثابتة من قيم الحياة اهلت الكفء مهما كان جنسه أو لونه أو نسبه ليتولى أرقى مناصب الدولة .

يأتي بلال بن رباح إلى رسول الإسلام محمد يشكو رجلاً من أصحابه قال له يا ابن السوداء ، فيغضب رسول الله على صاحبه ويقول له : ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى او بعمل صالح ، ويصف قوله بعمل الجاهلية ويشعر صاحب رسول الله بالندم فيمضي إلى بلال معتذراً ويضع خده على الأرض ويطلب منه ان يطأه بقدمه ليكفر عن ذنبه .

وكان رسول الإسلام محمد يأبى أن يميزه أصحابه في موقف من المواقف او عمل من الأعمال ويقول لهم « إني أكره أن أتميز عليكم » .

وذات يوم سرقت امرأة من قريش من نساء الاشراف ، واجتمع الناس وسألوا اسامة بن زيد وكان من أحب الناس إلى رسول الله ان يتشفع لها عند رسول الله . وجاء أسامة إلى رسول الله يحدثه في شأن هذه المرأة ، فغضب الرسول وقال لأسامة : اتشفع في حد من حدود الله ؟ ثم يمضي وينادي الناس ويقف فيهم خطيباً فيقول لهم فيما قال : إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه

وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

كانت قيمة المساواة إذن قانوناً من قوانين الله والقرآن التي جاء بها اللناس جميعاً ، لذلك كان حرص رسول الله عليها شديداً يطبقها على اولاده ، واقرب الناس إليه .

حدث ذات يوم ان جاء رجل يطالب رسول الإسلام محمداً بدين له عنده وألح في المطالبة واشتد واغلظ في القول حتى خرج عن حدود المألوف في مخاطبة الناس لرسول الله فاتهمه بالمماطلة هو وأهله وينهض عمر بن الخطاب يريد ان ينال من الرجل لتطاوله على الرسول ولكن الرسول يأمره أن يكف يده ولسانه عنه ويقول لعمر: « لقد كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر تأمره بحسن الطلب وتأمرني بحسن الأداء » .

ويبلغ من حرص رسول اللّه على تأكيد قيمة المساواة في نفوس المسلمين مبلغاً دفعه وهو في مرضه الأخير الذي توفي فيه ان يخرج إلى الناس ليضرب لهم من نفسه مثلاً للمساواة ومنزلتها عند اللّه وعنده ، فيخاطب الناس ويقول لهم : « أيها الناس من كنت جلدت له ظهراً فهذا ظهري فليجلده ، ومن اخذت له مالاً فهذا مالي فليأخذ منه ولا يخشى الشحناء من قبلي فإنها ليست من شأني ، ألا وان أحبكم إلي ، نعم أحبكم إلي من أخذ مني حقاً إن كان له أو حللني فلقيت ربي وأنا طيب النفس » .

وما كان رسول الإسلام يهتم هذا الاهتمام بالمساواة حتى بالنسبة له ، لولا علمه انها تمثل أساساً من أسس الإسلام؛ فالحاكم مهما بلغت منزلته يتساوى مع غيره في الحقوق والواجبات ، وان كل الناس سواء أمام القانون . وبهذا يكون الإسلام قد وضع منذ ألف عام مبدأ المساواة بين الحاكم والمحكوم في الحقوق والواجبات قبل أن تضمن الدساتير الحديثة هذا المبدأ فيها .

ولم يكن الحاكم في الإسلام يرتفع إلى مقام الحكم بين الناس لأي سبب إلا الصلاح والتقوى ، وليس بسبب حسبه وقوته وماله ، فيكون من ألزم الأمور التزام هذا الحكم بالمساواة بين الناس في أمور حياتهم .

ان المساواة في الإسلام مبدأ وتشريع إلهي ليس من حق أحد أن يخرج عليه كما رأينا مبلغ حرص رسول الله عليه ثم يأتي من بعده خلفاء جعلوه قدوة لهم ؛ فيقول أبو بكر الصديق أول خلفاء الإسلام بعد رسول الله ـ في أول خطبة له بعد توليه أمر المسلمين ـ : « أيها الناس إني وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسددوني ، أطيعوني ما أطعت الله فيكم فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم » .

وأبو بكر في هذا الموقف يؤكد مبدأين :

الأول : ان المساواة دستور القرآن في المجتمع حتى بالنسبة له .

والثاني : حق رقابة المواطنين على الحاكم المستمدة من مبدأ المساواة التي لا تفترض عظمة أو امتيازاً لأحد ، ثم يذهب إلى أبعد من ذلك فيقول لهم ان لهم الحق في عدم طاعته إذا خرج على أمر الله وشريعة رسوله .

وتتأصل قيمة المساواة في نفوس المسلمين على نحو فريد لا نرى له مثيلاً .

يقف ثاني الخلفاء وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب عند توليته لأمر المسلمين فيقول للمواطنين : « إن رأيتموني على حق فأعينوني وإن رأيتموني على باطل فسددوني » . واطمأن الناس إلى أن عمر الشديد الذي عرف بالقوة والبطش فيما سبق من أيامه سيسير على سيرة رسول الله وسيرة الخليفة الأول ، ولكن أحد المواطنين أراد أن يؤكد حقه في الرقابة بأسلوب آخر ، ولم ير في عمر الشديد ما يرهبه بعد ان تأصلت المساواة في نفسه فيقول له : « والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بحد سيوفنا » .

فماذا كان رد عمر الذي عرف بقوته؟ قال للرجل: « الحمد لله الذي جعل في أمة الإسلام من يقوم عمر بحد سيفه » وكان في قول عمر وتشجيعه للرجل ما دل على ان موقف الحاكم من المحكومين هو موقف المساواة في أروع صورها وموقف من يرجو الإصلاح ويتقبل النقد والتقويم .

ولم يكن مثل هذا الكلام من أمثال ما يقال من شعارات لإلهاب عواطف الجماهير ومشاعرهم ولكنه كان خلقاً أصيلاً في نفس الحاكم والمحكوم .

يبعث عمر بمنشور يقرأ على الناس في المساجد يقول لهم فيه : « إني لم ارسل عمالي عليكم ليضربوكم أو يشتموكم أو يأخذوا أموالكم بغير حق ، ولكني استعملتهم ليعلموكم كتاب اللّه وسنة نبيه ، فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا يحق له أن يستأذن للدخول علي ليرفعها إلي بل يدخل بغير إذن حتى انصفه من عامله » .

وحدث ذات يوم أن شكا يهودي علي بن أبي طالب ابن عم رسول اللّه وزوج ابنته فاطمة إلى عمر بن الخطاب ، وعمر ينادي اليهودي باسمه ، ثم قال لعلي : انهض أبا الحسن وأجلس بجانب خصمك ، وكان علي يجلس بجانب عمر . . ونهض إلى ما أمره به عمر وجلس بجانب خصمه ، وبدا الغضب على وجهه فقال له عمر :

ـ أغضبت يا أبا الحسن لأني أردت أن أسوي بينك وبينه في المجلس أمامي ؟

يقول علي :

ـ لم أغضب لهذا ، ولكني غضبت لأنك ناديته باسمه وناديتني بكنيتي فميزتني عنه بالنداء وليس هذا من حقك ، وكانت الكُنْيَةُ رمزاً لإسقاط الكلفة بين الناس ودليل الالفة .

لقد اعتبر علي بن أبي طالب نداء عمر له بقوله : « يا أبا الحسن » تمييزاً يجب ان يتنزه عنه القاضي الذي يسوي بين المتقاضين في كل أمر .

على هذا النحو استقرت المساواة ؛ جاء بها القرآن قيمة من قيم الحياة في الأمة الإسلامية ولم تكن المساواة قيمة يطبقها المسلمون العرب على انفسهم فحسب ، بل كانت حقاً لكل المؤمنين مهما اختلفت جنسيتهم وألوانهم . . فقد أمر عمر ، رجلاً من مصر أن يلطم ابناً لعمرو بن العاص لأنه لطمه حين جرى معه في سباق فسبقه وكان عمرو أمير مصر وحاكمها .

كذلك نذكر هنا قصة ذلك الامير الذي أقبل من على حدود الشام ليدخل في الإسلام ومعه مائة رجل من أعيان قومه وحين كان يطوف بالكعبة وطىء أعرابي طرف ردائه بقدمه فلطمه وسال الدم من انفه ويمضي الرجل إلى عمر يشكو الأمير فيبعث

عمر إلى الأمير ويحضر أمامه : ويطلب من الرجل ان يلطمه كما لطمه .. ويستنكر الأمير ان يلطمه رجل من العامة ، فيقول لعمر : يا أمير المؤمنين ! أتأمر رجلاً من السوقة يلطمني وأنا أمير ؟ .

يقول عمر : الإسلام سوّى بينكما فلست تفضله إلا بالتقوى والعمل الصالح .

هذه بعض الأمثلة التي تدل على أن قيمة المساواة التي جاء بها القرآن : تملك القداسة التي يملكها كل ما يأتي من عند الله .

وإنها تأكدت بأقوال رسول الاعلام محمد وأفعاله سواء بالنسبة لنفسه أو أسرته أو المؤمنين جميعاً .

وسار على نهجه كل خلفائه من بعده .. على نحو رأينا أمثلة منه تدل على تأصل هذه القيمة في نفوس الجميع حاكمين ومحكومين شرفاء أو عبيد .

حدث هذا وطُبّق على كل أفراد الأمة الإسلامية التي امتدت من المحيط الأطلسي إلى أسوار الصين ، منذ ألف واربعمائة عام ، وما زلنا في هذا القرن نشهد ألواناً من التفرقة في كل مكان من العالم .. حيث يتعرض الكثيرون بسبب النشأة أو اللون أو الجنس لألوان مختلفة من التفرقة والقهر .. وهو أمر يحجب الحقيقة الخالدة التي جاءت بها كل الأديان وأكدها الإسلام بقول القرآن الكريم .. : ﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ وقول رسوله صلى الله عليه وسلم : « كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود ولا أحمر على أصفر إلا بالتقوى وصالح الأعمال .. » .

الإخاء :

يرى كثير من المفكرين أن الأديان العالمية ، تعتبر ثورات واسعة استهدفت احداث التغيير العميق في حياة الأفراد والجماعات ، وهي بمخاطبتها لعقل الإنسان ووجدانه ، تعمل على تأكيد أفضل العلاقات صلاحية للاجتماع الانساني في كل مكان وزمان .

لقد أقر القرآن بالإضافة إلى ما تقدم قيماً أخرى تتصل بحق الإنسان في الحرية والعدالة في وقت لم تهتم فيه الثورات الاجتماعية التي سبقت ظهور الأديان بهذه الحقوق التي لم تعرف في العصر الحديث كما أن الحكم الديمقراطي الذي ظهر في بلاد الاغريق في الزمن القديم لم يقرر المبادىء المعترف بها الآن من تكافؤ للفرص بين المواطنين جميعاً مهما اختلفت جنسياتهم وألوانهم وانسابهم ، ولم يعترف بالمساواة بين ابناء الأمة الواحدة . . فكانت هناك طبقات معترف بها لها امتيازات مقررة وطبقات أخرى كطبقة العبيد والأرقاء التي سلبت منها حقوق انسانية أساسية .

ولكن القرآن جاء بمجموعة من القيم كانت من أهم العوامل التي عملت على انتشاره ، ومن أقوى الحوافز التي دفعت الشعوب والأفراد إلى اعتناقه .

ولم تكن القيم القرآنية مجردة أو مستقلة في ذاتها عن حياة المسلمين وسلوكهم ولكنها كانت مندمجه في حياة المجتمعات وفي سلوك الأفراد وفكرهم وعملهم . وكان الوعي بهذه القيم والعمل بها ، من أهمل الوسائل التي حببت الإسلام إلى النفوس .

كما أصبح المجتمع الإسلامي بهذه القيم مصدر إشعاع للقيم الخلقية والإنسانية في كل مكان وأصبحت قوام حضارته ومن أهم مميزاتها التي عاشت بها حتى اليوم .

وقد تحدثنا عن قيمتي الإنسان والمساواة كما وردت في القرآن الكريم وكيف أصبحت المساواة أساساً من أسس الحياة الإسلامية طبقها رسول الله محمد، وطبقها خلفاؤه من بعده ، بين الناس جميعاً دون اعتبار للون أو النسب أو للشرف .

وتأتي بعد قيمة المساواة قيمة أخرى هي قيمة الأخاء؛ فالقرآن الكريم يقرر ان المؤمنين اخوة ، ثم يذهب إلى تأكيد هذه القيمة وتوسيع نطاقها إلى أبعد مدى في التطبيق العملي في الحياة ، فلم يضع القرآن حداً أو أقام عقبة تقف أمام هذه القيمة الإنسانية الجليلة الشأن ، ولم يجعل الجنس أو اللغة أو اللون سبباً يمكن أن يباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان . يقول القرآن الكريم : ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾ [الحجرات : ١٠] .

فالمؤمنون جميعاً في نظر القرآن اخوة من حيث أصلهم ولا يتفاضلون إلا بالاعمال الصالحة ولا يتميز بعضهم عن بعض لأي سبب إلا أن يكون ذلك السبب نابعاً من عملهم الصالح .

وقيمة الاخاء في الإسلام ليست مبدأ نظرياً ، أو شعاراً يرفع دون نظر إلى تطبيقه أو الأخذ به في العلاقات الاجتماعية المختلفة ، بل ان هذه القيمة تعتبر مبدأ أساسياً ، وعقيدة ترتبط بإيمان الفرد بربه ودينه فيقول القرآن الكريم : ﴿ والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [الحشر : ٩] . ويقول تعالى : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾ [سورة الحشر : ١٠] .

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

« لا يؤمنن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .
وأول مظاهر المحبة هو التقدير والاحترام .

كما أن أسمى مظاهر هذه المحبة هي إيثار المرء غيره على نفسه فيحب لأخيه ما يحبه لنفسه . فالمسلم الذي لا تتحقق فيه هذه الصفات يعتبر في نظر الإسلام ضعيف الإيمان ناقص الإسلام ، كذلك إذا قامت الكراهية في نفس المؤمن لاخيه الإنسان اعتبر ناقص الإيمان والدين .

أما الذي يحب أخاه الانسان ويرجو له ما يرجوه لنفسه ، فذلك هو الإنسان الذي اكتمل إيمانه ودينه .

ولا نكاد نجد مذهباً من مذاهب الاخلاق أو الاجتماع ، بلغ في تصوير قيمة الاخاء الانساني ، ما دعا إليه القرآن ، وما طبقه رسول الله وخلفاؤه الذين جاءوا بعده .

فلم يقبل الرسول محمد ، مع إكبار المسلمين له وتقويمهم لرسالته، أن يظهر بمظهر السلطة أو الملك أو الرياسة حين تم له الأمر في شبه الجزيرة العربية كلها .

فكان إذا أقبل على مجلس فيه جماعة من الناس ، يجلس حيث انتهى به المجلس ، كواحد منهم ، لا يتقدم بموضع أو مكان يجلس فيه ، وكان يجيب كل فرد إذا دعاه سواء كان هذا الفرد عبداً أو حراً فقيراً أو غنياً ، وإذا سمع عن مريض ذهب يعوده لا يعنيه إن كان مسكيناً أو رجلاً من سادة الناس وأغنيائهم . .

وقد طبق رسول الإسلام محمد قيمة الاخاء تطبيقاً عاماً ، في مجتمع الإسلام الأول حين نزل بالمدينة يوم هاجر إليها مع أصحابه الذين ضيق الوثنيون عليهم بمكة وصادروا حريتهم في الاعتقاد والدين وعذبوهم وقاطعوهم اجتماعياً واقتصادياً .

لقد دعا النبي أصحابه ، ان يتخذوا لهم اخوة من بين المؤمنين سواء من بين الذين هاجروا معهم أو من بين أهل المدينة التي هاجر إليها فكان الرجل منهم سواء كان عبداً أم سيداً يتخذ له أخاً رجلاً آخر يشاركه في بيته وماله ، ورأينا أفراداً منهم يطلقون بعض زوجاتهم ليصبحن زوجات لاخوانهم الجدد وكانت هذه الاخوة التي لا نجد لها مثيلاً في الدعوات والثورات ، من أقوى الروابط التي أكدت وحدة الإسلام .

وكانت المؤاخاة بين المؤمنين ، البديل القوي للعصبية والقرابة التي كان العرب يتمسكون بها . وجعل النبي هذه الاخوة الجديدة ، أقوى من اخوة الدم والنسب ، ذلك انها قامت على الإيمان فارتفعت فوق روابط العصبية والقبلية وكانت بداية مجتمع لا ينظر إلا لحاضره ومستقبله القائم على القيم الاخلاقية الصادقة والخيرة.

وقد بلغ من قيمة هذا الاخاء ، انهم كانوا يتوارثون بعد الموت فيرث الاخ اخاه في ماله ، ولم يكن للوثنيين الذين تصلهم صلة القرابة أو الدم أن يزاحموا الأخ المؤمن حقه في ميراث أخيه المؤمن . وظل هذا المبدأ سارياً إلى أن زالت الوثنية واندثرت من المجتمع وانتشر الإيمان بين جميع أفراده فعادت مبادىء الإرث إلى سيرتها الأولى وقررت حقوق ذوي الأرحام فيما ترك آباؤهم واخوانهم .

والاخاء الانساني الذي يعتبره الإسلام قيمة من أهم قيمه ، شأنه شأن المساواة لا يعني بحال من الأحوال أن يحرم أحد من ثمرات عمله أو يهضم من حقوقه التي يكتسبها نتيجة استعداده وامتيازه في هذا العمل؛ذلك ان الإسلام يفسح المجال لكل كفاية أو خلق أو مزية عقلية أو جدية لتأخذ نصيبها الذي تستحقه بعملها فيقول القرآن

الكريم : ﴿ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون﴾ [الأنعام: ١٣٢] ويقول عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء بعد النبي : «من قصر به عمله لم يسرع به حسبه» .

ويرد ج. هـ. ويلز سبب انتشار الاسلام في كتابه «مختصر تاريخ الإنسان » إلى هذه القيم التي اعتبرت فتحاً جديداً في تاريخ العلاقات الانسانية فيقول: «وثمة عنصر هام لهذه القوة التي هيأت للإسلام سبل الانتشار في إصرار الإسلام على أن المؤمنين اخوة متساوون تماماً أمام الله مهما اختلفت ألوانهم أو أصولهم .

وقد قضى الاخاء الذي قرره الإسلام وطبقه على خصومات وصراعات عميقة كانت في بلاد العرب في العهد الذي سبق الإسلام وكانت تحمل بحكم الثأر أسباب قتال دموي لا يهدأ .

كذلك أدى هذا الاخاء إلى بث شعور الأمن في نفوس الضعفاء والغرباء وغيرهم من الطبقات الدنيا التي تاخت مع غيرها من السادة والأشراف وأصحاب المال .

ويصف القرآن الكريم ما أحدثه هذا الاخاء في نفوس المسلمين يقول الله تعالى : ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم ﴾ [سورة الأنفال : ٦٣] .

وأعلى مراتب الاخوة في الإسلام هي الاخوة في الله ، وتعني التقاء الناس اخواناً على حب الله ، والعمل على مرضاته ، مجردين عن كل غرض من أغراض الدنيا .

الحرية والتحرر :

وتأتي بعد ذلك قيمة الحرية والتحرر .

ولعلنا نتفق بأن الحرية والفردية بمفهومها المعاصر لم تعرف في العالم القديم ، الذي خضع لأساليب من الحكم استخدمت القوة والقهر لاخضاع الشعوب والإنسان بسيطرتها ونفوذها ومصالحها . وحرية الإنسان بصفة عامة تشتمل على حق الإنسان في إبداء رأيه والتعبير عن فكره ، وحرية العقيدة وإقامة شعائرها ، وحق

الإنسان في ثمرات عمله ، جزء من حقه في الحرية ، وحرية الإنسان فيما يقتني ويملك هي جزء من حرية العمل ، والحرية التي قررها القرآن تشمل كل هذه المبادىء التي لم تقرر عالمياً إلا في العهد الأخير عند إقرار حق الإنسان في التعبير والعقيدة وفي التفكير والسلوك والمعاملة والتملك والاقتناء ، وذلك بشرط عدم الاعتداء على حرية الآخرين .

فالحرية كما قررتها كافة الشعوب ، يحدها إطار اجتماعي يمنع تعدي الناس بعضهم على بعض ، لأي سبب ، من الأسباب ، لأن هذا العدوان يمثل افتئاتاً على حرية الآخرين وهضماً لها .

وفي القرآن الكريم نرى تأكيداً لمبادىء الحرية في كثير من الآيات وهذا التأكيد يشمل كافة الجوانب المختلفة لحرية الانسان وحقه في التعبير والسلوك والتفكير والعمل بالمفهوم المعاصر لمعنى الحرية.

وتاريخ الإسلام في كافة عهوده يشهد بأن المسلمين بهدى القرآن الكريم لم يفرضوا دينهم على أحد في البلاد التي فتحوها ، وانه كان من حق أي انسان أن يظل على دينه الذي يدين به مهما كان هذا الدين وتقوم الدولة بكفالة هذا الحق . . والدفاع عنه .

والقرآن الذي قرر هذا المبدأ حين دعا إلى الإيمان جعل النظر في الكون وخلقه ونظامه وتدبيره من أهم الوسائل التي تهدي الناس بالعقل والتأمل إلى اللّه الذي خلق كل شيء ودبّره ، وهو يعلن أنّ الذي يهتدي فإنما يهتدي لنفسه وان من يضل فإنما يضل عليها .

وبناء على ذلك ، يقرر القرآن أن حرية الاعتقاد أمر لا جدال فيه. وبالنسبة لموقف رسول اللّه الذي بعثه داعياً إلى اللّه نرى القرآن يؤكد أن رسالته لا تتجه إلى القهر والضغط لفرض الدين ، ولكن دوره يقوم على تنوير الناس وحثهم على التفكير في أمر الحياة والخالق ، ليختاروا لأنفسهم أي اتجاه يتجهون إليه في مجال الاعتقاد . فاللّه تعالى يقول لرسوله : ﴿ ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى : ٥٢] ثم يقول تعالى تأكيداً لهذا المبدأ :

﴿ فذكر إنما انت مذكر * لست عليهم بمسيطر ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] ثم يقول لرسوله : ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

من كل ذلك نتبين مدى ما ذهب القرآن إليه من تقرير لحرية الاعتقاد وهو أمر يعتبر بمقاييس العصر الذي ظهر فيه الإسلام غاية في السمو ، كما يمثل قيمة حضارية لم تعرفها البشرية قبل الإسلام .

وبعد حرية العقيدة تأتي حرية الرأي والتعبير، وقد اعتبر الإسلام الاجتهاد بالرأي أصلاً من أصول استنباط الشرائع المنظمة للاعتقاد وإذا كانت حرية الرأي والاجتهاد مكفولة بالنسبة لأمور الدين ، فمن المنطقي أن تكون مكفولة لما دون ذلك من أمور .

يقابل رسول الله معاذ بن جبل ارسله ليعلم الناس شؤون دينهم ويحكم بينهم وفقاً لما يأمر به الدين :

يسأله النبي : بم تحكم ؟
يقول الرجل : بكتاب الله .
يسأله النبي : فإن لم تجد .
يقول الرجل : بسنة رسوله .
يسأله النبي : فإن لم تجد .
يقول الرجل : اجتهد برأيي .

فيقول رسول الإسلام مزكياً هذا الاتجاه في التفكير : إني أحمد الله الذي وفقك إلى ما أريده .

وبهذا أدرك المسلمون أن الاجتهاد في الرأي والتعبير عنه أمر يدعو إليه الدين ومن أجل هذا وجدنا أن المسلمين كانوا من أوائل الذين نقلوا علوم اليونان وفلسفتهم إلى لغتهم وشرحوها وعلقوا عليها برأيهم الحر ، وهو أمر كان محرماً على الناس في بعض العهود، وقام عصر النهضة في أوروبا أول ما قام على ترجمة المسلمين لهذه

العلوم والفلسفات وعلى شرحهم وتفسيرهم لها .

ولم تكن حرية الرأي حين ظهر الإسلام وأمر بها القرآن الكريم مما يخطر على بال أحد في العالم في ذلك الوقت ـ كما لم تتقرر على نحو صالح إلا بعد الثورة الفرنسية ـ ولم يمض سوى قرن واحد على ظهور الإسلام حتى خرجت إلى الوجود نهضة علمية قادها العلماء المسلمون في كل ألوان المعرفة والعلوم ، يستوي في ذلك علوم الدين وعلوم الدنيا فخرجت مؤلفاتهم في الكيمياء والفلك والطبيعة والمنطق والأخلاق ، بالإضافة إلى العلوم المتصلة بالدين كتفسير القرآن والفقه والحديث وغير ذلك .

بل أن حرية الرأي أدت إلى ظهور مذاهب دينية مختلفة ابتداء من القرن الثاني للهجرة اعتمدت على آراء العلماء وأدلتهم في البحث والاستقراء والاستنتاج ، وأصبح لهم أتباع في شتى البلاد الإسلامية يسيرون في دينهم على مذهبهم ويحترم كل فريق رأي الفريق الآخر . فإذا كان الإسلام قد سمح باختلاف الرأي بالنسبة للدين فمما لا شك فيه أنه يقر ذلك في سائر الأمور .

ولا ريب في أن حرية الرأي تعتبر من أهم ما يؤكد كرامة الإنسان ، وما يشجعه على التفكير والعمل والتعاون مع غيره لتحقيق الخير والتقدم للمجتمع .

وقد رأينا تجارب مريرة شهدتها الانسانية بسبب الحجر على الآراء واحتكار الرأي لفئة محدودة وتحريمه على غالبية الناس ، وما أدى ذلك إلى حروب، فكانت الحرب العالمية من نتائجها بعد ان استبدت الفاشية والنازية بالرأي في دولها وقادت شعوبها إلى حرب مدمرة لم تكن تعبيراً عن إرادة شعبية ورأي حر. ومن أجل ذلك كانت حرية الرأي في مقدمة المبادىء التي طالب ميثاق الاطلنطي بتحقيقها للشعوب باعتبار أنها أحد الأسس الهامة التي تقوم عليها الحياة الانسانية والسلام العالمي .

وحرية الرأي التي أكدها القرآن الكريم على النحو الذي ذكرناه ، كانت من أسباب وحدة شعوبه وترابطها وتعاونها في مجالات العلوم والفنون المختلفة وكانت حلقات الحوار تقام في كل المدن الكبرى في المساجد والمعاهد يقودها علماء ويكون من حق كل إنسان أن يشارك فيها بحرية تامة .

والقرآن الكريم الذي كفل حرية التعبير يوجهنا إلى خير الأساليب التي تتحقق بها هذه الحرية . فيقول تعالى :

﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ [الإسراء : ٥٣] ، ويقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ﴾ [الأحزاب : ٧٠] . ﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ [فصلت : ٣٤] .

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

ويؤكد الإسلام على أهمية القول السديد والدعوة الطيبة بقوله :
﴿ قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى ﴾ [البقرة : ٢٦٣] ثم يأمر بالابتعاد عن اللغو في القول فيصف المؤمنين بأنهم أبعد الناس عن اللغو .

وما يقال عن الحلال والحرام هو تأكيد لهذا الرأي ، لأن الإسلام لم يحرم إلا ما هو ضار بالإنسان مفسد لصحته مضيع لروحه وماله أو مسيء إلى مجتمعه وأسرته . .

وقد سلك القرآن الكريم في الدعوة إلى ذلك ، توجيه الإنسان إلى النظر والتأمل والتفكير الحر وعدم السير وراء المألوف عند الناس فيقول القرآن الكريم : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ [البقرة : ١٧٠]. وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تدعو الإنسان إلى النظر في الكون وتأمل ما فيه من مخلوقات وظواهر على أساس أن هذه النظرة ستقوده إلى الحق في كل أمر ، وتهديه إلى الله الخالق المدبّر لكل أمر .

وقد رأينا كيف أدى هذا التوجيه إلى ابتداع الطريقة التجريبية في العلوم التي يرجع الفضل في اكتشافها إلى العالم الكيمائي العربي جابر بن حيان في القرن الثامن الميلادي ، التي كانت وراء تفوق العلماء العرب في علم الفلك وسبقهم إلى اكتشاف النظريات الكونية ، كدوران الأرض والشمس وعلاقتها بالكواكب الأخرى ، وإلى ما حققوه من تقدم في الطب والكيمياء .

ونحن في هذا العصر ندرك أن الحريات بأنواعها المختلفة ، في العقيدة والفكر والرأي والتعبير، تمثل أهم الانجازات التي حققها الإنسان لنفسه في العصر الحديث ،

كما تؤمن أنها أساس كل حياة انسانية كريمة ولا غنى عنها لأي مجتمع أو شعب ينشد التقدم العلمي والاجتماعي والانساني .

وكل هذه الحريات جاء بها القرآن الكريم ودعا إليها في القرن السابع الميلادي وكانت من أهم أسباب تقدم العلوم والفنون والآداب التي قامت عليها الحضارة الإسلامية حتى عصر النهضة .

ونحن حين نقرر ذلك ندرك أن الروح الإسلامية التي نؤمن بها ، تدعو وتؤكد على حرية الإنسان ، وخاصة الحرية المرتبطة بالفكر والرأي ، لأننا نعلم أن تقدم الإنسانية وازدهار الحضارة وسيادة الروح الإنسانية ، إنما يرتبط أشد الارتباطات بما يتحقق لأفراد المجتمع الإنساني من حرية فكرية ومن حقوق مقدسة في إبداء الرأي والتعبير وقد كان كل ذلك من دعائم الإسلام .

ويلحق بهذه الحريات الأساسية ما يطلق عليه في هذا العصر بالحرية الاجتماعية ؛ ويعنى بها ، تحرر الإنسان من العوز والحاجة ، التي تشكل ضغوطاً اقتصادية عليه تؤثر على حريته في مجالات الفكر والرأي والتعبير وتسلبه كرامته وتخضعه لألوان من الضغط تشل إرادته، وقد استطاعت جماعات انسانية هنا وهناك استغلال هذه الحاجات الأساسية للإنسان ، تحت شعار تحريره من العوز والحاجة ، وقادت شعوبها إلى نظم شمولية وانتهى الأمر بها إلى سلب الإنسان أهم مقومات حريته في الفكر والرأي والتعبير .

وسوف نتناول موقف الإسلام في هذا المجال الحيوي الخاص بمحاربة الفقر والعوز والاساس الذي وضعه لحياة الافراد والجماعات في مجال الاقتصاد .

ومن البداية نقرر أن الإسلام أكد حق الانسان في الحياة واعتبرالاعتداء على حياة الأفراد بغير حق جرماً كبيراً كالشرك بالله ويتوعد القرآن الكريم الذين يقتلون الناس بغير حق بأشد أنواع العقاب .

كذلك لا يحرم الاسلام الانسان من حقه في الاستمتاع بما في الحياة من زينة وطيبات وعما يكسبه من عمله وسعيه ويؤكد على هذه الحقوق تأكيده على غيرها من

الحقوق الأساسية كحق العدل والمساواة والحرية ، فيقول القرآن الكريم : ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ [الجمعة : ١٠] .

ثم يقول تعالى في [سورة يس ٣٣ ـ ٣٥] : ﴿ وآية لهم الأرض الميتة احييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون * وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون * ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾ .

ثم يقول القرآن الكريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٧] ﴿ لا تحرموا طيبات ما أحل الله ﴾ [المائدة : ٨٧] .

هنا نرى دعوة إلى العمل والكسب الطيب ودعوة إلى عدم تحريم الطيبات التي أحل الله لعباده ، ثم هو يأمر بالزينة عند كل مسجد .

فإذا كان القرآن قد دعا إلى العمل والكسب ، فقد دعا أيضاً إلى الاستمتاع الطيب بثمرات هذا الكسب وعدم تحريم الطيبات على الناس . وإذا كان القرآن قد حرم بعض الأشياء ، كالخمر والقمار مثلاً فقد ثبت علمياً أضرار ما حرم على صحة الإنسان وعلى العلاقات الاجتماعية والانسانية .

يأتي بعد ذلك مبدأ التحرر من العوز، وهو أحد المبادىء الأساسية التي دعا ميثاق الاطلنطي في أعقاب الحرب العالمية الثانية المجتمع الانساني إلى إقرارها ، وسوف نرى أن القرآن الكريم قرر هذا المبدأ منذ أربعة عشر قرناً في الفصل القادم عند الحديث عن العدالة الاجتماعية حين خصص لمواجهته فريضة أساسية لا يكتمل إيمان الفرد إلا بها هي فريضة الزكاة. والزكاة نسبة محدودة ، يدفعها كل مسلم من ماله سنوياً وخاصة في أوقات جني الثمرات والكسب ، ولا يستثنى من ذلك أحد ، إن قل ماله أو كثر لأن نسبتها لا تمثل عبئاً ثقيلاً على أحد وتخصص حصيلة هذه الزكاة لسد العوز في المجتمع والنفقة على الفقراء والعجزة وما إليهم من الطبقات المحتاجة بالإضافة إلى ذلك ، جعلت الدولة موارد أخرى لمواجهة العوز .

وكانت الدولة الإسلامية على عهدها الأول ، أول دولة في التاريخ قررت لكل فرد عطاء من مواردها لسد حاجاته الأساسية ، فكان لكل فرد حق مدوّن في دفاتر

العطاء يمثل الحد الأدنى لمواجهة أعباء الحياة والعيش .

وأقر القرآن الكريم حق الكسب ، والملكية الخاصة بوصفها مكملة لحقه في الحرية وأقر حق المالك في توريث ابنائه ما كسب من مال في حياته .

يأتي بعد ذلك حق الإنسان في الأمن على حياته وماله وعرضه ، وهو ما عبر عنه ميثاق الاطلنطي بمبدأ التحرر من الخوف .

والتحرر من الخوف يعني :

١) أن يأمن الانسان على حياته وحياة أبنائه .
٢) أن يأمن الانسان على ماله وما كسب له ولاولاده.
٣) ان يأمن على عرضه.

وقد كان القرآن شديد الاهتمام بتقرير الأمن والطمأنينة للإنسان في هذه الأمور ذات الأهمية الكبرى في حياته حتى يحقق له مبدأ التحرر من الخوف .

وبالنسبة للنفس ، أي الأمن على حياته تعتبر الشريعة الإسلامية حالة القتل العمد من أخطر الجرائم في المجتمع تستحق أشد وأقصى عقوبة يتعرض لها الإنسان وهي عقوبة الاعدام ، والإسلام لا يعتبر هذه العقوبة ، انتقاماً ومطالب للقانون فحسب بل ينظر إليها على أنها وسيلة لحفظ حياة الافراد وضمان أمنهم واستقرار حياتهم فيقول القرآن الكريم في [سورة البقرة آية : ١٧٩] .

﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون ﴾ وهذا يعني أن في القصاص من القاتل المتعمد حياة للأفراد والمجتمع .

والقرآن في هذا الشأن لا يفرق بين قتيل وقتيل،فالقصاص واجب على كل قاتل سواء كان القتيل حراً أو عبداً رجلاً أو امرأة أو طفلاً مسلماً أو غير مسلم وذلك هو ما قصد القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس ﴾ [سورة المائدة : آية ٤٥]

السـلام :

والإسلام يدعو إلى السلام ، ويرفض الحرب والقتال للتملك والقهر ، ويذهب في سبيل إقرار السلام ، إلى حد الدعوة إلى الإحسان إلى الذين لم يقاتلوا المسلمين في دينهم وإن كانوا على غير دينهم ، فيقول تعالى :

﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [سورة الممتحنة : ٨] .

والقتال في الإسلام لا يكون إلا في سبيل الله ورد العدوان ، يقول تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴾ [سورة البقرة : ١٩٠] .

وإن تطالع آيات القرآن الكريم في العدوان والسلام نشعر بأن السلام هو الغاية الكبرى للإسلام ، وأنه أورد شروطاً لرد العدوان يظهر فيه الحرص التام على الحياة وتشجيع السلم والدعوة إليه .

يقول تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ، واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [سورة البقرة : ١٩٤] .

﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ﴾ [سورة النساء : ٩٠] .

﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ [سورة الأنفال : ٦١] .

ويقول الدكتور علي عبد الواحد وافي في كتابه ـ حماية الإسلام للأنفس والأعراض ـ في حرص الإسلام على السلام ، وما ينبغي أن يصنعه المسلمون في حالات رد العدوان :

ولا يجيز الإسلام الحرب لمجرد الاعتداء والقهر ، ولا للرغبة في التوسع ، ولا لإكراه الناس على دينهم واعتناق الإسلام . وفي النهي عن إكراه الناس على دينهم

يقول الله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾[1] ؛ ويقول : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟! ﴾[2] ؛ والاستفهام في هذه الآية استفهام انكاري كما لا يخفى ، أي لا يجوز لك أن تكره الناس ليدخلوا في دينك ؛ ويقول : ﴿ فإن اعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ ﴾[3] أي لم نرسلك لترغم الناس على الإسلام ؛ وما عليك إلا أن تبلغهم الرسالة وتبين لهم تعاليم الدين ؛ ويقول : ﴿ فذكر إنما أنت مذكر * لست عليهم بمسيطر ﴾[4] ؛ ويقول : ﴿ قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾[5] . وقد منع الرسول عليه السلام رجلاً حاول أن يكره بعض ولده على دخول الإسلام .

* * *

ومن هذا يتبين ما ينطوي عليه موقف الإسلام - فيما يتعلق بمبررات الحرب - من حرص على حماية النفس الإنسانية واحترام الحياة ؛ فهو لا يبيح الحرب وما تقتضيه من إزهاق بعض الأنفس إلا حيث تدعو إلى ذلك ضرورة قصوى ، تتعلق بالدفاع ، أو الوقاية من نتائج الخيانة ونكث العهد ، أو القضاء على الفتنة التي تهدد سلامة الدولة . وهو ، إذ يبيح الحرب في هذه الضرورات ، إنما يعمل على حماية نفوس كثيرة كادت تتعرض للهلاك لو لم ينفر المسلمون لقتال اعدائهم . فحماية النفس الانسانية هي إذن الهدف الأخير الذي يرمي إليه الإسلام من وراء ما يبيحه من الحروب . ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾[6] .

---

(١) آية ٢٥٦ من سورة البقرة .

(٢) آية ٩٩ من سورة يونس .

(٣) آية ٤٨ من سورة الشورى .

(٤) آيتي ٢١ ، ٢٢ من سورة الغاشية .

(٥) آية ١٠٨ من سورة يونس .

(٦) آية ٢٥١ من سورة البقرة .

الاجراءات التي يوجب الإسلام اتخاذها قبل الحرب

يوجب الإسلام على المسلمين قبل الشروع في قتال اعدائهم لسبب من الأسباب السابق ذكرها إتخاذ اجراءات كثيرة ، وتتسم كلها بالكرم والنبل ، والبعد عن نطاق الغدر والخيانة ، وإيثار المودة والسلم .

فمن أهم ما يتعلق ببحثنا من هذه الاجراءات أن الإسلام لا يجيز قتال من بدأوا بالخيانة ونكثوا ما ابرموه من عهود إلا بعد اخطارهم بأن المسلمين سينقضون عهدهم ، ويقابلون عملهم بالمثل إذا اصروا على خيانتهم . وفي هذا يقول اللّه تعالى مخاطباً رسوله عليه السلام : ﴿وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء ان اللّه لا يحب الخائنين ﴾[1] ، أي إن ظهر من قوم بينكم وبينهم ميثاق بوادر خيانة ، فانبذ اليهم عهدهم على سواء، أي اخبرهم اخباراً ظاهراً مكشوفاً بالنقض ولا تناجزهم بالحرب بغتة ، حتى لا تتهم بالغدر ، فإن اللّه لا يحب الخائنين الذين ينقضون العهود من الكفار والذين يأخذون الكفار على غرة ويباغتونهم بالحرب من قبل أن يعلنوهم بنقض ميثاقهم ومقابلتهم بالمثل . وعن الوليد بن مسلم أنه قال في تفسير قوله تعالى في هذه الآية : ﴿ إن اللّه لا يحب الخائنين ﴾ أي لا يحب الخيانة حتى لو كانت ضد الكفار[2] . وقال القرطبي في تفسير هذه الآية : « وقال النحاس ، هذا من معجز ما جاء في القرآن مما لا يوجد في الكلام مثله على اختصاره وكثرة معانيه . والمعنى وأما تخافن من قوم بينك وبينهم عهد فانبذ اليهم العهد وقل لهم نبذت اليكم عهدكم وأنا مقاتلكم ، ليعلموا ذلك فيكونوا معك في العلم سواء ، ولا تقاتلهم وبينك وبينهم عهد وهم يثقون بك فيكون ذلك خيانة وغدراً » .

بل لقد ذهب الإسلام في تسامحه مع ناكثي العهد إلى أبعد من ذلك ، فأعطى لهم أحياناً مهلة زمنية واسعة قبل أن يناجزهم المسلمون بالقتال ، وسمح لهم في أثناء هذه المدة بالتوبة والرجوع إلى العهد .

---

(١) آية ٥٨ من سورة الأنفال .

(٢) انظر تفسير ابن كثير لهذه الآية .

وكان الرسول عليه السلام يوصي جيوشه بألا يقاتلوا إلا بعد أن يدعوا اعداءهم إلى الإسلام أو إبرام معاهدة سلام وعدم اعتداء ، وبعد ان يرفض الاعداء كلا هذين العرضين ، وألا يقتلوا أحداً من الكفار إلا بعد أن يبدأ الكفار بقتل أحد من المسلمين ، وبعد أن يروهم المقتول ، ويقولوا لهم بروح المسالم الكريم الذي يحرص على حقن الدماء واحترام الحياة : أما كان خير من هذا أن تجنحوا للسلم باعتناق الإسلام أو عقد معاهدة على الأمن. وقد تضمنت هذه المبادىء الكريمة ثلاث وصايا ، منها وصيتان أوصى بهما الرسول عليه السلام قائدين من قواد جيوشه ، وهما معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب رضي اللّه عنهما ، ووصية جعلها عامة لجميع جيوشه ، فيقول في وصيته لمعاذ : « لا تقاتلوهم حتى تدعوهم ، فإن أبوا فلا تقاتلوهم حتى يبدءوكم ، فإن بدءوكم فلا تقاتلوهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً ، ثم أروهم ذلك القتيل ، وقولوا لهم : هل إلى خير من هذا سبيل ؟! فلأن يهدي اللّه على يديك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » .

ويقول عليه السلام في وصيته لعلي بن أبي طالب : « إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك ، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلاً ، فإن قتلوا منكم قتيلاً فلا تقاتلهم حتى تريهم إياه ثم تقول لهم : هل لكم إلى أن تقولوا لا إله إلا اللّه ؟! ولأن يهدي اللّه بك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت » . - ويقول عليه السلام في وصية ثالثة جعلها عامة لجميع جيوشه : « تألفوا الناس وتأنوا بهم ، ولا تغيروا عليهم حتى تدعوهم ، فما على الأرض من أهل مدر ووبر إلا أن تأتوني بهم مسلمين أحب إلي من أن تأتوني بأبنائهم ونسائهم وتقتلوا رجالهم » .

الأمور التي يوجب الإسلام مراعاتها في أثناء الحرب :

من أهم الأمور التي يوجب الإسلام مراعاتها في اثناء القتال والتي تدل على حرصه على حقن الدماء واحترام الحياة وحماية الأنفس والتخفيف من ويلات الحروب ، ما يقرره بشأن الابقاء على بعض طوائف من الأعداء ، وما يسنه من نظم تتعلق باعطاء الأمان ، وما يوجبه على المسلمين عند جنوح عدوهم لوقف القتال .

١ ـ فقد حرم الإسلام على جيش المسلمين قتل الأطفال والشيوخ والنساء ورجال الدين والمدنيين وهم المنصرفون إلى اعمالهم غير المشتركين في الحرب من الاعداء ، كما حرم قتل الذين يؤسرون في الحرب . جاء في إحدى وصايا الرسول صلى اللّه عليه وسلم لجيوشه : « انطلقوا باسم اللّه وباللّه وعلى بركة رسول اللّه : لا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً ولا صغيراً ولا امرأة » . وروي أن الرسول عليه السلام قد مر يتفحص قتلى الأعداء بعد المعركة ، فرأى امرأة مقتولة ، فغضب وقال : « هاه ، ما كانت هذه لتقاتل ! » . وقد بلغه مرة أن جيش المسلمين قد قتل بعض الأطفال ، فنهى عن ذلك أشد النهي ، وقال : « ما بال أقوام جاوز بهم القتل حتى قتلوا الذرية ؟! (أي الأطفال)؛ ألا لا تقتلوا الذرية ، ألا لا تقتلوا الذرية ، ألا لا تقتلوا الذرية ! » . وأرسل عليه السلام رسولاً إلى خالد بن الوليد وقال له : « ادرك خالداً فقل له لا تقتلن عسيفاً» ؛ والعسيف هو المدني المنصرف إلى عمله غير المشترك في القتال . ونهى عليه السلام عن قتل الذين يؤسرون ورحى الحرب دائرة فقال : « لا يعترضن أحدكم أسير أخيه فيقتله » . وروى الإمام أحمد في مسنده عن يحيى بن سعيد أن أبا بكر بعث الجيوش إلى الشام وبعث يزيد بن أبي سفيان أميراً على هذه الجيوش ، وبين له ما يجب أن يبقي عليه من الأعداء فقال : « لا تقتلن امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرماً . وانك ستجد قوماً زعموا أنهم حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما زعموا (هؤلاء هم رجال الدين والرهبان الذين انصرفوا إلى العبادة ، وليس لهم شأن في القتال) » .

وقد نص الفقهاء على أنه لا يحل للمسلمين في الحرب أن يقتلوا النساء ولا الأطفال ولا الشيوخ ولا العمال حتى لو كان ذلك لمعاملة العدو بالمثل ، أي حتى لو لجأ العدو إلى قتل نساء المسلمين وأطفالهم وشيوخهم وعمالهم .

ولا يستثنى من هذا الطوائف إلا من يشترك منهم اشتراكاً فعلياً في القتال أو في التخطيط للمعركة .

٢ ـ وقد أجاز الإسلام لقائد جيش المسلمين أو قائد سرية من سراياه أو كتيبة من كتائبه في اثناء القتال أن يعطي الأمان لفرقة من فرق العدو أو لبعض فرقه أو لجميع

فرقه ، فتصبح الفرق التي أعطاها الأمان محقونة الدماء ، ولا يعتبر أفرادها أسرى حرب ، ولا يجوز لأحد من المسلمين قتل واحد منهم .

بل ان الإسلام لشدة حرصه على حقن الدماء والتخفيف من ويلات الحروب لم يعط هذا الحق ، وهو منح الأمان للأعداء ، لقواد الجيوش والسرايا والكتائب فحسب ، بل اعطاه كذلك لأي مسلم محارباً كان أو غير محارب ، عظيماً كان أو وضيعاً . فإذا اعطى مسلم الأمان لمقاتل من الأعداء ، أياً كانت منزلة هذا المسلم ، وأياً كانت صلته بالحرب ، أصبح هذا المقاتل محقون الدم ، ولا يجوز لأي مسلم الاعتداء عليه ؛ وذلك لقوله عليه السلام : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم » ، أي ان المسلمين متساوون ، ويستطيع أقل واحد منهم مقاماً أن يعطي الأمان في الحرب .

٣ ـ وإذا جنح الأعداء في أثناء الحرب للسلم وطلبوا وقف القتال وأذعنوا للصلح ، وجب على المسلمين اجابتهم إلى رغبتهم ، وعقد معاهدة معهم تصون حقوق المسلمين ، وتقضي على الأسباب التي دعتهم إلى قتالهم، وتمنحهم أماناً على أنفسهم وأموالهم ، وفي هذا يقول اللّه تعالى : ﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على اللّه انه هو السميع العليم﴾ .

الأمور التي يوجب الإسلام مراعاتها بعد الحرب .

أحكام الأسرى ونظام الرق في الإسلام:

باستقراء ما ورد في هذا الصدد في الكتاب الكريم وفي أقوال الرسول عليه السلام وأفعاله وفيما جرى عليه العمل في عهد الخلفاء الراشدين واستقر عليه الاجماع ، يتبين أن الأصل وجوب الإبقاء على الأسرى ، وفي هذا يقول الرسول عليه السلام : « لا يعترضن أحدكم أسير أخيه فيقتله » ، وان مصير الأسير كان لا يتجاوز ثلاثة أوضاع :

(أحدها) أن يمن عليه أي يطلق سراحه ، بدون فداء ، وقد منّ الرسول عليه السلام على معظم أهل مكة بعد فتحه لها ، وكانوا في حكم الأسرى ، فقال لهم عليه

السلام : « ما تظنون أني فاعل بكم ؟ » فقالوا : « أخ كريم وابن أخ كريم » ، فقال لهم : « لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

(وثانيها) ان يطلق سراحه مقابل فدية مالية أو مقابل تكليفه عملاً يقوم به أو مقابل أسير أو أكثر عند العدو ، وقد أطلق الرسول عليه الصلاة والسلام سراح طائفة من أسرى بدر مقابل فدية مالية ، واطلق سراح طائفة اخرى ممن يجيدون منهم القراءة والكتابة في مقابل تكليف كل واحد منهم تعليم عشرة من أولاد الأنصار القراءة والكتابة ، وأما تبادل أسرى العدو بأسرى المسلمين فقد طبق في عهد الرسول وعهد الخلفاء الراشدين .

وقد اقتصر القرآن الكريم على الأمرين السابقين إذ يقول :

﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثختنموهم فشدوا الوثاق فأما منا بعد وأما فداء ﴾[1] . والإثخان هو القتل في أثناء المعركة ، وشد الوثاق كناية عن الأسر ، والمنّ هو إطلاق الأسير بدون مقابل ، والفداء هو إطلاقه بمقابل .

(وثالثها) ضرب الرق عليه أي اتخاذه رقيقاً . وهذا الوضع وإن لم ينص عليه القرآن ، فإنه لا يحرمه ، وقد جرى عليه العمل في عهد الرسول وعهد الخلفاء الراشدين من بعده .

وقد أوصى عليه السلام أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسرى ، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الطعام . وقد أثنى الله تعالى في كتابه الكريم على طائفة من المسلمين ثناء عاطراً وبشّرهم بأحسن مقام في الجنة يوم القيامة جزاء احسانهم إلى الأسرى ، فقال تعالى : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً * إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً * انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً * فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً * وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً . . ﴾[2] ثم قال بعد أن وصف ما اعده لهم من نعيم عظيم يوم القيامة : ﴿ إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكوراً ﴾[3] .

---

(١) آية ٤ من سورة محمد . (٢) آيات ٨ ـ ١٢ من سورة الإنسان . (٣) آية ٢٢ من سورة الإنسان .

مبـــررات الـحــــرب فـــي الإسلام[1]

مبررات الحرب في الإسلام لا تتجاوز ثلاث حالات :

(احداها) حالة الدفاع . وفي هذا يقول الله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين﴾[2] ، ويقول :﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخـرجوكم من ديـاركم وظـاهــروا على اخـراجكم أن تـــولـوهم ومـن يـتـولهم فـأولئـك هم الظالمون ﴾[3] ، ويقول : ﴿ .. فمن اعتدى عليكم فـاعتدوا عليـه بمثل مـا اعتدى عـليكـم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾[4] ، ويقول : ﴿ فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً ﴾[5] ، ويقول : ﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾[6] .

---

(١) حماية الإسلام للأنفس والأعراض للدكتور علي عبد الواحد وافي .

(٢) آية ١٩٠ من سورة البقرة .

(٣) آيتـا ٨ ، ٩ من سورة الممتحنة .

(٤) آية ١٩٤ من سورة البقرة . وسبب نزول هذه الآية وسبب التعبير فيها بكلمة « المثل » أن المشركين قد تصدّوا للمسلمين عام الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ، ولم يتيحوا لهم أداء العمرة ، وكان ذلك في شهر ذي القعدة ، وهو أحد الأشهر الحرم التي لا يجوز فيها القتال ولا مقدماته . وكان الفريقان على وشك الاشتباك لولا أن أنتهى الأمر بصلح الحديبية الذي نصّ فيه على عدم التعرض للمسلمين عند قضائهم العمرة في العام القادم . واتفق خروج المسلمين في العام الثاني لعمرة القضاء في شهر ذي القعدة كذلك ، وتوقعوا أن يضطروا لقتال المشركين إذا حاولوا نقض العهد ومنعهم مرة ثانية من العمرة . ولكن بدا من كثير منهم التحرج من قتال المشركين في هذا الشهر لمحرمة القتال فيه . فرفع الله تعالى عنهم هذا الحرج بنزول هذه الآية ، وهي قوله تعالى : ﴿ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه مثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ أي إن انتهاك غيركم لحرمة الشهر الحرام وتحفزهم لقتالكم فيه لا يبيح لكم معاملتهم بالمثل ، فالمحرمات يجري فيها القصاص ، والاعتداء من جانب المشركين يوجب على المسلمين الدفاع ، أيّاً كان الشهر الذي حدث فيه الاعتداء . وكذلك أباح الله تعالى للمسلمين قتال المشركين في الحرم إذا انتهكوا حرمة هذا المكان وبدأوهم بالقتال فيه . وفي هذا يقول الله تعالى . ﴿ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه ﴾ (آية ١٩١ من سورة البقرة) .

(٥) آية ٩٠ من سـورة النسـاء .

(٦) آية ٦١ من سورة الأنفال .

(وثانيتها) حالة نكث العهد وظهور بوادر الخيانة . وفي هذا يقـول الله تعالى مخاطباً رسوله عليه السلام : ﴿ وأما تخافن من قوم خيانة فانبـذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾[١] ، ويقول : ﴿ وان نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكـفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون ﴾[٢] .

(وثالثتها) إذا اقتضت الحرب اعتبارات تتعلق بسـلامة الـدولة والقضـاء على الفتنة وتأمين الدعوة . وفي هـذا يقول الله تعـالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكـون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾[٣] .

* * *

(١) آية ٥٨ من سورة الأنفال ، وسيأتي الشرح الكامل لهذه الآية في الفقرة التالية .

(٢) آية ١٢ من سورة التوبة .

(٣) آية ١٩٣ من سورة البقرة . ومثلها قوله تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير ﴾ (آية ٣٩ من سوزة الأنفال) .

عالميـة وشـمول دعوة القــرآن

وعلى ضوء كل ما تقدم يمكن القول ان الإسلام قد استوعب كل حاجات البشر المادية والروحية ، وأنه لم يفرط في كبيرة أو صغيرة تتصل بهذه الحاجات من قريب أو بعيد. وفي هذا الشمول والاستيعاب الكامل يقول فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود في مؤلفه القيم « الإسلام دعوة عالمية » .

«الدعوة الإسلامية عالمية ونسخت لما قبلها من الدعوات ، لأن كل دعوة قبلها جاءت لتعالج ناحية من نواحي حياة الإنسان ، فجاءت الموسوية لعلاج الوثنية وتحويل الناس إلى توحيد الله ، وجاءت العيسوية وقد أصبح الناس ماديين ولا شيء يقدسونه إلا المادة فاهتمت ديانة عيسى بالناحية الروحية والاخلاق وغرست في نفوس أتباعها مزيداً من التسامح والوداعة والرحمة . ثم جاءت المحمدية وقد استوت البشرية على حال تحتم عليها أن تسير في طريق يؤدي إلى دين متكامل الجوانب يعالج مشكلات الحياة كلها ويرسم لها الحل السماوي السوي الذي لا حل سواه. ولذلك كانت الدعوة جديرة أن تلغي ما سبقها من الدعوات الغاء تفصيلياً مع الإعتراف بها من ناحية الإجمال . ودليل نسخها لغيرها من الشرائع كان في أنها لم تكتف بعلاج ناحية واحدة او أكثر في حياة الانسان وإنما عالجت كل حالات الانسان » ، كما توضح ذلك فيما يلي :

وقد لخصها السيد محمد رشيد رضا في كتابه الوحي المحمدي في جمل عشرة هي :

١ ـ كان الدين الإسلامي وسطاً جامعاً لحقوق الروح والجسد ومصالح الدنيا والآخرة وهو نص قوله تعالى ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ [البقرة : ١٤٣] أي أن المسلمين وسط بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجدية والمنافع المادية كاليهود ،

والذين تغلب عليهم التعاليم الروحية وتعذيب الجسد واذلال النفس والزهد كالهندوس والنصارى ، وان خالف هذه التعاليم أكثرهم .

٢ ـ غاية الدين الإسلامي هي سعادة الدارين ولا يمكن الوصول إليها الا بتزكية النفس بالإيمان الصحيح ومعرفة الله والعمل الصالح ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ، لا بمجرد الاعتقاد والاتكال ولا بالشفاعات وخوارق العادات .

٣ ـ كون الغرض من الدّعوة الإسلامية التعارف والتآلف بين البشر لا زيادة التفريق والاختلاف كما يزعم أعداء الأديان ، لأن الدين الإسلامي عام مكمّل للأديان التي جاء بها سائر رسل الله . وبذلك امتازت أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنها مطالبة بالإيمان بسائر الرسل إيماناً إجمالياً ؛ فقد قص القرآن قصص اولئك الأنبياء ومهد إلى الألفة والأخوة الانسانية العامة وتلك هي حجة الإسلام على سائر الأمم ليكون جديراً بمنصب الإمامة في الناس ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [البقرة : ١٤٣] . فالأمة الإسلامية هي الأمة الوسط العدل في الإيمان بجميع الرسل ، وما جاءوا به من أركان الدين الثلاثة التي بيناها سابقاً ، والرسول محمد صلوات الله عليه شاهد على الأمة الإسلامية يوم القيامة ، هل أدت رسالتها في تبليغ الدعوة الإسلامية إلى سائر الناس ـ كما تقول الآية ـ أم قصرت في ذلك واتبعت نزعات الشياطين ؟ وهكذا تكون قوامة المسلمين على الناس دليلاً على عالمية دعوتهم وعمومها .

٤ ـ كون الدين يسراً لا حرج فيه ولا عسر ولا ارهاق ولا اعنات ولا مشقة يقول الله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ [البقرة : ٢٨٦] ويقول ﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [البقرة : ١٨٥] . ويقول ﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [الحج : ٧٨] ، ويقول ﴿ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ﴾ [المائدة : ٦] ويقول ﴿ ولو شاء الله لأعنتكم ﴾ [البقرة : ٢٢٠] .. ومن تفصيل هذه الآيات نفهم أن الواجب الذي يشق على المكلف أداؤه أو يحرجه يسقط عنه إلى بدل أو يسقط عنه سقوطاً مطلقاً دون بدل ؛ كالمريض يفطر في شهر رمضان ثم يصوم بدلاً منه .

وكالشيخ الهرم يفطر في رمضان ثم لا يصوم بدلاً منه بل يطعم عن كل يوم مسكيناً اكلتين مشبعتين من مثل طعامه فإذا لم يجد ذلك فيعفو الله وهو العفو الغفور .

٥ ـ منع الغلو في الدين وإبطال جعله تعذيباً للنفس ؛ وذلك أن الإسلام أباح الطيبات بدون اسراف وأباح الزينة دون كبرياء . قال تعالى ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ﴾ [الأعراف : ٣١] .

وقال ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [الأعراف : ٣٢] . وقال تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ [المائدة : ٧٧] ، وفي هذا النهي اعتبار للمسلمين لأنهم أولى بالانتهاء عن الغلو لأن دينهم دين الرحمة واليسر وعدم الاعنات .

٦ ـ قلة التكاليف في الشريعة الإسلامية وبساطتها وسهولة فهمها وتنفيذها فقد كان الأعرابي يجيء النبي صلى الله عليه وسلم من البادية فيعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم ما أوجب الله وما حرم عليه في مجلس واحد ، فيعاهده الأعرابي لتوه على العمل بما تعلم في ذلك المجلس ثم ينصرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول عنه الرسول صلى الله عليه وسلم « أفلح الأعرابي ان صدق » وقد كان هذا من أعظم أسباب قبول الناس للدعوة وإقبالهم على الدين الإسلامي الحنيف .

٧ ـ انقسام التكاليف في الإسلام إلى عزائم ورخص ، وكان ابن عباس رضي الله عنهما يرجح جانب الرخص وابن عمر رضي الله عنهما يرجح جانب العزائم . . والناس بعد ذلك درجات في التفسير والتقصير والاعتدال . . فالاسلام دين يوافق البدوي الساذج والفيلسوف الحكيم وما بينهما من طبقات الناس، قال تعالى :

﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [فاطر : ٣٢] .

٨ ـ نصوص القرآن وهدي السنة النبوية المطهرة مراعى فيها درجات تفاوت

البشر في العقل والفهم وعلو الهمة وضعفها فالقطعي منها هو العام وغير القطعي تتفاوت فيه الافهام فيأخذ كل أحد منه بما أداه إليه اجتهاده ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقر كل أحد من أصحابه فيه على اجتهاده ، كما فعل عندما نزلت آية البقرة في الخمر والميسر الدالة على التحريم دلالة ظنية فتركها بعضهم دون بعض ، وأقر كلاً على اجتهاده إلى أن نزلت آية المائدة بالتحريم القطعي . . وآية البقرة هي ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما﴾[1] وتلك التي ترك بها بعض الصحابة الخمر دون بعضهم وآية المائدة هي ﴿ إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوا﴾[2] وتلك التي قطعت بالتحريم . قال تعالى ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٣]؛ ذلك ان الفرائض الدينية العامة والمحرمات الدينية العامة كلاهما لا يثبت إلا بنص قطعي يفهمه كل أحد ولا يملك الاختلاف حوله مسلم ، وأما الأيات الظنية الدلالة وأحاديث الآحاد الظّنية الرواية أو الدلالة فهي موكولة إلى اجتهاد الناس .

٩ ـ معاملة الناس بظواهرهم وجعل البواطن موكولة إلى الله سبحانه فليس لأحد من الحكام ولا الرؤساء الرسميين ولا لخليفة المسلمين نفسه أن يعاقب أحداً ولا أن يحاسبه على ما يعتقد أو يضمر في قلبه ، وإنماالعقوبات في الإسلام على المخالفات العملية للأحكام العامة المتعلقة بحقوق الناس ومصالحهم .

١٠ ـ مدار العبادات كلها على اتباع ما جاء به النبي في الظاهر ، فليس لأحد فيها رأي شخصي ولا رياسة . . ومدار العبادات في الباطن على الإخلاص لله تعالى وصحة النية . . والآيات والأحاديث في الأمرين كثيرة .

هذه المقاصد العشرة لا تدع شيئاً من حياة الانسان الدنيا الا وضعت له النظام الوحيد الذي لا نظام سواه ، وتلك هي أكبر الآيات على الاستغناء بالدين الإسلامي عن كل دين آخر قبله وعن أي نظام مستحدث من صنع البشر بعده ، ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٩ . (٢) سورة المائدة : ٩٠ . (٣) سورة آل عمران : ٨٥ .

فالدين العام ضرورة عقلية لأن ما سقناه من الحجج يوصلنا إلى نتيجة واحدة هي أنه لا مندوحة للإنسان في أي مكان وأي زمان عن قبول دعوى القرآن هذه ، وأنه لا سبيل لسعادته الا بذلك ، وتلك الحجج والبراهين تلجئنا بني الإنسانية جمعاء إلى قبول تلك الدعوى طائعين أو مكرهين . ولكنا إذا تدبرنا القرآن وعكفنا على دراسته دراسة واعية مستبصرة متأملة عرفنا ان الأمر ليس كذلك ؛ فإن الآيات البينات والبراهين القاطعة التي جاء بها القرآن مستدلاً بها على دعواه أسمى من ذلك شرفاً وأجل قدراً ، فإنها تحثنا وترغبنا في أن ندين بدين الله دين الحق دين الإسلام وقلوبنا مطمئنة بالإيمان مقتنعة بصدق كلمتها ، بدلاً من أن نقبل دعوته مكرهين أو مضطرين لا ينشرح لها خاطرنا ولا تطيب لها نفوسنا . . وأقوى تلك الحجج والبينات المبثوثة في سور الكتاب العزيز وآياته البينات وأشفاها للصدور وأقربها للعقل أربع ، هي التي صرف فيها القول وأعيد ذكرها مراراً بأساليب مختلفة مبتكرة وهي :

١ ـ الإسلام هو المنهاج الصحيح للحياة البشرية لأنه يوافق الحقيقة على ما هي عليه في نفس الأمر ، وكل طريق دونه ، ليس من الحقيقة في شيء كما ورد في التنزيل ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه يرجعون ﴾ [آل عمران : ٨٣] .

٢ ـ هذا هو المنهاج الوحيد الصحيح للإنسان لأنه هو الحق ولا يصح له طريق آخر حقاً وعدلاً كما قال سبحانه وتعالى ﴿ ان ربكم الله الذي خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

٣ ـ هذا هو الطريق الصحيح للإنسان لأن حقائق الأشياء على وجهها وعلى ما هي عليه لا يعلمها الا الله وهو الذي لا يأتي هدايته الخطأ من بين يديها ولا من خلفها . قال تبارك وتعالى ﴿ إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ﴾ [آل عمران : ٥] . وقوله تعالى عن منهج الإسلام وهو القرآن الكريم ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت : ٤٢] . وقوله تعالى ﴿ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء ﴾ [البقرة :

٢٥٥] وقوله تعالى ﴿ قل ان هدى الله هو الهدى ﴾ [البقرة : ١٢٠] .

٤ ـ هذا هو الصراط المستقيم للانسان لأنه لا يمكن ان يقوم العدل الا به وأي طريق يسلكه الإنسان دون هذا الطريق لا بد ان يفضي بـه إلى الظلم ويحيـد به عن طريق العدل كمـا قال جـل شأنـه ﴿ ومن يتعد حـدود الله فأولئك هم الظالمـون ﴾ [البقرة : ٢٢٩] .

والقـرآن الكريم بعـد ذلك ، يقـود الإنسان صـاحب النظر والتـأمـل العقلي ، وصاحب النظرة ، إلى الله تعالى وإلى ما يأمر به من عدل وخير وفضيلة ، مخاطباً في ذلك العقل والوجدان والحس في أسلوب معجز عامة في السمو والكمال وفي الدلالة على وجوده تعالى . قدرته ووجدانيته وفضله وما يأمر به يطالعنا القرآن الكريم بالآيات البينات التالية :

﴿ الله الذي رفع السماوات بغير عمـد ترونهـا ثم استوى على العـرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيـات لعلكم بلقاء ربكم توقنون * وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يُغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعنـاب وزرع ونخيل صنـوان وغير صنـوان يسقى بماء واحـد ونفضل بعضها على بعض في الأكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ [سورة الرعد : ٢ ـ ٤] .

﴿ ألم تـر أن الله يسجـد لـه من في السمـاوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس . . . . ﴾ [سورة الحج : ١٨].

﴿قل أرأيتم ان أصبح مـاؤكم غوراً فمن يـأتيكم بماء معين ﴾ [سـورة الملك : ٣٠] . أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن الا الرحمٰن انه بكل شيء بصير ﴾ [سورة الملك : ١٩] .

وحدانية الله

﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [سـورة البقـرة : ٦٣] .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] . ﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ... ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٥]

﴿ ٱللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ [آل عمران : ٢] . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَاءِ * هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ٥-٦] ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلٰئِكَةُ وَأُولُوا ٱلْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران : ١٨]

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰ اثْماً عَظِيماً * أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴾ [النساء : ٤٨ - ٤٩] . ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيداً ﴾ [سورة النساء : ١١٦] .

﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ . * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [آل عمران : ٧٣ - ٧٤] . ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَوَاتِ وَمَا فِي ٱلأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٢٩] .

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً ﴾ [النساء : ١٧٥] . ﴿ ... وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ [النساء : ٨٣] .

﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ... ﴾ [سورة الأنعام : ٢٥] .

الله : صفات ذاته وصفات أفعاله :

﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [سورة البروج : ١٤] .

﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران٥٤] .

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَاكِرِينَ ﴾ [سورة الأنفال : ٣٠] .

﴿ . . . بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [سورة الرعد : ٣٣] .

﴿ وَمَكَرُوا مَكْراً وَمَكَرْنَا مَكْراً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [سورة النمل : ٥٠] .

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً * وَأَكِيدُ كَيْداً ﴾ [سورة الطارق : ١٥ - ١٦] .

﴿ . . . وَلَكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة البقرة٢٥١] .

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَاناً وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل : ٨١] .

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت : ٦٠] .

﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَٰئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٣] .

﴿ . . . وَٱللَّهُ رَؤُوفٌ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [سورة آل عمران :٣٠] .

﴿ . . . إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٣] . ﴿ . . . وَٱللَّهُ رَؤُوفٌ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [سورة البقرة : ٢٠٧] .

﴿ . . . وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران : ١٠٨] . ﴿ . . . وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٤] .

﴿ ... وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ... ﴾ [سورة الأنعام: ١٥١].

﴿ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [سورة يونس: ٦٠].

﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [سورة هود: ٦].

قدرة الله

﴿ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَاشاً وَٱلسَّمَآءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ ٱلثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢]. ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ... ﴾ [البقرة: ٧٤]. ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * ... بَل لَّهُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ ... وَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة البقرة: ١١٥ - ١١٧].

أوامر الله

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَاةَ... ﴾ [سورة البقرة: ٨٣].

﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ

وَلَا تَقْتُلُوا ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥١ - ١٥٣] .

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٣٣] .

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ . . ﴾ [سورة المؤمنون : ٩٦] .

﴿ . . . ٱشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [سورة لقمان : ١٤] .

﴿ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [سورة فصلت : ٣٤] .

حب الله :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ ٱللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [سورة البقرة : ١٦٥] . ﴿ . . . وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَامَىٰ وَٱلْمَسَاكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّائِلِينَ . . . ﴾ [سورة البقرة : ١٧٧] .

﴿ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٠] .

﴿ . . . وَتُوبُوا إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [سورة النور : ٣١] .

التوكل على الله :

﴿ ... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُه ... ﴾ [سورة الطلاق : ٣] .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * ٱلَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [سورة الشعراء : ٢١٧ ـ ٢٢٠] .

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُـوَ وَعَـلَىٰ ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التغابن : ١٣] .

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [سورة الأحزاب : ٣] .

خشية الله :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِّنْ بَعْـدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَـالحِجَارَةِ أَوْ أَشَـدُّ قَسْـوَةً وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَـارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْـهُ ٱلْمَاءُ وإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ... ﴾ [سورة البقرة : ٧٤] . ﴿ ... إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٥٠].

الخلق :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَىٰ ٱلْمَـآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ... ﴾ [سورة هود : ٧] .

﴿مَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [سورة الأحقاف : ٣] .

﴿ أَوَلَمْ يَـرَوْا كَيْفَ يُبْدِيءُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْـدُهُ إِنَّ ذٰلِـكَ عَلَىٰ ٱللَّهِ يَـسِيرٌ * قُلْ سِيرُوا فِي ٱلْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِيءُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ ... ﴾

[سورة العنكبوت :١٩ - ٢٠] .

﴿ خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰواتِ والأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذٰلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٤] .

القرآن :

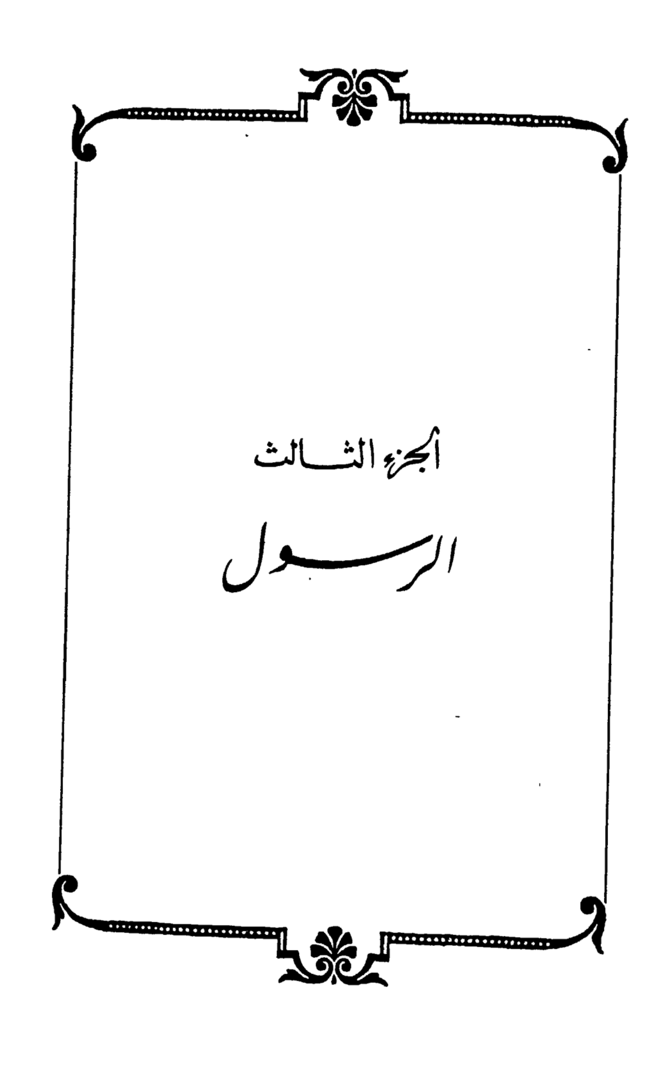
﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّـذِي جَآءَ بِـهِ مُوسَىٰ نُـوراً وَهُدىً لِلنَّـاسِ تَجْعَلُونَهُ قَـرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ [سورة الأنعام : ٩١] .

﴿ذٰلِكَ ٱلْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيـهِ هُـدىً لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْـكَ وَمَا أُنْـزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولٰئِـكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة البقرة : ٢ - ٥] . ﴿ . . . فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة البقرة :٩٧] . ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ ٱلْقُـرْآنُ هُدًى لِلنَّـاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ ٱلْهُـدَىٰ وَٱلْفُرْقَـانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ . . . ﴾ [سورة البقرة : ١٨٥] .

الإسلام :

﴿ مَا كَانَ إِبْـرَاهِيمُ يَهُودِيـاً وَلَا نَصْرَانِيّـاً وَلٰكِنْ كَانَ حَنِيفـاً مُسْلِمـاً وَمَـا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّـذِينَ آمَـنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِين ﴾ [سورة آل عمران : ٦٧ - ٦٨] .

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا ﴾ [سورة البقرة : ١٢٧ ـ ١٢٨] . ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة البقرة : ١٣٥] . ﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ ٱللَّهِ وَمَا ٱللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۞ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١٤٠ ـ ١٤١] .



الجزء الثالث

الرسول

* * *

ـ الرسل والرسالات السماوية .

ـ الرسالة الاعلامية لرسل الله .

ـ صفات من يتصدى للدعوة .

ـ الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وما أعده الله تعالى به .

ـ شخصية الرسول وصفاته .

ـ شخصية الرسول وصفاته وطبيعة رسالته كما بينتها آيات الله البينات .

* * *

الرسل والرسالات السماوية

شاءت إرادة اللّه تبارك وتعالى ، أن يرسل الرسل إلى البشرية على تعاقب القرون والأعوام ، فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً * ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم اللّه موسى تكليماً * رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على اللّه حجة بعد الرسل وكان اللّه عزيزاً حكيماً ﴾ [النساء من ١٦٣ - ١٦٥] .

ومن هذا التنزيل الكريم ندرك أن الرسل الذين أرسلهم اللّه بدعوته إلى الناس يمثلون ضرورة أساسية لكل رسالة ، بل أنهم يمثلون الوسيلة الأساسية لهذه الرسالات . ويقول فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود في هذا الشأن :

« ان الرسالات كلها ضرورية للناس لأن عقل الإنسان وحده لا يستطيع أن يلم بكل الحاجات ولا يملك جماح الشهوات والمغريات » .

كما تتضمن الرسالات أحداثاً سابقة ، تذهب في القوم إلى أبعد ما تعيه وما تعيه أو تحفظه ذاكرة الإنسان ، وفي بيانها للإنسان تذكرة وعبرة ليصل ماضيه بحاضره ليتبين طريق مستقبله ، فجاءت هذه الرسالات على مر الأعوام والقرون ، لخير الإنسان رحمة من ربه لهدايته إلى طريق الخير .

واختيار اللّه تعالى لرسله من بين بني الإنسان بالإضافة إلى اعتباره تكريماً للإنسان ومنزلته السامية عند اللّه ، هو اختيار يتصف بكل السداد والكمال وهم يمثلون صفوة الصفوة من بني البشر ، لما خصهم اللّه تعالى من تبليغ أكرم رسالة لعباده ، وهي رسالة هدايتهم إلى طريق الخير والفلاح وكسب رضاه عز وجل .

يقول تعالى في ذلك : ﴿ اللّه يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس ان اللّه سميع بصير * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وإلى اللّه ترجع الأمور ﴾ [الحج : ٧٥ ، ٧٦] .

وأرسل الرسل إلى الناس ، وما جاءوا به من عند ربهم يقودنا إلى دليل صدق هذه الرسالات ، وإلى أن مصدرها واحد ، ذلك أن هذه الرسالات جاءت كلها تحمل نفس الدعوة ، وتعمل لتحقيق أهداف واحدة فيقول تعالى في ذلك :

﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً ان اعبدوا اللّه واجتنبوا الطاغوت ﴾ [النحل: ٣٦] .

﴿ وان من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [فاطر : ٢٤] .

وهؤلاء الرسل الذين اصطفاهم اللّه تعالى ويعلم ما تنطوي عليه شخصياتهم من صفات فهم كما قال :

﴿ الذين يبلغون رسالات اللّه ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا اللّه ﴾ [الأحزاب : ٣٩] .

ومما تقدم نستطيع أن نستخلص بعض المبادىء في شأن الرسل ورسالات السماء التي جاءت على فترات في تاريخ البشرية كما شاءت حكمة اللّه تعالى هذه المبادىء ، وهي :

١ ـ ان اصطفاء اللّه تعالى أنبياءه من البشر هو تكريم للإنسان ومنزلته عند ربه .

٢ ـ إن هذه الرسالات كانت أساسية لاستمرار الحياة وتقدمها لدعوتها إلى الخير والعمل الصالح ، وتجنب الهدم والانحراف عن الطريق المستقيم .

٣ ـ ان هؤلاء الرسل الذين اصطفاهم اللّه من خلقه كانوا على أعلى درجة من

الشجاعة والإيمان لأنهم يواجهون قوى طاغية من الشر لا قدرة لأحد على مواجهتها ما لم يكن متصفاً بالإيمان والشجاعة ويستند إلى تأييد أقوى الأقوياء الذي بيده كل شيء .

٤ ـ وان الرسل بهذه الصفات ، كانوا مؤهلين لتبليغ رسالات الله ومؤيدين منه ، مما حقق لهذه الرسالات النجاح الأمر الذي أتاح للحياة أن تستمر وتتقدم على طريق الخير .

٥ ـ ان قدرة الإنسان لا تتسع لإدراك كل ما تحتاج إليه الحياة وحياته ، ومن أجل ذلك ، كانت الرسالات السماوية عوناً وفضلاً من الله ورحمة منه لخير الإنسان والحياة .

٦ ـ ان هذه الرسالات التي تناولت دعوة لا تتغير وسبباً إلى تحقيق اهداف واحدة ، هي أكبر دليل على وحدانية وسمو مصدرها وتعاليه عن كل ما عداه .

٧ ـ انها جميعاً تؤكد أن البشر جميعاً اخوة وأن واجبهم الأسمى في الاستجابة إلى هذه الرسالات والعمل بها ، لأنها من فضل الله عليهم وأعظم ما يدل على كرامتهم عند الله .

وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم : « نحن اخوة لِعَلَّات أمهاتنا مختلفات وأبونا واحد » يعني أن عصور الأنبياء مختلفة ، ولكن مصدر رسالاته واحد وهو الوحي الإلهي .

ومن الواضح أن طبيعة البشر تختلف من عصر إلى عصر ، كما أن حدود الرسل محدودة بالقياس إلى قدرة الله تبارك وتعالى ، كذلك فإن الله تبارك وتعالى يؤكد هذه الحقيقة لرسله حتى لا يقعدهم الاحباط واليأس . . ويقول عز وجل ليبين لرسله حدودهم وواجبهم في الدعوة ، وما يتصل بقدرتهم وما يترك إلى قدرته تعالى : ﴿ إن الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من في القبور * ان أنت إلا نذير * انا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً وان من أمة إلا خلا فيها نذير * وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير * ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ﴾ . . . [فاطر : ٢٢ ـ ٢٦] .

ان الفوارق أصيلة في طبيعة الكون وفي طبيعة النفس ، واختلاف طباع الناس واختلاف استقبالهم لدعوة اللّٰه أصيل أصالة الفوارق الكونية في البصر والعمى ، والظل والحرور ، والظلمات والنور ، والحياة والموت ، ووراء ذلك كله تقدير اللّٰه وحكمته ، وقدرته على ما يشاء .

وإذن فالرسول ليس إلا نذيراً ، وقدرته البشرية تقف عند هذا الحد ؛ فما هو بمسمع من في القبور ، ولا من يعيشون بقلوب ميتة فهم كأهل القبور ؟ واللّٰه وحده هو القادر على اسماع من يشاء، وفق ما يشاء ، حسبما يشاء . فماذا على الرسول أن يضل من يضل ، ويعرض من يعرض متى أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، فسمع من شاء اللّٰه أن يسمع ، وأعرض من شاء اللّٰه أن يعرض ؟

ومن قبل قال اللّٰه لرسوله ـ صلى اللّٰه عليه وسلم ـ : ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ [فاطر : ٨] .

لقد أرسله اللّٰه بالحق بشيراً ونذيراً ، شأنه شأن اخوانه من الرسل ـ صلوات اللّٰه عليهم ـ وهم كثير . فما من أمة إلا سبق فيها رسول :

﴿ وان من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾[فاطر : ٢٤] .

فإن لقي من قومه التكذيب ، فتلك هي طبيعة الأقوام في استقبال الرسل ، لا عن تقصير من الرسل ، ولا عن نقص في الدليل :

﴿ وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ﴾[فاطر : ٢٥] .

والبينات الحجج في صورها الكثيرة ، ومنها الخوارق المعجزة التي كانوا يطلبون أن يتحداهم بها بالرسول . والزبر الصحف المتفرقة بالمواعظ والنصائح والتوجيهات والتكاليف . والكتاب المنير ، الأرجح أنه كتاب موسى ، التوراة . وكلهم كذبوا بالبينات والزبر والكتاب المنير .

هذا كان شأن أمم كثيرة في استقبال رسلهم وما معهم من دلائل الهدى . فالأمر إذن ليس جديداً ، وليس فريداً ، إنما هو ماض مع سنة الأولين .

وقد أنزل اللّه تبارك وتعالى في شأن إرسال الرسل والأنبياء وتبليغهم لرسالاتهم آيات بينات وردت فيما يلي :

﴿ رُسُلاً مبَشرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ٱللَّهِ حُجَّةُ بَعْدُ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴾ [النساء : ١٦٥] .

وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ . . . ﴾ [الأنعام : ٤٨] .

. . . وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٧] .

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ * يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ ٱلظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ ٱلدَّارِ ﴾ [غافر : ٥١ - ٥٢] .

﴿ . . وَما كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران : ١٧٩] .

﴿ . . . وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ ٱللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [غافر : ٧٨] .

﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيراً [الفرقان : ٥١] .

ما ينبغي أن يتوفر للداعي من صفات

يقول الإمام المراغي في الصفات التي ينبغي أن تتوفر في الداعي بصفة عامة : من لوازم الداعي والمرشد أن يكون شجاعاً صادقاً قوي الإيمان بما يدعو اليه ، يرى في الإقدام لذة وحقاً للنفس الخيرة يؤديه احتساباً لله

ومن واجب الداعي أن يكون بصيراً بالوسط الذي يعيش فيه ، خبيراً بأحوال النفوس ، واسع الحيلة في التنقل من طريق إلى طريق ، يقصد الهداية المطلوبة من طريقها النافع ، وليس أفعل في القلوب من جلال تكسبه التقوى وملازمة حدود الله ، ومن جمال يلقيه العلم الناضج على صاحبه ، ومن هيئة يوجدها الاعراض عن الدنيا وعدم الحرص عليها .

ويؤكد لزوم الأخلاق للداعي اقتران العمل الصالح بالدعوة في قوله تعالى : ﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

فالدعوة هي . . قدرة وقدوة . . قدرة على التمكن العلمي والاستعداد الفني . . تمكن من الدين . . القرآن الكريم والأحاديث النبوية والإلمام بالأحكام الشرعية والحياة العامة مع التمكن من اللغة كتابة وحديثاً . . راعياً الأساليب العلمية في الاقناع . . ومعرفة تامة بالطبائع والميول والظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية التي يحياها القوم الموجه اليهم دعوة الداعي ـ له قدرة علمية في دراسة علوم النفس الاجتماعية والتربوية .

كذلك فإن القدرة تكون بالدراية الفنية المأخوذة من قول الله تعالى لنبيه : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] .

فالتصرف بالحكمة أساس نجاح الدعوة ﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيراً ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

أما القدوة . . فهي قدوة أخلاقية . . ﴿لقد كان لكم في رسول اللّه أسوة حسنة ﴾ [الأحزاب : ٢١] . . فالداعي مطالب بأن يكون قدوة لقومه فلا يختلف قوله عن عمله . . دعوته مطابقة مع سلوكه فيكسب حب الناس وثقتهم . .

والأخلاق التي جاءت في القرآن الكريم والمبينة في هذا البحث بالتفصيل كان يتحلى بها النبي صلى اللّه عليه وسلم وكانت أخلاقه هي أخلاق القرآن .

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى اللّه وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

وإذا كان النبي صلى اللّه عليه وسلم دعا إلى اللّه بالوسائل المختلفة ، الخطابة والحديث والرسائل إلى الملوك والرؤساء وإرسال البعثات والمبعوثين إلى أنحاء مختلفة . . وقام باتصالات شخصية بين القبائل وفي المساجد والطرقات وفي مواسم الحج . . فكانت كل وسائله للدعوة وأساليبه في الإقناع كلها تتفق مع الحكمة . . ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥]، فكانت له دراية فنية وخبرة وحكمة . .

يقول فضيلة الشيخ عطية صقر :
ان هذه الوسائل كلها قول وعمل ، وينضم اليهما القلب ، وذلك بكراهة المنكر إذا لم يستطع تغييره بيده أو بلسانه ، وكراهة العاصين وإظهار ذلك لهم حتى يحسوا بخطئهم لعلهم يرجعون .

قال تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون باللّه واليوم الآخر يوادون من حاد اللّه ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم ﴾ [المجادلة : ٢٢] .
وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾ [الممتحنة : ١] .

وقد ثبت هجر النبي وأصحابه للمتخلفين عن غزوة تبوك حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من اللّه إلا إليه ، بل ان

زوجاتهم هجرنهم إظهاراً لمدى ما في قلوبهم من إنكار لما فعلوه . وبهذا نعرف ان للانكار بالقلب دوراً إيجابياً في إزالة المنكر أما انكار ليست فيه هذه الاجراءات فغير مفيد ، وهو ما يردده بعض السذج من قولهم اللهم ان هذا منكر لا يرضيك ولا يلبث أن يتحدث مع العاصي ويتبسط إليه كأن لم يكن قد حصل منه منكر ، وهذا نفاق أغوى العاصين بالتمادي في الفساد .

وإذا قرأنا القرآن الكريم وبحثنا صفات وأساليب الرسل نجد هناك صفات وأساليب علمية للدعوة .

نجد أن اللّٰه سبحانه وتعالى يخاطب موسى وأخاه هارون قائلاً : ﴿ اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى ﴾ [طه : ٤٣ - ٤٤] .

هنا نجد الحكمة السليمة إذ ليس من الحكمة في شيء أن يذهب موسى وأخوه هارون ويغلظا القول إلى فرعون . . فالنتيجة ستكون معروفة وأن غلظة القول ستسبب أذى وضرراً ولا تسبب اقتناعاً برسالة اللّٰه .

لذلك فمن الحكمة حتى لا يحدث رد فعل معاكس أن يذهبا إلى فرعون ويقولا له قولاً ليناً .

كذلك نجد أن شخصية الرسول وصفاته تؤثر على الشخص المستقبل للرسالة . ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك . . . . الخ﴾ . كذلك نجد في أسلوب القرآن في تحريم الخمر هو أسلوب التدرج حتى لا يحدث العناد ، فالموروثات والعقائد ليس من السهل تحويل الناس عنها .

ويقول فضيلة الشيخ عطية صقر :

وقد أشار اللّٰه تعالى في مسألة الخمر أولاً أنها سكر ورزق حسن يجب أن يشكر اللّٰه عليه ثم بين أن فيها منافع ولكن الإثم أكبر . وكان في ذلك إعطاء فرصة للتفكير في البعد عما كان ضرره أكثر من نفعه ، إلى آخر مراحل التحريم ، وفي مثل هذا الاسلوب يقول المثل الصيني : بدل أن تلعن الظلام أوقد شمعة ؛ ذلك أن الهدم بالأسلوب العنيف قد لا يقضي على الشر ، ولكن البناء الجديد الحسن كفيل بلفت الأنظار إليه والالتفاف حوله.

ومن الحكمة عرض الموضوع مبسطاً واضحاً غير معقد ، وبخاصة عند دعوة الأجانب إلى الإسلام ، فيحسن عرض العقيدة في بساطتها ووضوحها المعروفة بهما ، والحذر من استعمال الأساليب الملتوية المعقدة التي تذهب ببهائها وروعتها .

وقد كان عرض العقيدة بهذا الأسلوب المبسط سبباً في دخول كثير من الناس في الإسلام عندما وازنوا بينها وبين عقائدهم التي عقدها القوامون على الأديان ، بالفلسفات القائمة إذ ذاك .

ومن الحكمة عدم التشدد في الأخذ بالمبدأ في أول الأمر ، والتساهل إلى حد ما في بعض الأمور حتى تألفها النفوس الجديدة وتتعودها فتلبيها راضية مطمئنة ،لقد طلب وفد من النبي عندما أسلموا ، ألا يطلب منهم زكاة ولا يدعوهم إلى الجهاد ولا الصلاة ، فحط عنهم الزكاة والجهاد وأبقى الصلاة ، وأخبر أنهم سيزكون ويجاهدون بعد ذلك عندما يستقر الإيمان في قلوبهم،وقد كان كما رواه أحمد وأبو داود . وروى أبو داود عن عبد الله بن فضالة عن أبيه قال : علمني رسول الله ، وكان فيما علمني « وحافظ على الصلوات الخمس قلت : انها ساعات لي فيها اشغال فمرني بأمر جامع إذا أنا فعلته أجزأ عني»، فقال : « حافظ على العصرين » وما كانت في لغتنا ، فقلت : وما العصران ؟ قال : « صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها » . وكان هذا التخفيف بصفة مؤقتة .

ومن الحكمة التبشير وعدم التنفير العنيف خصوصاً للمهتدين حديثاً ، فمن الحكمة تحبيبهم في الإسلام والطاعة حتى تطمئن قلوبهم بالإيمان ثم تعالج أمراضهم بعد ذلك في أمان ، كعملية التخدير التي تسبق إجراء العمليات الجراحية ، وقد نصح النبي معاذاً وزميله حين أوفدهما إلى اليمن قائلاً : « يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا ولا تختلفا » ، رواه مسلم ، ولما شكا الناس إليه إطالته في الصلاة قال له : « أفتان أنت يا معاذ ؟ » وروي أن عمر بن الخطاب بلغه أن عظيماً بالشام يسرف في الشراب فكتب إليه آية ﴿ غافر الذنب وقابل التوب ﴾[1] وآية ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾[2] وقال لحامل الكتاب : لا تدفعه إليه حتى يصحو من سكره ، ثم قال لاخوانه : ادعوا له

(١) سورة غافر : ٣ .

(٢) سورة الزمر : ٥٣

بالتوبة فحسن حال الرجل ، ثم قال عمر : هكذا افعلوا إذا أردتم الدعوة .

ومن الحكمة في الدعوة قصد الرؤوس والشخصيات الكبيرة بها لأن استجابة هؤلاء ستجر وراءها كثيراً من الاتباع ، بحكم التقليد أو بحكم العلاقة بين الكبير والصغير وبين الرئيس والمرؤوس ، وكان يود النبي أن يسلم كبار قريش فتصدى إليهم كثيراً ، لكن اللّه أخبره أنهم لن يستجيبوا له الآن فليصرف همه إلى دعوة غيرهم ، وكتب إلى رؤساء القبائل ، وإلى كبار الملوك المجاورين لجزيرة العرب ، رجاء أن يسلم أقوامهم إذا أسلموا هم ، وكان من حيل المستعمرين حديثاً في حمل الناس على مذاهبهم أن يولوا كبارهم المناصب الكبيرة حتى يقلدهم الأتباع والمرؤوسون.

ومن الحكمة في الدعوة مراعاة مقام المدعو واختيار الأسلوب المناسب له ، فدعوة الملوك غير دعوة العامة ، والأسلوب الذي يستعمل لدعوة الطغاة الجبارين غير أسلوب العاديين من الناس ، ومواجهة الوالد بالإنكار غير مواجهة بقية الناس ، على ما مر بيانه من قبل .

كذلك من ناحية الخطبة الدينية يلزم . . التشويق والترغيب فلا داعي إطلاقاً أن نطيل في الخطبة ونبدأها بعذاب النار . . ونسد أبواب الرحمة والتوبة أو نتحدث بصوت غير مسموع أو بصوت عال غير مطلوب أو مرغوب أو بلغة عربية فصحى ألفاظها غير سهلة الفهم على قوم لا يعرفون معاني هذه الألفاظ أوننفعل في مواطن الخطابة حيث لا داعي لهذا الانفعال أو نطيل في الخطبة أكثر من اللازم أو أن نزيد في المقدمات ونختصر في أصل الموضوع .

وإذا كان اللّه سبحانه وتعالى ذكر الأمثال للاقناع والإيضاح فيا حبذا من ذكر بعض القصص أو الأمثال المناسبة للموضوع . كذلك قد يتطلب الأمر استخدام وسائل الايضاح كالإشارة باليد . . . الخ . ويمكن استخدام الاسلوب المناسب للالقاء بصور مختلفة كالتعجب والاستفهام كما قال النبي في حجة الوداع : « أي يوم هذا ؟ أي شهر هذا ؟ أي بلد هذا ؟ » .

كذلك لكل مقال مقام فموضوع الخطبة يجب أن يناسب المستمعين ثقافة وعلماً .

الرسول

قام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بتبليغ رسالة ربه للناس كافة بعد أن اصطفاه ربه من كافة خلقه في الرحلة التاريخية التي خرج بها إلى الناس . وقد تحدثنا في الفصل السابق عن صفات الرسل ونتحدث هنا بصفة خاصة عن رسول اللّه محمد صلى اللّه عليه وسلم الذي أرسله اللّه تعالى بدعوة الإسلام . وأول ما يواجهنا في هذا المجال أن اللّه تعالى قد أعده وهيأه لهذه الرسالة العظمى على الوجه الأكمل . ونرى هذا الاعداد بصفة خاصة واضحاً في آيات سورة المزمل وفي آيات اخرى متفرقة في أجزاء من القرآن . فمن المتفق عليه أن أول ما أنزل على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قوله تعالى : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . . ﴾[1] إلى آخر الآيات المنزلة ، ثم تتلوها بعد ذلك سورة « المزمل » التي تقول آياتها :

﴿ يا أيها المزمل * قم الليل إلا قليلاً * نصفه أو انقص منه قليلاً * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً * انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً * ان ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً * ان لك في النهار سبحاً طويلاً * واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً * رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴾[2] .

وفي تفسير هذه الآيات يقول ابن عباس: يا أيها المزمل تعني يا أيها النائم . فاللّه تعالى يأمر رسوله بأن ينهض من نومه ليقوم عابدا ربه عز وجل ، وقيام الليل للعبادة كان واجباً عليه صلى اللّه عليه وسلم وحده ، في هذا الوقت. ثم تبين الآيات مقدار ما يقوم به من الليل فتحدده بوقت يقترب من نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل . وقوله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ يعني اقرأ آيات القرآن على تمهل لأن ذلك يكون عوناً على فهمها وتدبرها على الوجه الأكمل .

ويقول الحسن وابن قتادة في معنى قوله تعالى : ﴿ إنا سنلقي عليك قولاً

---

(1) سورة العلق : ١ .

(2) سورة المزمل : ١ ـ ٩ .

ثقيلاً ﴾ أنه يعني « العمل به ثقيل » وقيل انه ثقيل لعظمته . أما قولـه تعالى : ﴿ ان ناشئة الليل هي أشد وطئاً وأقوم قيلاً ﴾ يعني أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة أي أجمع للخاطر في آداء آيات القرآن وتفهمها ، بعكس ساعات النهار التي ينتشر فيها الناس ويسعون فيه إلى معاشهم وقضاء حاجاتهم وهـو لهذا لا يتيح للمرء أن يفرغ إلى ما يريد من تأمل وسعي للفهم . .

أما قوله تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلاً ﴾ أي أكثر من ذكر الله عز وجل وانقطع إليه في هذه الأوقات التي تفرغ فيها من اشغالك ، فلا تجد ما تشغل به بالك إلا ذكر الله . وفي قولـه : ﴿ تبتل تبتيـلاً ﴾ قال الحسن : يعني اجتهـد في ذلك واخلص اليه نفسك .

وقوله تعالى : ﴿ رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً ﴾ يعني انه تعالى المالك المتصرف في المشارق والمغارب الذي لا إله إلا هـو ليعبده ويتـوكل عليه، وكما أمـر العبادة يعززه بالتوكل عليه ، فلا يطلب العون من أحد غيره تعالى ، فهو تعالى حسبه ونصيره من دون الخلق جميعاً .

بهـذه الآيات المبـاركات نـرى كيف هيىء رسول الله صلى الله عليـه وسلم لتبليغ رسالته ، وهي تهيئة روحية خالصة ، تتناسب مع طبيعة الرسالة الإلهية وتتلخص في :

- القيام لعبادة الله تعالى بما يقارب نصف الليل .
- ترتيل الآيات التي تنزل عليه من القرآن على تمهل ، ليحسن فهمها وتدبرها .
- يعلمه الله تعالى أنه سيلقي عليه قولاً ثقيلاً ؛ ليأخذ لـلأمر اهبتـه ويكرس لـه كل طاقاته .
- ان يكثر من ذكر الله تعالى ويتفرغ لهذا الذكر في الليل في وقت يسكن فيه ضجيج الحياة والاحياء ، مع الاجتهاد والاخلاص في هذا الذكر .
- ثم تكون الخاتمة المناسبة لهذا الاعداد في دعوة الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتخذه وكيلاً لأنه تعالى وحده المتصرف في شؤون هـذا العالم مشـرقه ومغربه .

وبالتأمل والسلوك والذكر والتوكل على اللّه تعالى يستمر في دعوته إلى الناس ، لا يتردد فيها ولا يبالي ولا يخاف . . وبهذا الاعداد القرآني الكريم ، صبر وصمد ، حين كان يقف وحده والعالم كله من حوله كافر ، ثم ناضل وجاهد ، قوى الكفر والبغي ، وهي الأكثر عدداً والأوفر عدة وجبروتاً ، وبه كان جديراً بوعد اللّه له بالنصر .

ثم نرى آيات القرآن تتابع في سور مختلفة توجه رسوله إلى الطريق السوي لتبليغ ما أنزل إليه من ربه .

في سورة المائدة يقول تعالى ﴿ وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم ﴾ [المائدة : ٤٩] .

وفي سورة الشعراء يقول تعالى لرسوله ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين * فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون ﴾ [٢١٥ ، ٢١٦] .

وفي سورة الاحقاف يقول عز وجل ﴿ فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم ﴾ [٣٥] . .

فإذا لقي الرسول عليه الصلاة والسلام التعنت والسخرية والهزء جاءه البيان القرآني ليثبت فؤاده ويظهر باطل وخواء المستهزئين : يقول تعالى في سورة الفرقان ﴿ وإذا رأوك ان يتخذونك الا هزواً أهذا الذي بعث الله رسولاً * ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً * أرأيت من اتخذ إلّهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ [٤١ - ٤٤] .

ثم يقول تعالى تثبيتاً للرسول في سورة الحج ﴿ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود * وقوم ابراهيم وقوم لوط ﴾ [٤٢ - ٤٣] . ويقول في سورة هود ﴿ وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما تثبت به فؤادك ﴾ [هود : ١٢٠] .

وفي سورة الأحزاب يقول تعالى ﴿ ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة واعد لهم عذاباً مهيناً ﴾ [٥٧] .

وفي سورة الإسراء نرى رعاية الله تحفظ رسوله وتحذره يقول تعالى ﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً * ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾ [٧٣ - ٧٥] .

والله أعلم بما وضعه في قلب رسوله وبما وهبه من حسن الخلق والرحمة ليكون مسوغاً مطاعاً . يقول تعالى في سورة التوبة ﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [١٢٨] .

وفي سورة آل عمران يقول تعالى ﴿فيما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [١٥٩] . بما ان القرآن الكريم يواجه كل المواقف الصعبة بما يناسبها من التوجيه لرسوله عليه الصلاة والسلام اثناء تبليغ رسالته ، والاعلام عن دعوته فيقول تعالى في سورة الحجر ﴿فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين * انا كفيناك المستهزئين * الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون * ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين * واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ [٩٤ - ٩٩] .

وفي سورة النمل ، يقول تعالى ﴿ فتوكل على الله انك على الحق المبين * انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين * وما انت بهادي العمْي عن ضلالتهم ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون ﴾ [٧٩ - ٨١] .

ثم يوجهه الله تعالى إلى الأركان الأساسية لكل دعوة ولكل اعلام ناجح فيقول سبحانه وتعالى في سورة [النحل : آية ١٢٥] ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾. صدق الله العظيم .

شخصية الرسول وصفاته

ذكرنا في الفصل السابق ان تبليغ الرسالة والاعلام عنها بين الناس قام أولاً على الكلمات الطيبة الموحية المنزلة من الله رب العالمين ، ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اختاره ربه لتبليغ رسالته للناس . ولم يكن الأمر سهلاً كما يبدو لنا الآن ، لأن العالم كله كان يعيش في الكفر والإلحاد منذ قرون بعيدة ، ولأن أهل مكة من قريش الذي أنزل القرآن فيهم كانوا أهل وثنية وجبروت وتعصب وأصحاب مال وقوة وبغي ، وقد لقي رسول الله منهم هو وأصحابه على أول عهد الناس بالإسلام أذى وسخرية وعنت لا يطيقه ويصبر عليه الا صاحب كل شخصية قوية صابرة مؤمنة ، وهبت حياتها وكل ما تملك لله ولدينه الذي جاء لخير البشرية في الدنيا والآخرة .

وكان القرآن الكريم بآياته البينات وبما تعد وتوجه اليه مصدر القوة التي شدت أزر رسول الله وأصحابه للمضي بالدعوة إلى غاياتها العظيمة حتى تم النصر .

وسوف نتابع في هذا الباب بعض الآيات المباركات التي صاغت شخصية وفكر وسلوك وخلق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، الذي اضطلع بالبلاغ والاعلام من جانبها البشري وسنرى كيف خصته رحمة الله بالفضل العظيم وأهلته لحمل رسالة الإسلام إلى الدنيا كلها . . والمضي بالقول الثقيل الذي ألقي عليه ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم .

يقول تعالى في [سورة النساء آية : ١١٣] ﴿ ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون الا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً ﴾ .

هنا ترى مصدر العظمة والعلم والحكمة ، وكلها عناصر أساسية في بناء

الشخصية وقوتها لتنهض بالتبعات الجسام المتصلة بالبلاغ والاعلام في مجتمع كافر وثني متعصب . لقد وهب الله تعالى رسوله الأمين ما لم يهبه لبشر وكان فضل الله عليه عظيماً .

ثم يقول الله عز وجل في سورة النحل ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [٦٤] ، ﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [٨٩] .

وفي سورة الشورى يقول تعالى وهو اصدق القائلين ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [٥٢] .

وهنا نرى فضل الله على رسوله في مجال الإيمان والمعرفة ان القرآن المجيد الذي لم يقف في شيء فيه تبيان لكل شيء ليلزم كل معاند بحجته وبرهانه ، وفيه من النور والرحمة والبشرى وما يهدي القلوب إلى الصراط المستقيم .

ونتابع الفيض العظيم من رحمة الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ليمنحه كل الوسائل التي تمكنه من تبليغ رسالته ، وتمهد القلوب والنفوس للاستجابة فيقول تعالى في سورة آل عمران ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ﴾ [١٥٩] .

هنا يتوفر للرسول صلى الله عليه وسلم بعد ان علمه ربه الكتاب والحكمة وأحاطه بكل ألوان المعرفة ، عامل نفسي لا غنى عنه لنجاح كل صاحب دعوة . هذا العامل يتمثل في رقة القلب واللين الذي يجمع الناس على دعوته . . ثم يوجهه تعالى إلى العفو عن الذين أساءوا إليه والاستغفار لهم ومشاورتهم في الأمر ، وكلها عوامل تجمع ولا تفرق وتؤكد على الترابط والتلاحم بين المؤمنين ، ليكسبوا قوة تصمد لعنت الكافرين وأذاهم إلى آخر المدى .

ثم تمضي آيات الله البينات في رحلة مباركة عظيمة لتطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على آفاق وآيات جديدة لم تتح لأحد غيره . . فيقول تعالى في سورة الإسراء ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير ﴾ [١] .

ويقول عز وجل في سورة النجم :

﴿ والنجم اذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى * ان هو إلا وحي يوحى * علمه شديد القوى * ذو مرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى * ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى * فأوحى إلى عبده ما أوحى * ما كذب الفؤاد ما رأى * أفتمارونه على ما يرى * ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى * عندها جنة المأوى * إذ يغشى السدرة ما يغشى * ما زاغ البصر وما طغى * لقد رأى من آيات ربه الكبرى ﴾ [١ - ١٨] .

ومن هذه الرحلة الروحية ندرك مصدر ما زود به الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم من إيمان وعلم ومعرفة وحكمة وخلق ، انه فضل الله تبارك وتعالى ووحيه الشديد القوي الذي أراه آيات ربه الكبرى .

ان الرسول العظيم ، الذي عاش في مجتمع منعزل متخلف وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، منقطع الصلة بالحياة التي عاشتها أجيال البشرية خارج حدود زمنه وأرضه ، يقص على قومه أنباء من حياة هذه الأجيال التي درست من زمن سحيق ، فكأنه حين يقصها يراها رأي العين ، ويستمع بإذنيه إلى ما يدور فيها من أحاديث وجدل ، فيؤكد بهذه الأنباء ان ما ينطق به هو الحق والصدق ، أوحى به تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة وهداية للناس لعلهم يتذكرون .

وان هذا القصص ليأتي من نفس المصدر الإلهي والقرآني الذي منح الرسول صلى الله عليه وسلم العلم والحكمة والخلق العظيم . . وندرك مبلغ صدق ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين سئلت عن صفة رسول الله فأوردت كلمة جامعة شافية وقالت : « كان خلقه القرآن » .

بهذا الفيض الإلهي وبهذه الصفات الشخصية الجليلة واجه الرسول صلى الله

عليه وسلم العالم الكافر الوثني المتعصب وقام بالإعلام والدعوة لربه وما يأمر به من إيمان وعدل وإخاء ورحمة ، وهو اثبت ما يكون جناناً ، وأوفر ما يكون قوة وعزماً ، ليحقق لرسالته ذلك النجاح الخالد والمنقطع النظير في تاريخ البشرية .

لقد تحمل رسول الله في سبيل ذلك الأذى يصيبه في نفسه وأهله وأصحابه وما لا قدرة لغير الأنبياء على احتماله ، عذب أصحابه عذاباً شديداً بالحديد والنار وكل أنواع العذاب ، وتعرض هو نفسه لبعض الأذى الذي يصيب به الوثنيون كل من آمن ، ثم انه هو وأهله من بني هاشم قد تعرضوا لمدة ثلاث سنوات للحصار وللمقاطعة الكاملة من أهل مكة ، لا يبيعونهم ولا يشترون منهم، لا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم وشملت هذه المقاطعة النساء والأطفال والكهول . وفي أشد أوقات هذه المعاناة قسوة لم يكن رد الفعل عنده يتجاوز قوله «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» .

وقد استطاع رسول الله بالعشرات من الرجال والنساء الذين آمنوا ان يقيم بعد سنوات أمة متحدة على شبه الجزيرة العربية ، وان يجعل الاسلام دين التوحيد ، ديناً لكل أهلها . ووجه الدعوة في حياته إلى ملوك وأمراء العصر الذين سيطروا على العالم ، ليدخلوا هم وشعوبهم في الإسلام ، ويدأ في حياته غزو ارض الشام التي سيطر عليها البيزنطيون ، كي ينشر دين الله على ربوعها وأعلن ان الإسلام الذي بعثه ربه به هو دين عالمي لكل الناس انزله الله عليه ليخرجهم من الظلمات إلى النور ويصيبوا رحمة الله وعدله . ومهد الطريق بالقول والعمل لأصحابه بعده لكي يجعلوا الإسلام ديناً يستظل به نصف سكان العالم في ذلك الحين في سنوات قليلة وظل الإسلام حتى يومنا هذا عقيدة احفادهم من بعدهم ، ومصدر إلهام للعمل الصالح والسلوك المستقيم لمئات الملايين من البشر ينتشرون الآن في كل انحاء العالم .

ان تحقيق هذا الانجاز الهائل قد تم بما يشبه المعجزة وهو انجاز غير مسبوق في التاريخ الإنساني كله ؛ اذ لم يحدث ان حققت أية جماعة أو أمة من الأمم ما حققته الجماعة الإسلامية الأولى والمحدودة من انتصار عظيم وأثر ثقافي وحضاري واسع ومستمر، في مثل هذا الزمن القصير. لقد انتصرت على أكبر قوتين في ذلك الحين، قوة الامبراطوريتين البيزنطية والفارسية ، وانطلقت حتى وصلت إلى حدود

الصين شرقاً وإلى المحيط الأطلسي وإسبانيا غرباً ، ودانت شعوب هذه المنطقة الواسعة الممتدة بالإسلام وسارت في حياتها على نهج الحضارة التي اقامها .

ولا ريب أن الفضل في تحقيق هذا الانجاز الحضاري العظيم ، يعود في الجانب الأكبر منه ، بعد عون الله وتأييده ، إلى شخصية الرسول محمد الذي استطاع بصبره ونضاله وصموده وشخصيته الفذه التي لا نظير لها وصفاته القرآنية ان ينتزع الجماعة العربية من براثن الوثنية التي تثبتت بها ، وان يضع في قلوبها الإيمان بالإسلام ، وأن يلهمهم كي يتابعوا بعده نشر رسالته على العالم كله وأن يبذلوا من أجل هذه الغاية كل ما يملكون .

وفي العصر الحديث ، وفي دراسات موضوعية علمية ، تعلو شخصية الرسول محمد في نظر المؤرخين المعاصرين من الذين على غير دينه ، ليصبح بما أنجزه وأتمه وبخصاله المتميزة على رأس كل عظماء التاريخ .

وإذا كنا تناولنا صفات رسول الله وخلقه القرآني العظيم كرسول يوحي إليه ربه ما يوحى من العلم والحكمة والقوة والصبر ، لتبليغ رسالته ، فإن الحديث عن صفاته الأخرى ، كرجل من البشر يسعى بينهم، يرونه ويتحدثون معه وعنه ، يتطلب بياناً آخر ، لتكتمل صورة هذه الشخصية الفذة في عيون أهل هذا الزمان ويكون النجاح المنقطع النظير للدعوة التي دعا إليها قدوة لكل من يتصدون للدعوة في أي ميدان من ميادينها المتعددة . وسنرى فيما نورده هنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمثل الشخصية الإنسانية المتكاملة الكاملة ويتصف بأسمى الخصال الخَلقية والخُلقية ؛ فلا يملك من يصغي إليه الا ان يهبه سمعه وقلبه وينقل كلامه بإكبار وتقدير عظيمين وان كان على غير دينه وسيكون سبيلنا إلى ذلك هو رؤية بعض الذين عاصروه من الذين كانوا على دينه ومن لم يكونوا عليه .

وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى هرقل قيصر بيزنطية يدعوه إلى الإسلام ، أمر هرقل رجاله ان يأتوه برجل من قومه ليتعرف على وصف هذا الذي بعث يدعوه إلى دين غير دينه وكان زعيم مكة أبو سفيان في الشام مع قافلة قريش فحملوه إليه وهو ما يزال على وثنيته . ويلخص هرقل إجابة أبي سفيان ويحللها في

كلمات فيقول: «سألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها وسألتك هل قال احد منكم ما يقول هو ،فذكرت لا ، ولو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يتشبه بمن كان قبله ، وسألتك هل كان من آبائه ملك فذكرت لا ولو كان لقلت رجل يطلب ملك آبائه ، وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت لا . فقد عرفت الآن انه لم يكن ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله وسألتك أأشراف الناس اتبعوه أم صعفاؤهم فذكرت ضعفاءهم والضعفاء هم أول اتباع الرسل . وسألتك أيزيد أتباعه أم ينقصون فذكرت يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حين يتم . وسألتك هل يرتد أحد عن دينه بعد انْ يدخل فيه فذكرت لا .وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلب . وسألتك هل يغدر فذكرت لا وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك بم يأمركم فذكرت انه يأمركم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقاً فيملك رجلكم موضع قدمي هاتين .

وأبو سفيان بن حرب الذي قال ما ذكره لنا قيصر الروم هرقل هو زعيم قريش وقائدها في صراعها المرير ضد رسول الله ودعوته ،وهو لا يتهم في وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وما تحلوا به من الصدق والوفاء والعفاف وما كانوا عليه من إيمان لا يتزعزع أو يهتز ، والشهادة التي تأتي من عدو ما يزال الصراع محتدماً بينه وبين غريمه هي شهادة صدق وحق لا يأتيها الشك من أي سبيل .

وتأتي شهادة اخرى من الوثنيين في مكة في وقت مبكر من الدعوة حين عزم رسول الله على المجاهرة برسالته بين الناس منذ نادى قومه وهو يقف على مرتفع من الصفا فإذا اجتمعوا سألهم هذا السؤال أرأيتم لو اخبرتكم ان خيلاً في سفح هذا الجبل أكنتم تصدقونني .

فكان جوابهم . . «أنت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذباً قط» .

ويأتيه الوحي وهو يتعبد في غار حراء في جبال مكة ويبشره جبريل عليه السلام بأن الله قد اختاره ليبلغ رسالته إلى الناس ، ويلقي إليه بالكلمات الأولى من القرآن العظيم . ويساوره الشك فيما أُلقِيَ إليه وما سمع وتذهب به الظنون كل مذهب ولا

يجد الا زوجه خديجة يطلعها على سر ما ألقي اليه وما بُشِّر به. . ويقول لها: «لقد خشيت على نفسي». فتجيبه بكلمات تصور فيها شخصيته أروع تصوير تقول: «والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الزمن فلا يسلط الله عليك الشياطين والأوهام ولا مراء ان الله قد اختارك لهداية قومك» .

ويسعى الوثنيون وراء أصحابه الذين هاجروا إلى الحبشة ليحرضوا عليهم ملكها حتى يردهم إلى بلدهم ويبعث النجاشي ملك الحبشة من يأتيه بأصحاب رسول الله ليسألهم عن خبرهم وخبر الرسول الذي اتبعوه . . فإذا احضروا سمع منهم ما يؤكد صفاته وقالوا: «أيها الملك اننا كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف لا يبالي . . وعشنا على ذلك حتى بعث الله الينا نبياً نعرف صدقه وأمانته وعفافه ودعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الأحجار .

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والوفاء ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله». ويهتز قلب النجاشي لصفات الرسول الكريم وما يدعو إليه من خصال وسلوك وعمل ولا يملك الا أن يقول :

« إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة » ، ويرفض دعوة قريش بإخراجهم من أرضه وردهم إليها .

وتأتي شهادة أخرى من أحد سادات قريش الكبار الذين كانوا على الشرك هو عتبة بن ربيعة حين ذهب إليه ليحدثه ويقول له : يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من المنزلة في العشيرة والمكان في النسب ، وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني اعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها .

يقول رسول الله : قل يا أبا الوليد اسمع .

يقول عتبة : يا ابن أخي ان كنت تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالاً ، وإن كنتُ تريـد ملكاً ملكنـاك علينا ، حتى لا نقطع امراً دونك وإن كان الذي يأتيك أمراً نزل بك لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب ، وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه

حتى إذا فرغ عتبة

قال له رسول الله : لقد فرغت يا أبا الوليد .

قال عتبة : نعم .

يقول رسول الله : فاسمع مني . .

قال عتبة : افعل .

يقول رسول الله : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون * بشيراً ونـذيراً فـاعرض أكثـرهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل إننا عاملون * قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ إنما إلٓهكم إلٓه واحد فاستقيموا إليه واستغفروه وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كـافرون * ان الذين آمنوا وعملوا الصـالحات لهم أجـر غير ممنـون ﴾[1] . ويمضي رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلاوته وعتبه ينصت له وقد ألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها ويستمع منه حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويقول لعتبة : قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فأنت وذاك ثم يتركه ويمضي .

ويرجع عتبة إلى قريش فيقول بعضهم لبعض : نحلف بالله لقـد جاءكم عتبـة بغير الوجه الذي ذهب به . فإذا جلس إليهم قالوا :

ـــ ما وراءك يا أبا الوليد .

قال عتبة : ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالشعر

---

(١) سورة فصلت : ٢ ـ ٨ .

ولا بالسحر ولا بالكهانة . . يا معشر قريش اطيعوني واجعلوها بي ، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ عظيم . . فإن تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به . .

قالوا : سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه .

قال عتبة : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

ومن هذه الشهادة التي جاءت من رجل مشرك عدو للدعوة وصاحبها ، نرى رسول الله قد اعرض عن أمور هي غاية طموح البشر إذ رفض المال والملك ، من أجل دعوة ما يزال مصيرها في علم الغيب وهذا يدل على قوة إيمانه وصدق دعوته ، ويدل على ان الله حباه ببصيرة وشخصية فذة تفرق بين ما هو عرض وما هو جوهر ، وبين الحق والباطل وتتمسك بالحق الذي يبدو كومضة ضوء خافتة في عالم كله ظلام وكفر .

ونرى الرجل المشرك قد هزه هذا الموقف العظيم والآيات المضيئة فعبر لقومه عن رأيه على النحو الذي ذكرنا .

شخصية الرسول ورسالته في القــرآن

ونورد فيما يلي الآيات القرآنيـة التي تتحدث عن شخصيـة الرسـول الكـريم صلى الله عليه وسلم ، وطبيعة رسالته وتأييدها ، وما خصه تعالى من تـوجيه لتبليـغ رسالته . ومن هذه الآيات المبـاركات نستـطيع ان نتبين عـظمة القـدرة الإلّهية التي صاغت شخصية رسول الله وزودته بالحكمة والخلق والعلم مما وفر للدعوة كل اسباب النجاح .

﴿ إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولا تسأل عن أصحاب الجحيم ﴾ [البقرة : ١١٩] ﴿ تلك آيـات الله نتلوها عليـك بالحـق وإنـك لمن المـرسلين ﴾ [البقـرة : ٢٥٢] .

﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومـنذرين فمـن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [الأنعام : ٤٨] .

﴿ إن هذا لهو القصص الحق وما من إلّه إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم ﴾ [آل عمران : ٦٢] . ﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾ [آل عمران ٠ ٧٩] . ﴿ ومن كفر فإن الله غني عن العـالمين ﴾ [آل عمران : ٩٧]، ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الـرسـل أفإن مـات أو قتلَ انقلبتم على أعقـابكـم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

﴿وَمَـا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُـونٍ ﴾ [التكوير:٢٢] . ﴿ وَمَـا هُـوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [سورة التكوير : ٢٤] .

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّالِمِينَ . [سورة الأحقاف : ١٠] .

إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِّنْ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ * وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ . [سورة الحاقة : ٤٠ ـ ٤٧] .

تأييد رسالته :

﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي ٱسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ . [الصف : ٦] .

﴿ وَإِنْ مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾ [الرعد : ٤٠] ، ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلْكِتَابِ ﴾ [الرعد : ٤٣] .

﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَافِرِينَ وَٱلْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ [الأحزاب : ٤٨] ، ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [الشورى : ٣] ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْءَاناً عَرَبِيّاً لِّتُنْذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴾ . [الشورى : ٧] .

شخصية الرسول من الآيات البينات
وما وجه الله تعالى إليه في شأن رسالته :

﴿ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ ٱلشَّاهِدِينَ *

وَلَكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ وَمَا كُنتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ * وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . [القصص : ٤٤ - ٤٧] . ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَاهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْماً مَّآ أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ . [السجدة : ٣] .

﴿ . . . وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً ﴾ . [النساء : ٨٠] .

﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ * وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٤ - ١٠٥] ، ﴿ . . . وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴾ . [الأنعام : ١٠٧] .

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ . . . ﴾ [الأحزاب : ٦] .

في شأن بعض مآثر وخصائص الرسالة :

﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [التوبة : ٤٠] ، ﴿ . . . وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . [التوبة : ٦١] .

﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَافِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلاً * مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً * سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلاً ﴾ . [الأحزاب : ٦٠ - ٦٢] .

﴿ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴾ . [الحج :١٥] .

الأخـــلاق

﴿ لَقد كانَ لكم في رسولِ الله أسوةٌ حسنة ﴾ [سورة الأحزاب : ٢١] وقوله تعالىٰ : ﴿ وَإِنَّكَ لعلىٰ خلق عظيم ﴾ [سورة القلم : ٤] سُئلت السيدة عائشة عن خلق رسول الله فقالت : « كان خلقه القرآن » .

فما هي أخلاق القرآن ؟

خصائص الإسلام وسموّ دعوته وكمالها :

يقول تعالىٰ في آية كريمة أُنزلت على رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم في حجة الـوداع ﴿ اليـوم أكملتُ لكم دينكم وأتممتُ عليكم نعمتي ورضيتُ لكم الإسـلامَ ديناً ﴾ . [المائدة : ٣] .

ويقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية ، إن ما تضمنته من أكبر نعم الله عزَّ وجلّ على هذه الأمة حيث أكمل الله تعالىٰ لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين غيره ولا إلى نبي غير نبيّهم صلوات الله وسلامه عليه ، ولهذا جعله خاتم الأنبياء فلا حلال إلَّا ما أحلَّه ولا حرام إلَّا ما حرَّمه ولا دين إلَّا ما شـرَّعه ، وكـل ما أخبـر به فهـو حق وصدق كما قال تعالىٰ : ﴿ وتمَّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾[1] صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأوامـر والنواهي . كلمـا أكمل الـدين تمَّت النعمة عليهم ولمـا كان الله تعـالىٰ يقول : ﴿ ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ ؛ أي فارتضوه أنتم لأنفسكم فإنه الدين الذي رضيه الله وأحبَّه وبعث به أفضل رسله وأنزل به أشرف كلماته .

وإذا كان الله تبارك وتعالىٰ يقول إنه أكمل لنا الدين ، فذلك يعني غاية الكمال الذي يرجوه الإنسان في كل أمر من أمور الدين والدنيا .

ومن الصعب أن يحيط إنسـان بنواحي الكمـال التي تضمنها القرآن الـذي لم

---

(١) سورة الأنعام : ١١٥ .

يفرّط في شيء. وسنحاول هنا أن نتناول جانباً من جوانب هذا الكمال المفعم بالسلوك الإنساني ، وسنرى كيف استهدف القرآن الكريم كمال الإنسان وسموه فهو في تناوله للكبائر وفي توجيهه لما دق وصغر من الأعمال والأقوال ، وفي حديثه عن السلوك الظاهر وتقصّيه إلى ما وراء ذلك من النيّة وما تهجس به النفس البشرية في سرها ، وعلنها يحيط بكل شيء ، ولا يترك شاردة ولا واردة تؤكد الغاية التي يدعو إليها من سموّ الإنسان وكماله إلاَّ أوردها في أحسن الكلم وبليغ الأساليب تأثيراً في النفس ، مناشدة وزجراً ، أمراً أو نهياً ، وعداً أو وعيداً تحسيناً أو تقبيحاً ، حتى لا يكون للناس على الله حجة .

ونورد فيما يلي بياناً موجزاً ، بأهم القيم والتوجيهات التي استهدفت الكمال الخلقي والسلوكي للإنسان مما يميزه ويرفع منزلته على سائر ما خلق الله ، ونورد شيئاً مما أنزل بشأنها في القرآن الكريم :

الدعائم الأساسية للكمال الإنساني :

١ ـ الإيمان

يأتي الإيمان كأساس جوهري للحياة البشرية ، ولكمال الإنسان وما يرجوه لدنياه وأخراه :

﴿ ربَّنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربّكم فآمنَّا ﴾ [آل عمران : ١٩٣] .

﴿ الذين آمنوا وعمِلوا الصَّالحاتِ طوبى لهم وحسن مآب ﴾ [الرعد : ٢٩] .

﴿ الَّذين آمنوا وكانوا يتَّقون * لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾ [يونس : ٦٣ ، ٦٤] .

﴿ ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [المائدة : ٥] .

« قل آمنت بالله ثم استقم » (حديث شريف) .

٢ ـ الإسلام

هو الدين الذي ارتضاه الله تعالىٰ لعباده ، يعبدونه به ويجعلونه شريعة لهم ومنهاجاً في حياتهم .

﴿ ورضيتُ لكم الإسلام ديناً ﴾ [المائدة : ٣] .

﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : ١٩] .

﴿ وَمَنْ أحسن قولاً ممَّن دعا إلى الله وعملَ صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ [فصلت : ٣٣] .

﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

﴿ وما أمروا إلَّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة ﴾ [البينة : ٥] .

٣ ـ التقوى

وتأتي التقوى بعد الإيمان والإسلام ، كبناء يقوم به صلاح أمر الإنسان وكماله ، ويعني بها استحضار الله تعالىٰ وحبه وخشيته عند كل قول أو عمل أو نية .

﴿ ولباس التقوى ذلك خير . . . ﴾ [الأعراف : ٢٦] .

﴿ ولكن البر من اتَّقى . . . ﴾ [البقرة : ١٨٩] .

﴿ رَبَّنَا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتَّقين إماماً * أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وَسَلاماً ﴾ [الفرقان : ٧٤ ، ٧٥] .

﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتَّقين ﴾ [القصص : ٨٣] .

﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتَّقون * لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ﴾ [الزمر : ٣٣ ، ٣٤] .

٤ ـ عمل الصالحات

ويندرج تحت الصالحات كل خير وفضيلة أمر الله تعالىٰ بها .

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ [البينة : ٧] .

﴿ فالذين آمنوا وعملوا الصّالحات لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ [الحج : ٥٠] .

﴿ ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلىٰ ﴾ [طٰه : ٧٥] .

ويمكن اعتبار هذه المبادىء هي الدعائم الأساسية التي يقوم عليها كمال الإنسان وسموّه وحسن ثوابه يوم القيامة .

ثم تأتي بعدها أنواع شتّى من الأعمال الدقيقة لتتم بها الصورة المثالية للخلق القرآني . . . نحاول أن نوردها فيما يلي بقدْر ما يسعه الجهد من محيط القرآن الذي لا نهاية له :

أولاً ـ من أجل قيام مجتمع الخير على طريق الله :

ـ **التعاون** : ﴿ وتعاونوا على البرّ والتّقوىٰ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [المائدة : ٢] .

ـ **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** : ﴿ كنتم خيرَ أمّةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

ـ **تواصي المجتمع بالحق وروافده لتحقيق الخير** : ﴿ والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلّا الذين آمنوا وعملوا الصّالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ [العصر : ١ ـ ٣] .

﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ [البلد : ١٧] .

ـ **التضامن والوحدة** : ﴿ إنّما المؤمنون إخوة ﴾ [الحجرات : ١٠] .

﴿ واعتصموا بحبلِ الله جميعاً ولا تفرّقوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ [التوبة : ٧١] .

ـ **فاعلية المجتمع أساسية لإصلاح أموره** : ﴿ إنَّ الله لا يغير ما بقومٍ حتى

يغيروا ما بأنفسهم ﴾ [الرعد : ١١] .

ـ مصادر صلاح المجتمعات : ﴿ الذين إن مكناهم في الأرض أقامـوا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ﴾ [الحج : ٤١] .

من أسباب فساد المجتمعات :

ـ الفتن : ﴿ واتَّقـوا فتنة لا تصيبنَّ الـذين ظلموا منكم خـاصـة ﴾ [الأنفـال : ٢٥] .

ـ الاختلاف والتفرّق : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذابٌ عظيم ﴾ [آل عمران : ١٠٥] .

﴿ إنَّ الذين فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

ـ فساد المترفين : ﴿ وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقَّ عليها القول فدمرناها تدميراً ﴾ [الإسراء : ١٦] .

ـ التمسك بالقديم الفاسد : ﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنـا عليها آبـاءنا ﴾ [الأعراف : ٢٨] .

ـ تكافل المجتمع وحماية الضعفاء : ﴿ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ [البقرة : ٢١٥] .

﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا ممَّا تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢] .

﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم ﴾ [البقرة : ٢٧١] .

المحافظة على سلامة المجتمع :

ـ القوة : ﴿ وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ﴾ [الأنفال : ٦٠] .
ـ العدل : ﴿ وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ﴾ [النساء : ٥٨] .
ـ التضامن : ﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ﴾ [البقرة : ١٧٩] .

ـ **النظام والطاعة** : ﴿ إنَّما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ [النور : ٥١] .

﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [النساء : ٥٩] .

﴿ فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول ﴾ [النساء : ٥٩] .

ـ **عدم تصديق الشائعات الكاذبة** : ﴿ إنْ جاءَكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ﴾ [الحجرات : ٦] .

ـ **الشورى** : ﴿ والذين استجابوا لـربهم وأقامـوا الصلاة وأمـرهم شورىٰ بينهم ومما رزقناهم ينفقون ﴾ [الشورىٰ : ٣٨] .

ـ **العمل** : ﴿ من عملَ صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينـه حياة طيبـة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ [النحل : ٩٧] .

ـ **الرضا والقناعة** : ﴿ ولا تتمنّوا ما فضـل الله به بعضكم على بعض للرجـال نصيب ممـا اكتسبوا وللنسـاء نصيب مما اكتسبنَ واسـألوا الله من فضله ﴾ [النسـاء : ٣٢] .

ـ **الصلح** : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ [الحجرات : ٩] .

ـ **طهارة الكسب** : ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴾ [البقرة : ١٨٨] .

﴿ ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ﴾ [النساء : ٢] .

ـ **التواصي بالرحمة والإحسان** : ﴿ وبالوالدين إحساناً وبذي القربىٰ واليتامى والمساكين والجار ذي القـربىٰ والجـار الجنب والصـاحب بالجنب وابن السبيـل ﴾ [النساء : ٣٦] .

ـ **تجنب مـا يثير العـداوة والبغضاء** : ﴿ إنَّمـا يريـد الشيـطان أن يـوقـع بينكم العــداوة والبغضـاء في الخمــر والميسر ويصــدّكم عن ذكـر الله وعن الصــلاة ﴾ [المائدة : ٩١] .

ـ روح السلام : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ﴾ [الممتحنة : ٨] .

ـ رفض الاستعمار وولاية الأعداء : ﴿ لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ﴾ [الممتحنة : ١] .

ويطول بنا الحديث إلى غير حد ونحن نتقصّى ما أورده القرآن الكريم في توجيهه المؤمنين إلى العوامل التي تحفظ مجتمعهم ، وتمكن له أسباب البقاء سليماً طاهراً يمضي على طريق الله والخير .

ومما يجدر الإشارة إليه أن الكثرة الغالبة في الآيات القرآنية اتّجهت إلى مخاطبة الجماعة ، مما يدل على أن القرآن الكريم يجعل صلاح المجتمع أساساً لصلاح الفرد ، وهو ما ذهبت إليه النظريات العلمية الحديثة في علم النفس والاجتماع .

فإذا اتّجهنا إلى أخلاق الفرد ، تجلّى نفس الهدف القرآني في تحقيق الكمال الخلقي للإنسان ، في مجموعة ضخمة من المعادن الخلقية التي لا تترك صغيرة ولا كبيرة في السلوك الإنساني ، الفاضل فيها أو الرذيل إلاَّ بينته ، فدعت إلى الفاضل بأعظم وأبلغ الأساليب تأثيراً في النفس ونهت عن الرذيل فيها وبينت شره بنفس الأسلوب المعجز .

ونورد هنا أمهات هذه الأوامر والنواهي في بيان موجز يمكن للشباب ورجال الإعلام الإلمام به دون أن يكلفهم ذلك مشقّة .

الأخلاق الفاضلة :

ـ الأمانة : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدّوا الأمانات إلى أهلها ﴾ [النساء : ٥٨] .

ـ الصدق : ﴿ والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتّقون ﴾ [الزمر : ٣٣] .

ـ الصبر : ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ﴾ [آل عمران : ٢٠٠] .

﴿ ولئن صبرتم لهو خيرٌ للصابرين ﴾ [النحل : ١٢٦] .

ـ البر بالوالدين : ﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾ [الإسراء : ٢٣] .

ـ التواضع : ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرضِ مرحا ﴾ [لقمان : ١٨] .

ـ الإخلاص : ﴿ للذين أحسنوا الحسنىٰ وزيادة ﴾ [يونس : ٢٦] .

ـ التسامح : ﴿ وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة ﴾ [البقرة : ٢٨٠] .

ـ العفّة : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكىٰ لهم ﴾ [النور : ٣٠] .

ـ اليسر : ﴿ ولا نكلف نفساً إلاَّ وسعها ﴾ [المؤمنون : ٦٢] .

ـ الإحسان : ﴿ وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ [القصص ٧٧] .

ـ الاعتدال : ﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ [البقرة ٢٨٦].

ـ درء السيئة بالحسنة : ﴿ ويدرؤون بالحسنة السيئة ﴾ [القصص : ٥٤] .

ـ العدل : ﴿ واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾ [الانعام ١٥٢] .

ـ التعاون على البر والتقوى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ [المائدة ٢].

ـ الطهارة : ﴿ والله يحب المطَّهِّرين ﴾ [التوبة ١٠٨] .

ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : ﴿ تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ [ال عمران ١١٠] .

ـ الحسنى قاعدة التعامل : ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ [البقرة ٨٣]

ـ الاستمتاع بالحلال الطيب : ﴿ قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق ﴾ [الاعراف: ٣٢] .

ـ التوسط بين الأطراف : ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ﴾ [الاسراء: ٢٩] .

ـ الوفاء بالعهد : ﴿ وأوفوا بالعهد إنَّ العهد كان مسؤولا ﴾ [الاسراء: ٣٤] .

ـ الوفاء بالكيل والميزان : ﴿ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ﴾ [الانعام: ١٥٢] .

ـ العفو : ﴿ وليعفوا وليصفحوا الا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾ [النور : ٢٢] .

ـ البر بذوي القربى والمساكين : ﴿ وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين ﴾ [البقرة: ١٧٧] .
ـ النفقة : ﴿ ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل ﴾ [البقرة: ٢١٥] .
ـ الاخاء : ﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ [الحجرات: ١٠] .
ـ المساواة : ﴿ بعضكم من بعض ﴾ [النساء: ٢٥] .
ـ الرجاء والأمل : ﴿ لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر: ٥٣] .
ـ الانصاف : ﴿ ولا تبخسوا الناس اشياءهم ﴾ [الاعراف : ٨٥] .
ـ الاعتقاد بقدر الله : ﴿ قد جعل الله لكل شيء قدرا ﴾ [الطلاق: ٣] .
ـ رقة وتهذيب السلوك : ﴿ واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها ﴾ [النساء: ٨٦] .
﴿لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ [النور: ٢٧].
﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ﴾ [النساء: ١٤٨] .
﴿ لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ [الصف: ٢] .
﴿ وان تصدقوا خير لكم ﴾ [البقرة ٢٨٠] .
﴿ وسيجزي الله الشاكرين ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .
﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ [البقرة: ٤٤] .
﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ﴾ [الفرقان: ٦٣] .
﴿ واذا ما غضبوا هم يغفرون ﴾ [الشورى: ٣٧] .
﴿ فَلا تقل لهما أُفٍ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً ﴾ [الاسراء ، ٢٣] .
﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً ﴾ [الاسراء : ٣٧] .
﴿ ان الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ [لقمان: ١٨] .
﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك ﴾ [لقمان ١٩] .
﴿ ادفع بالتي هي أحسن ﴾ [فصلت ٣٤] .
﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ [البقرة: ٨٣] .

وتأتي بعد ذلك الرذائل التي تفسد الحياة او تدمرها ويتخذ القرآن الكريم، ازاء الكبائر التي تدمر الحياة وتقطع ما أمر به ان يوصل ، موقفاً صارماً لردع وبتر مرتكبها ، ثم تتدرج الجرأة مع سائر الرذائل بمبلغ اثرها في فساد الحياة والمجتمع بحساب دقيق لا يأتيه الباطل من أي سبيل .

وقبل ان نتناول بيان هذه الرذائل كبيرها وصغيرها ، يجدر بنا ان نذكر ان رحمة الله تعالى شاءت ان تجنب الانسان ارتكاب الكبائر ، وان تحذره من فعلها وابعد من ذلك ان ترتب له العفو والمغفرة عن سيئاته الأخرى اذا تجنبها ، وكل ذلك لمنع ارتكاب الجريمة قبل وقوعها .

فيقول تعالى : ﴿ ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما ﴾ [النساء: ٣١] .

وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة »

وفي ذلك ما فيه من تقدير لضعف الانسان وحفز له على تجنب الكبائر والسيئات .

ونبدأ بالكبائر :

وقد ورد في شأن الكبائر احاديث شتى .

فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث ينتهي إلى ابي هريرة وإلى سعيد قوله :

« ما من عبد يصلي الصلوات الخمس ويصوم رمضان ويخرج الزكاة ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ابواب الجنة ثم قيل له ادخل بسلام » .

ثم ورد عنه صلى الله عليه وسلم قوله ، اجتنبوا السبع الموبقات وعددها في : الشرك بالله ، قتل النفس ، السحر ، اكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، قذف المحصنات المؤمنات الغافلات .

واضافت احاديث اخرى : بكاء الوالدين عن العقوق ، واستحلال البيت الحرام ، وشهادة الزور ، قتل الولد خشية املاق ، شرب الخمر ، وان يزاني الرجل حليلة جاره ، تقنيط الناس من روح الله ، الردة عن الإسلام .

ونورد فيما يلي رذائل الأعمال نبدأ بما ورد أنه من الكبائر ونتدرج الى ما سواها مع بيان بعض ما ورد بشأنها بالقرآن الكريم .

الشرك بالله : ﴿ ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما ﴾ [النساء: ٤٨] .

قتل النفس والغير : ﴿ ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيماً * ومن يفعل ذلك عدواناً وظُلماً فسوف نصليه ناراً ﴾ [النساء : ٢٩ ، ٣٠] .

﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذاباً عظيماً ﴾ [النساء : ٩٣] .

اكل الربا : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

اكل مال اليتيم : ﴿ ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم ناراً ﴾ [النساء: ١٠] .

الحسد : ﴿ ومن شر حاسد اذا حسد ﴾ [الفلق : ٥] .

التولي يوم الزحف : ﴿ ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ [الانفال ١٦] .

الردة عن الدين : ﴿ومن يرتدِدْ منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [البقرة: ٢١٧] .

قذف المحصنات : ﴿ ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ [النور: ٢٣] .

بكاء الوالدين من العقوق : ﴿ وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ﴾ [الاسراء: ٢٣] .

شهادة الزور : ﴿ والذين لا يشهدون الزور واذا مروا باللغو مروا كراماً ﴾ [الفرقان: ٧٢]، ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحيةوَسَلاَما * خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما ﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦] .

حرمة البيت الحرام : ﴿ ومن دخله كان آمنا ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

قتل الولد خشية الاملاق : ﴿ ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطئاً كبيرا ﴾ [الاسراء: ٣١] .

الزنا : ﴿ ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا ﴾ [الاسراء: ٣٢] .

شرب الخمر وما شابهها من اعمال الشيطان : ﴿ انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان ﴾ [المائدة: ٩٠] .

القنوط واليأس : ﴿ قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون ﴾ [الحجر: ٥٦] .

السرقة : ﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ﴾ [المائدة: ٣٨] .

الكذب : ﴿ وان يك كاذباً فعليه كذبه ﴾ [غافر: ٢٨] .

بخس الأشياء للناس : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ [الاعراف: ٨٥] .

مغايرة القول للعمل : ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ [البقرة: ٤٤] .

الظلم : ﴿ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق ﴾ [الشورى: ٤٢] .

﴿ انه لا يحب الظالمين ﴾ [الشورى: ٤٠] .

﴿ وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] .

أكل الأموال بالباطل : ﴿ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل ﴾ [البقرة: ١٨٨] .

اتباع الهوى : ﴿ ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ﴾ [القصص: ٥٠] .

الرياء : ﴿ والذين ينفقون اموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ﴾ [النساء: ٣٨] .

اللمز والتنابز : ﴿ ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالالقاب ﴾ [الحجرات ١١] .

البغي : ﴿ يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم ﴾ [يونس ٢٣] .

الاستكبار : ﴿ انه لا يحب المستكبرين ﴾ [النحل: ٢٣] .

الخيانة : ﴿ ان الله لا يحب الخائنين ﴾ [الانفال: ٥٨] .

التبذير : ﴿ ولا تبذر تبذيرا ﴾ [الاسراء ٢٦] :
البغاء : ﴿ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ﴾ [النور: ٣٣] .
نقض العهود : ﴿ والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه . . اولئك لهم اللعنة ﴾ [الرعد: ٢٥] .
الإعراض عن اللغو : ﴿ والذين هم عن اللغو معرضون ﴾ [المؤمنون: ٣] .
البخل : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ [النساء: ٣٧] .
السخرية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ﴾ [الحجرات: ١١] .
البعد عن الخبيث من الطعام : ﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به ﴾ [المائدة: ٣] .
عدم تعريض الله للأيمان : ﴿ ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ﴾ [البقرة: ٢٢٤] .

التوبة

تناولنا بعض ما جاء في القرآن الكريم من الفضائل التي أمر بها تعالى واتبعنا ذلك بالرذائل التي نهى عنها .

ونظرية الأخلاق في القرآن لا تكتمل بغير الحديث عن التوبة والاستغفار لرد النفس البشرية إلى صراط الله المستقيم وتطهيرها بعد الخطيئة لتمارس حياة الفضيلة من جديد رحمة من الله بعباده .

ومعنى التوبة هو إعلان الرجوع إلى الله وإلى اوامره ، والاستغفار يعني طلب العفو والمغفرة للذنوب ويتطلب ذلك الندم والخوف من الله .

والتوبة والاستغفار من أعظم نعم الله على عباده وقد اورد القرآن الكريم آيات كثيرة في هذا الشأن ، وهو فتح لأبواب الأمل والرجاء . . حتى لا يغرق العبد في لحظة الخطيئة والقنوط ونورد هنا بعض هذه الآيات التي تؤكد سعة رحمة الله وعظيم عطفه على عباده .

﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون * اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ [آل عمران ١٣٥ - ١٣٦] .

﴿ ومن يعمل سوءاً او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً ﴾ [النساء : ١١٠] .

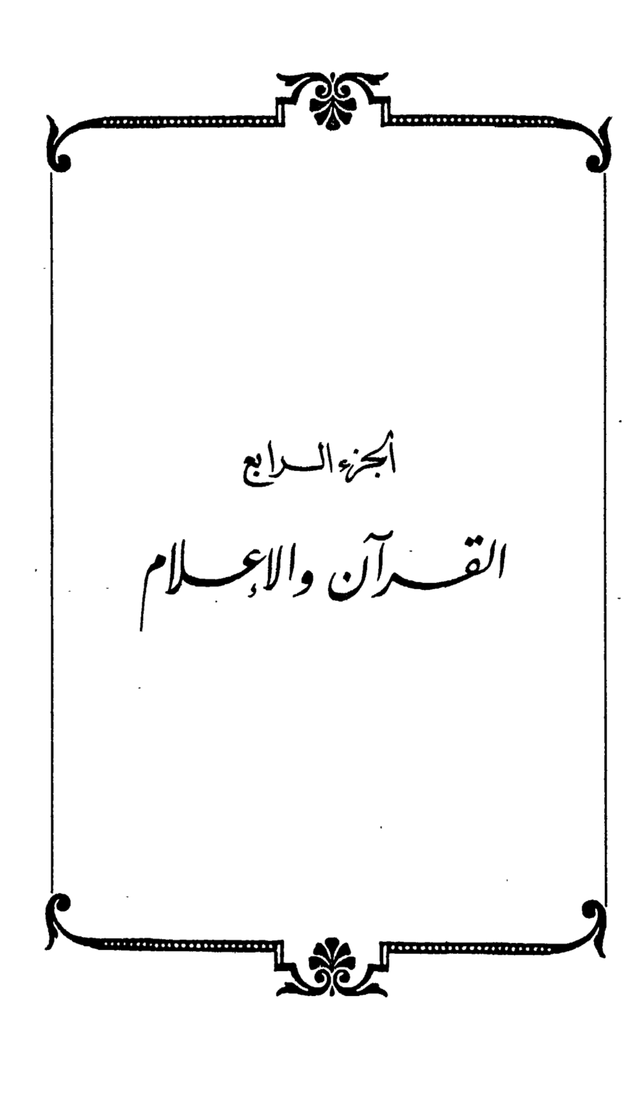
﴿ فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً * إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً ﴾ [مريم : ٥٩ ، ٦٠] .

﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم ﴾ [الأنعام : ٥٤] .

﴿ وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ﴾ [طه : ٨٢] .

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣] .

﴿ فأما من تاب وآمن وعمل صالحاً فعسى أن يكون من المفلحين ﴾ [القصص : ٦٧] .



الجزء الرابع

القرآن والإعلام

* * *

- أهمية الإعلام في الدعوة إلى الإسلام .
- أساليب الإعلام في القرآن .
- الأسلوب القرآني في تصنيف الناس .
- الأسلوب القرآني يخاطب كل ما في الإنسان .
- اسلوب ضرب الأمثال في القرآن .
  حاجة الإنسان إلى الوحي .
  دعوة الرسول وأسلوب التذكير بنعم الله .
- اسلوب إيمان وعمل .
- أسلوب الجزاء بعد الانذار .
- أسلوب التهديد والإنذار .
- أسلوب مكانة الشورى في الإسلام .
- أسلوب الشعور بالأمن .
- أسلوب القصص .
- أسلوب الأمثلة من القصص .
- أسلوب التكرار .
- أسلوب التدرج .
- أسلوب الوعد بالثواب والجزاء الحسن .
- أسلوب المحاورة والمثابرة للاقناع .
- أسلوب إيثار السلم والسلام على الحرب والقتال وعدم المبادأة بالعدوان .
- أسلوب تجميع . . كل ما يؤثر على الانسان وبيان ما فيها من حق أو ضلال .
- أسلوب شرح حجج العدو والرد عليها .
- أسلوب الحرية في الإعلام القرآني .
- أسلوب العبرة والأمثلة في الدعوة .
- أسلوب الدعوة إلى فعل الخير وتجنب الشر.
- أسلوب الحث على الشجاعة في الدعوة إلى دين الحق ولإعلاء كلمة الله .
- أسلوب إعطاء القدوة الحسنة في السلوك والمعاملات .
- أسلوب التربية والموعظة .
- أسلوب الثواب والجزاء .
- أسلوب التعاون .
- اسلوب البعد عن الخوف والعمل على خلق الأمل والرجاء .
- أسلوب تفريغ الطاقة .
- اسلوب اشغال الإنسان بما ينفع الناس .
- اسلوب تهذيب العادات وتقويمها .
- أسلوب الإيحاء .
- أسلوب الاستعانة بمنطق الأحداث في الدعوة

* * *

أهميّة الاعلام في الدعوة الى الاسلام

رأينا في الفصول السابقة أن الله تعالى أنزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليأخذ بيد العالم الذي تمزقت فيه الروابط والعلاقات وأوشك على الانهيار والتردي في هاوية الدمار ، لولا أن أدركته رحمة الله . وأقام الإسلام بالقرآن عالماً جديداً ، تربطه بخالقه أقوى وأعظم الصلات ، يعمل للخير والفضيلة وينهى عن المنكر والفحشاء والبغي حتى يشهد الفلاسفة والمؤرخون وأساتذة الحضارة من كل جنس في كل عصر أنه كان أقرب المجتمعات التي شهدتها الانسانية إلى المثل الأعلى والكمال .

وقد تألقت بالإسلام حضارة باهرة الضياء ، وآمنت به خلال سنوات قليلة ، شعوب كثيرة على امتداد رقعة واسعة من الأرض من اسبانيا إلى الصين ، وقدر لهذه الحضارة وحدها أن تقود البشرية خلال أربعة قرون على مدارج العلم والتقدم والرخاء . وقضت إرادة الله تعالى أن يظهر هذا الدين ، الذي ملأ العالم بالخير والنور ، في أشد البقاع جدباً وفقراً ، وأنه يهدي أول ما يهدي أكثر الناس جاهلية وتعصباً ، ليصبح انتصاره بهم بعد ذلك ، خلال أعوام قليلة ، معجزة كبرى لا مثيل لها في تاريخ البشرية .

وفي هذا الفصل ، نتناول جانباً واحداً من الجوانب المتعددة التي مهدت الأرض لهذا الدين ومكنت له القلوب والنفوس وجعلت له أعظم وأرفع منزلة عند الشعوب التي دخلت فيه ـ هذا الجانب هو جانب البلاغ أو الدعوة أو الإعلام ـ وهو

العامل الوحيد الذي ظل خلال سنوات طويلة يدعو ويمهد الطريق للإسلام ، يوم لم تكن له أية قوة تدفع عنه ضراوة الوثنية وشراسة الوثنيين ، وحين كان الإسلام فرداً واحداً اصطفاه ربه ، أو اعداداً قليلة مستضعفة لا حول لهم ولا قوة وسط عالم كبير يموج بالكفر والشرك ، وما يصاحبهما من قسوة وظلم وطغيان .

كان البلاغ الذي يعني الإعلام ، هو كل ما أمر به الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم .

ـ ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ هذا بلاغ للناس ولينذروا به ﴾ [إبراهيم : ٥٢]ويقول عز وجل : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى ﴾ [طه : ١٣٠] .

إن ذكر الله تعالى والرابطة الدائمة بينه تعالى وبين رسوله هو سبيله إلى الصبر والرضا وتحمل ما يقول الكافرون .

ثم يقول تعالى في ذلك في بيان غاية في الإعجاز والسمو :

﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [يونس : ٩٩] . ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ [يونس : ١٠٠] .

ويقول عز وجل لرسوله ليجنبه اللّجاجة وخدة الجدل ، وما يعمقانه في النفوس من عناء ﴿ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين ﴾ [الأنعام : ٦٨] .

وفي ذلك ايضاً يقول تعالى : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ [الأنعام : ١٠٨] .

وفي ذلك أيضاً يقول تعالى لرسوله :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان

ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين ﴾ [النحل : ١٢٥] .

ويقول عز وجل في ذلك أيضاً :

﴿ ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ [فصلت : ٣٤] .

وبهذه الروح القرآنية السمحة ، وهذا التوجيه الإلٓهي السامي مضت الدعوة في طريقها تكسب لها كل يوم انصاراً واتباعاً ، وتتجاوز كل العقبات التي وضعها الكافرون والملحدون في طريقها لتمضي إلى غايتها التي مهد الله لها وقدرها تقديراً .

* * *

من هذه الآيات المباركات ، نستخلص عدة مبادىء منها :

ـ أن الإعلام والدعوة إلى الإسلام ، اقتصرت في هذه المرحلة على البلاغ ، على النحو الذي رأيناه في الآيات القرآنية.

ـ أن استمرار الإعلام والدعوة كان ضرورياً مهما طال الأمد على ذلك وفي مجتمع وثني متعصب إلى اقصى الحدود ، فإن مناشدة الله رسوله الصبر وتحمل الأذى ، مع الوعد بأن يعصمه من الناس ويمنحه النصر في النهاية قد منح الدعوة استمرارية حققت بها اهدافها في النهاية .

ـ أن روح الموادعة والتسامح والصبر على الأذى لا تعني المساومة فيما هو جوهري واساسي في الدعوة أو الدين يقول تعالى في ذلك ﴿ قل يا أيها الكافرون * لا اعبد ما تعبدون * ولا انتم عابدون ما اعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا انتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولي دين ﴾ [الكافرون : ١ـ٦] .

ثم يقول عز وجل :

﴿ إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين ﴾ [الأعراف : ٤٠] .

ويقول تعالى في ذلك أيضاً في اسلوب حواري معجز :

﴿ وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون * وليحملن أثقالهم واثقالاً مع اثقالهم ﴾ [العنكبوت : ١٢ ، ١٣] .

وفي حسم يفرق القرآن الكريم بين الإيمان والكفر ، على نحو لا مجال فيه للمهادنة أو المساومةِ يقول عز وجل : في سورة الملك ﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير * إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور * تكاد تميز من الغيظ كلما أُلقيَ فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا في ضلال كبير * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لأصحاب السعير ﴾ [٦ - ١١] .

ومما تقدم يتبين أن التوجيه القرآني السامي في هذه المرحلة من مراحل الدعوة للإسلام قد مهد الطريق أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليجمع حوله الصفوة الخيرة الصادقة الصابرة التي حملت معه عبء الرسالة ، وانتصرت بخيرها وإيمانها وصدقها على تعصب الوثنيين وقسوتهم .

وبهذا التوجيه الجليل مهد الإعلام للمراحل التالية من مراحل الدعوة الإسلامية التي كللت بالنصر وانتشار الإسلام في كل آفاق الأرض . لذلك فإن تجلية الجانب الإعلامي ، والقاء الضوء على الأساليب والوسائل التي وجه الله تعالى بالقرآن الكريم رسوله وأصحابه اليها ، تقدم لنا أنجح الوسائل وأكثرها فاعلية وتأثيراً بالنسبة للدعوة لديننا في هذا الزمن وبالنسبة لما ندعو اليه من مبادىء وقيم أخرى تتصل بالحياة .

إن هذه التوجيهات قد شغلت حيزاً كبيراً في القرآن وأنه تعالى قد قدم لنا الأركان الأساسية التي تقوم عليها الدعوة مع بيان أساليبها ووسائلها ، وهي تتضمن المبادىء السامية لكل اعلام ناجح ومؤثر . . ونستطيع القول أن أغلب آيات القرآن الكريم ان لم تكن كلها قد احتوت في جزء من أجزائها على اعلام عن حقيقة ما غابت عن عقول الناس وعظة بالغة ، أو دليل واضح وبين على وجود الله تعالى وقدرته ، أو

قصة عظيمة الدلالة على الانتصار الدائم للخير باعتباره سنة الله التي لا تبديل لها في حياة البشر .

فإذا انتقلنا إلى ميدان التخطيط للحياة الفاضلة وحمايتها من عوامل الانحراف والهدم ، فإن هذه الآيات تقدم لنا من خلال بيانها المثالي كل المعلومات والوسائل التي تمكننا من المحافظة على طهارة الحياة ونقائها فتعلمنا أنباء الأيام الخالية ، والأمثال والعبر التي تحبب إلينا عالم الله وتحفزّنا للدفاع عنه والجهاد في سبيله ، ولنحيا الحياة الجديرة بالإنسان، يقول تعالىٰ في ذلك :

﴿ قُل تعالوا اتل ما حرَّم ربكم عليكم ألاَّ تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق ذلكم وصاكم به لعلَّكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلاَّ وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلَّكم تذكرون * وإن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلَّكم تتقون ﴾ [الأنعام : ١٥١ ، ١٥٣] .

وكثير من الآيات البيّنات تذهب إلى ما وراء هذه الحياة وتعلمنا بما ينتظر المؤمنين والصالحين وما ينتظر الظالمين والكافرين يقول عزَّ وجلّ :

﴿ فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون * والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورىٰ بينهم ومما رزقناهم ينفقون * والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون * وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين * ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل * إنَّما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذابٌ أليم * ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ [الشورى : ٣٦ ، ٤٣] .

وإعـلام آخر يـأتينا عن طـريق القرآن ، مـا كان لأحـد به علم من قبـل ، ذلك الإعـلام المتصل بعـالمية الإسـلام وأنه دعـوة لكـل البشـر من أجـل تحقيق الحيـاة الفاضلة .

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ﴾ [التوبة : ٣٣] .

ويقول عزَّ وجلّ :
﴿ وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

ويقول سبحانه :

﴿ وما أرسلناك إلاَّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ [سبأ : ٢٨] .

ويقول : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

ويقول تعالىٰ :

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ [الفرقان : ١] .

ويقول عزَّ وجلّ :

﴿ كتـاب أنزلنـاه إليك لتخـرج الناس من الـظلمات إلى النـور بإذن ربهم إلى صراطِ العزيز الحميد ﴾ [إبراهيم : ١] .

بهذه الكلمات الطيبة المضيئة الموحيـة ، استقرَّ الـدين القيِّم في القلوب وبها انطلقت النفوس لتجاهد في سبيله لا تنـظر إلاَّ إلى ما يعـدها الله بـه . . . في آياتـه البيِّنات .

وقد ساندت هذه الكلمات القرآنية القدوة والأسوة التي سنَّها رسـول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بسلوكه وأفعاله وأقواله ونحن نعلم أن هذا السلوك ظلَّ في القمة بين كل سلوك بشري على مدى القرون والأجيال ، لأنه من صنع الله الذي اصطفاه وأدَّبه فأحسن تأديبه .

أساليب الإعلام في القرآن

﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ [سورة الكهف : ١٠٩] .

قبل أن نمضي في هذا الباب لنتناول الأساليب القرآنية للدعوة والإعلام ، نود أن نقدم لذلك بحقيقة هامة ، تتصل بالقرآن ، ونؤكد أنه من الصعب بل إنه من المستحيل ، أن يحيط أحد بكل هذه الأساليب ، ذلك أن القرآن الكريم ، هو دعوة الله تعالىٰ إلى الدين القيّم الذي أكمله ليكون آخر الأديان المنزلة منه على عباده ، وفي كل كلمة أو آية منه دعوة أو نداء أو مناشدة إلى الرسالة المنزّلة من السماء ، منها ما يخاطب العقل وما يخاطب القلب ، ما يتصل بالظاهر وما يتعلق بأعماق ما في النفس ، وما يخاطب الفرد كأنما يناجيه وما يخاطب المجموع فيكون له دويّ لا تتسع له الأرض .

في كل آية أو كلمة ، علم أو بيان ، أمر أو نهي ، ترغيب أو ترهيب زجر أو إيحاء ، فكر أو نبأ ، حكمة تخاطب أكبر العقول ، أو فن يخاطب وجدان أبسط الناس ، شفاء لما في الصدور ، أو تجربة أو رؤية تقود إلى الآفاق الروحية للعلم الإلٰهي الذي لا تحده حدود ، وغير ذلك من أساليب ووسائل فعّالة تتعدد وتتنوع في الشكل والمضمون والدرجة ، لتؤثر في الإنسان والجماعة الإنسانية كلها وتقود إلى دين الله وإلى ما يرضيه من القول والسلوك ليتحقق به الخير والكمال للحياة .

من هذا المنطلق ، فلا نستطيع أن ندّعي أننا سنقدم هنا كل ما يتضمنه القرآن الكريم من أساليب في مجال الدعوة والإعلام ، وقصارىٰ ما يبلغه الجهد أن نقدم أبرز ما يطالعنا في هذا المجال .

وقد بيَّنَّا في الفصل السابق أن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قد أعدَّه ربه وهيأه بالعلم والحكمة والخلق العظيم لحمل هذه الرسالة وتبليغها للناس ، وعلى لسان محمد بن عبد الله النبي الأمي الذي نشأ في وادٍ منعزل غير ذي زرع ، بعيداً عن مواطن الثقافة والحضارة في عالم عصره ، انتقلت كلمات الله وآياته البيّنات إلى الناس ، لينهض الإسلام دين التوحيد ليخرج العالم من ظلمات الشرك والظلم والبغي إلى نور الإسلام دين التوحيد والعدل والرحمة والإخاء وكل الفضائل التي تزهر بها حياة البشر ، ثم يصبح مع الأيام عقيدة مئات الملايين من البشر ومصدر إلهام لهم على امتداد أجيالهم وحتى يشاء الله . . .

وفضل القرآن على الناس ، هو من فضل الله العظيم ورحمته بعباده ﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلالٍ مبين ﴾ [آل عمران : ١٦٤] .

﴿ كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [إبراهيم : ١] .

ويلخّص رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم هذا الفضل العظيم في كلمات جامعة فيقول :

« إنَّ هذا القرآن أنزل آمراً وزاجراً وسنة خالية ، ومثلاً مضروباً ، فيه نبأكم ، وخبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الحق ليس بالهزل ، من قال به صدق ؛ ومن حكم به عدل ، ومن خاصم به فلح ، ومن قسم به أقسط، ومن عمل به أجر ، ومن تمسَّك به هُدي إلى صراط مستقيم ، ومن طلبَ الهدى من غيره أضلَّه الله ، ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وحبل الله المتين . . . عصمة لمن تمسَّك به ونجاة لمن اتَّبعه » .

ثم يقول صلوات الله وسلامه عليه في مناسبة أخرى : « القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته » . ودعوة الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم لنا إلى مأدبة الله أكرم الكرماء ليست إلى الطعام أو غيره مما تمد له المآدب ولكنها دعوة إلى العلم والتعلّم .

ومن هذه الدعوة الكريمة نمضي في بحثنا لبيان أبرز الأساليب القرآنية للدعوة والإعلام ونبدأ بالسِمات العامة لهذه الأساليب ثم تنقّل إلى الخاص منها :

وأول ما يطالعنا من هذه الأساليب اليسر والسهولة يقول تبارك وتعالىٰ : ﴿ ولقد يسَّرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر ﴾ [سورة القمر : ١٧] - ويقول عزَّ وجلَّ : ﴿ فإنَّما يسرناه بلسانك لتبشر به المتَّقين ﴾ [سورة مريم : ٩٧] - ويقول تعالىٰ : ﴿ كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ﴾ [هود : ١] . وباليسر مضت الدعوة سهلة الفهم سريعة المدخل إلى عقول الناس وقلوبهم لتخاطب فيهم الوجدان والعقل والفطرة السليمة وتستجيب لها بكل النفوس .

ولا نجد في القرآن ، الذي حوى من العلم والحكمة والمثل والعظة والشريعة والهدى ، وغير ذلك من الآيات ما لا سبيل إلى حصره ، ما تجسد في كتب العلم والحكمة وغيرها ، من الألفاظ المستغلقة أو المصطلحات التي لا يفهمها إلاَّ الخاصة من أصحابها .

وقد استطاع القرآن الكريم أن يعيش بهذا اليسر في صدور عشرات الملايين من الناس ، كما تمكن من مخاطبة كافة العقول ، الحكماء والبسطاء، وأن يكون بالنسبة لمن كتب الله لهم الهداية ، هادياً ونبراساً ونوراً على طريقيّ الدنيا والاخرة .

يقول تعالىٰ في ذلك : ﴿ وهذا صراط ربك مستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٦] .

ويقول عزَّ وجلّ : ﴿ أفغير الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربّك بالحق ﴾ [الأنعام : ١١٤] .

ويقوا الله تبارك وتعالىٰ يبين لنا الأثر الوجداني والحسي لآياته البيّنات :

﴿ الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ [سورة الزمر : ٢٣] .

ثم يقول عزّ وجلّ : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدّعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلّهم يتفكرون ﴾ [سورة الحشر : ٢١] .

﴿ يا أيُّها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمةً للمؤمنين ﴾ [سورة يونس : ٥٧] .

﴿ ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين ﴾ [سورة النحل : ٨٩] .

وبهذا اليسر والشمول بالإضافة إلى بلاغته ومضمونه العظيم اعتبر القرآن في رأي كثير من أساتذة الحضارة والأديان الغربيين والشرقيين أعظم الكتب تأثيراً في تاريخ البشرية .

ويأتي بعد اليسر ، من السمات العامة للأساليب القرآنية للدعوة ، الجدل والحوار ، وهو الأسلوب الذي يقدر كرامة الإنسان وحريته وعقله ، ويحقق له الاستجابة الذاتية دون ضغط أو إرهاب فكري . يقول تعالىٰ لرسوله صلّى الله عليه وسلّم :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [النحل : ١٢٥] .

ويقول عزَّ وجلّ : ﴿ فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتّبعنِ وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنّما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ [آل عمران : ٢٠] .

فهداية الناس إلى الدعوة لا ترتبط بحدة الجدل وشدته والضغط والإرهاب ، ولكنها تتعلق بإرادة الله تعالىٰ الذي هو أعلم بمن ضلَّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين .

﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلاَّ البلاغ ﴾ [الشورىٰ : ٤٨] .

ويقول تعالىٰ : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن ﴾ [العنكبوت : ٤٦] .

وفي مناشدة كريمة يقول تعالىٰ لرسوله صلَّى الله عليه وسلَّم معبراً عمَّا تتضمنه دعوته من سماحة ونبل :

﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبد إلاَّ الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

وفي دعوة تستهدف إيجابية المتلقين وفاعليتهم وإرادتها الحرة وتبتعد عن كل إكراه يقول تعالىٰ لرسوله :

﴿ قل يا أيُّها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فإنَّما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فإنَّما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل ﴾ [يونس : ١٠٨] .

ويقول تعالىٰ بلسان رسوله ، في موقف الداعية الذي يحفظ لدعوته منزلتها وبلسان الواثق المؤمن بما يدعو إليه ، حين يضع كل شيء في موضعه الحق :

﴿ من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذٍ آمنون * ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلاَّ ما كنتم تعملون * إنَّما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرَّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين * وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنَّما يهتدي لنفسه ومن ضلَّ فقل إنَّما أنا من المنذرين * وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافلٍ عمَّا تعملون ﴾ [النمل : ٨٩ - ٩٣] .

ويقول تعالىٰ : ﴿ ومن أحسن قولاً ممَّن دعا إلى الله وعملَ صالحاً وقال إنني من المسلمين * ولا تستوي الحسنة ولا السيِّئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقاها إلاَّ الذين صبروا وما يلقاها إلاَّ ذو حظ عظيم ﴾ [فصلت : ٣٣ ، ٣٥] .

ويقول عزَّ وجلَّ : ﴿ قُل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجريَ إلاَّ على

الله وهو على كل شيء شهيد ﴾ [سبأ : ٤٧] .

ولتأكيد حرية المتلقي للدعوة وحفاظاً على كرامته واحتراماً لإرادته وعقله يمضي الأسلوب القرآني في طريقه بقوله تعالىٰ :

﴿ لا إكراهَ في الدين قد تبيَّن الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ لا انفصام لها والله سميعٌ عليم ﴾ [البقرة : ٢٥٦] .

ويفتح القرآن أوسع الأبواب حتى بالنسبة للذين أغلقوا آذانهم وصدوا دعوته فيقول تعالىٰ لرسوله صلّى الله عليه وسلّم :

﴿ قلْ للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وَإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

ويمضي هذا الأسلوب القرآني الآسر للدعوة إلى غايته ، بعيداً عن كل عنف ، داعياً إلى الأخوّة والمودّة والعقل ، يجمع ولا يفرق دون استعلاء أو ترفّع . فيقول تعالىٰ بلسان رسوله الكريم :

﴿ قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم يوحىٰ إليّ انّما إلهكم إلـٰه واحد ﴾ [الكهف : ١١٠] .

﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلاّ ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلاّ نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

﴿ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إنْ اتبع إلاّ ما يوحىٰ إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون ﴾ [الأنعام : ٥٠] .

الأسلوب القرآني في تصنيف الناس :

ذكرنا في الباب الأول عن نظرية الإعلام . .

ان الرسول يجب عليه أن يخاطب المرسل إليهم حسب أحوالهم . . ويلزم تصنيف الناس لمخاطبة كل منهم وجاء في تفسير سورة البقرة « كتاب المنتخب »[1] .

ان دعوة الله سبحانه وتعالىٰ تحدثت عن أصناف الناس الثلاثة « المؤمنين والكافرين والمنافقين » .

ثم تحدث القرآن عن أهل الكتاب وقسمهم إلى قسمين . . كما جاء في سورة المائدة آية ٨٢ ﴿ لتجدنَّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين آمنوا الـذين قـالوا إنّـا نصارىٰ ذلـك بأنَّ منهم قسيسين ورهبانـاً وأنهم لا يستكبرون ﴾ .

إن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالله وبما أنزل على محمد وبما أنزل على الرسل من قبله ، تراهم خاضعين لله ضارعين إليه ، لا يستبدلون بالبيّنات الظاهرة عرضاً من أعراض الدنيا مهما عظم فهو قليل ، هؤلاء لهم الجزاء الأوفى في دار الرضوان عند ربهم والله سريع الحساب لا يعجزه إحصاء أعمالهم ومحاسبتهم عليها ، وهو قادر على ذلك وجزاؤهم نازل بهم لا محالة .

وهكذا نرى الإعلام القرآني موجهاً إلى أصناف من الناس يخاطب كلاً منهم بأسلوب معين . . بل نجد أن الآيات التي تحدث فيها القرآن عن المؤمنين أقل من الآيات التي تحدث فيها عن الكافرين . أما الآيات عن المنافقين فهي أكثر الآيات فماذا قال لكل من هؤلاء . .

قال تعالىٰ في سورة آل عمران : ﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴾ [آية : ١٩٩] .

---

(١) المنتخب : المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

قال تعالىٰ في سورة البقرة : ﴿ كان الناس أمة واحدة فبعثَ الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلّا الذين أوتوه من بعدِ ما جاءتهم البيِّنات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [آية : ٢١٣] .

وإن الناس طبيعة واحدة فيها الاستعداد للضلالة والهدى ، ومنهم من تستولي عليه أسباب الهداية ، ومنهم من تغلب عليه الضلالة ولذلك اختلفوا فبعث الله إليهم الأنبياء هداة ومبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتب مشتملة على الحق ، لتكون هي الحكم بين الناس فينقطع التنازع ، ولكن الذين انتفعوا بهدى النبيين هم الذين آمنوا فقط ، الذين هداهم الله في موضع الاختلاف إلى الحق والله هو الذي يوفق أهل الحق إذا أخلصوا .

قال الله تعالىٰ في سورة النساء : ﴿ فأمَّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً ﴾ [آية : ١٧٥] .

فأما الذين صدقوا بالله ورسالاته ، وتمسكوا بدينه ، فسيدخلهم في الآخرة جناته ، ويغمرهم بفيض رحمته ، ويشملهم بواسع فضله وسيوفقهم في الدنيا إلى الثبات على صراطه المستقيم .

وقال تعالىٰ في سورة آل عمران : ﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنَّا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور ﴾ [آية : ١١٩] .

هأنتم أولاء أيها المؤمنون تحبون هؤلاء الكفار المنافقين لقرابة أو صداقة أو مودّة ، ولا يحبونكم لتعصبهم لدينهم ، وأنتم تؤمنون بجميع كتب الله المنزلة ، وإذا لقوكم أظهروا الإيمان خداعاً لكم ، وإذا فارقوكم عضوا لأجلكم أطراف الأصابع غيظاً وأسفاً ، قل أيُّها النبي : دوموا على غيظكم إلى الموت ، وإن الله عليم بما تخفيه الصدور ، ويجازيكم عليه .

وقال تعالىٰ في سورة آل عمران : ﴿إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم

سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط ﴾ [آية : ١٢٠] .

إن جاءتكم نعمة كنصر وغنيمة ، تحزنهم ، وإن تصبكم مساءة كجدب وهزيمة يسروا بإصابتكم ، وأن تصبروا على أذاهم وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم ، لا يضركم مكرهم وعداوتهم أي ضرر ، لأنه تعالىٰ عالم بما يعملونه من الكيد فلا يعجزه رده عنكم .

وقال تعالىٰ في سورة آل عمران : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلَّا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾ [آية : ١٣٥] .

والذين إذا فعلوا خطيئة كبيرة ، أو تحملوا ذنباً صغيراً ، تذكروا الله وجلاله ، وعقابه وثوابه ، ورحمته ونقمته فندموا ، وطلبوا مغفرته وأنه لا يغفر الذنوب إلَّا الله ، ولم يقيموا على قبيح فعلهم وهم يعلمون قبحه .

وقال تعالىٰ في سورة آل عمران : ﴿ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ﴾ ﴿ آية : ١٤٢] .

لا تظنوا أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة دون أن نتبين منكم المجاهدين الصابرين الذين تظهرهم المحن والشدائد .

وقال تعالىٰ في سورة آل عمران : ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ [اية : ١٤٩] .

فأعطاهم الله النصر والتوفيق في الدنيا ، وضمن لهم الجزاء الحسن في الآخرة ، والله يثبت الذين يحسنون أعمالهم .

وقال تعالىٰ في سورة آل عمران : ﴿ ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ﴾ [آية : ١٥٧] .

ولئن قتلتم في الجهاد أو متم في أثنائه ، لمغفرة من الله لذنوبكم ورحمة منه

لكم ، خير مما تجمعونه من متاع الدنيا لو بقيتم .

وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ أفمن اتَّبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير ﴾ (آية : ١٦٢) .

ليس من سعى في طلب الله بالعمل والطاعة ، مثل الذي باء بغضب عظيم من الله بسبب المعصية ومصير العاصي جهنم وبئس ذلك المصير .

وقال تعالىٰ في سورة آل عمران : ﴿ هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون ﴾ (آية : ١٦٣) .

ليس الفريقان سواء، بل هم يتفاوتون عند الله تفاوت الدرجات والله عالم بأحوالهم ودرجاتهم ، فيجازيهم عليها .

قال اللّه تعالى في سورة النساء : ﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن اللّه ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً ﴾ [آية : ١٣٧] .

إنّ الإيمان إذعان مطلق وعمل مستمر بالحق فالمترددون المضطربون ليسوا بمؤمنين فالذين يؤمنون ثم يكفرون ثم يؤمنون ثم يكفرون ، وبهذا يزدادون كفراً ، ما كان اللّه غافراً لهم ما يفعلون من شر ولا ليهديهم إلى الحق ، لأن غفران اللّه يقتضي توبه وإقلاعاً عن الشر ، وهدايته تكون لمن يتجهون إلى الحق ويطلبونه .

قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ وما لنا لا نؤمن باللّه وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين ﴾ [آية : ٨٤] .

وأي مانع يمنعنا من أن نصدق باللّه وحده ، وبما جاءنا من الحق المنزل على محمد ؟ ونحن نرجو أن يدخلنا ربنا الجنة مع القوم الذين صلحت عقائدهم وأعمالهم .

قال تعالى في سورة الانعام : ﴿ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤوك يجادلونك يقول الذين كفروا إنْ هذا الا أساطير الأولين ﴾ [آية : ٢٥] .

ومنهم من يستمع إليك حين تتلو القرآن ، لا ليتفهموه وليهتدوا به ، وإنما ليتلمسوا سبيلاً للطعن فيه والسخرية منه .

وقد حرمناهم بسبب ذلك من الانتفاع بعقولهم وأسماعهم ، كأن عقولهم في أغطية تحجب عنهم الإدراك الصحيح ، وكأن في آذانهم صمماً يحول دون سماع آيات القرآن وان يروا كل دليل لا يؤمنون به ، حتى إذا جاؤوك ليجادلوك بالباطل يقول الذين كفروا مدفوعين بكفرهم : ما هذا إلا أباطيل سطرها من قبلك الأولون . وقال في سورة الأنعام : ﴿ وهم ينهون عنه وينأون عنه وان يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾ [٢٦] .

وهم ينهون الناس عن الإيمان بالقرآن ، ويبتعدون عنه بأنفسهم ، فلا ينتفعون ولا يدعون غيرهم ينتفع وما يضرون بذلك الصنيع إلا أنفسهم ، وما يشعرون بقبح ما يفعلون .

وقال أيضاً في سورة الأنعام : ﴿ قد نعلم إنه ليحزنك الذين يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ [٣٣] .

إننا نعلم أنه ليحزنك أيها النبي ما يقوله الكفار تكذيباً لك ، فلا تحزن من ذلك لأن الحقيقة انهم لا يتهمونك بالكذب ، ولكنهم لظلمهم لأنفسهم وللحق يكابرون بألسنتهم دلائل صدقك ، وعلامات نبوتك .

قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ﴾ [آية : ٤٢].

لا يشق عليك ، أيها النبي ، ما تلاقيه من قومك ، فلقد بعثنا قبلك رسلاً إلى أمم كثيرة قبل أمتك فكذبوهم ، فعاقبناهم بالشدائد تنزل بهم ، وبما يضرهم في أبدانهم ، لعلهم يخشعون ويرجعون إلى الله .

قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ [آية : ٣٧] .

وقال الكفار متعنتين : نطلب ان ينزل على محمد دليل مادي من ربه يشهد

بصدق دعوته ! قل لهم أيها النبي : إن اللّٰه قادر على أن ينزل أي دليل تقترحونه ولكن أكثرهم لا يعلمون حكمة اللّٰه في إنزال الآيات ، وأنها ليست تابعة لأهوائهم ، وانه لو أجاب مقترحاتهم ثم كذبوا بعد ذلك لأهلكهم ، ولكن أكثرهم لا يعلمون نتائج أعمالهم !!

قال تعالى في سورة الأنعام : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ﴾ [آية : ٥٢] .

ولا تستجب أيها النبي ، لدعوة المتكبرين من الكفار ، فتبعد عنك المستضعفين من المؤمنين ، الذين يعبدون ربهم دائماً ، ولا يريدون إلا رضاه ، ولا تلتفت لدس المشركين على هؤلاء المؤمنين ، فلست مسؤولاً أمام اللّٰه عن شيء من أعمالهم ، كما أنهم ليسوا مسؤولين عن شيء من أعمالك ، فان استجبت لهؤلاء الكفار المتعنتين ، وأبعدت المؤمنين ، كنت من الظالمين .

وقال تعالى في سورة التوبة : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل اللّٰه والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل اللّٰه فبشرهم بعذاب أليم ﴾ [آية : ٣٤] .

ويقول تعالى في سورة الرعد : ﴿ للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به أولئك لهم سوء الحساب ومأواهم جهنم وبئس المهاد ﴾ [آية : ١٨] .

وأن الناس في تلقيهم للهدى قسمان : قسم أجاب دعوة اللّٰه الخالق المدبر ، فلهم العاقبة الحسنى في الدنيا والآخرة ، وقسم لم يجب دعوة الذي أنشأه ، وهؤلاء لهم العاقبة السيئة في الآخرة ، ولو ثبت لهم ملك كل ما في الأرض جميعاً ومثله معه ، ما استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم العاقبة السيئة ولكن انى يكون لهم ذلك الملك ؟ ولذلك كان لهم حساب يسوءهم وينتهون به إلى جهنم وبئس القرار والمستقر .

وفي نفس السورة يقول عز وجل : ﴿ والذين يصلون ما أمرَ اللّه به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب ﴾ [آية : ٢١] .

وأولئك المؤمنون من دأبهم المحبة والطاعة ، إنهم يعقدون المودة مع النـاس ويخصـون ذوي أرحـامهم ، ويؤيــدون ولاتهم في الحق ، وهم يعـرفـون حق اللّه فيخشونه ، ويخافونه ، ويخافون الحساب الذي يسوءهم يوم القيامة فيتوقون الذنوب ما استطاعوا .

وفي سورة الحج يقول عز وجل : ﴿ ومن الناس من يجـادل في اللّه بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴾ [آية : ٨] .

ومع ما تقـدم فبعض الناس يجـادل في اللّه وقدرتـه ، وينكر البعث على غيـر أساس علمـي أو إلهام صادق ، أو كتاب منزل من اللّه يستبصر به ، فجداله لمجرد الهوى والعناد .

وقال تعالى في سورة الحج : ﴿ ومن الناس من يعبد اللّه على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابته فتنة أنقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾ [آية : ١١] .

ومن الناس صنف ثالث لم يتمكن الإيمان من قلبه ، بـل هو مـزعزع العقيـدة تتحكم مصالحه في إيمانه ، ان اصابه خير فرح به واطمأن ، وإن أصـابته شـدة فمن قضـاء اللّه وقدره ، كمـا خسر في الآخـرة النعيم الذي وعـده اللّه للمؤمنين الثابتين الصابرين ، ذلك الخسران المزدوج هو الخسران الحقيقي الواضح .

قال تعالى في سورة الحج : ﴿ يدعو من دون اللّه ما لا يضره وما لا ينفعه ذلك هو الضلال البعيد ﴾ [آية : ١٢] .

يعبد هذا الخاسر من دون اللّه أصناماً لا تضره ان لم يعبدها ولا تنفعه إن عبدها ذلك الفعل منه هو الضلال البعيد عن الحق والصواب .

وقال تعالى في سورة الحج : ﴿ يدعو لمن ضره أقرب من نفعـه لبئس المولى ولبئس العشير ﴾ [آية : ١٣] .

يدعو من دون الله من ضره بإفساد العقول وسيطرة الأوهام أقرب للنفس من اعتقاد مناصرته ، فلبئس ذلك المعبود نصيراً ، ولبئس ذلك المعبود عشيراً .

وقال تعالى في سورة الحج : ﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ﴾ [آية : ٣٩] .

أذن الله للمؤمنين الذين قاتلهم المشركون أن يردوا اعتداءهم عليهم ، بسبب ما نالهم من ظلم صبروا عليه طويلاً ، وان الله لقدير على نصر أوليائه المؤمنين(١) .

وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ [آية : ٨٥] .

فمن يطلب بعد مبعث محمد عليه الصلاة والسلام ديناً وشرَيعة غير دين الإسلام وشريعته ، فلن يرضى الله منه ذلك، وهو عند الله في دار جزائه من الذين خسروا أنفسهم فاستوجبوا العذاب الأليم .

وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ [آية : ٨٦] .

ان الله لا يوفق قوماً شهدوا بأن الرسول حق ، وجاءتهم الأدلة على ذلك ، ثم بعد ذلك كفروا به ، وبمعجزاته ، فكان ذلك ظلماً منهم ، والله لا يوفق الظالمين .

وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ﴾ [آية : ٨٧] .

وأولئك عقوبتهم عند الله ، استحقاق غضبه عليهم ، ولعنة صفوة الخلق جميعاً من ملائكة وبشر .

---

(١) ﴿ أذن للذين يقاتلون أنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾ : إن ما ذكره في القرآن الكريم من الحكم في الآية « ٣٩ » سبق به القوانين الوضعية وهو أن الدفاع عن النفس أمر مشروع مهما كانت نتائجه ، وأن المدافع عن نفسه وماله ووطنه ، لا يؤاخذ أمام الله وأمام العدالة ولو قتل نفساً وأزهق أرواحاً . إن هذه الآية قررت أن المسلمين مأذون لهم بالدفاع عن أنفسهم إذا اعتدي عليهم . ومن ذلك نأخذ أن حروب المسلمين كانت حروب دفاع لا حروب هجوم ، وأنهم أقاموا الإسلام ودعموه بالحجة والبينة والأدلة الواضحة .

وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ [آية : ٨٨] .

لا تفارقهم اللعنة ، ولا يخفف عنهم العذاب ، ولا هم يمهلون .

وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ [آية : ٨٩] .

لكن الذين أقلعوا عن ذنوبهم ودخلوا في أهل الصلاح وأزالوا ما أفسدوا فإن الله تعالى يغفر لهم برحمته ذنوبهم ، لأن المغفرة والرحمة صفتان من صفات ذاته العلية .

وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفراً لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ﴾ [آية : ٩٠] .

وأن قبول التوبة والرحمة بالغفران ، شرطهما الاستمرار على الإيمان فالذين يجحدون الحق بعد الإذعان والتصديق ، ويزدادون بهذه الردة جحوداً وفساداً وإيذاء للمؤمنين ، فلن يقبل الله سبحانه وتعالى توبتهم لأنها لا يمكن أن تكون صادقة خالصة ، وقد صاروا بعملهم بعيدين عن الحق منصرفين عنه .

وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين ﴾ [آية : ٩١] .

وان الذين جحدوا الحق ولم يذعنوا له واستمروا عليه حتى وهم جاحدون ، فلن يستطيع احدهم ان يفتدى نفسه من نفسه والله سبحانه وتعالى لا يقبل شيئاً ، ولو كان الذي يقدمه فدية له ، ما يملأ الأرض من الذهب إن استطاع ، وعذابهم مؤلم شديد الإيلام .

وقال تعالى في سورة آل عمران : ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم ﴾ [آية : ٩٢] .

لن تنالوا أيها المؤمنون الخير الكامل الذي تطلبونه وبرضاء الله تعالى إلا إذا

بذلتم مما تحبون أنفقتموه في سبيل الله المتنوعة ، وأن الذي تنفقونه قليلاً أو كثيراً نفيساً أو غيره ، فإن الله يعلمه لأنه العليم الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ، ولا في السماء .

﴿ المؤمنــون ﴾

ويتحدث القرآن الكريم عن المؤمنين ومنزلتهم وصفاتهم في آياته البيِّنات التالية :

﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (٧٠) وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَإِنَّه يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَاباً (٧١) وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِٱللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً (٧٢) وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمّاً وَعُمْيَاناً (٧٣) والَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً (٧٤) أُولئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَاماً (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً (٧٦)﴾. [سورة الفرقان] .

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [سورة السجدة] ﴿ أَمَّا ٱلَّذِيْنَ آمَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلاً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٩)[سورة السجدة] .

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[سورة الأحزاب : ٢١] . ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَات وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ وَٱلْقَانِتِينَ وَٱلْقَانِتَاتِ وَٱلصَّادِقِينَ وَٱلصَّادِقَاتِ وَٱلصَّابِرِينَ وَٱلصَّابِرَاتِ وَٱلْخَاشِعِينَ وَٱلْخَاشِعَاتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَاتِ وَٱلصَّائِمِينَ وَٱلصَّائِمَاتِ

وَٱلْحافِظِيْنَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحافِظَاتِ وَٱلذَّاكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيراً وَٱلذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [سورة الأحزاب : ٣٥] .

﴿إِنَّما ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ ٱلصَّادِقُونَ ﴾ [سورة الحجرات : ١٥] .

﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] .

وفيما يتصل بالمشركين يتحدث القرآن عنهم في الآيات التالية :

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَارَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَابَ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُم بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١١٣] . ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة البقرة : ١١٨] .

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٦٢) قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ (٦٣) وَقِيلَ آدْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴾ .[سورة القصص:٦٢-٦٤] . ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ ٱلَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [سورة القصص : ٧٤] .

﴿ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَس فَلَا يَقْرَبُوا ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة : ٢٨] .

وفيما يختص بالمنافقين يتحدث القرآن بهذه الآيات .

﴿يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة] . ﴿وَإِذَا لَقُوا ٱلَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) ٱللَّهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُوْلَٰئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوا ٱلضَّلاَلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ ٱلصَّوَاعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ وَٱللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِين (١٩) يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة].

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً (١٣٨) ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَافِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِنْ دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ ٱلعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً (١٣٩) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَافِقِينَ وَٱلْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً (١٤٠) ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَّعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَىٰ ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً (١٤١) إِنَّ ٱلْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ ٱللَّهَ

وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى ٱلصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا (١٤٢) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (١٤٣) ﴾ [سورة النساء] .

الاسلوب القرآني يخاطب كل ما في الانسان

وشاءت حكمة القدير العليم ان يخاطب القرآن عقل الانسان وقلبه وجوارحه جميعا ، وان يكون هذا الخطاب مناسباً للناس على تفاوت عقولهم وجوارحهم وقلوبهم ، فهو يمثل لغة مشتركة ، لكل الناس كل بحسب ما عنده ، وبذلك لا يرد أسلوب القرآن الذي هو دعوة الى الله والخير والفلاح احداً عن الاخذ منه والتزود بخير زاد اذا شاء الله ذلك وأراده له .

ونتتبع هذا الاسلوب الشامل الجامع الذي احاط بكل ملكات الانسان وما وضع الله فيه ، فنرى أول ما يطالعنا حفاوة الاسلوب القرآني بعقل الانسان وحفزه على التفكير والتأمل .

والدعوة الى التدبر والعقل تبدأ بتوجيه عقل الانسان الى اصل الدعوة وأساسها الأول فيقول تعالى :

﴿ إنا انزلناه قرآناًعربياً لعلكم تعقلون ﴾ [يوسف:٢] ويقول ، عز وجل : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كبيراً ﴾ [النساء: ٨٢] .

ولكي يقطع الشك باليقين بالنسبة لهذا الاساس الذي تنهض عليه الدعوة يتحداهم الله تعالى بقوله :

﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين ﴾ [البقرة : ٢٣ ، ٢٤] .

ويحكم الأمر في هذا الشأن بآية يبطل امامها كل ادّعاء أو عناد .

ويقول تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن

لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ [الإسراء : ٨٨] .

في دعوة إلى العقل والمنطق يخاطب القرآن الناس في هذا الأصل يقول الله تعالى :

﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطّه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون * بل هو آيات بيّنات في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا لاّ الظالمون ﴾ [العنكبوت : ٤٨ ؛ ٤٩] .

وتسعى الدعوة إلى الفعل بعد ذلك لتدعو الناس إلى الله تعالى بعد ان خذلهم الشيطان وأضلهم عن سبيله .

يقول عزَّ وجلّ في ذلك : ﴿ هو الذي أنزل من السماء ماءاً لكم منه شراب ومنه شجر فيه تُسيمون * ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون * وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون * وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إنّ في ذلك لآية لقوم يذّكرون ﴾ [النحل : آية ١٠ - ١٣] .

ويقول تعالى في ذلك : ﴿ ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجاً لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون * ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم ان في ذلك لآيات للعالمين * ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله ان في ذلك لآيات لقوم يسمعون * ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ [الروم : ٢١ - ٢٤] .

في هذه الدعوة استدعاء للعقل والفكر والجوارح جميعها . ويقول عز وجل : ﴿ خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى في الأرض رواسي ان تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم * هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ [لقمان : ١٠ ، ١١] .

﴿ إنّ الله يمسك السموات والأرض ان تزولا ولئن زالتا إنْ امسكهما من احد من بعده انه كان حليماً غفوراً ﴾ [فاطر ٤١] .

ويقول في ذلك أيضاً : ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السماوات والأرض وإلى الله ترجع الأمور * يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور ﴾ [الحديد : ٤-٦] . ﴿ اعلموا ان الله يُحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ﴾ [الحديد ١٧] .

﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [غافر ٥٧] . ثم قوله تعالى :

﴿ ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ [آل عمران: ١٩٠] .

ان استدعاء العقل والفكر واللب في الاسلوب القرآني للدعوة يتكرر في كثير من المواقف بحيث يبدو كأنه الدعامة الرئيسية لهذا الاعلام ، وخاصة في المواقف التي تتصل بالاعتقاد الذي ترتكز عليه كافة أنواع السلوك الانساني .

يقول تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أَوَلَوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ﴾ [البقرة: ١٧٠] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أَوَلَوْ كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ﴾ [لقمان ٢١] .

والأسلوب القرآني للدعوة والاعلام حين يمضي على هذا النهج ، انما يقدر عقل الانسان وحريته في الاختيار ، ويدين الجمود والوقوف عند مألوف المادة وما ترك السلف دون تفكير أو تدبير ، وهو أسلوب علمي يدعو الانسان الى النظرة الحرة لواقع حياته وحياة مجتمعه على أساس من العقل والارادة الحرة

والشعور الوجداني يكمل الادراك العقلي ، وقد قلنا ان الاسلوب القرآني في الدعوة والاعلام قد خاطب كل ما في الانسان ، عقله وقلبه وجوارحه ، بهدف هدايته الى الحق في أمر خالقه وأمر حياته وما يأخذ او يدع منها .

وفي هذا الجانب من جوانب الأسلوب القرآني للاعلام المتصل بالوجدان والقلب ، نرى القرآن قد استخدم اساليب مختلفة لمخاطبة الوجدان بخلق انفعالات معينة في نفسه تحرك القلب نحو الغاية المستهدفة ؛ فهناك اسلوب القصص ، وسرد الأحداث الجارية ، وضرب الأمثال للمقارنة بين موقف وموقف .

استخدم الأسلوب الاعلامي القرآني هذه الوسائل وغيرها في دعوته الناس الى الايمان بالله الواحد والى دعوتهم الى العمل الصالح والتمسك باسباب التقوى والاخلاص لله باداء العبادات والجهاد في سبيله وطاعته في كل ما يأمر به من عمل أو سلوك ، والابتعاد عما ينهي عنه من المعاصي والذنوب. ويلاحظ المفسرون لآيات الله أن آيات الترغيب قد رجحت آيات العقاب والعذاب ، مما يقودنا الى حقيقة هامة هي ان هذا الاسلوب حرص على انه يحفظ الانسان من طغيان الرهبة واليأس والقنوط مما يؤدي الى فقدان الأمل والضياع . وكان الترهيب مع نسبته القليلة امراً ضرورياً حتى لا يسلم الانسان نفسه الى التهاون والغفلة عما يأمره به ربه .

واذا كانت رحمة الله وثوابه تتجاوزان في الأسلوب القرآني في الرهبة من عذابه ، فقد كان ذلك من فضل الله العظيم على الانسان ، لتظل روحه متمسكة بالرجاء والأمل .

﴿ انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ [الأنبياء : ٩٠] .

وبهذا المزج الحكيم بين الترهيب والترغيب ، تتولد الانفعالات والدوافع التي لا تميت القلب من اليأس ولكن تحييه وتحركه الى الرجاء والأمل في رحمة الله وغفرانه .

﴿ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾ [هود : ٥٢] .

ويقول عز وجل في ذلك أيضاً : ﴿ فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا ﴾[نوح : ١٠ - ١٢] .

﴿ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ﴾[طه:٨٢] .

ويقول تعالى تأكيداً لهذا الاسلوب القرآني الرحيم : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر: ٥٣] .

وفي مخاطبة العقل والوجدان على هذا التحدي يحقق الاسلوب القرآني للدعوة نتائج واهدافاً لم يحققها اي اسلوب آخر عرفته البشرية ، وحسبنا ان نشير الى ان المجتمع الجاهلي الذي أنزل القرآن عليه والذي اتصف بالجهل والوثنية والتعصب والشر ، قد تحول بفضل القرآن الكريم وأسلوبه في الدعوة خلال سنوات قليلة الى مجتمع يتصف بالكمال والمثالية في خلقه وسلوكه والاستمساك بالدين ـ وقد استشهدنا قبل الآن بقول جرونيبالم مؤلف حضارة الاسلام في هذا الشأن ونضيف اليه الآن قول مؤلف حضارة العرب جوستاف لوبون أذ يقول : « وقد استطاع محمد بالقرآن ان يبدع مثلا عاليا قوياً للشعوب العربية التي لا عهد لها بالمثل العليا ، وفي ذلك الابداع تتجلى عظمة ما جاء به محمد ، ولم يلبث الاسلام أن منح تلك الشعوب بالاضافة الى هذه المثل مصالح مشتركة وآمالاً مشتركة موجها بذلك جهودها نحو غرض واحد هو الفتح العالمي لدينهم » .

واذا كنا قدمنا بعض جوانب الأسلوب العقلاني للدعوة والاعلام القرآني وبعض جوانب الاسلوب الوجداني فان ابراز بعض الجوانب الأخرى ذات التأثير الجماعي والتي كان لها تأثير كبير على الدعوة يتطلب مزيداً من التناول ، لما يقدمه لنا من وسائل ومبادىء يفيد منها كل من يتصدى للدعوة في عهدنا وفي كل عهد .

ولبيان ذلك نعود الى الوراء قبل ظهور الاسلام ونزول القرآن ، لنطل إطلالة قصيرة على مجتمع قريش الذي نزل فيه القرآن ، سنرى مجتمعا اجتمعت لديه وفرة في الوسائل والامكانات التي نلخصها في التالي :

ـ ورث عن اجداده منزلة خاصة بين سائر القبائل التي عاشت على ارض شبه الجزيرة العربية ، بوصفهم اهل حرم الله واصحاب بيته الذي يحج اليه العرب جميعاً .

ـ انهم التمسوا العيش والمال عن طريق التجارة في حين كان العرب يسعون وراء الماء والكلأ ليجدوا عيشهم في تربية الأغنام والابل .

ـ ان تقدمهم الاقتصادي أتاح لهم فرصة تكوين قوة حربية على قدر كبير من الكفاية تمكنهم من خوض المعارك والانتصار فيها .

ـ انهم مارسوا ألوانا من الترف لم تكن موجودة عند غيرهم ، واستكثروا من الموالي وجلبوا الجواري من كل البلاد لخدمتهم ورفاهيتهم .

ـ ان الهة العرب الوثنية كانت تقوم بجانب الكعبة ليأتي اليها الناس من كل صوب يتقربون ويتاجرون ويزيدون من ثراء قريش وترفها ومنزلتها .

وكان موطن القصور والضعف في حياة هذا المجتمع الذي أوتي هذه الوفرة في الوسائل والثراء والمنزلة ، انه يفتقد الغايات والمثل فلم يكن لحياة الأفراد والجماعات من غاية ، كانت حياة الغني والفقير على السواء تهدر وتضيع لأي سبب خضوعاً لتقاليد خلت من الغايات والمثل العليا . وكان الانسان يفقد ما له من منزلة ومال لأسباب لا تمت لمبدأ أو لعدل كالغارة والميسر والاسراف في التفاخر والزهو الفارغ وكان اعتقادهم بخواء هذه الحياة وخلوها من الغايات فلم يكن الفرد ، أو القبيلة وهي الوحدة الاجتماعية ، ترى لوجودها غاية ترجوها ، تتجاوز المطالب المادية اليومية ، وكان الفناء والضياع يلوحان في كل وقت وأثناء الحياة وبعد الموت ؛ فكأنَّ الرمال الممتدة حولهم الى ما لا نهاية تزحف عليهم لتطويهم وتعفي على آثارهم الى الابد .

لقد عمق هذا الشعور في نفوس الجميع ، الأغنياء والفقراء ، الأقوياء والضعفاء احنساساً بعدم الامن ، ورسب في نفوسهم خوفاً مفزعاً من خواء المصير والفناء الذي يتربص بهم ، كما أفقدهم هذا الشعور الحس الاخلاقي الذي ينمي الضمير ، مما جعلهم يعيشون حالة وجدانية يشيع فيها التوتر ، ويفقد فيها الانسان الوازع الخلقي ، فتزداد حياتهم قوة وشدة ووحشة ، ليقوى الشعور بالقلق والضياع . وولدت هذه

الحالة النفسية في قلوب الناس حالة من الخوف الدائم ، خوف الانسان على حياته وخوفه على ماله وخوفه على منزلته ، وخوفه على مصيره من الضياع الابدي الذي ينتظره بعد الموت .

ان سبب هذا التوتر والخوف والاحساس المتمكن بالضياع والتمزق الوجداني ، يمكن رده الى غياب المثل العليا والغايات السامية من حياتهم - ولما كانت الغايات والمثل العليا من أعمال الخيال الملهم ، فان بعثها لا يتصل بالعقل بقدر اتصاله بوجدان الانسان وقلبه - ومن ثم احتل الاسلوب القرآني للدعوة المتصل بالوجدان والقلب أهمية كبرى في بعث الأفراد والأمة العربية كلها بعثاً جديداً مكنها ان تحتل تلك المكانة في تاريخ الحضارة والعالم بعد نزول القرآن وظهور الإسلام .

لقد تألقت الغايات الكبرى ، والمثل العليا في الجانب الوجداني للاعلام القرآني على نحو معجز لا مثيل له في تاريخ الدعوات التي شهدتها البشرية . لقد فتحت الأبواب على مصاريعها لينطلق الانسان المقيد بأغلال القهر والوثنية التائه في بيداء الضياع ، ليخرج الى الآفاق الرحبة لرحمة الله ورضوانه :

﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً الا وسعها اولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون * ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكم الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ﴾[الاعراف: ٤٢ - ٤٣].
هنا يضع الاسلوب القرآني في وجدان الناس غايات سامية ، ويضع لكل عمل ثمرة وجزاء، تهفو اليه كل نفس أحست في الماضي بالضياع وفقدان الجدوى في كل شيء ، وتصور أطيب الكلمات وابلغ الاساليب والمعاني قدرة على التأثير هذه النقلة الوجدانية أجمل واروع تصوير في قوله تعالى :

- ﴿ ان المتقين في جنات وعيون * ادخلوها بسلام آمنين * ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين * لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين * نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم ﴾ [الحجر : ٤٥ - ٤٩] .

- ﴿ ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون * هم وازواجهم في ظلال على

الأرائك متكئون * لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون * سلام قولاً من رب رحيم ﴾ [يس : ٥٥ ـ ٥٨] .

ـ ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ﴾ [الزمر: ٢٠] .

ـ ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى اذا جاؤوها وفتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين* وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ﴾ [الزمر: ٧٣، ٧٤] .

ـ ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بـايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما التناهم من عملهم من شيء كل امرىء بما كسب رهين ﴾ [الطور : ٢١] .

ويرتد بهم هذا الاسلوب العاطفي المعجز الى الدواء ليريهم ما كانوا فيه ويقابلوا بين ما ينتظرهم وما كانوا يلقون . يقول تعالى :

ـ ﴿ قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين * فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم * انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم ﴾ [الطور : ٢٦ ـ ٢٨] .

ولا شك ان الاسلوب القرآني للدعوة والاعلام الذي قام عليه هذا الوجدان الجماعي ، كان وراء الفتوحات العظيمة التي مكنت لدين الله في الأرض ، وجعلت انتشاره في مشارق الأرض ومغاربها خلال تلك السنوات القليلة من المعجزات التي لا تتكرر في تاريخ البشرية .

ونقدم فيما يلي أمثلة من القرآن الكريم[١] تبين الاعجاز في أساليب الدعوة الى الله تعالى والى أمره ، ففي سورة الفاتحة يقول الله تعالى في مجال الحمد والدعاء :

﴿ الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين * اياك نعبد واياك نستعين * اهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ [الفاتحة : ٢ ـ ٧] .

---

(١) يراجع كتاب « إلى القرآن » للإمام الشيخ محمود شلتوت .

سورة البقرة وقد تناولت طوائف الناس ومنزلتهم .

أسلوب طوائف الناس أمام القرآن :

بدأت السورة فنوهت بشأن القرآن الكريم ، وأنه حق لا ريب فيه ، وأن الذين ينتفعون به انما هم « المتقون » الذين سلمت فطرهم من تسلط المادة المظلمة، والعصبية الغاشمة ، فآمنوا بالله واليوم الآخر ، وعرفوا حق الله فأقاموا الصلاة ، وحق عباده فأنفقوا في سبيله﴿ ومما رزقناهم ينفقون﴾[1] وعرفوا أن رسالته في جميع الأزمان واحدة ، فآمنوا بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل من قبل : ﴿ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون ﴾[2] .

ثم تقابل هؤلاء بطائفة ثانية تبجحت بالعناد ، وتحكمت فيهم النشأة الضالة ، حتى انسدت عليهم طريق الهداية وصاروا لا يرجى منهم خير ولا ايمان ، وهؤلاء هم الذين أيأس الله من ايمانهم نبيه ، وقال فيهم : ﴿ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون * ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة لهم عذاب عظيم ﴾[3] .

ثم ذكرت السورة طائفة ثالثة ، هي شر ما ابتلي به الحق وأهله في هذه الحياة وهم المنافقون . . أنكرت قلوبهم كالكافرين ، ونافقوا ، وقابلوا المؤمنين بوجه والكافرين بوجه . وقد تحدث الله عنهم في الربع الأول بثلاث عشرة آية أظهر دخيلتهم وأغراضهم ، ومرض قلوبهم ، وذبذبتهم بين هؤلاء وهؤلاء : ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين[2] ﴾ . ثم زادهم توضيحاً فضرب لحيرتهم مثلين : مثل من أضاءت حوله النار ثم أنطفأت عليه ، وتركته في ظلمة لا يهتدي فيها الى صواب . . ومثل من أخذته السماء بمطرها وظلمتها ورعدها وبرقها ، فأخذ يتحيّن الخلاص مضطرباً في شأنه ، خائفاً من الهلاك ، ولو شاء الله لذهب بسمعه وبصره ، ان الله على كل شيء قدير .

وأخيراً يوجه الخطاب الى الناس عامة ، فيطلب منهم عبادة الله وتوحيده ، والايمان برسالة محمد ، ويقرر الجزاء ، وفي سبيل ذلك يلفت نظرهم الى نعمته

---

(١) سورة البقرة : ٣ :

(٢) سورة البقرة : ٥ .

(٣) سورة البقرة : ٦ ـ ٧ .

(٤) سورة البقرة : ١٦ .

عليهم بالتربية والخلق ، وبتسخير الأرض ومنافعها ، والسماء ومائها في الحصول على الرزق والثمرات ، ويتحداهم أن يأتوا بمثل القرآن وهم أهل الكلام ، ثم يحذرهم ـ أن لم يفعلوا ولن يفعلوا ـ النار التي وقودها الناس والحجارة .

وهنا يأتي الأمر بتبشير المؤمنين بأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، جمعت لذائذ المادة والروح ، وهم فيها خالدون .

أسلوب ضرب الأمثال في القرآن

من سنة الله في القرآن أن يستخدم في البيان ضرب الأمثال تقريباً لما يجب أن تنفعل به النفوس ، وتؤمن به القلوب . . فضرب مثلين للمنافقين وضرب الشجرة الطيبة مثلاً للكلمة الطيبة . . وضرب الذبابة والعنكبوت مثلاً للشفعاء والاولياء الذين اتخذهم المشركون معبودات ليقربوهم الى الله .

اما الناس فهم أمام هذه الأمثال فريقان : فريق يفهم القصد الذي ترمي اليه ، ويكون لها أثرها الحسن في نفوسهم . وفريق يتعلق باسم الحيوان الذي ضرب به المثل ، ولا ينظر الى المعنى المقصود ، فيتساءل متعجباً ، مستهزئاً ، منكراً ، ماذا أراد الله بهذا مثلاً ؟ . ويتخذ ذلك سبيلاً لايقاع الشك في قلوب الناس ، وهذا شأن الفاسقين الذين خرجوا بأنفسهم عن هداية الله في خلقه ، وأساليب البيان التي طبع عليها كل لسان ، هؤلاء الذين كان من خروجهم عن هداية الله ، نقض عهد التوحيد والهداية ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل من رسالته المتتابعة ، والافساد في الأرض ، يسجل الله عليهم الخسران فيقول : ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾[1] .ثم يتعجب من كفرهم واستمرارهم على هذا الفسوق مع وضوح دلائل التوحيد والايمان في أنفسهم : ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون ﴾[2] ، وفي الآفاق ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [سورة البقرة : ٢٩] .

حاجة الانسان الى الوحي

ان الله خلق الانسان وجعله مستعداً للعلم والانتفاع بما خلق الله في الكون

---

(١) سورة البقرة : ٢٧ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨ .

ليكون خليفة في الأرض ، يعمرها وينميها ، ويكون بعمله مظهراً لرحمة الله بعباده ، وليخلق فيه روح المكافحة ، خلقه مستعداً أيضاً للتأثر بداعية الخير ، وداعية الشر ، وبين له أن عاقبة التأثر بداعية الخير السعادة المطلقة، وعاقبة التأثر بداعية الشر الشقاء المطلق . وبذلك كان الانسان في حاجة الى الوحي الإلهي يقيه ويحفظه من دواعي الشر ، وعلى هذا المبدأ أرسل اليه ، وأنزل الكتب تذكيراً بما يسعده ، وتفسيراً مما يشقيه، فيجب علينا أن نعرف أنفسنا بغرائزها،وأن نحصنها بهداية الله من كيد الشيطان ، وأن نلتزم ارشاد الله وأحكامه حتى نفوز برضاه ، ونحصل على اسعاده .

دعوة الرسول وأسلوب التذكير بنعم الله

سورة البقرة نزلت بعد أن هاجر المسلمون الى المدينة ، وصارت لهم بالهجرة وحدة خاصة ، وجوار من أوتوا الكتاب من قبل ، وقد كان من المرتقب أن يلبي هذا الجوار الجديد دعوة النبي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل ، وكانوا يطلبون به قبل مجيئه النصرة على أعدائهم ولكن خاب الفأل وضاع المرتقب وحملهم الحسد والبغي على الإعراض والتكذيب والانكار ، فتحدثت السورة عنهم في أربع وثمانين آية ، بدأها الله وختمها بندائهم ونسبتهم الى أبيهم ، يستحثهم على الايمان ، ويذكرهم بنعمته عليهم : ﴿ يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقاً لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً واياي فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ [سورة البقرة : ٤٠ - ٤٣] .

انحراف رؤساء بني اسرائيل

ثم بدأ يبكّت الرؤساء - الذين يتلون الكتاب ، ونصبوا أنفسهم لتعليم الناس أحكامه - على أنهم يتركون أنفسهم للشهوات والاهواء دون تزكية ولا تطهير مع أنهم في الوقت نفسه يأمرون الناس بالبر والخير ، ويحكمون لهم بالهدى والايمان ، أو يحكمون عليهم بالضلال والكفر ، ويرشدهم الى الطريق الذي يقودهم الى الخير في

أنفسهم وفي جماعتهم ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين * الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وانهم إليه راجعون﴾ [سورة البقرة : ٤٥ ، ٤٦] .

ثم يعود فيذكرهم مرة أخرى بالنعم التي أنعم بها عليهم في شخص أسلافهم ويحذرهم يوم العدل والقصاص : ﴿ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون ﴾ [سورة البقرة : ٤٨] .

تذكيرهم بنعم الله

ثم يأخذ بهم الى الماضي فيذكرهم بتنجية أسلافهم من فرعون ، وقد كان يذيقهم سوء العذاب ، يذبح أبناءهم ويترك نساءهم ، ويذكرهم بأن انجاءهم كان بأسلوب إلهي لا قدرة للانسان عليه ، ولا سبيل له في الاهتداء اليه : كأن يفلق البحر وتهيئته طريقاً لهم فيه حتى اذا ما جاوزوا البحر ونجا جميعهم ، وأتبعهم فرعون وجنوده ، أطبق البحر على فرعون وقومه وغشيهم من اليم ما غشيهم، وأضل فرعون قومه وما هدى : ﴿ وأغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون[1]﴾ ، نعمة مزدوجة ، فضل وقدرة ، أنجاهم وأهلك عدوهم .

ويذكرهم بعفوه عنهم حينما عبدوا العجل في غيبة موسى ، ويذكرهم بنعمة انزال التوراة التي بها يعرفون الحلال والحرام ، ويفرقون بين الحق والباطل ، ويذكرهم بعلاجهم من أثر الصاعقة التي أخذتهم حينما تمردوا ، وقالوا لموسى : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة : ﴿ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون[2] ﴾ .

ويذكرهم بنعمته عليهم حينما جبنوا عن دخول الأرض المقدسة، وقالوا :﴿ ان فيها قوما جبارين[3]﴾، فقضى عليهم بالبقاء في الصحراء ، تائهين أربعين سنة ، تأديباً واعداداً لذرية صالحة منهم . يذكرهم وهم في ذلك التأديب بنعمة تظليلهم بالغمام، يقيهم وهج الشمس ، وشدة البرد ، ونعمة انزال المن والسلوى ، ابقاء لهم ، ورحمة بهم : ﴿ كلوا من طيبات ما رزقناكم[4] ﴾ .

ويذكرهم بما كان منهم بعد أن خرجوا من التيه ، وبعد أن رأوا نعمة الله عليهم فيه . يذكرهم بتمكينه اياهم من دخول الأرض المقدسة ، والتمتع بخيراتها ،

---

(١) سورة البقرة : ٥٠ .
(٢) سورة البقرة : ٥٦ .
(٣) سورة المائدة : ٢٢ .
(٤) سورة طه : ٨١ .

ويأمرهم بالشكر على النعم ، وتقدير الفضل والرحمة ، والاعتراف بالذنب ، ولكنهم مع هذا كله يبدلون قولاً غير الذي قيل لهم : يستمرئون العصيان ،وينغمسون في الطغيان ، فينزل عليهم العذاب: ﴿رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون[1]﴾ وهكذا سنة الله فيمن يكفر بنعمه فلا يستمع لواجب الشكر ، ولا يقوم بحق العبودية ، وينزل في أفعاله وسلوكه على حكم الشهوة والهوى .

أقاموا في صحراء التيه وانقطع عنهم الماء ، فطلب لهم موسى السقيا من ربه ، فيأمره أن يضرب الحجر بعصاه ، فتنفجر منه عيون الماء ، فيأكلون ويشربون ، ويأخذ الله عليهم العهد بأن لا يفسدوا في الأرض .

يذكرهم الله بهذه النعمة ، ويذكرهم بتمردهم في طلب الماديات ، كما تمردوا بطلب رؤية الله من قبل : ﴿ لن نصبر على طعام واحد[2] ﴾ نزق وطغيان فهم يعلمون أنهم في صحراء لا ماء فيها ولا زرع ، ولا تنبت شيئاً مما يطلبون ، ولكن العناد والتمرد ، يذهب بصاحبه في الضلال كل مذهب ، ويطلب به الأدنى بدل الأعلى ، ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير[2] ﴾، ومع هذا فلكم ما سألتم : أخرجوا من التيه وادخلوا مصر ، تنبت لكم أرضها ما طلبتم ، وقوموا بحق الله ، واستمعوا لانبيائه ، ولكنهم يصرون على طريقتهم ، ويقتلون النبيين بغير الحق ، ويعصون اوامر الله ، ويعتدون على الحقوق والحرمات ، ولا يزالون كذلك حتى يضرب الله عليهم الذلة والمسكنة ويبوءوا بغضبه ونكاله ﴿ ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون[2] ﴾ .

أشياء لا يفيد السؤال عنها

أما السؤال عن القرون الأولى فما فائدته ، وقد عميت الأبصار عن النعم الحاضرة ، والآثار البارزة ، وفيه أن شأن أولي النهي والعقول ألا يتركوا البحث والنظر فيما ينفع ويفيد الى البحث والسؤال عما استأثر الله بعلمه ودخل في سر غيبه ، كحقيقة الشيطان وعلى أي شكل هو؟ وكيف يدخل في جسم الانسان ؟ وكيف يوسوس له ؟ وعن الجنة : ما مادتها ؟ ما سعتها ؟ ما أرضها ، ما سماؤها ؟ وما الى ذلك مما يترك به الانسان الجاد النافع الى ما لا يضر ولا ينفع . ثم لا يفوت موسى أن يذكر فرعون بالمبدأ والموت والبعث ، رجاء أن تهزه تلك الأطوار التي تمر بالانسان فتخفض

(١) سورة البقرة : ٥٩ .
(٢) سورة البقرة : ٦١ .

من كبريائه : ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ [سورة طه : ٥٥].

أسلوب ايمان وعمل

وبعد ذلك ترشد الآيات الى أن أساس النجاح والخسران ليس في النسبة الى رسول ما ، دون الأخذ بأحكامه وارشاداته ، وانما هو في صدق الايمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح ، فمن يؤمن بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر ، ويعمل صالحا ﴿ فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾(١) وفي هذا إرشاد إلى أن القيم الرفيعة لا تحفظ عند الله بالاحساب ، ولا بالإنساب ، وانما تحفظ بمعان فاضلة تملأ القلب وتظهر آثارها الطيبة في الحياة .

اسلوب الرد على اسلوب المزاعم الباطلة

في شأن بني اسرائيل المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومناقشة كلماتهم التي كانوا يسممون بها جو الدعوة ، ويلبسون بها على الناس . وقد كان فيها قولهم : ﴿ نؤمن بما أنزل علينا(٢)﴾ ،ومعناه أنهم لا يؤمنون بما سواه . فرد الله عليهم بأن القرآن الذي يطلب منهم أن يؤمنوا به هو الحق ، وأنه مصدق لما أنزل عليهم ، فكيف يزعمون أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم ؟ وكيف يصدقون في هذا وقد قتلوا انبياءهم من قبل وحفظ لهم التاريخ أنهم عبدوا العجل في غيبة موسى : ﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون(٣) ﴾ .ثم يختم الرد عليهم بقوله : ﴿ قل بئسما يأمركم به إيمانكم ان كنتم مؤمنين ﴾ [سورة البقرة : ٩٣] .

ثم يرد عليهم مزاعم أخرى باطلة كانوا يقولون : ان الدار الآخرة خالصة لنا لا ينال نعيمها أحد سوانا ، فقيل لهم اذن : ﴿ فتمنوا الموت إن كنتم صادقين(٤)﴾ . ثم يتحداهم بما لا يعجزون عنه . ويستخرج السبب الواقعي الذي تنطوي عليه قلوبهم من حب الدنيا وشدة الحرص عليها : ﴿ ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم(٥)﴾ ، ﴿ ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا(٦) ﴾ .ثم يكشف عن واقع أمرهم :﴿ يود أحدهم لو يعمر ألف سنه(٦)﴾ خوفاً من العذاب الذي يلاقونه ، ولكن

---

(١) سورة البقرة : ٦٢ .
(٢) سورة البقرة : ٩١ .
(٣) سورة البقرة : ٩٢ .
(٤) سورة البقرة : ٩٤ .
(٥) سورة البقرة : ٩٥ .
(٦) سورة البقرة : ٩٦ .

ليعلموا أن التعمير في الدنيا مهما طال أمده ، لا يبعدهم عن عذاب الله ، فهو لاحق بهم لا محالة ، ولكل بداية ونهاية ، ولكل أجل كتاب ، ﴿ والله بصير بما يعملون[1] ﴾ .

ثم كان من كلماتهم في عدم الايمان بمحمد قولهم : ان الذي ينزل عليه بالوحي هو جبريل ، وان جبريل بينه وبينهم عداوة ، وقد رد الله عليهم بأن جبريل ما هو الا رسول ، نزله باذنه على قلب محمد ، وبأن ما نزل به جبريل لم يكن مخالفا لما عندهم ، بل كان مصدقاً له ، وكان هادياً ومنقذاً من الضلال ، واذن فعداوة جبريل ، عداوة لمن نزله ، وتكذيب منهم لما عندهم ، وعداوة للهداية ، والعاقل لا يرفض الهداية أيا كان مصدرها . ثم يوضح الله الحق في هذا الشأن ، وهو أن ما نزل به جبريل أو غيره من الملائكة على محمد ، أو على غيره من الأنبياء هو في حقيقته من الله وبأمر الله، فمن اتخذ أحداً منهم عدواً فقد عادى الله ، ومن عادى الله ، عاداه الله : ﴿ قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين * من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ﴾[سورة البقرة : ٩٧ ، ٩٨] .

سورة الأنعام :

وتتناول سورة الانعام تعامي المعاندين عن الحج

قال تعالى : ﴿ ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴾[سورة الأنعام: ١١١] .

هذا هو الربع السادس من سورة الانعام ، وسورة الانعام هي سورة الحجاج العقلي بين الحق والباطل ، وقد سلكت في حجاجها طريق الحكاية والتلقين ، تحكي بكلمة « قالوا » أو نحوها شبهة المبطلين ، وتلقن بكلمة « قل » ونحوها الحق وحجته . ومن شأن المبطلين في كل زمان ومكان ، أن يتعاموا عن حجة الحق الواضحة ، ويلتمسوا ـ تبريراً لعنادهم واعراضهم ـ حجة ليؤمنوا بها ، ويقسموا أنهم ان جاءتهم حجة ظاهرة ليؤمنن بها . والواقع ان كفر المعاندين لم يكن ناشئاً عن عدم الحجة ، وانما هم بذلك لا تنفعهم حجة ، ولا يؤمنون ببرهان وأنه مهما سبق اليهم

---

(١) سورة البقرة : ٩٦ .

من حجج ، وهيىء لهم من دلائل فانهم لا يؤمنون الا اذا سلكوا سنة الله في ايمان من يؤمن ، فطهروا قلوبهم من الحقد والحسد ، واقبلوا على النظر البريء فيما يدعون اليه ، ﴿ ولكن أكثرهم يجهلون ﴾[١] يتمكن الجهل والسفه من قلوبهم فيمنعهم أن يسلكوا طريق الهداية والايمان .

وان من واجب أهل الحق بالنسبة اليهم أن يعرفوا أن عداوتهم للحق ناشئة من نفوسهم وليست ناشئة من عدم وجود الحجج المقنعة ، فلا يهتموا بشأنهم ، ولا يكترثوا بما يقترحون من حجج وآيات : ﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون[١] ﴾.

واجب الدعاة

وليعلم أهل الحق أن سنة الله جرت مع كل نبي وكل داع ، أن ينبت لهم أعداء يقفون أمام دعوتهم ويعملون جهدهم في صرف الناس عنها وما على هؤلاء الدعاة الا ان يصبروا ويصابروا ، ويعصموا أنفسهم واتباعهم من الاغترار بزخرف قولهم وفاسد وحيهم حتى يأتيهم نصر الله ، وتكون العاقبة للصابرين ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الانس والجن[٣] ﴾. ولقد كان في قدرة الله أن يسلبهم قوة المعارضة ، ولكن لم يشأ ذلك تحقيقاً لحكمة الابتداء ، وتضحيحاً لقانون المحاسبة والجزاء ﴿ ولو شاء ربك ما فعلوه[٣] ﴾ .

واذن فيجب على دعاة الحق أن يتركوهم وأن يعتصموا بالحق الذي معهم وتشهد بصحته فطرهم وضمائرهم ، كما يشهد بصحته التاريخ الحق لاخوانهم السابقين :

شبيه الشيء منجذب اليه

وعندئذ يصدر على الجميع ضالين ومضلين : ﴿ النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله[٤] ﴾. وفيما بين هذا التصوير الآخذ بالنفوس والذي يعبر تعبيراً قوياً عن علاقة الاتباع بالمتبوعين في الدنيا والذي يوضح أن ضلال الفريقين انما جاءهم من قبل أنفسهم ، سيرا وراء الهوى والشهوة لا من قبل الله بحكم قاهر لا مفر منه .

فيما بين هذا التصوير ، تقرر الآيات سنتين من سنن الله في خلقه ، تختص

(١) سورة الأنعام : ١١١ .
(٢) سورة الأنعام : ١٠٩ .
(٣) سورة الأنعام : ١١٢ .
(٤) سورة الأنعام : ١٢٨ .

احداهما بالضلال والاضلال ، وهي أن النفوس المتشابهة في عوامل الإعراض عن الحق يميل بعضها بحكم المشاكلة الى بعض ، تلتقي رغباتهم وأهـواؤهم ، فتلتقي عقائدهم وخططهم ، فيتعاونون ويتناصرون ويتبع بعضهم بعضاً ﴿ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٩] .

اسلوب الجزاء بعد الانذار

وتختص السنة الأخرى بشأن الله في الحساب والجزاء ، وهي أنه ليس من شأنه سبحانه أن يعذب الأمم بما يشيع فيها من مظالم ، وينتهك فيها من حق ، قبل أن ينذرهم ويرشدهم ، ويبعث فيهم من يدعوهم الى صراطه المستقيم ، لئلا تكون لهم حجة ، ويقولوا ﴿ ما جاءنا من بشير ولا نذير ﴾(١) ، ﴿ ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ﴾ [سورة الأنعام : ١٣١] .

سورة الأعراف : واجب الداعي وحقه

نوهت بشأن الكتاب ، وأرشدت الى الغاية التي لأجلها أنزل سورة الأعراف ، والى ما يجب على الرسول بصفته الداعي أن يطرده عن قلبه حتى يقوى في الدعوة ويقوم بالمهمة التي ألقيت على كاهله :﴿ كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين(٢) ﴾،فعلى دعاة الخير أن يتسلحوا بالهدوء والاطمئنان ، وعلى الناس أن يوفروا عليهم راحة الضمير ، والا يضعوا أمامهم العقبات التي تحرج الصدور ، وتقبض النفوس ، وقد أجملت السورة دعوتها الى هذه الأصول في آية واحدة ، تحمل الأمر بناحية الايجاب ، وتحمل النهي من ناحية السلب ، فطلبت اتباع ما أنزل من عقائد وأخلاق وأعمال، ونهت عن اتخاذ أولياء من دون الله ، يرجع اليهم في التحليل والتحريم ، أو يفسدون بالعبادة والتقديس ، أو يعتمد عليهم في الشفاعة والمغفرة : ﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء(٣) ﴾ .

ثم سلكت سبيل الانذار : فأنذرت بما أصاب الامم السابقة حينما كذبت رسلها ، وعتت عن أمر ربها : ﴿ وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون(٤) ﴾.وخوفت بما أعد للمكذبين يوم أن يسألوا عما أنزل اليهم ، ويوم أن يسأل

---

(١) سورة المائدة : ١٩ . (٢) سورة الأعراف : ٢ . (٣) سورة الأعراف : ٣ . (٤) سورة الأعراف : ٤ .

عنهم المرسلون ، يوم الوزن الحق ، يوم يثقل الميزان أو يخف : ﴿ فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين﴾[1] ، ﴿والوزن يومئذ الحق﴾[2] ثم سلكت سبيل التذكير بالنعم ، فلفتت الانظار الى نعمة تمكين الناس في الأرض ، واتخاذهم اياها وطناً مزوداً بضروب المنافع الشتى ، يستقلون فيه بالحكم ، والانتفاع بموارده الظاهرة والباطنة لا يشاركهم فيه أحد ، ولا يخرجهم منها انسان ﴿ ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش[3] ﴾ .

ولفتت الانظار الى نعمة خلقهم من أب واحد ، يجمعهم به رحم واحد ، وبه كانوا خلفاء في الأرض وعمارة الكون ، وفضلهم بذلك على كثير من خلقه . وهنا ذكرت السورة خلق آدم وقصته مع الملائكة ، من أمرهم بالسجود له ، اظهاراً لفضله ، وتنويهاً بما يكون له من شأن ، بعد أن قالوا : ﴿ اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ﴾ [البقرة: ٣٠] .

تحذير من ابليس وجنده

ثم ذكرت موقف ابليس من آدم وكيف أبى واستكبر ، وتعاظم وقال : ﴿أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين[4] ﴾ . ومن هنا ظهر للإنسان عدوه المبين ، الذي ابتلاه الله به في هذه الحياة ، والذي يجب عليه ـ ليسلم من شره ويسعد ، ويحصل على رضا مولاه ، ويحقق حكمة الله في خلقه ـ أن يتخذه عدواً ، يتحسس نواياه ، ويتعرف وسوسته ويكافحه بكل ما أوتي من قوة . يعرف أنه قد نصب له الشباك وقعد له بالمرصاد ، ورسم خطته في أغوائه والكيد له : ﴿ لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ [سورة الأعراف : ١٦ ـ ١٧] .

بصرنا الله بهذه العداوة ، وحذرنا منها : ﴿أخرج منها مذؤوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ [سورة الاعراف : ١٨] . ثم يذكرنا بما كان من أثر عداوته لآدم أبي البشر : كان آدم وزوجه في رغد من العيش فابتلاهما الله بتكليف خاص ، فوسوس لهما الشيطان ليظهر ضعفهما ، فينحرفا عن التكليف ،

---

(١) سورة الأعراف : ٦ .
(٢) سورة الأعراف : ٨ .
(٣) سورة الأعراف : ١٠ .
(٤) سورة الأعراف : ١٢ .

فيقعا في شر المخالفة ، فيكون لهما من اللّه جزاء المخالفين﴿فوسوس لهما الشيطان﴾[1] ، ﴿ وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين * فدلاهما بغرور﴾[2]. ووقعا في المخالفة ، ثم تنبها الى كيد الشيطان ، وقالا : ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [سورة الأعراف : ٢٣] .

سورة يونس : تسلية وعبرة

ثم جاءت هذه الآيات ﴿ واتل عليهم نبأنوح﴾[3] تفصل من هذه النذر الاجمالية قصتين ، لهما كثير من الشبه بقصة محمد مع قومه : قصة نوح عليه السلام ، وقصة موسى وهارون . وقصرت الحديث في قصة نوح على ما دعت اليه حالة الرسول مع قومه وقت نزول هذه السورة ، حينما فقد المدافع عنه فيما بينهم ، وهو عمه أبو طالب ، وفقد النصير في البيت ، بموت زوجه خديجة ، واشتد القوم في ايذائه والكيد له ، فأخذت الآيات في تسليته صلى الله عليه وسلم بموقف نوح من قومه ، وثباته على دعوته ، معتمداً في ذلك على الله وحده، وأرشدته الى أن طول الامد على نوح ، وشدة اعراض القوم عنه ، لم يضعف من قوته ، بل تحداهم ، وطلب اليهم أن يجمعوا له كل ما يستطيعون جمعه من قوى الكيد والشر ، وان يتحروا في أمرهم ويزيلوا عنه كل شبهة تعترضهم في سبيل الايقاع به والقضاء عليه ، ثم يتجهوا له بكل ما هيأوا ورتبوا ، دون امهال أو تردد ، وسوف يرون أنه لايرفع لهم رأساً ، ولا يعبأ لهم بجمع ، وكيف هو لم يهتز بجمعهم وهو لم يطلب بدعوته اياهم جاهاً ولا مالا ، وانما يطلب بدعوته تنفيذ أمر ربه ، الذي وكل أمره اليه ، واعتمد في السراء والضراء عليه : ﴿ يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى اللهتوكلت ﴾[3].

فهذا يا محمد ، موقف أخيك نوح ، تمسك به وان طال عليك الأمد ، واشتدت نكبة الأعداء ، وثق بأن عاقبتك عاقبته ، وعاقبة المكذبين لك هي عاقبة المكذبين له ، وتلك سنّتنا ولن تجد لسنتنا تبديلاً ، فليتحصن أرباب الدعوات الصالحة بايمانهم وتوكلهم على الله سينظر الله اليهم ، وينزل بأعدائهم ما جرت سنته على انزاله بأعداء الحق في كل زمان ومكان . وهكذا فعل بقوم نوح ، وفعل بنوح ، ﴿ فكذبوه فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا

---

(١) سورة الأعراف : ٢٠ . (٢) سورة الأعراف : ٢١ ، ٢٢ . (٣) سورة يونس : ٧١ .

فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ﴾ .[سورة يونس : ٧٣] .

أما قصة موسى وأخيه ، فقد تحدثت الآيات فيها عن مراحل الدعوة من مبدئها الى منتهاها : تحدثت عن العوامل التي استكبر بها فرعون وملأه عن قبول الدعوة ، وردتها الى أمرين : التمسك بالموروثات الفاسدة ﴿ اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا[١] ﴾ .واعتقاد أن دعوته تسلبهم كبرياء الملك والعظمة ، وتجعلها لموسى وأخيه ، ﴿ وتكون لكما الكبرياء في الأرض ﴾[١] وأخذوا بهذا ينفرون الناس من الدعوة ، ويقولون : ﴿ان هذا لسحر مبين ﴾ .[سورة يونس : ٧٦] .

الباطل هزيل

ثم تحدثت عما جرت به سنة المكذبين من أساليب المقاومة الهزيلة التي توقع في روع العامة أن المعارضين على حق في المعارضة والتكذيب ، ولكن الباطل لا صبر له على البقاء أمام الحق ، وسرعان ما تتزلزل قوائمه ، ويقع صريعاً في ميدان التحدي ﴿ ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴾ .[سورة يونس : ٨٢] .

وقد كان من المنتظر بعد هذا أن يقبل الناس على الايمان ، ولكن الجبروت يتخذه صاحبه سلاحاً في يده ، يرد به الناس عن تلبية الحق ، وبهذا يحجم كثير عن الايمان ، ولا يقوم عليه الا أرباب النفوس القوية ، التي تبدد قوة ايمانهم غشاوة الخوف عن قلوبهم ، ﴿ على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين* ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ﴾ .[سورة يونس : ٨٥ ، ٨٦] .

ثم يرشد الله موسى واخاه الى وسيلة تشد من أزرهم ، وتوقع الرعب في قلوب أعدائهم ، وهي ان يتقاربوا ويجعلوا بيوتهم متقابلة ، سبيلاً للتكتل ، وان يتجهوا الى الله بالدعاء واقامة الصلاة ، فتسمو ارواحهم ويشرق عليها نور الحق .

ثم يتجه موسى الى ربه :﴿ ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ﴾ .[سورة يونس : ٨٨] .

ينطلق لسان موسى بدعوة الاخلاص والغيرة على الحق ، فتخترق حجب السماء ويسمع موسى من ربه : ﴿ قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾[٢] وهكذا تصل القلوب المؤمنة الى نصر الله وتأييده .

---

(١) سورة يونس : ٧٨ .

(٢) سورة يونس : ٨٩ .

تأسيس الايمـــان

أما الجملة الأولى من الآيات ، فقد افترضت وقوع الشك في القرآن وأرشدت إلى ما يقطع دابر هذا الشك ، ليكون الايمان عن حجة وبرهان ، لا خضوعاً لقهر ولا استسلاماً لتقليد : ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا اليك فأسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك[1]﴾ وبذلك يخلع الانسان نفسه من طائفة الشـاكين المكذبين ، الذيـن اتضحت لهم حجج الحق ، وران العناد على قلوبهم ، فلم ينتفعوا بالآيـات ، وحقت عليهم كلمة الله وكانوا من الخاسرين .

سورة هود : عناصر الدعوة الالهية

والمتدبر لسورة هود يرى أنها . . أولاً : قررت عناصـر الدعـوة الالهية ـ وهي التوحيد ، والرسالة ، والبعث ـ عن طريق الحجج العقلية ، مع الموازنة بين النفوس المستعدة للايمان ، والنفوس النافرة منه . وقد عرضت ذلك في أربـع وعشرين آيـة يختم بها الربع الأول منها:﴿ مثل الفريقين كالأعمى والأصم . . ﴾[سورة هود : ٢٤] .

ثم أخذت تتحدث عن جملة من الرسل السابقين ، بياناً لوحدة الدعوة الإلهية ، وتسلية للرسول عليـه السلام ، وإنذاراً للمكذبين ، واستغـرق ذلك إلى نهـاية الآيـة التاسعة والتسعين : ﴿ وأتبعوا في هذه لعنة ويوم القيـامة بئس الـرفد المرفود ﴾[2]ثم ذكرت في اثنتي عشرة آية بالوعد والوعيد ، وبسنة الله في أخذ الـظالمين ، وختمت بتوجيه الخطاب إلى النبي ومن تاب معه في مثلها اثنتي عشرة آية مرشدة إلى منهـاج السعادة والفلاح . وتبتدىء من قوله تعالى : ﴿ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا[3]﴾ إلى نهاية السـورة :﴿ ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجـع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون ﴾[سورة هود : ١٢٣] .

هذا هو الفصل الثاني من سورة هود ، ومن سنة القرآن أن يتبع تقرير الدعوة بما يدل على أنها بأصولها وأدلتها ونتائجها في الدنيا والآخرة هي دعوة الألوهية الوحيدة ، التي بعث الله بها جميع رسله من مبدأ الخليقة إلى مرحلتها الأخيرة ، مرحلة الاكمال

---

(١) سورة يونس : ٩٤ .

(٢) سورة هود : ٩٩ .

(٣) سورة هود : ١١٢ .

والاتمام ، وهي مرحلة محمد عليه السلام . وان محمداً لم يكن بدعاً فيها ، كما أنه لم يكن بدعاً في المقابلة بالتكذيب من قومه ، وإنما شأنه في الدعوة وفي إعراض قومه عنه ، شأن أخوانه السابقين مع أممهم ، وسيكون شأنه ، وشأن قومه في العاقبة شأنهم وشأن أقوامهم : ﴿ فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ۞ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجِ المؤمنين ﴾ [يونس : ١٠٢ - ١٠٣] .

وفي هذا السبيل ذكرت السورة نوحاً وقومه هوداً وقومه ، وشعيباً وقومه ، وموسى وفرعونه . وفي كل قصة من هذه القصص عبرة أو عبر ، جدير بدعاة الحق في كل زمان ومكان أن يملئوا بها قلوبهم ، فيطمئنوا إلى نصر الله وتأييده ، وجدير بالمكذبين أن يتمثلوها حتى لا يصيبهم مثل ما أصاب أسلافهم من قبل .

الربع الثاني من سورة طه :

وفيه يوجه موسى وهارون الإنذار الإلهي لفرعون وقومه ، ولم تشأ الحكمة الإلهية أن يوجه الأخذ بالعذاب إلى شخص فرعون إذا كذب وتولى ، وإنما ربطه بالتكذيب والتولي كيفما كان ومن أي إنسان كان وفيه تنبيه على ما يغضب الله ، وتلطف بالغ في توجيه الإنذار .

أسلوب الأسئلة فى القرآن الكريم

أعد الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ليكون داعياً لرسالته السماوية فهيأه لمواجهة أسئلة الناس بكافة اتجاهاتهم ووضح له الأسئلة والاجابات فنجد فى كثير من آيات القرآن الكريم كلمة :

« يسألونك »

السورة	الآية	
٢	١٨٩	يسألونك عن الأهلة
—	٢١٥	يسألونك ماذا ينفقون

ـ	٢١٧	يسألونك عن الشهر
ـ	٢١٩	يسألونك عن الخمر
		ويسألونك ماذا ينفقون
ـ	٢٢٠	ويسألونك عن اليتامى
ـ	٢٢٢	ويسألونك عن المحيض
٥	٥	يسألونك ماذا أحل لهم
٧	١٨٦	يسألونك عن الساعة
		يسألونك كأنك حفى عنهم
٨	١	يسألونك عن الأنفال
١٧	٨٥	ويسألونك عن الروح
١٨	٨٤	ويسألونك عن ذى القرنين
٢٠	١٠٥	ويسألونك عن الجبال
٧٩	٤٢	يسألونك عن الساعة ـ

« سألك . سألها . سألهم »

٢	١٨٦	واذا سألك عبادى
٥	١٠٥	قد سألها قوم من قبلكم

« يسألك . يسأله »

٤	١٥٢	يسألك أهل الكتاب
٣٢		يسألك الناس عن الساعة

ومن استعراض الآيات الكريمة التى تناولت الأسئلة نجدها مغايرة لما ألفناه فى السؤال والجواب ، حيث أنه معلوم بأن السؤال يقصد به فقط الجواب على مضمون السؤال .

ولكن بلاغة القرآن وتفوقه البيانى انتحت بالسؤال منحى الهدف والغاية والوسيلة والحجة والبرهان والدليل ، فوجدنا اسلوب الأسئلة فى القرآن يهدف إلى : التنبيه والتحذير والاعداد للاجابة ، وإلى التوبيخ والسخرية والاعتراف والزام الحجة ومراعاة المسئول ويشير إلى الجزاء والحساب والمطلب ، والبحث عن البراءة ، والتأكيد على الإيمان وعلى قدرة الله والتنبيه إلى المحظور والاعلام والتهديد والوصول إلى اليقين والإطمئنان والإشارة إلى سؤال

المخصص ، والاستكبار والتحسر ، وإلى المعرفة والاعتراف والمحادثة والمسامرة وإلى تعجيل الأمور والمكابرة ومراعاة الاجابة .

الابتلاء سنة في الأولين والآخرين :

وفي هذا الشأن نزلت سورة العنكبوت ، وأرشدت إلى أن الابتلاء سنة في الأولين ، وماضية في الآخرين ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين[1] ﴾ .

وفي سورة غافر :

تسمى سورة غافر بسورة المؤمن ، لأنها انفردت ـ وهي تذكر بموقف المبطلين من قوم موسى عليه السلام ـ بذكر نصيحة مؤمن من آل فرعون قيضه الله للحق الذي يدعو إليه موسى ، من شأنها أن تستل من قلوبهم محاربة الحق ، والاستكبار عن قبوله . حذرهم تنفيذ ما عزموا عليه من قتل موسى وأنذرهم عاقبة استمرارهم في الطغيان ، وضرب لهم في ذلك الأمثال بمصائر المكذبين قبلهم ، كما خوفهم عذاب الآخرة الذي سينالهم يوم الجزاء الذي لا عاصم فيه من أمر الله ، ودعاهم إلى اتباع الحق ، وتلبية الهدى والرشاد ، وأنكر عليهم تعلقهم بالدنيا الزائلة ، وبين لهم أن العاقل يجب أن يربط نفسه بالباقي الدائم ، لا بالمتاع الفاني : ﴿ يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار ﴾ [سورة غافر : ٣٩] .

وكان آخر نداء وجهه إليهم إنكاره عليهم ـ بعد أن تبين له الحق ودعاهم إلى النجاة ـ أن يدعوه إلى ترك ذلك الحق ، وأن يدخل في باطنهم : ﴿ ويا قوم ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار[2] ﴾ . ويشرح لهم ذلك بقوله : ﴿ تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار[3] ﴾ .

وأخيراً ، وبعد أن يبذل في نصحهم أقصى الجهد البشري ، أعلنهم بكلمة الواثق من عقيدته ، الحريص على خيز أمته ، المضحي بنفسه في سبيل الحق الذي يدعو إليه .

﴿ فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله ان الله بصير بالعباد[4] ﴾ .

---

(١) سورة العنكبوت : ٢ ، ٣ .
(٢) سورة غافر : ٤١ .
(٣) سورة غافر : ٤٢ .
(٤) سورة غافر : ٤٤ .

وكانت عاقبته أن حفظه الله ورعاه ، وعاقبتهم أن نزل بهم الكيد والبلاء : ﴿ فوقاه الله سيئات مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب[1] ﴾ .

العبرة من القصة :

وعبرتنا من هذه القصة أمران : أحدهما : أن الحق مهما تكتل على اخفائه ورفضه أعوان الباطل ، لا بد أن يُقيِّض الله له من بيئة المبطلين أنفسهم من يؤمن به ، ويغار عليه ، ويضحي بنفسه وراحته في سبيله حتى يظهره الله .

وهكذا كان حق محمد ، وباطل المشركين ، وهكذا شأن كل دعوة إلي الحق أمام المبطلين في كل عصر ، وفي كل زمان .

ثانيهما: ان على من تبين له الحق وآمن به أن يبذل غاية وسعه في دعوة قومه إليه ، حتى إذا أيس منهم وأيقن أن لا فائدة من دعوته إياهم اعتزلهم وما يعبدون من باطل ، وعندئذ يتولى الله أمرهم ، ويوقع بهم شديد العقاب : ﴿ فوقاه الله سيئات ما مكرواوحاق بآل فرعون سوءالعذاب[1] ﴾.قال تعالى : ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون ﴾ [الأعراف : ١٦٥] .

سورة فصلت :

أسلوب التهديد والإنذار :

ومن أساليب القرآن في الدعوة التهديد والانذار بأهوال الساعة وشدة العذاب في الآخرة ، وقد جاء في ذلك عبارات مختلفة ، وعلى ألوان وأنحاء متعددة ، تصف الآيات مقدمات الساعة تارة ، وتصف الحشر أخرى ، وتتحدث عن العذاب ثالثة ، وعن أحوال المكذبين مع شركائهم أو مع الحق رابعة ، وهكذا إلى آخر ما تراه في القرآن الكريم ، ومما جاء في ذلك من سورتنا : ﴿ ولعذاب الآخرة أخرى وهم لا ينصرون[2]﴾، ﴿ ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهميوزعون[3]﴾ ، ﴿ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾[4] ، ﴿أفمن يلقى في النار خير أم من يأتي آمناً يوم القيامة ﴾ [سورة فصلت : ٤٠] .

---

(١) سورة غافر : ٤٥ .
(٢) سورة فصلت : ١٦ .
(٣) سورة فصلت : ١٩ .
(٤) سورة فصلت : ٢٤ .

وكان القوم يقابلون الحديث عن الساعة وعن عذاب الآخرة تارة بالإنكار والتعجب من الاخبار به ويقولون : ﴿ ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴾ [الجاثية : ٢٤] ، ﴿ من يحيي العظام وهي رميم ﴾ [يس : ٧٨] وتارة بما يفيد أنهم شاكون متحيرون : ﴿ ما ندري ما الساعة ان نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين ﴾ [الجاثية : ٣٢] وكثيراً ما كانوا يسألون عن وقتها ، ويستعجلون عذابها ، تهكماً واستهزاء ، وكان القرآن في كل هذه المواقف يجيبهم بالحجة الداحضة التي لا تدع مجالاً للإنكار ولا للشك ، وكان ـ في سؤالهم عن الوقت ـ يرد عليهم بأن علمه مما استأثر الله به ولا يطلع عليه أحد من خلقه ، ومن ذلك ما جاء في هذا الربع : ﴿ إليه يرد علم الساعة[1] ﴾ ، والعبارة واضحة في أن علم الساعة لا يعلمه أحد سواه ، وقد ضمت الآية إليه بعض الأحداث الكونية التي تأخذ حكمه ، وهم بأنفسهم يعترفون بأنه لا يعلمها أحد سواه ، ﴿ وما تخرج من ثمرات من أكمامها (أوعيتها) وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه[1] ﴾ . وقد جاء ذلك المعنى في كثير من الآيات : ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ﴾ [يس : ٤٨] ، ﴿ قل إنما العلم عند الله وإنما أنا نذير مبين ﴾ [الملك : ٢٦] . ﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي ﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

سورة الشورى :

أسلوب وحدة دين الله :

تبرز سورة الشورى حقيقة ضل فيها الناس بغياً وعدواناً ، فذهب فريق إلى إنكارها ، وفريق إلى الإيمان بها لبعض الرسل دون بعض . تلك الحقيقة هي أن الدين الذي أوحى الله به إلى محمد هو الدين الذي أوحى به إلى نوح ، وإلى إبراهيم وموسى وعيسى ، ووصاهم بإقامته ودعوة الناس إليه ، وعدم التفرقة فيه ، وقامت فيه حجة كل رسول على قومه ، ولكن الناس كبر عليهم ، حقداً وحسداً ، أن يؤمنوا بتلك الحقيقة المتحدة ، فانكروها ، أو فرقوها ، وزعموا أن الأديان تتعدد بتعدد الرسل ، وان لكل دين أصولاً واتباعاً ، وأخذوا باسم الدين يتحاربون ويتسافكون ، والدين منهم بريء ، والله من ورائهم محيط ، فدين الله واحد ، وإنكاره من أحد الأنبياء

(١) سورة فصلت : ٤٧ .

إنكار له من جميعهم .

وقد عرض القرآن الكريم كثيراً في مكيه ومدنيه لتقرير الوحدة الدينية ، وقرر الإيمان بكل الرسل وبكل الكتب ، وجاءت في سورة « الشورى » واضحة جلية : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ﴾ [سورة الشورى : ١٣] .

رسم منهاج الدعوة :

ثم تتجه السورة بعد تقرير هذه الحقيقة إلى الرسول عليه السلام ، واضع اللبنة الأخيرة من هذا البناء الإلهي ، المكمل لشرائع الله ، على حسب استعداد خلق الله . تتجه إليه عليه الصلاة والسلام ، فترسم له منهاجاً للدعوة غاية في القوة ، منهاجاً يزيد المؤمنين إيماناً على إيمان ويزيد المعاندين المغرقين رجساً على رجس ، منهاجاً يتكون من عشر فقرات كانت عدته في الهجرة ، وعدته في الدعوة، وعدته في الوصول إلى الغاية : ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير ﴾ [سورة الشورى : ١٥] .

انتصار الحق :

ثم تطمئن السورة بعد ذلك دعاة الحق الذين يلتزمون هذا المنهاج بأن معارضة الجاحدين لتلك الحقيقة المشوهين لها ـ بعد أن أخذت إلى القلوب الحية سبيلها ـ معارضة ضائعة فاشلة : ﴿ والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ [سورة الشورى : ١٦] .

فالحق متى أخذ مكاناً ما ، سرت روحه، وانتشر نوره ، وسار بقوته حتى يعمل عمله في النفوس دون حرب ولا نضال ، وهكذا انتشر الإسلام عن طريق السياحة ، وعن طريق التجارة ، وعن طريق الخير ، دون حرب ولا نضال ، ولا يزال يغزو القلوب ، وتتفتح له الأفئدة دون إكراه أو إلجاء .

أسلوب مكانة الشورى في الإسلام :

وضعه بين إقامة الصلاة والإنفاق من الرزق في سبيل الله ، وسميت السورة بسورة«الشورى». وكان في هذا وذاك أبلغ دلالة على مكانة الشورى في شريعة القرآن ، وحسبها أنها عنصر من عناصر الشخصية الإيمانية الحقة ، نظمت في عقد حياته طهارة القلب بالإيمان والتوكل ، وطهارة الجوارح من الإثم والفواحش ، ومراقبة الله بإقامة الصلاة والإنفاق في سبيله ، والانتصار على البغي والعدوان .

وبعنصر الشورى قضى الإسلام على عدو الإنسانية الفاضلة ، وهو الاستبداد بالرأي واحتكار التشريع والتصريف والادارة ، وسلب أهل الرأي والكفايات حق إبداء رأيهم ، وآثار كفاياتهم . والقرآن لا يريد من الشورى ـ حين يضعها هذا الوضع ـ هذه الصورة الهزيلة التي يتواضع عليها أرباب البغي والاحتكار ، ويتخذونها ستاراً للطغيان ، وسلب الحقوق ، وإنما يريدها حقيقة نقية بريئة مما يكدر صفوها ، ويفقد خيرها .

وبعد أن تعرض الآيات شيئاً من خلال المجادلين في آيات الله على النحو الذي عهد كثيراً في القرآن عامة ، وفي هذه السور السبع خاصة ، توجه خطاب الدعوة والتحذير إلى الناس جميعاً : ﴿ استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير[1] ﴾ وتقرر للنبي صلى الله عليه وسلم ما به يهدأ روعه ، ويطمئن قلبه ، تقرر له مهمته ، وأنه ليس عليه شيء من تبعة كفر الكافرين ، وإعراض المعارضين ، ﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ ﴾ [سورة الشورى : ٤٨] .

ثم تؤكد له أخيراً ان الله قد جعل له القرآن نوراً يهدي به إلى صراط مستقيم ، ﴿ صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور[2] ﴾ .

سورة الحاقة :

إنــذار :

وبعد أن فخمت السورة من شأن الساعة ما فخمت ، وقدمت للقوم النذر التاريخية التي أصابت المكذبين بها أخذت تصور أحداثها ، من مقدماتها إلى

---

(١) سورة الشورى : ٤٧ .
(٢) سورة الشورى : ٥٣ .

نهـايتها ، فصـورت بالنفـخ في الصور انحـلال النواميس التي تمسـك العالم علويـه وسفليه ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة * فيومئذ وقعت الواقعة * وانشقت السماء فهي يومئذ واهية[1]﴾ .ثم تصور عظمة السلطان الإلهي بمثل ما يعهده الناس في سلطان القادرين الأقوياء : ﴿ والملك على ارجـائها ويحمـل عرش ربـك فوقهم يومئذ ثمانية﴾[2]. وحسبنا أن نؤمن بما تدل عليـه العبارة من عـظم السلطان على حسب ما يعهده النـاس في دنياهم . أمـا كيف تقف الملائكـة على الأرجاء أو كيـف يحمل العرش ، أو من هؤلاء الثمانية ؟ أوما حكمة هذا العدد ؟ فهذا كله مما لا ينبغي أن نخوض في حقيقته ، وإنما هو روعة القضاء الإلهي ، والحكمة القاهرة .

جزاء المؤمـــن :

ثم تشير الآيات إلى العرض على دار القضاء التي تحـدد فيها المسؤوليـات : ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية[3] ﴾. ثم تشيـر إلى الحكم ، فيصدر لفـريق بالنجاة ، وعلى آخر بالإدانة ، وأن الأولين يسلّمون صك البراءة بـأسلوب التكريم : ﴿ فـأما من أوتي كتـابـه بيمينـه فيقـول هـاؤم اقرؤوا كتـابيـه * إني ظننت أني مـلاق حسابيه ﴾[سورة الحاقة : ١٩ ، ٢٠] .

وأن الآخرين يسلمون صك الادانة ـ على العكس ـ بالإهانة ، معترفين بعلمهم الكاذب وغرورهم الفاسد : ﴿ وأمـا من أوتي كتابـه بشمالـه فيقول يـا ليتني لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * يا ليتها كانت القاضية * ما أغنى عني ماليه * هلك عني سلطانيه﴾[4] . وبعد ان يصدر الحكم يجيء دور التنفيذ فيكون المؤمنون ﴿ في عيشة راضية * في جنة عالية * قطوفها دانية * كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴾[سورة الحاقة : ٢١ ـ ٢٤] .

جزاء المكـــذب :

أما المكذب المجرم فيقال للزبانية : ﴿ خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه ﴾[5] . ثم تبرز الآيات حيثية الحكم على هذا المجرم : ﴿ انه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين ﴾[6] .

---

(١) سورة الحاقة : ١٤ ـ ١٦ . (٢) سورة الحاقة : ١٧ . (٣) سورة الحاقة : ١٨ ـ ٢٩ .
(٤) سورة الحاقة : ٢٥ ـ ٢٩ . (٥) سورة الحاقة : ٣٠ ـ ٣٢ . (٦) سورة الحاقة : ٣٣ ٣٤ .

وحسب المسكين أن يكون اهمال امره وعدم الحض على إطعامه عديلاً في كتاب اللّه وقضائه للكفر باللّه .

وبعد أن يتم تصوير مراحل القضاء الإلهي في الفصل بين المؤمنين والمكذبين تنتقل السورة إلى ما يقرر الحق في النفوس ، وتبرز قسم اللّه ـ الذي ليس في حاجة إلى القسم ـ بالعالم غائبه وشاهده ، على أن القرآن قول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر ولا بقول كاهن . وإنما هو ﴿تنزيل من رب العالمين﴾ [سورة الحاقة : ٤٣] .

ثم تعبر السورة عن موقف الألوهية بالنسبة لمحمد على فرض أنه كما يزعمون قد افترى القرآن على ربه : ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين[1] ﴾ . والمعنى لقضينا عليه من ساعته ، وقطعنا منه عرق الحياة ثم لا يوجد من يدفع عنه ، أو يمنعنا من تنفيذ ارادتنا فيه ، وموقفنا منه ـ وقد افترى علينا ـ هو موقفنا منكم وقد كذبتموه في رسالته .

وفي سورة المعارج

كان من أساليب الدعوة إلى التوحيد والبعث الإنذار المتكرر للمكذّبين بعذاب يوم القيامة ، وكثيراً ما طوقهم القرآن ـ على نحو ما رأينا في السورة السابقة ﴿ الحاقة * ما الحاقة[2] ﴾ ـ بأنباء العذاب الأخروي والمحاكمة أمام القضاء الإلهي .

وفي سورة نوح

قـوبل النبيّ صلّى الله عليـه وسلّم منذ أن دعا إلى توحيـد الله وعقيدة البعث بموجة شديدة من الإنكار المصبوغ بألوان الاستهزاء والسخرية ، وقد اقتضت الحكمة الإلـهية أن يكون من أساليب الدعوة التذكير بما أصاب الأمم الخاليـة جزاء الإنكـار والتكذيب .

وفي هذه السورة يقص الله على نبيّه موقف أول رسول بعثه للبشر فدعاهم إلى مثل دعوته ، وقوبل منهم بمثل ما قوبل به ، تثبيتـاً له على دعـوته ، وتسليـة له فيمـا يصيبه ، وتهديداً لقومه ـ إن استمروا على العناد والاستهزاء ـ بعاقبة أسـلافهم حينما استمروا على الكفر والعناد .

---

(١) سورة الحاقة : ٤٤ ـ ٤٦ .

(٢) سورة الحاقة : ١ ، ٢ .

وللعرب رابطة خاصة بنوح عليه السلام ، وهي رابطة النبوة ، ففي التذكير بقصته تهديد لهم بجانب ما كان فيها من النقمة التي أخذت المكذبين ، وامتنان عليهم بما كان فيها من النعمة التي أنقذ بها نوح ، ومن آمن معه ، ومنه كان آباؤهم الذين بواسطتهم ظهروا في الوجود وتكونوا شعوباً وقبائل وانتشروا في الأرض ، وإلى هذا تشير آية الحاقة : ﴿ لما طغى الماء حملناكم في الجارية ﴾[سورة الحاقة: ١١] .

وقد تكررت في القرآن بأساليب مختلفة بين الطول والقصر تسلية الرسول وتذكير القوم بقصة نوح عليه السلام ، وعنيت هذه السورة المسماة باسمه بأمور :

دعوة نوح وأصولها

أولهما : بيان دعوة نوح ، وأنها ترتكز على أصول ثلاثة : عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام .

تقوى الله باجتناب المعاصي التي تفسد الأخلاق وتفكك الروابط بين الجماعات .

إطاعة الداعي فيما يأمر به عن ربه .

وهذه الأسس الثلاثة هي دعوة كل رسول جاء بعده ، وهي مصاعد الحياة الطيبة تعلو الأمم إذا تمسكت بها ، وتسقط إذا انحرفت عنها : ﴿ إنَّا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليم * قال يا قوم إني لكم نذير مبين * أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون ﴾ [سورة نوح : ١ - ٣] .

فوائد الدعوة

ثانيهما : بيان فوائد هذه الدعوة التي تعود عليهم بخيري الدنيا والآخرة إذا قبلوها وآمنوا بها . والآيات ترشد إلى أنهم ينتفعون بها في نواحٍ ثلاث :

ناحية الروح ، تمحو عنها ما اقترفته من الذنوب ﴿ يغفر لكم من ذنوبكم[١] ﴾ .

ناحية الأجل، فيها يستوفون أجلهم الطبيعي دون أن يعاجلهم العذاب المقدَّر عليهم إذا استمروا في الكفر والمعاصي ﴿ ويؤخركم إلى أجلٍ مسمى[١] ﴾ .

---

(١) سورة نوح : ٤ .

ناحية الرزق ، بفتح أبـوابه وتـوجيههم نحو العمـل في الحياة ، والانتفـاع بما سخّر لهم فيها : ﴿ يرسل السماء عليكم مدراراً * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً ﴾ [سورة نوح : ١١ - ١٢] .

سبل الدعوة

ثالثهما : أن نوحاً سلك معهم في الدعوة السبل الطبيعية لكل دعوة جديـدة : أسـر وأعلن وجمع بين الأسـرار والإعلان ، ومـع كل هـذا : ﴿ جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصرّوا واستكبروا استكباراً ﴾ [سورة نوح : ٧] .

دعاهم ببيان ما في الدعوة من الخير الروحي والمادي ثم دعاهم بلفت الأنظار إلى آيات الله ونعمه في أنفسهم وفي الخلق كله : ﴿ ما لكم لا ترجـون لله وقارا * وقد خلقكم أطوارا * ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً * وجعل القمر فيهنّ نـوراً وجعـل الشمس سـراجاً * والله أنبتكم من الأرض نبـاتاً * ثم يعيـدكم فيهـا ويخرجكم إخراجاً * والله جعل لكم الأرض بساطاً * لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً[١] ﴾ .

لفت أنظارهم بعد أن هـزّ عواطفهم إلى بـرهان العقـل فنبّه إلى خلق أنفسهم والأطوار التي مرّت بهم ، ونبّه إلى خلق ما يحيط بهم من عـالم علوي وسفلي على وجه يكفل لهم خير الدنيا وطيب الحياة .

عناد وإعراض

رابعها : أنه على الرغم من هذه الطرق المختلفة ، وتلك البراهين الواضحة ، نبذ قوم نوح دعوته ، واشتدّ إنكارهم لها ، وقد صوّر نوح أعراضهم ، مرة بوصف في أنفسهم ، سدوا آذانهم وتغطوا بثيابهم ، ومرة بـالشكوى إلى الله الـذي أرسله بهذه الدعوة ، وأشار إلى سبب أعراضهم : وهو اتّباع الرؤساء المفتونين بالأموال والأولاد : ﴿ قال نوح رب إنهم عصوني واتّبعوا من لم يزده ماله وولده إلاّ خساراً[٢] ﴾ .

ثم نقف عن دعوة الباطل التي خدعهم بها هؤلاء الماكرون : ﴿ وقالوا لا تذرن آلِهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ﴾ [سورة نوح : ٢٣] .

---

(١) سورة نوح : ١٣ - ٢٠ .

(٢) سورة نوح : ٢١ .

وهنا أبرز أسماء الآلهة التي عبدوها من دون الله ، وهي أسماء لتماثيل كواكب اعتقدوا أنها منبع الخير ، أو أسماء لقوم صالحين أطلقوها على تماثيلهم التي اتُّخذوها معبودات وآلهة من دون الله ، ولعلَّ هذه الفترة كانت مبدأ زلَّة العقل البشري في اتّخاذ التماثيل وعبادتها ، ومنه انحدر تقديس البشر من الأنبياء والأولياء بما يقدس به خالق البشر . ومن هنا حظر الإسلام صنع التماثيل وإقامتها بفكرة التقديس والعبادة ، وبذلك اجتث جذور الوثنية ، ونعى على المستغيثين والمستعينين بغير الله .

عاقبة المكذبين

خامسها : بيان العاقبة التي صار إليها القوم جزاء إعراضهم عن سماع الحق : ﴿ مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً[1] ﴾ . وقد عرضت سورة هود إلى حادثة الطوفان التي أغرقت القوم : ﴿واستوت على الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين[2] ﴾ثم أشارت الآيات إلى حكمة الله في أخذ الجبارين المستكبرين وهي ترجع إلى إرادة تطهير العالم من جراثيم الشر والفساد : ﴿ إنَّك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلَّا فاجراً كفاراً ﴾ [سورة نوح : ٢٧] .

وإزاء هذه العاقبة السيئة التي تقطع على الجبارين حياتهم تشير الآيات إلى العاقبة الطيبة لعبادة المؤمنين: ﴿رب اغفر لي ولوالديّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلَّا تباراً ﴾[سورة نوح : ٢٨] .

أما بعد :

فتلك قصة نوح كما وردت في سورة نوح ، قصَّها الله على كفار مكة وعلى جميع الناس ، وهي مثال حي ناطق بسنة الصراع بين الحق والباطل في كل زمان ومكان ، وناطق بأن فساد العقلية البشرية ليس من أصل الطبيعة وإنما هو من خداع المستكبرين الماكرين ، وناطق بأن الحق مهما طال وجوده لا بد أن يعلو صوته وينتشر في العالم ضوؤه ، ويعم الكون خيره .

وهكذا ستكون عاقبتك يا محمد وعاقبة كل من اهتدى بهديك ، وسار على سنتك في الدعوة إلى الحق وإلى الصراط المستقيم .

---

(١) سورة نوح : ٢٥ . (٢) سورة هود : ٤٤ .

أسلوب الشعور بالأمن :

كان من أهم أهداف الأساليب القرآنية للدعوة والإعلام إشاعة الشعور بالأمن والأمل في نفوس المجتمع العربي ، الذي عانى في جاهليته من شعور متمكن بفقدان الأمن والإحساس العميق بالضياع في حياته الدنيا ومن بعدها الموت ، ورأينا كيف بثّ الأسلوب القرآني شعوراً مطمئناً بالأمن والسلام .

وأقامت الأساليب القرآنية للدعوة والإعلام الوجدان الجماعي في المجتمع العربي ، الذي اندفع به وحقّق المعجزات في مجال نشر الإسلام والدعوة له بكل أساليب الدعوة التي بيّنها القرآن له وحثّه على اتباعها . . .

ويبقى بعد تكوين الوجدان الجماعي ، ما يتحمل بكل فرد وما تضطرب به نفسه من قلق أو خوف على حياته أو ماله أو أولاده . وفي مجال بثّ أمن الفرد على حياته ، واطمئنانه إلى ما تأتي به الأيام والمواقف ، وجهت الدعوة القرآنية الإنسانية إلى الحقيقة الخالدة التي تتصل بهذه الحياة وما بعدها ، على نحو لا يشعر فيه المؤمن بأي خوف من الموت ، لأن القرآن بث فيه الإيمان بحياة أفضل وأخصب تتصل بالدوام والخلود .

يقول القرآن الكريم في ذلك : ﴿ وما الحياة الدنيا إلاَّ لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون ﴾ [الأنعام : ٣٢] .

ويقول عزَّ وجلّ : ﴿ يا قوم إنَّما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار ﴾ [غافر : ٣٩] .

ويقول تعالى : ﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروجٍ مشيدة ﴾ [النساء : ٧٨] .

ويقول جلَّ شأنه :

﴿ وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ [الأنبياء : ٣٤ ـ ٣٥] .

وإذا كان الموت هو قدر كل حي ونهايته ، فلم يكن ذلك قدراً محتوماً لا غاية وراءه ولا هدف منه ، ولكن شاء القدير الحكيم أن يجعله وسيلة لصلاح الدنيا وخير الأحياء ، يقول تعالى :

﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ [الملك : ١ ، ٢] .

إن غايات الحياة هنا تتحدد بالدعوة القرآنية في عقل كل إنسان وشعوره ، ويصبح إدراك ما بعد الحياة من خير يرتبط بما يقدم كل إنسان من عمل حسن وصالح في حياته الحاضرة ؛ فترتبط الغايات الطيبة بالوسائل الطيبة ، ويصبح الثواب بعد الموت مرتبطاً بالحياة ليزيد الخير وتطيب الحياة لكل حي . وبهذا الشعور يذهب الفزع من الموت من نفوس المؤمنين وتطمئن نفوسهم إلى ما ينتظرهم بعد الحياة . .

فالموت حق ويقين في نفس كل مؤمن ، يرجوه وتشتاقه نفسه في سبيل الله ، لأن ما ينتظره من ربه خير من كل ما يجمع الأحياء على الدنيا ، وهو معبر إلى حياة النعيم والخلود .

بهذا اليقين زال أكبر ما كان يؤرق النفس الإنسانية من فزع الموت وما يعقبه من الفناء والضياع . . وبهذا الإدراك تسابق الناس إلى الصالح من الأعمال والخيرات ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون . .

ويأتي بعد الفزع من الموت الذي تضطرب له النفس البشرية أشد الاضطراب ، خوفٌ آخر ، مرده شعور الإنسان بعدم اطمئنانه على معاشه ومعاش ذويه ، حيث يتراءى له شبح الجوع والفقر . . وما يجرانه عليه من بؤس وعناء ومذلة قد تدفعه إلى الشر، أو إلى اليأس والقنوط . . . وفي هذا الشأن تقدم الأساليب القرآنية العلاج الشافي الذي تطمئن له النفوس ، ويتبع به الأمل :

يقول عزّ وجلّ : ﴿ وما من دابة في الأرض إلاّ على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ [سورة هود : ٦] .

وفي بيان معجز يزيل من نفس الإنسان كل شك ويفتح أمامه منافذ لا تحصى

للأمل والرجاء ، يقول جلّ شأنه :

﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإيّاكم وهو السميع العليم ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٠] .

ويقول تعالىٰ : ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إنَّ الله بكل شيء عليم ﴾ [العنكبوت : ٦٢] .

﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم * يا أيُّها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلاَّ هو فأنّى تؤفكون ﴾ [فاطر : ٢ ، ٣] .

وفي بيان جامع معجز يحفظ للإنسان معنوياته ويباعد بينه وبين دواعي اليأس والقنوط مما تأتيه به الأيام يقول تعالىٰ :

﴿ ما أصاب من مصيبة إلاَّ بإذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم ﴾ [التغابن : ١١] .

ويقول تعالىٰ أيضاً :

﴿ ما أصابَ من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاَّ في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحبّ كل مختال فخور ﴾ [الحديد : ٢٢ ، ٢٣] .

إن الإيمان بأن كل شيء من عند الله وبإذنه وبأن ما أصابه لم يكن من سبيل إلى دفعه ، ولم يكن ليخطئه ، ذلك يفتح السبيل إلى الرضا والاطمئنان النفسي .

ولا يقف الأمر عند ذلك لإزالة أسباب اليأس والإحباط من نفس الإنسان ، فإن الأسلوب القرآني يدعو المؤمن ليتجه إلى الله في كل ما يرجو ليفتح أمامه كل أبواب الرجاء ويمد من حبال اليقين والتوكل على ربه .

يدعو القرآن الناس إلى هذا الموقف بقوله تعالىٰ :

﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ﴾ [غافر : ٦٠] .

﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلّهم يرشدون ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

وبهذا كله وغيره مما ورد في الأساليب القرآنية للدعوة وبما حققته هذه الأساليب للجماعة والفرد من اطمئنان وأمان ثابتين وبما أقامته من مثل عليا وغايات سامية للحياة البشرية فإن الدعوة قد وضعت أقوم الأسس للاستجابة لها سواء من ناحية الفرد أو المجتمع وبهذا سما الأفراد والجماعة إلى ذروة الكمال الإنساني بإيمانهم وسلوكهم .

أسلوب القصص :

ويتصل بالجانب الوجداني لأساليب الدعوة والإعلام في القرآن ، أسلوب القصص ـ والقصة بأسلوبها الفني وما تستدعيه في النفس ، كانت وسيلة من وسائل تطهير النفس لتسمو إلى الرؤية والإدراك الوجداني ، والقصة القرآنية التي استخدمت كأسلوب من أساليب الإعلام والدعوة القرآنية ، خاطبت العقل والشعور جميعاً فتحت أمام قلب الإنسان وعقله أبواب الإدراك واليقين ـ . ومن الواضح أن أهداف الأسلوب القصصي في القرآن ، يتصل في غالبه بالجانب الإيماني والديني ، وإن دعت أحياناً إلى غايات فاضلة وخيرة من السلوك التي يتحلى به المؤمنون والمتقون .

وهي تمتاز بجمال فني معجز ، سواء في أسلوبها اللغوي ، أو بنيانها الفني وتصاعد الأحداث والمواقف ـ ويلاحظ في كثير من القصص القرآني أن تبدأ القصة بذكر ملخصها ثم تعرض بعد ذلك تفصيلاتها من البداية حتى النهاية ، وهو تناول يؤدّي إلى التشويق وإثارة انتباه المستمعين واستدعاء مشاعرهم ، وفي أحيان أخرى تبدأ القصة بتوضيح المغزى أو العاقبة ، ثم تسرد التفصيلات ـ لتحقيق نفس الأهداف المتصلة بإثارة الانتباه والتشويق مع ما في ذلك من تكثيف للهدف النهائي الديني أو السلوكي للقصة بتأكيده في شعور الإنسان .

واستهدفت القصة القرآنية عدداً كبيراً من الأغراض والغايات من ذلك :

١ ـ إثبات الوحي والرسالة ، فمحمد صلّى الله عليه وسلّم لم يكن كاتباً ولا قارئاً ، ثم جاءت قصص الرسل والأنبياء ، والأمم السابقة في القرآن دليلاً على أنه

وحي يوحىٰ . والقرآن ينص على هذا الغرض في مقدمات بعض القصص أو في فصولها ، جاء في أول سورة « يوسف » ﴿ إنَّا أنزلناهُ قرآناً عربياً لعلَّكم تعقلون ﴾ نحن نقصّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنتَ من قبله لمن الغافلين ﴾[سورة يوسف : ٢ ، ٣] .

وجاء في سورة القصص قبل عرض قصة موسى :

﴿ نتلو عليك من نبأ موسىٰ وفرعون بالحق لقوم يؤمنون(١) وبعد انتهائها ﴿ وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسىٰ الأمر وما كنت من الشاهدين * ولكنّا أنشأنا قروناً فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاوياً في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين * وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلّهم يتذكرون ﴾ [سورة القصص : ٤٤ ، ٤٦] .

وجاء في سورة « ص » قبل عرضه قصة آدم :

﴿ قل هو نبأ عظيم * أنتم عنه معرضون * ما كان لي من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون * إن يوحىٰ إليّ إلاّ إنّما أنا نذير مبين * إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين ﴾ [سورة صٓ : ٦٧ ـ ٧١] .

٢ ـ بيان أن الدين كله من عند الله ، فجميع الأنبياء أمة واحدة ، والله الواحد رب الجميع ، وكثيراً ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة ، لتؤيد هذه الحقيقة . جاء في سورة الأنبياء : ﴿ ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً للمتقين * الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون * وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون * ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنّا به عالمين * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون * قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين * قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين * قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين * قال بل ربكم رب السماوات والأرض الذي فطرهنَّ وأنا على ذلكم من الشاهدين * والله لأكيدنَّ أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين * فجعلهم جذاذاً إلاَّ كبيراً لهم لعلّهم إليه يرجعون * قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين * قالوا سمعنا

(١) سورة القصص : ٣ .

فتى يذكرهم يقال له إبراهيم * قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلّهم يشهدون * قالوا أأنت فعلت هذا بآلِهتنا يا إبراهيم * قال بل فعله كبيرهم هذا فسْألُوهم إن كانوا ينطقون * فرجعوا الى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون * ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون * قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم * أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون * قالوا حرقوه وانصروا آلِهتكم إن كنتم فاعلين * قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم * وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين * ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين * ووهبنا له إسحق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين * وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين * ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث إنهم كانوا قوم سوء فاسقين * وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين * ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم * ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين[1] ﴾ .

وقال تعالىٰ : ﴿ ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين * ومن الشياطين من يغوصون له ويعملون عملاً دون ذلك وكنا لهم حافظين * وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين * فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين * وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين * وأدخلناهم في رحمتنا إنهم من الصالحين * وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلاّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين * وزكريا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين * فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ﴾ [سورة الأنبياء : ٨١ - ٩٠] .

---

(١) سورة الأنبياء : ٤٨ - ٧٧ .

(٢)

﴿ والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين * إنّ هذه امتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ [سورة الأنبياء : ٩١ ، ٩٢] .

من كل ما تقدم من الآيات البينات ، نرى الدعوة توجه الإنسان إلى حقيقة خالدة ، وتسلكه في هذا التيار المتدفق للإيمان ، وترفع منزلته حين تصله بالمؤمنين من بدء الخليقة وتحذره عاقبة الكافرين والجاحدين ، وبذلك يشعر الإنسان انه واحد في الصف المؤمن ، وانه فرد في مجتمع المؤمنين الممتد عبر الزمن ويزوده ذلك برصيد شعوري كبير يمده بالعزة والقوة والصبر ، لأنه واحد من صفوة بني الإنسان .

٣ ـ بيان ان الدين كله مرده إلى مصدر واحد ـ وانه كله من عند إله واحد ـ وتبعاً لذلك كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة كذلك ، تتكرر فيها الدعوة إلى العقيدة الأساسية ، وهي الإيمان بالله الواحد القهار . جاء في سورة الأعراف ﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره . . . (١) ﴾ .

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾(٢) .

وفي سورة هود يقول تعالى مكرراً نفس الأسلوب السابق :

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره ان انتم إلا مفترون * يا قوم لا أسألكم عليه أجراً ان أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون(٣) ﴾ إلى قوله : ﴿ قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم . . . ﴾ [سورة هود : ٥٣ ـ ٥٦] .

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو انشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ان ربي قريب مجيب * قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ﴾ [سورة هود : ٦١ ، ٦٢] .

---

(١) سورة الأعراف : ٥٩ .
(٢) سورة الأعراف : ٦٥ .
(٣) سورة هود ٥٠ ـ ٥١ .

ويتضح من ثنايا القصص القرآني للأنبياء ان دعوة التوحيد والإصلاح التي جاءوا بها كانت تصل إلى قلوب عامة الناس والضعفاء من الناس أما السادة الأقوياء فكانوا يضعون على قلوبهم اقفالها ، ويناصبون الأنبياء العداء .

يقول الله تعالى في سورة الأعراف :

﴿ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون * قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * قالوا اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون * ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذّكرون ﴾ [سورة الأعراف : ١٢٧ ـ ١٣٠] .

ثم يقول سبحانه : ﴿ ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل * فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون * فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا. ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ﴾ [سورة الأعراف : ١٣٤ ـ ١٣٧] .

وفي تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم ما يدل على أن الذين اتبعوه في اول أمرهم هم الضعفاء ، وان الملأ من قريش هم الذين كادوا له : ثم ائتمروا به ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ، وان الله كان يقص عليه من انباء الرسل ما يثبت به فؤاده ، ثم يأمره باتباع طريقهم حيث يقول سبحانه : ﴿ فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ﴾ [الأحقاف : ٣٥] وان الله سينصره كما نصر أتباعه في النهاية ويهلك المكذبين .

جاء في سورة العنكبوت : ﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون * فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين ﴾ [سورة العنكبوت : ١٤ ، ١٥] .

﴿ وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون[1]﴾ إلى ان يقول: ﴿ فما كان جواب قومه إلا ان قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ [سورة العنكبوت : ٢٤] .

﴿ ولوطاً إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين[2] ﴾ إلى ان يقول: ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزاً من السماء بما كانوا يفسقون * ولقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون ﴾ [سورة العنكبوت : ٣٤ ، ٣٥] .

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباًفقال يا قوم اعبدوا الله وارجو اليوم االآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين* فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين[3]﴾.

﴿ وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ﴾ [سورة العنكبوت : ٣٨] .

﴿ وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ﴾ [سورة العنكبوت : ٣٩] .

﴿ فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٠] .

كان من اغراض القصة تصديق التبشير والتحذير ، وعرض منهج واقع من هذا التصديق ، كالذي جاء في سورة « الحجر » :

﴿ نبىء عبادي أني أنا الغفور الرحيم * وان عذابي هو العذاب الأليم[4] ﴾ .

وتصديقاً لهذا وذاك ، جاءت القصص على النحو التالي :

﴿ ونبئهم عن ضيف ابراهيم * إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال انا منكم وجلون * قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم...[5] ﴾. وفي هذه القصة تبدو (الرحمة) ثم : ﴿ فلما جاء آل لوط المرسلون * قال إنكم قوم منكرون * قالوا بل

---

(١) سورة العنكبوت : ١٦ . (٢) سورة العنكبوت : ٢٨ . (٣) سورة العنكبوت : ٣٦ ، ٧

(٤) سورة الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

جئناك بما كانوا فيه يمترون * وأتيناك بالحق وإنا لصادقون * فاسر بأهلك بقطع من الليل واتبع أدبارهم ولا يلتفت منكم أحد وامضوا حيث تؤمرون * وقضينا إليه ذلك الأمر ان دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * وجاء أهل المدينة يستبشرون * قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون * واتقوا الله ولا تخزون * قالوا اولم ننهك عن العالمين * قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين * لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون * فأخذتهم الصيحة مشرقين * فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة من سجيل * ان في ذلك لآيات للمتوسمين * وإنها لبسبيل مقيم * إن في ذلك لآية للمؤمنين[1] ﴾ .

وفي هذه القصة تبدو (الرحمة) في جانب لوط ، ويبدو (العذاب الغليظ) في جانب قومه المهلكين .

ثم : ﴿ ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين * وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين * وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً آمنين * فأخذتهم الصيحة مصبحين * فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ [سورة الحجر : ٨٠ - ٨٤] .

وفي هذه القصة يبدو « العذاب الأليم » للمكذبين .

وهكذا يصدق الأنباء ، ويبدو صدقه في هذا القصص الواقع .

٦ - بيان نعمة الله على أنبيائه واصفيائه ، كقصص سليمان وداود وأيوب وإبراهيم ومريم وعيسى وزكريا ويونس وموسى فكانت ترد حلقات من قصص هؤلاء الأنبياء تبرز فيها النعمة في مواقف عدة .

٧ - تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان ، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ ابيهم آدم .

ولما كان هذا الموضوع خالداً ، فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى جاء في سورة الأعراف :

﴿ قال ما منعك الا تسجد اذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين * قال انظرني إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما اغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن

---

(١) سورة الحجر : ٦١ - ٧٧ .

شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قال اخرج منها مذؤوماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين ﴾ [سورة الأعراف : ١٢ ـ ١٨] .

وجاء في سورة الحجر: ﴿قال يا ابليس ما لك ألاّ تكون مع الساجدين * قال لم اكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون * قال فأخرج منها فإنك رجيم * وان عليك اللعنة إلى يوم الدين * قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال رب بما اغويتني لأزينّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط عليّ مستقيم * إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين * وإن جهنم لموعدهم أجمعين ﴾ [سورة الحجر : ٣٢ ـ ٤٣] .

إن إبراز العداوة بين الشيطان وابناء آدم عن طريق القصة اروع وأقوى ، وأدعى إلى الحذر الشديد من كل هاجسة في النفس تدعو إلى الشر ، وإسنادها إلى هذا العدو الذي لا يريد بالناس خيراً .

٨ ـ وكان للقصة أعراض أخرى منها :

بيان قدرة الله على الخوارق : كقصة خلق آدم ، وقصة مولد المسيح ، وقصة إبراهيم والطير ، الذي آب إليه بعد أن جعل على كل جبل منهن جزءاً ، وقصة « الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها » وقد أحياه الله بعد موته مائة عام ثم بعثه .

وبيان عاقبة الشر والإفساد ، وعاقبة الطيبة والصلاح : كقصة ابني آدم ، وقصة صاحب الجنتين . وقصص بني إسرائيل بعد عصيانهم وقصة سد مأرب ، وقصة اصحاب الأخدود .

إن هذا التنوع في العرض والجوهر ، والتفصيل والإيجاز والتكرار لتأكيد معنى أو غيره ، وغير ذلك مما جاء به أسلوب القصص . . . . . القرآني في الدعوة والإعلام ، بالإضافة إلى البيان المعجز الذي تفوقت به لغة القرآن الكريم ، قد خلق

عند كل الناس على مدى العصور شعوراً نفسياً مؤثراً يستدعي بقوة المشاركة الوجدانية التي تحقق الحالة النفسية والشعورية التي تهيئهم لتقبل الدعوة والاستجابة إلى ما تضمنته من عقيدة وتشريع ومبادىء وقيم للأخلاق والسلوك .

ونورد فيما يلي ألواناً من القصص القرآني الذي أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لندرك عظمة تأثيره على النفوس وسمو ما يحمل من عظمة بالغة للناس في كل زمان ومكان ـ مما جعلها من أبلغ الأساليب الإعلامية للدعوة ـ يقول تبارك وتعالى :

أسلوب . . الأمثلة من القصص :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا ٱلْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ ٱلْغَافِلِينَ (٣) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَآ أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (٤) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٥) وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦) لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيات لِلسَّائِلِينَ (٧) إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٨) ٱقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوه أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ (٩) قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنتُمْ فَاعِلِيْنَ (١٠) قَالُوا يا أبانا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ . [سورة يوسف: ٣ ـ ١١].

اسلوب التكرار :

اثبتت دراسات علم النفس الحديثة ، أهمية التكرار في إقناع الناس بالآراء والأفكار المختلفة . كما ان تكرار المعلومات والحقائق يعمل على تثبيتها في العقول

بدرجات متفاوتة تختلف من شخص لشخص ، واستخدم التكرار في التعلم والحفظ بنجاح ، كما استخدمت هذه الظاهرة في الدعاية للترويج بالشعارات التي تتكرر للمذاهب والأحزاب والشخصيات العامة ، كما تخصص المؤسسات الاقتصادية جانباً من اموالها للانفاق على دعايات تعتمد على تكرار عرض المعلومات المتصلة بمنتجاتها بأساليب ووسائل مختلفة تعمل على جذب انتباه الناس والتأثير عليهم في الاتجاه الذي تريده .

وفي الأساليب القرآنية والإعلام ، نجد التكرار قد استخدم بطريقة فعالة ومؤثرة منذ اربعة عشر قرناً قبل أن يعرف علم النفس ودراساته الحديثة ، وان اختلفت استخدامات التكرار في الأساليب القرآنية عن استخدامها في العصر الحديث .

لقد استخدم التكرار في الأساليب القرآنية من أجل تحقيق الاقتناع العقلي للغايات الكبرى في العقيدة ، كالتوحيد بالله والبعث والحياة الأخرى ؛ باعتبار أن تلك الغايات هي الأساس الذي يقوم عليه الدين ، وبالإيمان بها يتحدد مصير الإنسان في الحياة الدنيا والآخرة .

كذلك يتم هذا التكرار بطريقة تتصف بالكمال والسمو والبعد عن الإثارة ، بالإضافة إلى ما فيها من جمال فني ، فكأن المرء حين يستمع إليها يصغي إلى مقطوعة موسيقية على اعلى درجة من الاتقان والكمال ، يقول تعالى في سورة النمل :

﴿ أمن خلق السموات والأرض وانزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون * أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون * امن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون * أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أإله مع الله تعالى الله عما يشركون * أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين﴾ [سورة النمل : ٦٠ ـ ٦٤].

ان عبارة « أإله مع الله » تأتي خمس مرات في الآيات البينات وفي كل مرة تسبق بسؤال يتصل ببديع خلق الله مما يحسه الانسان بحواسه وجوارحه ويرى أثره في نفسه وفيما حوله . . ثم يعقبها جواب شاف لا يختلف عليه اثنان وبين السؤال والجواب يأتي التكرار كإيقاع موسيقي يقرع الآذان والقلوب وينبه الغافلين إلى اعظم الحقائق واصدقها ليقودهم إلى الإيمان بالله الواحد الذي خلق كل شيء ودبر ما على الأرض وما في السماء فأبدع الخلق والتدبير ليستجيب العقل والقلب للكلم الطيب المبارك .

وفي سورة هود نرى تكراراً مع تفاوت ورد بين الآيات التي ورد بها التكرار فيعود تكرارها بين الحين والحين في السورة مهيباً يأخذ بمجامع النفوس ، ويتوقف عنده كل انسان ليدرك الحق ويؤمن به :

ففي الآيتين ٢٥ ، ٢٦ يقول تعالى :

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إني لكم نذير مبين * ان لا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ . ثم تتحدث الآيات بعد ذلك عن استجابة قوم نوح له، وما لقيه من قومه من إنكار وكفر، حتى تصل إلى الآية ٥٠، ليدعونا التكرار إلى موقف مشابه لهود عليه السلام مع قومه يقول تعالى :

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا تفترون ﴾ .

ثم تمضي آيات أخرى حتى نصل إلى موقف مشابه . . يقول تعالى : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه ان ربي قريب مجيب ﴾ [هود : ٦١]. وتمضي آيات بينات تتحدث عن استجابة قوم صالح وما لقيه منهم من أفكار وعنت حتى تصل إلى تكرار مماثل يقول الله تعالى : ﴿وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان اني أراكم بخير واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط﴾[1] ان الحقيقة الخالدة التي يقوم عليها هذا الوجود ﴿يا قوم اعبدوا

---

(١) سورة هود : ٨٤.

الله ما لكم من إله غيره ﴾ تتكرر مرات لتحدث تأثيرها في كل نفس حتى تستجيب لما دعاها إليه الله العزيز الحكيم ، رحمة وفضلاً منه على الناس .

كذلك يلاحظ أن القصص القرآني قد تكرر في مواضع مختلفة على ترتيبات متفاوتة ، كقصة إبليس في السجود لآدم ، وقصة موسى ، وقد حصر بعض العلماء عدد مرات ذكر موسى عليه السلام في القرآن ، فكان مائة وعشرين موضعاً . وقد لاحظ علماء التفسير أن التكرار كان يتم لفائدة أو معلومة جديدة خلت منهْ في الموضع الآخر . . والاسلوب القرآني لتكرار القصص وخاصة قصص الأنبياء هو دليل أن جميع الأديان من عند الله تبارك وتعالى ، مما يؤكد في الأذهان مصدر ووحدة الدين ، ويذهب بمنطق المخالفين والكافرين .

وتتكرر بعض الآيات خلال بعض السور ويلاحظ أن هذه الآيات تعتبر كمعالم مضيئة على طريق الإيمان تقود إلى اليقين وتثبت الحق في قلوب المؤمنين . .

﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾[1] التي تتكرر أربع مرات في سورة القمر تأتي في كل مرة بعد آيات تتحدث عما أصاب الذين كذبوا رسل الله ، لتلفت القلوب إلى حقيقة ما يسره الله تبارك وتعالى لهم من القرآن ليتجنبوا مصير الذين سبقهم من الكفار .

وفي سورة المرسلات تتكرر آية : ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾[2] عشر مرات وسط آيات قصار ذات إيقاع سريع بالغ التأثير في النفس فيزيد هذا التكرار من درجة التأثير إلى أقصى حد ، يقول جل شأنه : ﴿ وإذا السماء فرجت * وإذا الجبال نسفت * وإذا الرسل أقتت * لأي يوم أجلت * ليوم الفصل * وما أدراك ما يوم الفصل * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نهلك الأولين * ثم نتبعهم الآخرين * كذلك نفعل بالمجرمين * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نخلقكم من ماء مهين * فجعلناه في قرار مكين * إلى قدر معلوم * فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين * ألم نجعل الأرض كفاتاً * أحياء وأمواتاً * وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتاً * ويل يومئذ للمكذبين * انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب * لا

---

(١) سورة القمر : ١٧ ، ٢٢ ، ٣٢ ، ٤٠ .

(٢) سورة المرسلات : ١٥ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩ ؛ سورة المطففين : ١٠ .

ظليل ولا يغني من اللهب * إنها ترمي بشرر كالقصر * كأنه جمالت صفر * ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين * هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون * ويل يومئذ للمكذبين * إن المتقين في ظلال وعيون * وفواكه مما يشتهون * كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون * إنا كذلك نجزي المحسنين * ويل يومئذ للمكذبين * كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون * ويل يومئذ للمكذبين * وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون * ويلٌ يومئذ للمكذبين * فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾[سورة المرسلات: ٩ ـ ٥] .

ان هذا التكرار الذي يتباعد في البداية ثم يتقارب عند النهاية والذي يقترن في بعض الأحيان بما ينعم الله على المحسنين من عباده وفي أحيان كثيرة يصاحب ما ينتظر الكافرين من نعم وعذاب يحدث في النفس زلزالاً شديداً ، يزجرها عن التمادي في التكذيب والإصرار على الكفر ، وتلك غاية لا يصل إليها أي أسلوب آخر من أساليب الدعوة أو الاعلام التي عرفها الناس .

* * *

أسلوب التدرج :

نزل القرآن الكريم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعيش في مجتمع جاهلي ، عاش عمره على تقاليد وعادات موروثة ، احتلت من حياته منزلة كبيرة ، وكان من هذه العادات ما يتعارض مع تعاليم المجتمع الفاضل الذي دعا إليه القرآن ، وكان من أكثر هذه العادات شيوعاً ، شرب الخمر والربا والزنا والرق ، وقد استحكمت هذه العادات في سلوك العرب قبل الإسلام ، واقتضت رحمة الله بالعباد أن يسلك الاسلوب القرآني للدعوة ازاءها السبيل الوحيد الذي يمهد للاستجابة لدعوته وهو بعد الاسلوب الذي انتهى إليه علماء النفس في العصر الحديث بالنسبة لأسلوب التخلص من العادات السيئة في سلوك الأفراد ، وهو الاسلوب الذي يقوم على اجلال عادات جديدة حميدة محل العادات السيئة ، مع التدرج في الاقلاع عن العادات الاخيرة التي تمكن سلطانها من النفس .

وقد اتبع أسلوب الدعوة في القرآن الكريم أسلوباً غاية في السمو ، واستطاع

هذا الاسلوب في النهاية أن يقضي على هذه العادات قضاءً تاماً وقام هذا الاسلوب على :

- تأجيل الدعوة إلى نبذ هذه العادات، وتقرير الحدود الخاصة بها إلى حين يستقر الإيمان في نفوس المسلمين لذلك اقتصرت المرحلة الأولى على الدعوة إلى الله الواحد والإيمان به وبما ينزل من عنده من أمر ونهي .
- دعا القرآن الكريم المؤمنين إلى اعتناق عادات جديدة تتصل بالعبادة كالصلاة والذكر والقيام أثناء الليل ، سعياً إلى رضا الله وطلباً لمغفرته .
- كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بوحي من ربه يدعو المؤمنين إلى اجتماعات كل يوم وليلة ليرتل عليهم القرآن ويفسره لهم مما اعتبر تربية روحية صرفت الناس عن عاداتهم نسبياً .

وقد هيأت هذه الأساليب المؤمنين نفسياً لتقبل ما يأتي من عند الله في كل شأن من شؤونهم ، بعد أن رسخ الإيمان في نفوسهم وقويت صلتهم بربهم ، وتطلعت نفوسهم إلى قبول ما يأتي من عنده تعالى ، باعتبار أن طاعة الله والرسول من مطالب الإيمان والخضوع لأمر الله عز وجل .

ومع استعداد المؤمنين الأولين لتقبل ذلك ، فقد رأينا رحمة الله بعباده تسلك سبيل التدرج بالنسبة للعادات المتمكنة في نفوسهم سعياً إلى التخلص منها في نهاية الأمر ، ورأيناهم في لحظة من اللحظات يتساءلون عن سر سكوت القرآن عنها مع وضوح الشر الناجم عنها ، فقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ظل يتساءل عن الخمر مراراً وعلى فترات بقوله : « اللهم بيّن لنا فيها » .

وكانت قد نزلت في الخمر في المرحلة الأولى من الدعوة آيات في سورة النحل تتحدث عما أنزل الله لعباده من ماء وما يرزقهم به من لبن سائغ للشاربين ثم ينزل قوله في شأن ما يتخذ من ثمرات النخيل والأعشاب فيقول جل شأنه : ﴿ والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ان في ذلك لآية لقوم يسمعون ● وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ●

ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً ان في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴾ [النحل : ٦٥ - ٦٧] .

وبعد انقضاء عشرين عاماً أو نحوها على نزول القرآن الكريم ظل بعض المسلمين يشربون الخمر ، حتى تكون رأي عام ضدها ، عبر عنه عمر بن الخطاب بسؤاله الذي ذكرناه .

ثم يأتي الجواب من العزيز الحكيم وينزل الله تعالى قوله الكريم في سورة البقرة . يقول تعالى :

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ [٢١٩] .

ولم يكن فيما نزل ما يدعو كافة المسلمين إلى الإقلاع عنها وظل بعضهم أسرى عاداتهم الراسخة يشربونها حتى عاد عمر يسأل : اللهم بين لنا في الخمر فإنها تذهب العقل والمال .

وتنزل الآية الكريمة خطوة على طريق التحريم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ﴾ [النساء : ٤٣] .

ومنذ نزلت هذه الآية كان المنادي ينطلق في المدينة منادياً : « لا يقربن الصلاة سكران » وقد كان تعطيل المؤمن عن صلاته أمراً بالغ الخطر والتأثير عليه ، وبذلك قل عدد الذين يشربونها إلى أدنى حد ، وحدث ذات يوم أن ثمل رجال من المهاجرين والأنصار ونشب بينهما خلاف بسبب السكر والتعصب وجرح أحد المهاجرين في هذا الصراع ، وتشاجرت جماعتان بسبب السكر حتى شج بعضهم بعضاً وأطلت العصبية بعد الصفاء ، والعداء بعد الحب ، إذ ذاك عاد الرأي العام على لسان عمر يطلب المزيد من البيان في هذا الأمر ، يقول عمر : اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً فإنها تذهب العقل والمال .

وينزل قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن

يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون ﴾ [المائدة : ٩٠ ، ٩١] .

وبادر الناس على الفور بالإقلاع عن الخمر ، وأريق كل ما كان في بيوت الناس منها في طرقات المدينة وظلت رائحتها تزكم الأنوف أياماً . وبتطهر مجتمع الإسلام الأول من شر الخمر ورجسها استجابة لأمر الله تعالى ، على نحو كامل وتام وهو أمر لم يستطع أي مجتمع تحقيقه في أي عصر .

من موقف القرآن الكريم من الخمر نستطيع ان نستخلص بعض النتائج في مجال الدعوة والإعلام .

- ان الوازع الديني في نفس المؤمن الصادق الإيمان ، أقوى من كل الأساليب التي عرفها الناس ، وليس أدل على ذلك من أن الولايات المتحدة منعت بالقانون شرب الخمر في العشرينات من هذا القرن وانفقت مئات الملايين من الدولارات لتحقيق ذلك ولم تفلح في منعها واضطرت إلى إباحتها بعد أن سفكت دماء وضاعت أموال طائلة .

- ان الرأي العام يمثل سنداً لكل دعوة أو اعلام مؤثر .
- ان اسلوب التدرج هو انجح الأساليب لإضعاف سلطان العادات المتمكنة في نفوس الناس ، لأنه يهيئهم نفسياً للإقلاع عنها ، ونرى الاسلوب القرآني يتبع هذا التدرج بالنسبة للربا الذي تفشى بين العرب قبل الإسلام وأصبح عنصراً من العناصر الذي تقوم عليه تجارتهم واقتصادهم وكلما زادت الحاجة إليه ارتفع الربا أضعافاً مضاعفة ، مما أصبح يمثل عبئاً يثقل كاهل الأفراد ويؤدي إلى انهيارهم الاقتصادي وضياعهم الاجتماعي .

وقد اتبع الاسلوب القرآني في تحريم الربا أربع مراحل بدأت بقول الله تعالى :
﴿ وما أتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ﴾[سورة الروم : ٣٩] .

وفي المرحلة الثانية يتجه الاسلوب القرآني إلى الاخبار عن اليهود الذين أحلوا الربا وضاعفوه وأكلوا أموال الناس بالباطل وما نالهم من غضب الله وسخطه ، يقول عز وجل :

﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل اللّه كثيراً * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذاباً أليماً ﴾ [النساء : ١٦٠ ، ١٦١] .

ويلاحظ هنا أن الاسلوب القرآني في الدعوة يعمل على تهيئة الناس نفسياً لما يأتيهم من عند اللّه . وتستمر مناشدة اللّه لعباده ، بأسلوب غاية في السمو يربط بين الفلاح والامتناع عن مضاعفة الربا فيقول تعالى في سورة آل عمران : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا اللّه لعلكم تفلحون ﴾ [١٣٠] .

وحين توطد الإيمان باللّه في النفوس ، ونهض مجتمع الطهارة والصلاح ، واتجهت كل النفوس إلى اللّه بقلوب مخلصة مطمئنة يصبح الكمال هدفاً يسعى الجميع إلى تحقيقه وتأتي الدعوة القرآنية في وقتها المناسب الذي تتحقق به الاستجابة التامة الكاملة لأمر اللّه.

يقول تعالى في سورة البقرة ٢٧٥ ، ٢٧٦ : ﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل اللّه البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى اللّه ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون * يمحق اللّه الربا ويربي الصدقات واللّه لا يحب كل كفار أثيم ﴾ ، ثم يخصص الاسلوب القرآني دعوة خاصة للمؤمنين فيقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين * فإن لم تفعلوا فاذنوا بحرب من اللّه ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ [البقرة : ٢٧٨ ، ٢٧٩] .

والاسلوب القرآني في معالجة هذه الآفات الاجتماعية والاقتصادية والمتمثل في التهيئة النفسية وتكوين الرأي العام الذي ينفر منها ويكرهها ويخلق الكراهية لها في النفس بطريقة تدريجية قد حقق نجاحاً تاماً ، وكان نجاحه بالنسبة للعرب الذين عرفوا بالتعصب والإصرار على العادات والتقاليد يمثل في رأي الكثيرين أسلوباً غاية في الحكمة لتكوين الاستجابات الجديدة لمقاومة العادات القديمة المتمكنة في نفس الإنسان .

أما الزنا فقد تدرج به الأمر كذلك من النصيحة إلى التهديد بالعقوبة الى تقرير عقوبة مجملة إلى تقرير عقوبة مفصلة محددة . . . كما تدرج من عدم اكراه الفتيات على البغاء مع إباحة زواج المتعة ، إلى تحريم البغاء وتحريم زواج المتعة كليهما ، والخلوص إلى إغلاق كل الطرق فيما عدا الزواج الدائم المعقود باسم الله وبنية الدوام .

وأما الرق فقد اتخذ الاسلوب القرآني في معالجته وسائل مختلفة تعمل على سد المنافذ إلى الرق ، وتحرير الارقاء بالتدرج مع العمل في نفس الوقت على تحرير الرقيق من داخل نفوسهم قبل تحريرهم من الخارج . وقد كانت وسيلته إلى ذلك ردهم رويداً رويداً إلى الاحساس بإنسانيتهم ، بالمعاملة الحسنة ، وارتباطهم بالله، وتعويدهم على « تذوق المساواة مع سائر المؤمنين إلى أن يصبحوا احراراً يتولون تبعة أنفسهم في مواجهة الحياة » .

الالتزام بالصـــدق :

ويلحق بهذا الاسلوب تأكيد عنصر الصدق في الدعوة وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك في قوله تعالى :

﴿ ليسأل الصادقين عن صدقهم وأعد للكافرين عذاباً أليماً ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق إذ جاءه . . ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ نزّل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل﴾[3].

وكذلك أسلوب الصبر والمصابرة والحلم وضبط النفس ازاء ما تلقاه الدعوة من عقبات وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك في قوله .

---

(١) سورة الأحزاب : ٨ .

(٢) سورة الزمر : ٣٢ .

(٣) سورة آل عمران : ٢ .

﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ﴾[1] .

وقوله سبحانه : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى آتاهم نصرنا ﴾[3] .

وقال عز وجل : ﴿ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين * واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور ﴾[5] .

وقوله سبحانه : ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين * الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾[6] .

وقوله تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[7] .

وأسلوب الوعد بالثواب والجزاء الحسن :

كقوله تعالى : ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾[8] .

---

(١) سورة الأحقاف : ٣٥ .

(٢) سورة المزمل : ١٠ .

(٣) سورة الأنعام : ٣٤ .

(٤) سورة النحل ١٢٦ ـ ١٢٧

(٥) سورة آل عمران : ١٨٦ .

(٦) سورة آل عمران : ١٣٣ ـ ١٣٤ .

(٧) سورة آل عمران : ١٥٩ .

(٨) سورة التوبة : ١١١ .

وقوله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح ﴾[1] .

وقوله سبحانه : ﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطلّ والله بما تعملون بصير ﴾[2] .

وأسلوب المحاورة والمثابرة للاقناع :

كقوله تعالى : ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ . . . أوَلَم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . . ﴾[4] .

وقوله سبحانه : ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ﴾[5] .

وقوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير ﴾[6] .

وأسلوب إيثار السلم والسلام عن الحرب والقتال وعدم المبادأة بالعدوان :

كقوله تعالى : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم

---

(١) سورة التوبة : ١٢٠ .
(٢) سورة البقرة : ٢٦٥ .
(٣) سورة الأحقاف : ٩ .
(٤) سورة البقرة : ٢٦٠ .
(٥) سورة النحل : ١٢٥ .
(٦) سورة المجادلة : ١ .

الجاهلون قالوا سلاماً ﴾[1] .

وقوله سبحانه : ﴿ الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولـون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ﴾[2] .

وقوله سبحانه : ﴿ فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم فما جعل اللّٰه لكم عليهم سبيلاً ﴾[3] .

وقوله سبحانه : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على اللّٰه إنّه هو السميع العليم ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿ وقاتلوا في سبيل اللّٰه الذين يقاتلونكم ولا تعتـدوا إن اللّٰه لا يحب المعتدين ﴾[5] .

أسلوب تجميع .. كل ما يؤثر على الإنسان وبيان ما فيها من حق أو ضلال :

ان الاسلوب الاعلامي الذي ورد في الآيـة الآتية .. هـو تجميع لكـل أعداء الإنسان ومهاجمتها جميعاً .

﴿ قـل ان كـان آبـاؤكم وابنـاؤكم واخـوانكم وأزواجكم وعشيـرتكم وأمـوال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادهـا ومسـاكن تـرضونهـا أحب اليكم من اللّٰه ورسولـه وجهاد في سبيله فتربصـوا حتى يأتي اللّٰه بـأمـره واللّٰه لا يهـدي القـوم الفـاسقين ﴾ [التوبة : ٢٤] .

وهكذا يجمع في آية واحدة جميع اللذائذ والمطامع والـرغائب ونقط الضعف

---

(١) سورة الفرقان : ٦٣ .
(٢) سورة النحل : ٣٢ .
(٣) سورة النساء : ٩٠ .
(٤) سورة الأنفال : ٦١ .
(٥) سورة البقرة : ١٩٠ .

في نفس الانسان ، ليضعها في كفة ، ويضع في الكفة الأخرى حب الله ورسوله ، وحب الجهاد في سبيله ، لتكون التضحية كاملة ، والتخلص من إرهاق الشهوات كاملاً ، فالنفس التي تتحرر من هذا كله هي النفس التي يتطلبها الإسلام ، ويدعو إلى تكوينها لتستعلي على الضرورات المذلة ، وتملك قياد أمرها ، وتنزع إلى ما هو أكبر وأبعد مدى من الرغبات الوقتية الصغيرة .

أو يقول : ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسب المآب * قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾ [آل عمران : ١٤ ، ١٥] .

وما كان هذا تحذيراً ولا دعوة إلى الزهد وترك طيبات الحياة ، كما يحلو لبعضهم أن يفسر القرآن ، أو كما يحلو لبعضهم أن يتهم الإسلام بالجمود ، إنما كان دعوة للتحرر والانطلاق من ضعف الشهوات والغرائز ، ثم لا ضرر بعد ذلك من الاستمتاع بالحياة حين يملكها الانسان ولا تملكه : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ! ﴾ [الأعراف : ٣٢] . ﴿ ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ [القصص : ٧٧] .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره » . والجمع بين هذه المعاصي الثلاثة وتوحيد الجزاء عليها ذو دلالة خاصة ، فالمعصية الأولى هي خيانة وغدر لذمة الله ، والثانية هي جريمة إهدار لإنسانية حر وأكل ثمنه ، والثالثة هي أكل عرق الأجير ، وهي كأكل ثمن الحر غدر بالإنسانية ، وكخيانة العهد بعد الحلف بالله غدر بذمة الخالق ، وكل منها يستحق الحرب من الله والخصومة ، لشناعتها ووضوح معنى الغدر فيها .

اسلوب التحذير

ويسلك القرآن إلى هذه الغاية شتى السبل ، ومن بينها التحذير الايحائي من

فتنة الأموال والأولاد حين يقول : ﴿ إنما أموالكم وأولادكم فتنة ﴾ [التغابن : ١٥] وبذلك يثير عامل الحذر من الاندفاع وراء الضعف البشري بازاء الأموال والأولاد . فكثيراً ما يؤتي المرء من ناحية حرصه على ماله أو بنيه ، فيقبل ما لم يكن يخضع له ، ويرتكب ما لم يكن ليرتكب . وقد خرج رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ذات يوم وهو محتضن أحد ابني بنته وهو يقول : « انكم لتبخلون وتجبنون وتجهّلون » .

اسلوب شرح حجج العدو والرد عليها :

ان القرآن الكريم كتاب يتوجه إلى البشر جميعاً ويتعامل مع عقولهم وقلوبهم ونفوسهم ، ولذلك نجد ان الاسلوب الاعلامي في القرآن لم يستخدم الأمر والنهي عن المنكر أو المحرمات . . . فلم نجد عباراتٍ عن المحذورات لا تفعل هذا أو لا تشرب الخمر . . أو كذا إلا بعد الشرح وذكر الأسباب والضرر الناتج من ارتكاب المنكر .

نجد مثلاً في تحريمه للخمر ذكر سبحانه وتعالى ضررها وان ضررها أكبر من نفعها .

كما جاء في القصص القرآنية حجج الذين عارضوا الأنبياء والرسل . . والرد عليهم .

اننا نجد انه ورد من خلال المناقشات في كتاب اللّٰه وتبادل للحجج والبراهين ما يكشف عوار الباطل كما يظهر صحة تلك التي تتفق مع فطرة العقل والقلب والنفس كل ذلك في توازن دقيق بين الوقائع والمحاورات من ناحية وبين المستويات الحضارية المتعاقبة من ناحية أخرى . . ونستطيع أن نتعرف إلى جملة الأساليب والسنن التي ارتضتها العناية الإلهية كخطة عمل وأسلوب تعامل مع البشر .

اسلوب . . الحرية في الاعلام القرآني

بني الاعلام في القرآن على أساس حرية الإنسان . . . ليميز الخير من الشر والهدى من الضلالة .

وإذا كانت بعض الحضارات تجعل من الحرية هدفاً فإن الإسلام قد جعل الحرية هدفاً ووسيلة إلى السعادة في الدنيا والآخرة .

اننا نجد بعض الشعوب المقهورة على أمرها تنادي بالثورة من أجل الحرية وهذا ما حدث للثورة الفرنسية . . فلما تحققت الحرية للشعب الفرنسي وقتئذ . . حدثت المجازر والمآسي . ويحدثنا التاريخ . . ان كبار المفكرين الفرنسيين . . قالوا **«كم من الجرائم أرتكبت باسمك ايتها الحرية» لأن الحرية في نظر هؤلاء الثوار كانت هدفا أو نهاية الطريق فهم لم يعرفوا . . ماذا يصنعون بعد الحصول على الحرية . .** فكانت حريتهم مصدر شر وخالقة للمآسي والقتل .

ولكننا نجد الرسالة السماوية تقوم أولاً على حرية الفرد وتحرره من الخوف ومن الجمود . . ومن الاحساس بالحاجة حتى تكون ارادته حرة لا سلطانُ لأحد عليها ليتخذ قراره بحرية تامة من أجل بناء المجتمع الإسلامي مؤمناً بالعقيدة والشريعة والأخلاق الاسلامية .

لذلك وجدنا القرآن الكريم ... لا يفرض العقيدة والشريعة والأخلاق الإسلامية بالإكراه أو القوة . . يقول الله تعالى : ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٥٦] .

ثم نجد الآيات الكريمة في القرآن الكريم . . التي توفر حرية الاختيار واتخاذ العقيدة التي تروق الناس . . ثم نجد الآيات البينات التي تمنع أي ضغط معنوي على الإنسان ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ [سورة النور الآية : ٥٤] .

وكذلك ﴿ فإن اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ ﴾ [سورة الشورى الآية : ٤٨] .

وكذلك نجد في الاسلوب الاعلامي القرآني آيات بصيغة الاستفهام الاستنكاري مثل ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [سورة يونس الآية : ٩٩] .

ثم اسلوب اعلامي كريم لمنع أي سيطرة على الإنسان . . ﴿ لست عليهم

بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢٢] .

وهكذا نجد أن الحرية في اسلوب الاعلام الأسلامي ، مبنية على مبادىء سامية وهي انه لا حرية بلا مسؤولية والمسؤولية واضحة حددتها الرسالة السماوية . . اعلام يقدر المسؤولية اعلام ملتزم بالحق والحقيقة فلا عدوان على أحد ولا خروج على العقيدة أو الشريعة أو الاخلاق السماوية .

أسلوب العبرة والأمثلة في الدعوة

استخدم القرآن الكريم أسلوب . . العبرة والأمثلة في الدعوة . . وذكر الكثير عن الرسل والأنبياء ورسالاتهم ، وكيف قاوم قومهم والكفار هؤلاء الرسل والأنبياء وكيف كانت نتيجة الكفر والبهتان . . وتكذيب الأنبياء والرسل . .

وما أحرانا نحن . . اليوم ان ندرس آيات اللّه البينات التي جاءت . . بأسلوب العبرة والأمثلة . . حتى نتخذ هذا الاسلوب في دعوتنا للدين الحنيف ويتمثل بهذا الاسلوب الدعاة اليوم حتى تسير دعوتنا على أسلوب الاعلام الاسلامي الصحيح .

ومن الأمثلة التي أوردها القرآن الكريم ليعتبر بها الناس قوله تعالى :

أسلوب العبرة والأمثلة في قوم عاد :

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ .
[سورة القمر : ١٨ ـ ٢١] .

﴿وَعَاداً وَثَمُوداً وَأَصْحَابَ ٱلرَّسِّ وَقُرُوناً بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيراً * وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيراً﴾ [سورة الفرقان : ٣٨ ـ ٣٩] .

﴿وَعَاداً وَثَمُوداً وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ . [سورة العنكبوت : ٣٨] .

﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ * مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴾ [الذاريات : ٤١ ، ٤٢] .

﴿ وَٱلْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ .[سورة الفجر : ١ ، ٢] . ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴾ [سورة الفجر : ٦ ، ٧] .

ومن أمثلة العبرة والأمثلة في قوم نوح :

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِّنْ قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِمْ مِّدْرَاراً وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ ﴾ .[سورة الأنعام : ٦] .

وفي فرعون

أسلوب الأمثلة والعبرة :

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِداً عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً (١٦) فَعَصَى فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذاً وَبِيلاً ﴾[سورة المزمل : ١٥ ، ١٦]

وفي ثمود :

﴿ الحَاقَّةُ * مَا الحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ [سورة الحاقة : ١ - ٧] . ﴿ وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّى حِينٍ * فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * فَمَا ٱسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنْتَصِرِينَ * وَقَوْمَ نُوحٍ مِّنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ . [سورة الذاريات : ٤٣ - ٤٦] .

وفي لقمان :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِي حَمِيدٌ * وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِإِبْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ . [سورة لقمان : ١٢ ، ١٣] .

وفي إسماعيل :

﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَالَمِينَ * وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . [سورة الأنعام : ٨٦ ، ٨٧] .

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكلٌّ مِّنَ ٱلأَخْيَارِ﴾ . [سورة ص : ٤٨] .

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَّبِيّاً * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَٱلزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾ . [سورة مريم : ٥٤ ، ٥٥] .

أسلوب الدعوة إلى فعل الخير لأمر الله وتجنب الشر ليس فقط امتثالاً وإنما أيضاً من أجل صالح الفرد نفسه :

كقوله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون ﴾(١) .

وقوله سبحانه : ﴿ وان امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو اعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً والصلح خير . . . ﴾(٢) .

وقوله عز وجل : ﴿ ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً ان الله يعلم ما تفعلون ﴾(٣) .

---

(١) سورة النور : ٣٠ .

(٢) سورة النساء : ١٢٨ .

(٣) سورة النحل : ٩١ .

أسلوب الحث على الشجاعة في الدعوة إلى دين الحق ولإعلاء كلمة الله

كقوله تعالى : ﴿ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون ﴾(١) .

وقوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ﴾(٢)

وقوله تعالى : ﴿ الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾(٣) .

أسلوب إعطاء القدوة الحسنة في السلوك والمعاملات

كقوله سبحانه وتعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمَن يشاء والله واسع عليم ﴾ [البقرة : ٢٦١] .

وقوله تعالى : ﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناها بنخل وجعلنا بينهما زرعاً * كلتا الجنتين أتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً ﴾ [الكهف : ٣٢ ، ٣٣] .

وقوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ﴾ [إبراهيم : ٢٤] .

وقوله عز وجل : ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴾ [البقرة : ٢٦] .

---

(١) سورة التوبة : ٤١ .

(٢) سورة الأنفال : ١٥ .

(٣) سورة آل عمران : ١٧٢ - ١٧٣ .

شأنان لا بد من تربية النفوس عليهما حتى تحظى بالسعادة عند الله : تطهير النفس من إرادة الظلم والإفساد في الأرض ، واتقاء ما يغضب الله من إهمال أحكامه وشرائعه ، وإهمال سننه ونظمه ، وقد نبه القرآن كثيراً على أوصاف المتقين ، الذين ضمن الله لهم عز الدنيا وسعادة الآخرة فعلينا أن نتدبرها لنعرف كيف تتكون التقوى في النفوس ، وكيف تبدو آثارها في البلاد والعباد .

في النفس استعداد للتأثر بما يلقى إليها من الكلام ، وهو استعداد مؤقت في الغالب ، ولذلك يلزمه التكرار .

.والموعظة المؤثرة تفتح طريقها إلى النفس مباشرة عن طريق الوجدان وتهزه هزاً ، وتثير كوامنه ، لحظة من الوقت ، كالسائل الذي تقلب رواسبه فتملأ كيانه ، ولكنها اذا تركت تترسب من جديد .

لذلك لا تكفي الموعظة وحدها في التربية إذا لم يكن بجانبها القدوة والوسط الذي يسمح بتقليد القدوة ويشجع على الأسوة بها . فالقدوة المنظورة الملموسة هي التي تعلق بالمشاعر ، ولا تتركها تهبط إلى القاع وتسكن بلا حراك .

وحين توجد القدوة الصحيحة فإن الموعظة تكون ذات أثر بالغ في النفس ، وتصبح دافعاً من أعظم الدوافع في تربية النفوس . .

ثم إنها من جانب آخر ضرورة لازمة . . ففي النفس دوافع فطرية في حاجة دائمة للتوجيه والتهذيب ، ولا بد في هذا من الموعظة ؛ فقد لا يلتقط الانسان القدوة الصالحة ، او قد لا تكفيه بمفردها .

والانسان الكبير كالطفل الصغير في حاجة دائمة إلى المواعظ ، فقد لا يلتقط القدوة الصالحة ، او قد لا تكفي وحدها للتقويم .

فقد يعدل الحاكم ويظلم المحكومون ، ويسمو القائد ويسفل الشعب ! مدفوعين بما ركب في طبيعة الانسان من ضعف واتباع للشهوات .

لا بد حينئذ من الموعظة !

والقرآن مليء بالمواعظ والتوجيهات :

﴿ إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به ﴾ [سورة النساء : ٥٨] .

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربي والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً ﴾ [النساء : ٣٦] .

﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم * ووصينا الإنسان بوالديه حملته امه وهناً على وهن وفصاله في عامين ان اشكر لي ولوالديك إليّ المصير * وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات او في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير * يا بني اقم الصلاة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور * ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور * واقصد في مشيك واغضض من صوتك ان انكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ [سورة لقمان : ١٣ - ١٩] .

أسلوب الثواب والجزاء

حين لا تفلح القدوة ولا تفلح الموعظة . فلا بد إذن من علاج حاسم يضع الأمور في وضعها الصحيح .

والعلاج الحاسم هو العقوبة[١] .

(١) التربية بالعقوبة يكملها ويقابلها التربية بالمثوبة ، وقد تحدثنا عنهما هناك في الخطوط المتقابلة ولكنا رأينا أن نفرد هنا كلمة خاصة بالعقوبة لأهميتها بعد القدوة والموعظة .

وبعض اتجاهات التربية الحديثة تنفر من العقوبة وتكره ذكرها على اللسان وتبين ان العقوبة ليست ضرورية لكل شخص . فقد يستغني شخص بالقدوة وبالموعظة فلا يحتاج في حياته كلها إلى عقاب . . ولكن الناس كلهم ليسوا كذلك بلا ريب ففيهم من يحتاج إلى الشدة مرة او مرات .

وليست العقوبة اول خاطر يخطر على قلب المربي ولا اقرب سبيل ؛ فالموعظة هي المقدمة ، والدعوة إلى عمل الخير ، والصبر الطويل على انحراف النفوس لعلها تستجيب .

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين * ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ [سورة فصلت : ٣٣ - ٣٤] .

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [سورة النحل : ١٢٥] .

﴿ واصبر على ما يقولون ﴾ [سورة المزمل : ١٠] .

وللموعظة وسائل مختلفة لا وسيلة واحدة ، والقرآن مليء باللمسات الدقيقة اللطيفة الموحية المؤثرة التي تهز الوجدان وتؤثر فيه بكل وسائل التأثير .

ولكن الواقع المشهود ان هناك أناساً لا يصلح معهم ذلك كله ، او يزدادون انحرافاً كلما زيد لهم في الوعظ والارشاد !

وليس من الحكمة ان نتجاهل وجود هؤلاء او نتصنع الرقة الزائدة فنستنكر الشدة عليهم !

ان التربية الرقيقة اللطيفة الحانية كثيراً ما تفلح في تربية الأطفال على استقامة ونظافة واستواء . ولكن التربية التي تزيد في الرقة واللطف والحنو تكون ضرراً بالغاً لأنها تنشىء كياناً ليس له قوام .

ومن هنا كان لا بد من « شيء » من الحزم في تربية الأطفال وتربية الكبار لصالحهم هم انفسهم قبل صالح الآخرين .

ومن الحزم استخدام العقوبة او التهديد باستخدامها في بعض الأحيان . والاسلام يتبع وسائل التربية فلا يترك منفذاً في النفس لا يصل إليه . إنه يستخدم القدوة والموعظة ، والترغيب والثواب . . ولكنه كذلك يتسخدم التخويف والترهيب بجميع درجاته من أول التهديد إلى التنفيذ .

فهو مرة يهدد بعدم رضاء الله . . وذلك أيسر التهديد وان كان له فعله الشديد في نفوس المؤمنين :

﴿ ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ [سورة الحديد : ١٦] .

ومرة يهدد بغضب الله صراحة (كما جاء في حديث الأفك) وتلك درجة اشد :

﴿ ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم * اذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم * ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم * يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابداً إن كنتم مؤمنين ﴾ [سورة النور : ١٤ - ١٧] .

ومرة يهدد بحرب الله ورسوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٨ - ٢٧٩] .

ومرة يهدد بعقاب الآخرة :

﴿ والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا ﴾ [سورة الفرقان : ٦٨ - ٦٩] .

ثم يهدد بالعقاب في الدنيا :

﴿ الا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ﴾ [سورة التوبة : ٣٩] .

﴿ وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ [سورة الفتح : ١٦] .

﴿ وإن يتولوا يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة ﴾ [سورة التوبة : ٧٤] .

﴿ إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴾ [سورة التوبة : ٥٥] .

ثم يوقع العقاب !

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ [سورة النور : ٢] .

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا ﴾ [سورة المائدة : ٣٨] .

درجات متفاوتة لدرجات من الناس ! فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه ، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف ، ومنهم من لا يردعه إلّا الغضب الجاهر الصريح ، ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ ، ومنهم من لا بد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه ، ومنهم بعد ذلك فريق لا بد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكي يستقيم !

أسلوب الحب والكره

والإسلام يدعو للحب ، انه يريد للناس ان يحبوا وان يكرهوا . . لأن هذه فطرتهم . ولكن الحب على إطلاقه والكره على اطلاقه يدمران النفس ويبددان طاقتها ويوزعانها ، ويستعبدانها فلا تملك الخلاص ! وحين ينقلب الحب والكره إلى شهوة لا ضابط لها فإنها لا تصطدم بالآخرين فحسب ، بل يتصادم بعضها ببعض داخل النفس وتؤدي إلى البوار .

من أجل ذلك يضع الإسلام « ضوابط » دقيقة للحب والكره ؛ ضوابط تتصل بالروح ، وضوابط تتصل بالعقل ، وجميعها يتصل بالله . والحب درجات فهناك حب الله الذي يعتبر الحب الأسمى للإنسان .

فالله هو الواهب المنعم الذي وهب الحياة للانسان ، ووهب كل ما يملك من طاقات ومزايا وصفات ؛ مما تبينه الآيات التالية :

﴿ خلق السماوات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم ﴾ [سورة التغابن : ٣] .

﴿ الرحمن * علَّم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان * [سورة الرحمٰن : ١ - ٤] .

﴿ سبح اسم ربك الأعلى * الذي خلق فسوى﴾ [سورة الأعلى : ١ - ٢].

﴿ وقد خلقتك من قبل ولم تكُ شيئاً ﴾ [سورة مريم : ١] .

﴿ يَا أَيُّها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم * الذي خلقك فسواك فعدلك ﴾ [سورة الانفطار : ٦ - ٧] .

﴿ الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ﴾ [سورة الروم : ٥٤] .

﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ [سورة الصافات : ٩٦] .

﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مِمَّن خلقنا تفضيلاً ﴾ [سورة الإسراء : ٧٠] .

﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [سورة التين : ٤].

﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ [السجدة : ٧].

﴿ ألم نجعل له عينين * ولساناً وشفتين * وهديناه النجدين ﴾ [البلد ٨ - ١٠] .

والله هو الذي يسر للإنسان الحياة على سطح هذا الكوكب ، ووهب له كل « الإمكانات » اللازمة له ، والمساعدات التي تجعل الحياة ممكنة وميسرة وجميلة .

﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ﴾ [سورة البقرة : ٢٩] .

﴿ ألم تر أن الله سخَّر لكم ما في الأرض والفلك تجري في البحر بأمره ويُمسك السماء أن تقع على الأرض إلاَّ بإذنه إن الله بالناس لرؤوفٌ رحيم ﴾ [سورة الحج : ٦٥] .

﴿ وسخّر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه ﴾ [سورة الجاثية : ١٣] .

﴿ الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ﴾ [الأنعام : ١] .

﴿ والله جعل لكم مما خلق ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً ﴾ [سورة النحل : ٨١] .

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾ [سورة الروم : ٢١] .

﴿ والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ﴾ [سورة الزخرف : ١٢) .

﴿ أوَلَم يروا أنّا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالِكون * وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون * ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾ [يّس : ٧١ - ٧٣] .

﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين * ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون * وأوحىٰ ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبالِ بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون * ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ [النحل : ٦٦ - ٦٩] .

والله بعد ذلك بعباده رؤوف رحيم . ولا يكلفهم فوق طاقتهم ، ويريد لهم الخير :

﴿ هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ [سورة الحج : ٧٨] .

﴿ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ [سورة البقرة : ١٨٥] .

﴿ لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] .

ثم هو ـ رغم ذلك ـ يغفر للمسيئين والمخطئين ما داموا لا يصرون على الإثم :

﴿ والله يحب المحسنين * والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلَّا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون* أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٤ ، ١٣٦] .

﴿ إلَّا من تابَ وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [سورة الفرقان : ٧٠] .

﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ [الزمر : ٥٣] .

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [سورة النساء : ٤٨] .

فمن أولى من الله بالحب ؟ الله المنعم الوهاب . الغفور التواب .

***

ويأتي بعد ذلك حب ما خلق الله بالإسلام .

يعقد صداقة قوية بين الكون والإنسان ، صداقة الإخوة في الصدور عن الله وصداقة العبادة وصداقة العبادة المشتركة والتسبيح المشترك لله ، وصداقة الإحساس بتسخير الكون لمنفعة الإنسان .

ثم الحب للكائنات الحية التي تشارك الإنسان سكنى الأرض من بني الإنسان .

إن الناس الذين خلقهم الله من نفس واحدة ، لا بد أن يكونوا أحبَّة . . فهم أخوة . . أخوة في الخلقة وأخوة في الرحم ، وأخوة في الحياة على سطح هذا الكوكب ، وأخوة في المصالح المشتركة ، وأخوة في المنشأ والمصير .

والقرآن يذكر بهذه الأخوة ، ويحققها على الناس ، في صور جميلة أخّاذة تهز الوجدان :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام ﴾ [النساء : ١] .

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته أخوانا ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٣] .

﴿ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [سورة الحشر : ٩] .

﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ [سورة الحجرات : ١١] .

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه ﴾ [سورة الحجرات : ١٢] .

﴿ ولا تنسوا الفضل بينكم ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٧] .

وأحاديث الرسول الكريم في ذلك الباب كثيرة ، جميلة شفيفة :

« لا يؤمن أحدكم حتى يُحب لأخيه ما يحب لنفسه » (رواه البخاري) .

« وتبسمك في وجه أخيك صدقة » (رواه ابن حبان والبيهقي) .

« وتلقي السلام على من عرفت ومن لم تعرف » (رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجة) .

« إن من عباد الله عباداً ليسوا بأنبياء يغبطهم الأنبياء والشهداء . قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : هم قوم تحابوا بنور الله من غير أرحام ولا أنساب ، وجوههم نور ، على منابر من نور . لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس . ثم قرأ : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾[1] » (رواه النسائي وابن حبان) .

وهي كلها توجيهات إلى الحب الصافي الرائق الذي يليق بالأخوة البررة الكرام . . .

---

(١) سورة يونس : ٦٢ .

وحين يدعو القرآن الكريم إلى تزكية هذه الألوان من الحب فإنه يعمل في الوقت نفسه على خلق التوازن بينَ حب الإنسان لنفسه وحبه لما ذكرنا فيضع حبه في وضعه الصحيح ، الذي لا يظلم به ولا يجور ولا يغتصب لنفسه حقاً من حقوق الآخرين .

أما الكره فيوجهه إلى قوى الشر في الأرض .

إنه لا يجوز للإنسان أن يكره الله سبحانه ، أو يكره رسوله ، أو أيّاً من ملائكته ورسله ، ولا يجوز له أن يكره الكون ، ولا الحياة ، ولا بني الإنسان . ولكن عليه أن يستخدم طاقة الكره الفطرية في كراهية الشر بجميع صوره وجميع ألوانه ، وحيثما كان . . .

الظلم بجميع ألوانه شر ينبغي أن يكره وأن يقاوم :

« يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا» (حديث قدسي أخرجه مسلم) .

والعدوان شر ينبغي أن يكره وأن يقاوم :

﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ [سورة البقرة : ١٩٤] .

﴿ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ﴾ [سورة البقرة : ١٧٩] .

والاعتداء على الضعفاء في الجماعة شر ينبغي أن يكره وأن يقاوم :

﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيرا ﴾ [سورة النساء : ٧٥] .

وقبول الاعتداء على النفس يسميه القرآن ظلماً للنفس ويتوعد من يقبله ، ويدعو إلى مقاومته :

﴿ إن الذين توفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين

في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً * إلاَّ المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً * فأولئك عسىٰ الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً ﴾ [سورة النساء : ٩٧ ، ٩٩] .

وفتنة الناس عن دينهم شر ينبغي أن يكره وأن يقاوم :

﴿ والفتنة أشد من القتل ﴾ [سورة البقرة : ١٩١] . ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ [سورة البقرة : ١٩٣] .

والإفساد في الأرض ومحاربة الله ورسوله ، والصد عن سبيله شر ينبغي أن يكره وأن يقاوم :

﴿ إنَّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ﴾ [سورة المائدة : ٣٣] .

والفواحش ما ظهر منها وما بطن شر ينبغي أن يكره وأن يقاوم :

﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾ [سورة النور : ٢] . ﴿ إنَّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ﴾ [سورة النور : ١٩] .

وكل انحراف عن سبيل الله شر ينبغي أن يكره وأن يقاوم :

« من رأي منكم منكراً فليغيره بيده ، فمن لم يستطيع فبلسانه ، فمن لم يستطع فبقلبه وهو أضعف الإيمان » (حديث متفق عليه) .

وجماع الشر كله هو الشيطان . . هو الذي يتمثل فيه الشر كله ، وهو الذي يدعو إلى كل شر ، ومن ثمَّ ينبغي أن توجه له طاقة الكره كاملة ، وتعلن عليه حرب لا هوادة فيها ولا تسليم :

﴿ ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدوٌ مبين * وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ولقد أضلَّ منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون ﴾ [سورة يس : ٦٠ ، ٦٢] .

والمؤمن بكل طاقاته يجند حياته كلها لدفع هذا الشر ومحاولة التغلب عليه . . . وبذلك يتوازن الحب والكره . . ويصدر عن كل وتر منهما نغمه الصحيح .

أسلوب التعاون :

يقول الله تعالى :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [سورة المائدة : ٢] .

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٣] .

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ﴾ [سورة التوبة : ٧١] .

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] .

﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ [سورة الشورى : ٣٨] .

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] .

﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾ [سورة المجادلة : ٢٢] .

﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ [سورة الأنفال : ٢٥] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ [سورة التوبة : ١٢٣] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ﴾ [سورة محمد : ٧] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾ [سورة الحجرات : ٦] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ [سورة الصف : ١٠ - ١١] .

هذا بالإضافة إلى أن طبيعة الإسلام ذاتها تقتضي وجود جماعة متكافلة تقوم بالتكاليف الجماعية . كما ان التصور الإسلامي والفضائل الإسلامية تحتاج إلى جماعة ، إلى وسط تحيا فيه فتنمو ، إلى محضن يتلقف الأجيال الناشئة فينشئها على تلك الفضائل ويطبعها على ذلك التصور . وتلك كلها مهام لا يقوم بها الأفراد متفرقين ، وإلا ضاع جهدهم بددا ولم يثمر ثماره المرجوة ، وإنما تقوم بها الجماعة مجتمعة فتصبح المهمة أيسر والثمرة اقرب إلى المنال .

وهكذا تتحد الجماعة في الهدف وتتحد في العمل ، فتلتقي قلوبهم وتتعاون ، وترتبط كلها بالله في النهاية ، فلا يقوم بينها الشقاق والخصام ، وتلتقي النزعة الفردية والنزعة الجماعية كلتاهما في نظام !

أسلوب البعد عن الخوف والعمل على خلق الأمل والرجاء

إن اليأس والرجاء بقوتهما وتشابكهما واختلاطهما بالكيان البشري ، يوجهان في الواقع اتجاه الحياة ، ويحددان للإنسان أهدافه وسلوكه ، ومشاعره وأفكاره ، فعلى قدر ما يخاف ، ونوع ما يخاف . . وعلى قدر ما يرجو ، ونوع ما يرجو . . يتخذ لنفسه منهج حياته ، ويوفق بين سلوكه وبين ما يرجو وما يخاف .

الذي يخاف الموت . . لا يقدم ، والذي يخاف الفقر يجعل همه المال ، والذي يخاف السلطان يتحاشى كل عمل يعرضه للصدام ، والذي يخاف الآلام أو

الهزيمة يفر من المعركة . . معركة الحياة الكبرى ، وينحسر بنفسه عن المغالبة والاقتحام .

يقدم القرآن الكريم آيات بينات تباعد بين الإنسان وما يتهدد حياته أو رزقه أو مصيره . وبهذه الآيات يبث الله تبارك وتعالى الأمن والطمأنينة لعباده ومن أمثال هذه الآيات قوله تعالى :

﴿ انا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير ﴾ [ق : ٤٣] .

﴿ ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ﴾ [المنافقون : ١١] .

﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ [آل عمران : ١٨٥] .

والحذر لا يجدي ولا يغير شيئاً من واقع الأمر :

﴿ أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ [النساء : ٧٨] .

﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

وإذن فالخوف من الموت لا يجوز أن يكون . إنها نغمة نشاز تصدر عن وتر الخوف حين يتوتر أكثر مما ينبغي ، ويوشك أن ينقطع من شدة الايقاع !

والخوف على الرزق كذلك !

﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ [يونس : ٣١] .

﴿ قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله ﴾ [سبأ : ٢٤] .

﴿ هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض ﴾ [فاطر : ٣] .

﴿ أم من هذا الذي يرزقكم ان امسك رزقه ﴾ [الملك : ٢١] .

﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ [الرعد : ٢٦] .

﴿ أوَلَمْ يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ [الروم : ٣٧].

﴿ إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

﴿ وفي السماء رزقكم وما توعدون ﴾ [الذاريات : ٢٢] .

﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقهـا الله يرزقها وإياكم ﴾ [العنكبوت : ٦٠] .

﴿ وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين ﴾ [الحجر : ٢٠] .

﴿ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

وكذلك الخوف من أذى الناس ومن أي ضرر توقعه بالإنسان قوى الأرض :

﴿ قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ﴾ [الأعراف : ١٨٨] .

﴿ قـل لن يصيبنـا إلا مـا كتب الله لنـا هـو مـولانـا وعلى الله فليتـوكـل المؤمنون ﴾ [التوبة : ٥١] .

﴿ وان تصبهم حسنة يقـولـوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله ﴾ [النساء : ٧٨] .

﴿ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً ﴾ [المائدة : ٧٦] .

﴿ قل أرأيتم ان أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به ﴾ [الأنعام : ٤٦] .

﴿ قـل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين * قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون ﴾ [الأنعام : ٦٣ـ ٦٤] .

﴿ أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الـرحمن بضر لا تغن عني شفـاعتهم شيئاً ولا ينقذون ﴾ [يس : ٢٣] .

﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسـك لهـا وما يمسك فلا مرسل له من بعـده وهـو العزيز الحكيم ﴾ [فاطر : ٢] .

﴿ ان ينصركم الله فلا غـالب لكـم وان يخـذلكم فمن ذا الـذي ينصركم من بعده ؟ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

وكذلك الخوف من النتائج المجهولة المبنية على حاضر معلوم :

﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم ﴾ [البقرة : ٢١٦] .
﴿ فعسى ان تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ [النساء : ١٩] .
﴿ وما تدري نفس ماذا تكسب غداً ﴾ [لقمان : ٣٤] .
﴿ لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً ﴾ [الطلاق : ١] .

وهكذا يتناول القرآن كل المخاوف البشرية الزائفة واحداً واحداً فينقضها عن النفس ، ويرفع عنها اصرها ، ليطلقها تواجه الحياة قوية عزيزة متمكنة متطلعة ، مطمئنة إلى قدر الله .

ان قوى الأرض كلها لا تخيف ـ أو لا ينبغي أن تخيف ـ لأنها قوى مسخرة ؛ لا تستمد من نفسها ، ولا تملك لنفسها ضراً ولا نفعاً ، والقوة التي ينبغي أن تخاف حقاً هي القوة التي بيدها كل شيء ، هي المانحة حقاً والمانعة حقاً ، وإذن فخوفها هو الخوف الواجب ، وخشيتها هي السبيل

الخوف ينبغي أن يكون من الله ، ومما يخوف به الله .

﴿ إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين ﴾ [سورة آل عمران : ١٧٥] .

﴿ أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ [سورة الزمر : ٣٦] .

﴿قل اني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ [سورة الأنعام : ١٥] .
﴿ ليعلم الله من يخافه بالغيب ﴾ [سورة المائدة : ٩٤] .
﴿ وانذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴾ [سورة الانعام : ٥١] .
﴿ يخافون يوماً تتقلّب فيه القلوب والأبصار ﴾ [سورة النور : ٣٧] .
﴿ يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾ [سورة الإنسان : ٧] .
﴿ انا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً ﴾ [سورة الإنسان : ١٠] .

أما هذا اليوم الذي كان شره مستطيراً ـ وهو أخوف ما يخافه القلب المؤمن

المستوي على النهج - فهو من أوسع أبواب التخويف في القرآن ، والآيات التي تذكر عذاب الآخرة كثيرة مثبتة في تضاعيف القرآن لا تحتاج إلى بيان ، ولكن نشير فقط إلى حقيقة بارزة فيها ، هي أنها تشمل جميع أنواع الخوف وكذلك جميع المستويات !

ولقد يغلب على الظن أن العذاب الحس هو أداة التخويف الوحيدة في القرآن :

﴿ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾ [سورة النساء : ٥٦] .

﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ [سورة البقرة : ٢٤] .

﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم * انا جعلناها فتنة للظالمين * انها شجرة تخرج في أصل الجحيم * طلعها كأنه رؤوس الشياطين * فإنهم لآكلون منها فمالئون منها البطون * ثم ان لهم عليها لشوباً من حميم * ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم ﴾ [سورة الصافات : ٦٢ - ٦٨] .

﴿ خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه * ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه * إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين * فليس له اليوم ها هنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون ﴾ [سورة الحاقة : ٣٠ - ٣٧] .

ولكن الحق أن أدوات التخويف شتى ، وأنغامه متعددة .

فهو تارة يمزج العذاب الحسي بالعذاب المعنوي مع تغليب الحسي :

﴿ فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم * يصهر به ما في بطونهم والجلود * ولهم مقامع من حديد * كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق ﴾ [سورة الحج : ١٩ - ٢٢] .

فهنا وصف مفزع لشدة العذاب ، حسي كله إلا في كلمة « غم » فهي هنا تلقي ظلال العذاب النفسي بجانب العذاب الجسدي الفظيع .

وتارة يمزج الحسي بالمعنوي على سواء .

﴿ فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون

إلى أشد العذاب ﴾ [سورة البقرة : ٨٥] .

فهنا يجعل الخزي في الدنيا ،وهو مما يخافه القلب البشري ، لوناً معجلاً من العذاب يضاف إلى عذاب يوم القيامة . والخزي هنا من الله ، ومن ثم فهو مخوف حقاً ومرعب حقاً ، لأنه خزي من السلطة الحقيقية التي تملك كل شيء .

وتارة يغلب العذاب المعنوي :

﴿ نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة ﴾ [سورة الهمزة : ٦ - ٧] . فليس الوجه البارز للنار هنا هو عذابها الحسي ، وإنما هو اطلاعها على الافئدة ، وما يحدثه ذلك من رهبة في القلب ، حين تفتح النار عيونها ، وترسلها من خلال النفس لتطلع على الأسرار !

وتارة هو عذاب معنوي خالص :

﴿ يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾ [سورة الانفطار : ١٩] .

﴿ يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ [سورة عبس : ٣٤ - ٣٧] .

﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم * يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ [سورة الحج : ١ - ٢] .

فالهول هنا كله نفسي بحت ، تتذاوب تحته النفس وتنسحق سحقاً دون ذكر لعذاب الاجسام .

وكذلك :

﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ [سورة المعارج : ٤٣ - ٤٤] .

﴿ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون * ويل يومئذ للمكذبين ﴾ [سورة المرسلات : ٣٥ - ٣٧] .

فالخزي المعنوي هنا هو العذاب . .

وكذلك يرتفع العذاب في بعض المواضع إلى قمة المعنويات حيث يقول تعالى في سورة البقرة (١٧٤) :

﴿ ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ﴾ .

أو يقول في سورة آل عمران (٧٧) : ﴿ ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ﴾ . .

وهكذا يشمل جميع الدرجات وجميع المستويات !

ان الناس ليسوا كلهم سواسية في تركيبهم النفسي ؛ منهم الحسيون الذين يأخذون الحياة عن طريق الحس والحواس ، وهؤلاء هم أغلبية البشرية ! ومنهم قلة ترتفع عن ذلك المستوى ، فتهمها المواقف النفسية والحالات المعنوية وتؤثر فيها ، بل الشخص الواحد يكون حسياً تارة ومعنوياً تارة أخرى حسب تقلبات مزاجه وتقلبات ظروفه . ومن ثم يوقع الإسلام على وتر الخوف جميع الأنغام وجميع المستويات ، ليشمل الناس كلهم من جهة ، ويشمل كل واحد في جميع حالاته من جهة أخرى ، ولا يدع فرصة واحدة تفلت ولا شخصاً واحداً لا يوقع على أوتار نفسه بالنغم الذي يناسبه وبالقدر الذي يطيق !

* * *

والرجاء كذلك . . . يستخدم الإسلام معه المنهج ذاته ليصل إلى التقويم المرغوب .

يبدأ أولاً بتحويل الرجاء عن الآمال الكاذبة والقيم الزائفة ، ليوجهه بعد ذلك إلى القيم الحقيقية وإلى الطريق الصحيح .

يرجو البشر كثيراً من ألوان النعيم في الأرض . المال والبنين والشهوات والجاه والعزة والسلطان والقوة . . إلى آخر أنواع المتاع الجسدي والنفسي . والإسلام ـ كما قلنا في الفصل السابق ـ لا يحرم المتاع النظيف ولا يدعو إلى الرهبنة والانصراف عن شؤون الأرض ، بل يدعو إلى ذلك المتاع دعوة صريحة ويستنكر تحريمه : ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي

للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾ [سورة الأعـراف : ٣٢] . ولكنه مع ذلك لا يجب للناس أن يوغلوا في طريق الشهوات فتفتنهم عن القيم الحقيقية الباقية الخالدة حين يزول متاع الأرض القريب . ومن هنا يكرر في مواضع كثيرة أنه لا يحرم طيبات الأرض ولا يستنكرها ، ولكن « الباقيات الصالحات خير وأبقى » .

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ● قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد ﴾ [سورة آل عمران : ١٤ ـ ١٥] .

﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخيرٌ أملاً ﴾ [سورة الكهف : ٤٦] .

﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ﴾ [سورة الكهف : ٢٨] .

﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ﴾ [سورة النساء : ٧٧] .

﴿ وان الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴾ [سورة العنكبوت : ٦٤] .

﴿ وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ﴾ [سورة الزخرف : ٣٥] .

انه يوجه القلب البشري ـ مع الاستمتاع بطيبات الأرض وتعميرها والمشي في مناكبها ابتغاء الرزق ـ ألا تفتنه هذه المتع الأرضية ولا تستغرق كيانه ، ويوجهه أن يرجو ـ في الدنيا والآخرة ـ وجه الله ، ويتطلع إلى مثوبته ورضاه .

وكان عذاب الآخرة أوسع أبواب التخويف ، فكذلك نعيم الآخرة أوسع أبواب الرجاء .

وما قيل عن العذاب هناك يقال هنا عن النعيم .

ان المتبادر إلى الذهن أن النعيم الحسي هو صورة الجنة الأخروية التي وعد الله بها المتقين :

﴿ على سرر موضونة * متكئين عليها متقابلين * يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون * وفاكهة مما يتخيرون * ولحم طير مما يشتهون * وحور عين * كأمثال اللؤلؤ المكنون * جزاء بما كانوا يعملون ﴾ [سورة الواقعة : ١٥ - ٢٤] .

ولكن على الرغم من تكرار الوصف الحسي في مشاهد النعيم ، فانه يندر أن يجيء وحده ، ويغلب أن يمتزج النعيم الحسي بالنعيم المعنوي في كل مشهد فحتى الآيات السابقة ، وهي أشد مشاهد النعيم حسية في القرآن كله تقريباً يجيء بعدها :

﴿ جزاء بما كانوا يعملون * لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً * إلا قيلاً سلاماً سلاماً ﴾[1] . فينتهي النعيم الحسي بذلك الجو المطهر الذي لا لغو فيه ولا تأثيم ، والذي يشمل النفوس فيه سلام يتردد صداه في جنبات الجنان .

وثمت كثير من الوان النعيم المعنوي تجيء متناثرة في سور القرآن ، اما وحدها واما ممتزجة بالنعيم الحسي كما رأينا في المثال السابق .

﴿ ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير * وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد ﴾ [سورة الحج : ٢٣ ، ٢٤] .

﴿ ان الابرار لفي نعيم * على الأرائك ينظرون * تعرف في وجوههم نضرة النعيم ﴾ [سورة المطففين : ٢٢ - ٢٤] .

﴿ وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية * لا تسمع فيها لاغية * فيها عين جارية * فيها سرر مرفوعة * وأكواب موضوعة * ونمارق مصفوفة * وزرابي مبثوثة ﴾ [سورة الغاشية : ٨ - ١٦] .

﴿ وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة ﴾ [سورة عبس : ٣٨ - ٣٩] .

﴿ يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية * فادخلي في

---

(١) سورة الواقعة : ٢٤ - ٢٦ .

عبادي * وادخلي جنتي﴾ [سورة الفجر : ٢٧ - ٣٠] .

وشبيه بذلك في سورة مريم (٩٦) : ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً ﴾ .

فهنا يرتفع النعيم ويلطف ويشف حتى يصبح ﴿ وداً ﴾ من الله لعباده وذلك أروع المتاع .

ان الناس كما قلنا صنوف شتى ، ومستويات شتى ؛ فيهم من يأخذ الحياة حساً ، ومن يأخذها معنى . وكل بشر إلى جانب ذلك تعتريه هذه الحالة وتلك ، أو يمزج بينهما في اللحظة الواحدة . ومن ثم جاء التوقيع القرآني أنغاماً شتى على ذلك الوتر الواحد ، تشمل الحسيات والمعنويات جميعاً . كما أن وصف القرآن للنعيم الحسي يعطيه طعماً خاصاً حبيباً حتى للذين لا يحفلون كثيراً بعالم الحس !

* * *

من هذين الوترين المتقابلين المتجاورين يمسك القرآن بزمام النفس البشرية ، فيعدها ويمنيها ، ويخوفها ويرهبها . . وفيما بين ذلك يغرس فيها كل البذور الصالحة التي يقصد إلى غرسها في قرارة النفوس .

انه يربط بهذين الخطين - المعروفين في اصطلاح المؤلفين المسلمين باسم الترغيب والترهيب - يربط بهما كل نشاط البشرية .

فالقرآن يربط توجيهاته كلها ، وأوامره ونواهيه بهذا الخط أو ذاك ، أو بهما مجتمعين ، ويكرر ذلك تكراراً حتى تتلازم في أعماق النفس ، ويصبح هذا التلازم قوة شعورية ولا شعورية توجه إلى الخير وتبعد عن الشر :

﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً * خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً ﴾ [سورة الكهف : ١٠٧ ، ١٠٨] .

﴿ الذين آمنوا وكانوا يتقون * لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾ [سورة يونس ، ٦٣ ، ٦٤] .

﴿ الَّذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم * ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ابائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم * وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذٍ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ﴾ [غافر . ٧ ـ ٩] .

ثم تجيء الآيات الأخرى تفصل هذا الإيمان والعمل الصالح ، فتبين « مفرداته » المتعددة .

﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذابٍ أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم ﴾ [سورة الصف : ١٠ ـ ١٢] .

﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرنَّ عنهم سيئاتهم ولأدخلنَّهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٥] .

﴿ ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾ [سورة آل عمران : ١٦٩ ، ١٧١] .

﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ [سورة التوبة : ٢٤] .

﴿ وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم

ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم ﴾ [سورة التوبة : ٦٨] .

﴿ والذين لا يدعون مع الله إلّهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلّد فيه مهاناً * إلاَّ من تابَ وآمن وعمل صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [سورة الفرقان : ٦٨ ، ٧٠] .

﴿ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا مَنّاً ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [سورة البقرة : ٢٦٢] .

﴿ الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاَّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنَّما البيع مثل الربا وأحلَّ الله البيع وحرَّم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ [سورة البقرة : ٢٧٥] .

﴿ ويلٌ لكل همزة لمزة * الذي جمع مالاً وعدده * يحسب أن ماله أخلده * كلا لينبذنَّ في الحطمة * وما أدراك ما الحطمة * نار الله الموقدة * التي تطلع على الأفئدة * إنها عليهم مؤصدة * في عمد ممددة ﴾ [سورة الهمزة : ١ - ٩] .

﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتّقين * الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٣ - ١٣٤] .

وهكذا يوقع الإسلام على هذين الوترين المتقابلين جميع أنغام الخوف والرجاء التي يمكن أن تعرض لحياة البشر على الأرض . ويصل من ذلك التوقيع المنوع النغمات المتجدد الألحان إلى تحرير النفس من الخوف الأرضي والتعلق بمتاع الأرض الزائل ، وإطلاق البشرية عاملة في سبيل الخير ، في كل ميدان من ميادين العمل : في السياسة والاجتماع والاقتصاد ، وعمارة الأرض ، على أسس من نظافة الخلق ونظافة الضمير ، ابتغاء مرضاة الله ، وفراراً من عذاب الله ، كما يصل إلى تهذيب الضمير البشري وإرهافه إلى الدرجة التي ينتفض فيها صاحياً لأقل لمسة وأبسط

توجيه ، حتى يكفي أن يظن أن ذلك يـرضي الله فيعمله ، ويكفي أن يـظن أن ذلك يغضب الله فيبتعد عنه . وكذلك كان المسلمون الأوائل الذين رباهم القرآن ؛ وصلت حساسيتهم المرهفة ـ واطمئنانهم مع ذلك إلى الله ـ إلى حد كانوا يعيشون فيه مع الله نهارهم وليلهم ، لا ينصرفون عنه في عمل أو راحة ، وكانوا بذلك كما حدَّث عنهم خالقهم : ﴿ كنتم خير أمةٍ أخرجت للنـاس تـأمرون بالمعـروف وتنهون عن المنكـر وتؤمنون بالله ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

أسلوب تفريغ الطاقة

ويعمل القرآن الكريم على تفريغ الطاقـة في النفس الإنسانيـة ؛ وبذلـك يقي النفس من كثير من أنواع الانحـراف المعروفـة في علم النفس ، فلا تنشـأ فيها تلك العقد المدمرة والاضطرابات التي تبدد طاقتها ، ويعالجها كـذلك بنفس الـطريقة إذا حدث ـ لسبب من الأسباب ـ أن أصيبت بذلك الانحراف . ولا شيء يعالـج النفس أكثر من إطلاق شحنتهـا في عمل إيجـابي يحقق كيان الإنسـان ، ويحقق إحساسه بذاتيته ، ويفرغ كذلك الإفرازات المختزنة التي تسبب المرض والاضطراب .

وكذلك تفريغ طاقة الحب في حب الله والكون والناس والأحياء والخير بـوجه عام ، إنه يؤدِّي الأهداف السابقة ذاتها ؛ فطاقة الحب ـ ذلك الإفراز البشري ـ قمينة إذا لم تفـرغ شحنتها أولاً بـأول ، أو لم تفرغهـا في منصرفهـا الـطبيعي ، أن تفسـد وتتحول إلى طاقة سامة مدمرة لكيان الإنسان ! ذلك حين يحـول الإنسـان كـل طاقـة الحب مثلاً إلى نفسه . . إلى ذاته . . إلى عشق الذات وعبادتها لأنها مختزنة لا تجد طريقها إلى خارج النفس ، أو يحولها إلى معشوقات صغيرة في عالم الحس من طعام وشراب وجنس ولذائذ لأنها لا تجد طريقها الصحيح ، أو يحولها إلى حب الفاسد من الناس والأفكار والأشياء

بينمـا يضمن الإنسان حين يفـرغها أولاً بـأول ، وفي منصرفهـا الصحيح ، أن تتحول إلى ثمرة جنية في داخل النفس وفي واقع الحياة تنصـرف في سبيل الخيـر ، وتعطي الإنسان كياناً إيجابيا فاعلاً ، وتحقق غاية الله من خلق الإنسان .

وعلى هذا النحو ذاته يفرغ الإسلام الطاقة الحيوية في الجهاد والزرع والإنتاج

والتعمير . . . تفريغاً بنائياً إنشائياً ، يهدم الباطل ويزيل ما يخلفه من أنقاض ، ويبني في مكانه الحق والعدل ، ويعالج بذلك بناء النفس فلا تنحرف ولا يصيبها اضطراب .

أسلوب شَغْل الإنسان بما ينفع الناس

كما يفرغ الإسلام طاقة الجسم والنفس كلما تجمعت ، ولا يختزنها دون ضرورة ، فإنه في الوقت ذاته يكره الفراغ !

إن الفراغ مفسد للنفس إفساد الطاقة المختزنة بلا ضرورة ، وأولى مفاسد الفراغ هو تبديد الطاقة الحيوية . . . لملء الفراغ ! ثم التعود على العادات الضارة التي يقوم بها الإنسان لملء هذا الفراغ .

والإسلام حريص على « شغل » الإنسان شغلاً كاملاً منذ يقظته إلى منامه ، بحيث لا يجد الفراغ الذي يشكو منه ، ويحتاج في ملئه إلى تبديد الطاقة أو الانحراف بها عن نهجها الأصيل .

وليس معنى ذلك هو استنفاد المخلوق البشري واستهلاكه . . فليس ذلك قط من أهداف الإسلام الذي يدعو إلى استمتاع الإنسان بالطيبات وتذكر نصيبه من الحياة الدنيا .

وليست المشغلة كلها ! جهاداً واستنفاداً للطاقة ، فإن منها شفافية العبادة ، ومنها ذكر الله في القلب، ومنها غفوة الظهيرة في الهاجرة، ومنها السمر البريء مع الأهل والأصحاب ، ومنها التزاور ، ومنها الدعابة اللطيفة النظيفة . . إلى اخر أنواع الترويح .

ولكن المهم ألّا يوجد في حياة إنسان فراغ لا يشغله شيء ، أو فراغ يشغله الشر والفساد والتفاهة . وحين ألغى الإسلام عادات الجاهلية وأعيادها ومواسمها وطرائق حياتها ، لم يترك ذلك فراغاً يتحيز المسلمون في ملئه ، أو يملئونه دون شعور منهم فيما لا يفيد ، بل جعل لهم في الحال عادات أخرى وأعياداً ومواسم وطرائق حياة تملأ الفراغ . كانوا يجتمعون على موائد الخمر والميسر أو لعبادة الأوثان أو لسماع الشعر الضال الذي لا يعبر عن هدف إنساني ، فجمعهم على عباة الله يؤدّون الصلاة

جماعة ، ويتذاكرون القرآن جماعة ، ويستمعون إلى توجيهات الرسول صلّى الله عليه وسلّم ويتزاورون لمثل ذلك . وكانوا يعيشون في أعيادهم فساداً ، فألغاها وجعل بدلاً منها أعياداً كريمة نظيفة زاخرة بالمعاني الطيبة والأهداف الرفيعة .

وحين قطع علاقة القربى في أول عهده ، مع المشركين الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد ، ملأ فراغها بالولاية بين المؤمنين وجعلها مكان القربى ، فملأت فراغها حقيقة وصارت تعدل في حسبهم صلة الدم ، حتى إن المؤاخاة التي جعلها الرسول صلّى الله عليه وسلّم بين المهاجرين والأنصار وصلت بالأخيرين إلى اقتسام كل شيء مع المهاجرين : ﴿ ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [سورة الحشر : ٩] وكانت تصل إلى حد الاشتراك في الميراث .

وهكذا لم يعد في نفوس المؤمنين فراغ .

وتلك من أنجح الوسائل في تربية النفس ، خاصة حين تمنع النفس - لتقويمها - من شيء من رغائبها . فالوسيلة الصحيحة لملء فراغ هذه الرغبة هي إيجاد نشاط جديد لهذه الرغبة ذاتها ، أو لرغبة سواها ، فالنفس من الداخل كلها وثيقة الاتصال !

أسلوب العادة وتهذيبها [1]

العادة ، تؤدّي مهمة خطيرة في حياة البشرية فهي توفر قسطاً كبيراً من الجهد البشري - بتحويله إلى عادة سهلة ميسرة - لينطلق هذا الجهد في ميادين جديدة من العمل والإنتاج والإبداع . ولولا هذه الموهبة التي أودعها الله في فطرة البشر ، لقضوا حياتهم - كما قلنا - يتعلمون المشي أو الكلام أو الحساب !

ولكنها على عظم مهمتها في حياة الإنسان تنقلب إلى عنصر معوق معطل ، إذا فقدت كل ما فيها من « وعي » وأصبحت أداء آلياً لا تلتفت إليه النفس ، ولا ينفعل به القلب .

(١) راجع في هذا كتاب « منهج الفن الإسلامي » .

والإسلام يستخدم العادة وسيلة من وسائل التربية ، فيحول الخير كله إلى عادة ، تقوم بها النفس بغير جهد ، وبغير كد ، وبغير مقاومة .

وفي الوقت ذاته يحول دون الآلية الجامدة في الأداء ، بالتذكير الدائم بالهدف المقصود من العادة ، والربط الحي بين القلب البشري وبين الله ، ربطاً تسري فيه الأشعاعة المنيرة إلى القلب ، فلا ترين عليه الظلمات .

وقد بدأ الإسلام ـ وهو ينشأ في الجاهلية ـ بإزالة العادات السيئة التي وجدها سائدة في البيئة العربية ، واتّخذ لذلك إحدى وسيلتين : إما القطع الحاسم الفاصل ، وإما التدرج البطيء ، حسب نوع العادة التي يعالجها ، وطريقة تمكنها من النفس .

فكل عادة تتصل بأصل التصور والعقيدة والارتباط المباشر بالله ، فقد قطعها حاسماً من أول لحظة ، فهي كالأورام الخبيثة في الجسم ينبغي أن تستأصل من جذورها ، وإلاَّ فلا حياة .

والشرك بكل عاداته وتصوراته ، من عبادة للأوثان ، واجتماع حولها ، وأداء لمراسم معينة من أجلها . كل ذلك قطعه من أول لحظة ، وبضربة حاسمة ؛ لأنه لا يمكن أن يستقيم إيمان وشرك ، وعبادة لله وعبادة لغيره من الكائنات . ومن ثمّ كان ينقل المسلم نقلاً كاملاً حاسماً صريحاً من « البيئة الفكرية » التي كان يعيش فيها إلى البيئة الجديدة الإيمانية ، التي تقيم كل شيء فيها على أساس وحدانية الله الخالصة ، ووحدانية القوة المسيطرة على الكون والمصرفة لجميع أموره .

تحرير الوجدان والعقل البشري من عبادة أحد غير الله

دعا القرآن إلى تحرير العقل والوجدان البشري من عبادة أحد غير الله ، ومن الخضوع لأحد غير الله . فما لأحد عليه غير الله من سلطان ، وما من أحد يميته او يحييه إلا الله ، وما من أحد يملك له ضراً ولا نفعاً ، وما من احد يرزقه من شيء في الأرض ولا في السماء وليس بينه وبين الله وسيط ولا شفيع ، والله وحده هو الذي يستطيع ، والكل سواء عبيد ، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً .

﴿قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفواً أحد﴾(١) .

---

(١) سورة الإخلاص : ١ ـ ٤ .

وإذا توحد الله توحدت عبادته ، واتجه الجميع اليه ؛ فلا عبادة لسواه ولا يتخذ الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ، ولا يكون لأحد منهم فضل على احد الا بعمله وتقواه : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً ارباباً من دون الله ﴾ [آل عمران : ٦٤] .

ويحرص الإسلام على هذا المعنى حرصاً شديداً ، فيتكىء عليه القرآن في مناسبات شتى . ولما كان الأنبياء هم مظنة ان يتجه إليهم الناس بشيء من العبادة ، او ما في معناها على وجه من الوجوه ، فقد عني الإسلام بتحرير وجدان البشرية من هذه الناحية تحريراً كاملاً .

يقول عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم ﴾ [آل عمران : ١٤٤] .

ويخاطب هذا النبي في صراحة قوية : ﴿ ليس لك من الأمر شيء او يتوب عليهم أو يعذبهم ﴾ [آل عمران : ١٢٨] . كما يخاطبه في موضع آخر بما يشبه التهديد :

﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾ [الإسراء : ٧٤ ، ٧٥] .

ويأمره أن يجهر بحقيقة موقفه جهراً : ﴿ قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً * قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً ﴾ [الجن : ٢٠ ، ٢٢] .

ويتحدث عمن أَلَّهُوا عيسى ابن مريم ، فيصفهم بالكفر والسخف : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إنّ الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن في الأرض جميعاً ﴾ [المائدة : ١٧] .

ويقول عن المسيح في موضع آخر : ﴿ ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ﴾ [الزخرف : ٥٩]

ويعرض مشهداً من مشاهد يوم القيامة يستجوب فيه عيسى ابن مريم عما زعمه بعض الناس عنه من ألوهية ، ويثبت براءة عيسى من هذا الزعم الذي لا بد له فيه ، في اسلوب قوي أخاذ : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد * ان تعذبهم فإنهم عبادك وان تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [المائدة : ١١٦ ، ١١٨] .

وهكذا، وهكذا يستمر القرآن في توكيد هذه العقيدة وتثبيتها وتوضيحها، ليصل إلى تحرير الوجدان البشري من كل شبهة شرك في ألوهية او قداسة ، قد تضغط هذا الوجدان ، وتخضعه لمخلوق من عباد الله ، ان يكن نبياً او رسولاً ، فإنه عبد من عباد الله ! .

فإذا انتفى ان يكون عبد بذاته اميز عند الله من عبد بذاته ، انتفت الوسائط بين الله وعباده جميعاً ، فلا كهانة ولا وساطة ، بل يتصل كل فرد صلة مباشرة بخالقه ، يتصل شخصه الضعيف الفاني بقوة الأزل والأبد يستمد منها القوة والعزة والشجاعة ، ويشعر برحمتها وعنايتها وعطفها ، فيشتد إيمانه وتقوى معنويته .

والإسلام حريص كل الحرص على تقوية هذه الصلة ، واشعار الفرد انه يملك الاستعانة بتلك القوة الكبرى آناء الليل واطراف النهار . ﴿ الله لطيف بعباده ﴾ [الشورى : ١٩] . ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب اجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ [البقرة : ١٨٦] . ﴿ ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ﴾ [يوسف : ٨٧] . ﴿ قل يا عبادي الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً ﴾ [الزمر : ٥٣] .

وقد شرع الإسلام خمس صلوات ، يقف فيها العبد كل يوم امام ربه ، ويتصل

فيها المخلوق بخالقه ، في اوقات منظمة ، غير ما يعنّ له هو ان يقف امام إلّهه ! او يتصل به في توجهه ودعائه .

وليس الغرض من الصلاة او الدعاء الفاظاً وحركات ، بل القصد هو التوجه الكامل بالقلب والفكر والجسد في وقت واحد إلى الله ، تمشياً مع فكرة الإسلام الكلية عن وحدة الإنسان في تكوينه ، ووحدة الخالق في الوهيته : ﴿ فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ [الماعون : ٤ ، ٥] .

فإذا تحرر الوجدان من شعور العبادة والقداسة لعبد من عباد الله وامتلأ بالشعور بأنه على اتصال كامل بالله ، لم يتأثر بشعور الخوف على الحياة او الخوف على الرزق ، او الخوف على المكانة . . . وهو شعور خبيث يغض من احساس الفرد بنفسه ، وقد يدعوه إلى قبول الذل ، إلى التنازل عن كثير من كرامته ، وكثير من حقوقه، ولكن الإسلام لشدة حرصه على ان يحقق للناس العزة والكرامة، وان يثبت في نفوسهم الاعتزاز بالحق ، والمحافظة على العدل ، وان يضمن بذلك كله ـ علاوة على التشريع ـ عدالة اجتماعية مطلقة ، لا يفرط فيها انسان . . لهذا كله يعنى عناية خاصة بأن يقاوم الشعور بالخوف على الحياة وعلى الرزق وعلى المكانة ، فالحياة بيد الله ، وليس لمخلوق قدرة على ان ينقص منها نفساً واحداً من انفاسها ، وكذلك ليس له أن يخدشها خدشاً خفيفاً بضرر خفيف :

﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً ﴾ [آل عمران : ١٤٥] . ﴿ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا ﴾ [التوبة : ٥١] . ﴿ لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ [يونس : ٤٩] .

وإذن ، فلا مكان للنبيين بالأرزاق والحياة والأجل ، النفع والضر بيد الله دون سواه : ﴿ قل أغير الله اتخذ ولياً فاطر السماوات والأرض وهو يطعم ولا يطعم ﴾ [الأنعام : ١٤] . ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ [الرعد : ٢٦] . ﴿ وكأيِّن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم ﴾ [العنكبوت : ٦٠] . ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمَّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله ﴾ [يونس : ٣١] . ﴿ يا أيها الناس

اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنّى تؤفكون ﴾ [فاطر : ٣] . ﴿ ولا تقتلوا اولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ﴾ [الأنعام : ١٥١] . ﴿ وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ﴾ [التوبة : ٢٨] .

ويقرر القرآن أن خوف الفقر إنما هو من إيحاء الشيطان ، ليضعف النفس ، ويصدها عن الثقة في الله ، وعن الثقة في الخير :﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً والله واسع عليم ﴾[البقرة : ٢٦٨] .

وإذن فلا يجوز أن يذل الاسترزاق رقاب الناس ، فإنما رزقهم بيد الله ، وبيد الله وحده ، ولن يملك احد من عباده الضعفاء ان يقطع رزق انسان ، ولا ان يضيق عليه في الرزق شيئاً . وهذا لا ينفي الاسباب والملابسات ، ولكنه يقوي القلب ويشجع الضمير ، ويجعل الفقير المسترزق يواجه من يظن ان بيده رزقه وبكل شجاعة ، فلا يعقده شعور الخوف عن المطالبة بحقه ، وعن الاعتزاز بنفسه ، ولا يدعوه إلى ترك بعض أجره أو بعض كرامته ، احتفاظاً برزقه . وعلى هذا النحو يجب ان نفهم توجيه القرآن واتجاه الإسلام ، فهذا هو الفهم الحق الذي يتمشى مع فكرته العامة في التوجيه والتشريع .

والخوف على المركز والمكانة قد يكون عدلاً للخوف من الموت والأذى ، والخوف من الفقر والعيلة . والإسلام يحرص ان يتحرر الفرد من هذا الخوف أيضاً ، فلن يملك مخلوق لمخلوق في هذا الأمر شيئاً .

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير ﴾ [آل عمران : ٢٦] . ﴿ قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون * سيقولون لله قل فأنى تسحرون ﴾ [المؤمنون : ٨٨ ، ٨٩] . ﴿ ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده ؟ ﴾ [آل عمران : ١٦٠] . ﴿ من كان يريد العزة فللّه العزة جميعاً ﴾ [فاطر : ١٠] . ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ [المنافقون : ٨] .

وإذن فلا خوف من هذه الناحية أيضاً ، فإن القدرة لله وحده ، وان العزة لله جميعاً ﴿ وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير ﴾ [الأنعام : ١٨] .

والإسلام لا يغض مع هذا من قيمة المال ولا من قيمة الأبناء : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ زينة ، ولكنهما ليسا قيمة من قيمها التي ترفع وتخفض : ﴿ والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً ﴾ [الكهف : ٤٦] .

ويضرب القرآن للقيم المادية والقيم المعنوية مثلاً في نفس رجلين ، لا يدع مجالاً للشك في ايثار احداهما على الأخرى ، في الوقت الذي يرسم صورة واضحة قوية للنفس المؤمنة ، وحقيقة القيم فيها :

﴿ واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً * كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً * وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالاً واعز نفراً * ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً * وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها منقلباً * قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً * لكن هو الله ربي ولا اشرك بربي أحداً * ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا أقل منك مالاً وولداً * فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً * أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً * وأحيط بثمره فأصبح يقلب كفّيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً * ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً ﴾ [الكهف : ٣٢ ، ٤٣] .

وهكذا يبرز اعتزاز المؤمن بإيمانه ، واستهانته بتلك القيم التي اعتز بها صاحبه وهو يحاوره . وما يلفت النظر ان صاحبه هذا المعتز بجنته لم يظهر الشرك بالله ، ولكن القرآن عده مشركاً ، وجعله يعترف بإشراكه في النهاية ؛ ذلك انه اشرك قيمة مادية صرفة ، وجعل لها هذا الاعتبار في وجدانه ، والمؤمن الحق لا يشرك بالله شيئاً .

يفرض الإسلام التزامات معينة ، هي « الفرائض » والحدود ، وهي كثيرة ومتشعبة تشمل العبادات والمعاملات ، وسياسة الحكم وسياسة المال ، والقوانين الجنائية والمدنية والتجارية والدولية . . الخ . وهذه ـ فيما عدا العبادات ـ التزامات متفق عليها في كل النظم ، ينبغي ان تفرض فرضاً وان تقوم عليها سلطة تضمن تنفيذها . وهي من جانب آخر تستجيب لنزعة الالتزام الفطرية في كيان الإنسان .

ولكن الدعوة القرآنية تضيف إلى هذه الالتزامات المدنية التزامات العبادة التي تطهر القلوب على خلاف النظم الدنيوية التي لا يهمها تطهير القلب البشري من باطنه ، وتكتفي باستجابة ظاهرية لها وقد رأينا اثر ذلك في انهيار المثل والمبادىء ، وانحسار الروح الإنسانية وغلبة الصراع بين الناس على الأعراض الزائلة واشاعة القلق واضطراب الأعصاب ، على نحو ما هو موجود في كل مكان من العالم الآن .

بالإضافة إلى ذلك فإن الدعوة القرآنية تجعل العبادة طريقاً يقرب من الله تبارك وتعالى فتصل الإنسان بأسمى غاية تتوق إليها نفسه :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴾ [سورة النساء : ٥٩] .

فالأمر اولاً مردود في النهاية إلى الله .

﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله ﴾ [سورة المائدة : ٣٨] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئاً فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً او ضعيفاً او لا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر

احداهما الأخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيراً او كبيراً إلى أجله ذلكم أقسط عند الله . . . ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٢] .

وهكذا نرى ان كل تشريع وكل توجيه ، مرتبط بالله ، كما أن مصدره هو الله ، واداؤه ، هو من أجل الله .

وتسمو منزلة الإنسان بطاعة ربه وارتباطه بالله وتطمئن نفسه على نحو لا يدركه غيره من الذين خلعوا عن أنفسهم طاعة ربهم .

﴿ ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً ﴾ [سورة طه : ١١٢] .

﴿ فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه ﴾ [سورة الأنبياء : ٩٤] .

﴿ ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطلٌ والله بما تعملون بصير ﴾ [البقرة : ٢٦٥] .

﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من امر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً ﴾ [النساء : ١١٤] .

في كل هذه الآيات البينات نجد الأسلوب القرآني في بلاغته المعجزة ، ولفظه الموحى ، ورمزه الشفاف يشد القلوب إلى الآفاق العليا للثواب الأوفى ، والمتع الروحية التي يلقاها المتقون هم وأزواجهم وذرياتهم .

وقد حقق هذا الأسلوب أقوى دعوة يمكن أن توجه إلى الإنسانية وأشدها تأثيراً في النفوس وهي بعد أقرب الأساليب إلى استجابة الإنسان لها بالعقل والشعور ، بالفكر والإلهام . وبكل هذه الأساليب حقق الإسلام ما لم تحققه دعوة أخرى عرفها الإنسان ، وكان انتشاره السريع في مشارق الأرض ومغاربها هو ثمرة الكمال والسمو والصدق والإخلاص في الدعوة والداعين إليها .

مخاطبة الروح الجماعية

تتجلى عظمة الأسلوب القرآني في تزكية روح الاجتماع في الإنسان وإثراء الاخوة الإنسانية التي تقود إلى الخير والنجاح يقول عزّ وجلّ في ذلك :

﴿ والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾ [سورة الحشر : ٩] .

بهذا الحب الذي يبثه الأسلوب القرآني نهض مجتمع الإسلام الأول الفريد في تاريخ البشرية. مجتمع كل فرد فيه أمة وهو على ضخامة شخصياته وإيجابيتها العجيبة الفذة ، متحاب مترابط لا تكاد تحس أين يبتدىء كيان كل واحد منهم وأين ينتهي الآخر . . لأن الحب قد أزال الحدود .

والأسلوب القرآني يغذي روح الاجتماع بتوجيهاته الدائمة إلى التعاون والتشاور والوفاق :

ويحث المؤمن على أن يحب أخوانه المؤمنين ويحسن إليهم .

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [سورة المائدة : ٢]

﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٣] .

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ [سورة التوبة : ٧١] .

﴿ محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء بينهم ﴾ [سورة الفتح : ٢٩] .

﴿ وأمرهم شورىٰ بينهم ﴾ [سورة الشورىٰ : ٣٨] .

﴿ إنّما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين أخويكم واتّقوا الله لعلّكم ترحمون ﴾ [الحجرات : ١٠] .

كما يغذيها بالخطاب الجماعي والتوجيهات الجماعية . . التي تلقي المسؤولية على الجماعة كلها متساندة ، لأنها ـ في الواقع ـ مسؤولية كل فرد ، ومسؤولية الجميع :

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] .

﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون ﴾ [سورة المجادلة : ٢٢] .

﴿ واتّقوا فتنة لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ [سورة الأنفال : ٢٥] .

﴿ يا أيّها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾ [سورة التوبة : ١٢٣] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ﴾ [سورة محمد : ٧] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا ﴾ [سورة الحجرات : ٦] .

﴿ يا أيُّها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم * تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ﴾ [سورة الصف : ١٠ ، ١١] .

وهكذا تتحد الجماعة في الهدف وتتحد في العمل ، فتلتقي القلوب لترتبط كلها بالله في النهاية ، فلا يقوم بينها الشقاق والخصام ، وتلتقي النزعة الفردية المؤمنة الخلاقة والنزعة الجماعية الداعية إلى الخير كلتاهما في كل واحد يعمل لتحقيق مجتمع الله المتصف بالكمال .

أسلوب الاستعانة بمنطق الأحداث في الدعوة

إن للأحداث التي تقع تحت سمع الإنسان وبصره منطقها السليم المقنع ، لأن الإنسان يرى أثر هذه الأحداث حقيقة واقعة لا يأتيها الشك من أي سبيل . وقد اعتمد الأسلوب القرآني في الدعوة على استخدام كثير من الأحداث التي وقعت وقت نزوله وأثرت في بناء الدعوة .

وفي الآيات القرآنية التي أنزلت بمكة ، نرى الأسلوب القرآني للدعوة يتجه إلى دعوة المؤمنين إلى الصبر على المكاره وتحمل الأذى ، لأن ذلك هو السبيل الوحيد للانتصار لله على أعدائه في تلك المرحلة ، في حين اتجه هذا الأسلوب في المدينة بالتوجيه إلى رد العدوان .

يقول تعالىٰ لرسوله في مكة : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً ﴾ [المزمل : ١٠] .

وبعد فتح مكة أصبح العدد والقوة للمسلمين على عدوهم ، ويتناجى المسلمون بعضهم إلى بعض فقالوا لا غالب لنا اليوم ، ولكن الله يعلمهم بمنطق الأحداث أموراً ما كان لهم أن يتعلموها فيقول تعالىٰ في سورة التوبة ﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين * ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم ﴾ [٢٥ - ٢٧] .

هنا يعلمهم الأسلوب القرآني حقيقة ما كان لغير الأحداث أن تعلمهم إياها : أن العامل الحاسم لإحراز النصر ، ليس العدد ولا العدة ولا القوة مهما بلغت ولكن إرادة الله هي التي تحدد مصير كل شيء

ويطالعنا الأسلوب القرآني بمثل آخر لاستخدام الأحداث في بث المبادىء والقيم ، فيحدثنا عن واقعة الرماة الذين تركوا مواقعهم يوم أحد ليدركوا نصيبهم من

الغنائم بعد أن رأوا انكسار المشركين ، لقد نسوا ما أمرهم به رسول الله بالثبات في مواقعهم مهما حدث من أمر يقول تعالىٰ في سورة آل عمران :

﴿ ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين ﴾ [آل عمران : ١٥٢] .

هنا يعلمنا الأسلوب القرآني أن الانصراف عن الهدف إلى أي غرض آخر نتيجته الخسران والهزيمة ويكون الدليل الذي لا يأتيه الشك من أي سبيل ، هو ما أصابنا في أنفسنا وما رأيناه رأي العين . . .

وفي سورة الأنفال يقدم لنا الأسلوب القرآني صورة أخرى تؤكد صدق الله لنبيه وللمؤمنين ، وتقديم الأهداف الكبرى المتصلة بدحر قوى الشرك والمشركين على أي غرض آخر . . يقول تعالىٰ :

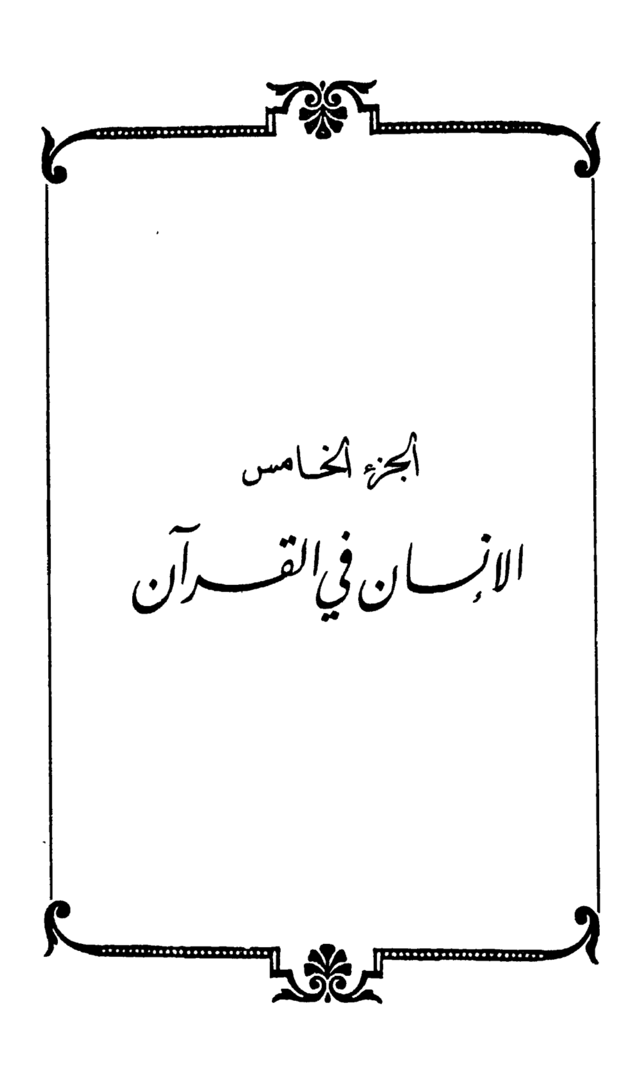
﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين * ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون * إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين * وما جعله الله إلاّ بشرىٰ ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلاّ من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾ [سورة الأنفال : ٧ - ١٠] .

وفي سورة التوبة يقدم لنا الأسلوب القرآني مثلاً آخر للذين يلتمسون الأسباب لينكصوا على أعقابهم وينصرفوا عن الجهاد في سبيل الله ، حين دعاهم الرسول صلّى الله عليه وسلّم ليخرجوا معه في سبيل الله يقول تعالىٰ في سورة التوبة آية ٣٨ و ٣٩ ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلاّ قليل * إلاّ تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم ولا تضروه شيئاً والله على كل شيء قدير ﴾ .

وهنا يقدم الأسلوب القرآني حادثاً فريداً في مقابلة هذا الحادث الجديد يجد المؤمن فيه العبرة فيقول عزَّ وجلَّ : ﴿ إلّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم ﴾ [التوبة : ٤٠] .

وفي المقابلة بين الحادثين نتعلم حقيقة أن الله مع رسوله يؤيّده وينصره وإن لم يكن معه إلاّ رجل واحد .

ونخرج من المقابلة بين الحادثين وقد امتلأت نفوسنا ثقة بوعد الله وتأييده ، لتصبح طاعة الله تعالىٰ ورسوله أحب إلينا من كل ما على الأرض ، ويكون الجهاد في سبيل الله ودينه الهدف الأسمى لكل المؤمنين .



الجزء الخامس

الإنسان في القرآن

* * *

ذكرنا في الجزء الأول ان نظرية الاعلام مبنية على :

١) فكرة أو رسالة .
٢) الرسول أو الداعي .
٣) وسائل الاتصال .
٤) أساليب للاقناع .
٥) المرسل إليه . . وهو عقل الانسان.
٦) مدى استجابة الانسان . . إيجابياً أو سلبياً بالنسبة إلى الرسالة .

وموضوع هذا الجزء هو الإنسان في القرآن وهو هدف الاعلام القرآني لتحقيق الرسالة الآلهية .

* * *

الانسان في القرآن

ورد لفظ « الانسان » في القرآن الكريم في خمسة وستين موضعاً ، وإذا تدبرنا سياق هذه الآيات نجد ان دلالتها كلها مميزة للإنسان والانسانية ، بل نجد ان بالقرآن الكريم سورة تسمى « الإنسان » وإذا كان عقل الانسان هو هدف الاعلام ، بقصد تغيير سلوكه واتجاهاته نحو الخير العام ، فقد تناول القرآن الكريم كل ما يتصل بالإنسان من بداية خلقه إلى نهايته وبين ما تتجاذبه من نوازع ورغبات وما يستهدفه الشيطان منه . وفي هذا الفصل نتناول بالتفصيل بيان ما تناول به القرآن الإنسان وما وجهه اليه ليفوز بالثواب الاعظم المتمثل في رضا الله وجنته .

وفيما يلي نورد بعض ما تناوله القرآن مما يتصل بالإنسان :

١) خلق الله الانسان في أحسن تقويم

يقول تعالى في القرآن الكريم : ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ [سورة التين آية : ٤] ـ ويعني باحسن تقويم ما ميز الله تعالى به الإنسان عن المخلوقات الأخرى من العلم والإدراك والإرادة ، وغير ذلك من الصفات التي ينفرد الإنسان بها عن سائر ما خلق الله .

ثم يقول تعالى : ﴿ و إذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة ﴾ [سورة البقرة الآية : ٣٠] ـ وخلافة الإنسان لله في أرضه ، تعني تعمير الأرض بنشر الخير والسلام وبالعمل على إظهار عظمة الخالق وقدرته ، بكشف اسرار ما خلق .

ولكي يستطيع الانسان تحقيق ذلك ، خصه الله بالعقل بخلاف سائر المخلوقات وبالقدرة على التعلم واختزان ما تقع اليه حواسه ليتم بذلك الادراك للأشياء وخصائصها ، فيقول تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [سورة البقرة الآية : ٣١] .

٢) أمر الله تعالى الملائكة لتسجد للإنسان الأول آدم عليه السلام

أما منزلة الانسان عند ربه في الإسلام فنستطيع ان نراها في أمر الله تعالى لملائكته بأن يسجدوا لآدم الانسان الأول فيقول تعالى :

﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا ﴾ [سورة الاعراف آية : ١١] .

ويتأكد سمو الإنسان عن سائر المخلوقات بأن الله تعالى قد نفخ فيه من روحه . فيقول تعالى :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة اني خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾ [سورة الحجر آية : ٢٨ - ٣٠] .

واعتبر رفض إبليس (الشيطان) السجود للإنسان الأول كفراً استحق عليه الطرد من رحمة الله وملكوته . يقول الله تعالى :

﴿ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين ﴾ [سورة الأعراف الآيتين : ١٢ ، ١٣] .

٣) زود الله الانسان بالعقل

ولتتم خلافة الانسان لله في الأرض اخضع له المخلوقات كلها ليتم انتفاعه بها . والانتفاع يأتي عن طريقين ، أولهما : القوانين الكونية التي خلق الله العالم على مقتضاها وجعلها بحيث تسد حاجات الإنسان ، وقد عبر عن ذلك القرآن فقال تعالى :

﴿ اللّه الـذي خلق السماوات والأرض وانـزل من السماء مـاء فأخـرج بـه من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجريَ في البحر بأمره وسخر لكم الأنهـار * وسخر لكـم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٣٢ ، ٣٣] .

وسنأتي بذكر هذا الموضوع وهو عقل الإنسان كهدف للرسالة الاعلامية القرآنية فيما بعد .

٤) منح اللّه تعالى الإنسان الارادة الحرة

وننتقل إلى صفة أخرى ، خص اللّه بها الانسان ، كما أوردها القرآن هي حرية الإدارة ، التي تقـوم على العلم والعقـل وهمـا من صفـات الانسـان دون سـائـر المخلوقـات . وتتجلى صورة الارادة في قـوله تعـالى لآدم : ﴿ ويـا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هـذه الشجرة فتكـونا من الـظالمين ﴾ [سورة الاعراف آية : ١٩] .

وقد كان في وسع اللّه تعالى ان يعصمهما عن الأكل من تلك الشجرة ولكنه شاء ان يترك لهما حرية الاختيار ، فقال من حيث شئتما،وخيّرهما بين الطاعة أو العصيان وفق ما يقودهما إليه علمهما وارادتهما الحـرة ، فإذا علمنـا ان الإسلام يجعـل العلم والإرادة من صفات اللّه تعالى الكثيرة وانهما لم يوهبا لمخلوق آخر ، ادركنا ارتفـاع قيمة الانسان ومنزلته عند ربه في الإسلام ، وإذا كان الإنسان الأول قد أساء استخدام هذه الحرية فخالف أمر اللّه فقد فتحت هذه المخالفة الأبواب لنعم أخرى ، خص بها الانسان كما تتجلى في التوبة والمغفرة والعفو وخرج منها الانسان بمعرفة جد جديدة هي عداء الشيطان له ليباعد بينه وبين ربه .

٥) خلق اللّه للإنسان الأرض وما عليها متاعاً ورزقاً

وأما الطريق الثاني لتسخير المخلوقات الأخرى للإنسان فيأتي عن طريق العقل والقدرة على التعلم التي اختص اللّه بها الإنسان ، وبواسـطتها يستـطيع ان يخضـع الكائنات لارادته ويوجهها الوجهة التي تصلح من شأنه وتسد حاجاته ، يقول القـرآن

الكريم : ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ [سورة الملك آية : ١٥] ثم يقول : ﴿ ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ﴾.[سورة لقمان آية : ٢٠] .

٦) فتح باب التوبة للإنسان

ثم يأتي تقدير سام آخر من الله للإنسان كما بينه الإسلام ، فإن الخطيئة الكبرى يمكن ان تكون عبئاً باهظاً يثقل على روح الانسان ويملؤه باليأس مع شعور بالغ بالذنب مما يباعد بينه وبين السلام النفسي . ومن أجل هذا تدرك رحمة الله الإنسان في هذا الموقف أيضاً وتخفف عنه ثقل الخطيئة الأولى ، فيقول القرآن كتاب الإسلام : ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ﴾ [سورة البقرة آية : ٣٧] .

ويرث هذا المبدأ التسامح الكريم ابناء آدم من بعده كلما ظلموا انفسهم أو انحرفوا عن جادة الصواب يقول القرآن الكريم : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم ﴾.[سورة الأنعام آية : ٥٤] .

والتوبة والمغفرة والرحمة في الإسلام هي من الأسس التي جاء بها رسول الله محمد وفقاً لقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] وهي على الجانب الواقعي تحقق الأمن والصحة النفسية وتباعد بين الإنسان وبين مشاعر الاحباط واليأس والشعور الثقيل بالذنب الذي يسد منافذ الرحمة يقول تعالى في القرآن الكريم : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعاً انه هو الغفور الرحيم ﴾ [سورة الزمر آية : ٥٣] .

وفي ذلك تقدير عظيم لقيمة الإنسان ومنزلته عند ربه .

يرى رسول الله محمد عليه السلام وهو جالس بين أصحابه امرأة تمشي أمامهم وقد حملت طفلها وضمته إلى صدرها في حنان وحب كبيرين فيقول لأصحابه :

ـ اتظنون ان هذه المرأة تستطيع ان تلقي ولدها هذا إلى النار ؟

يقولون :

ــ لا يا رسول اللّه .

فيقول الرسول محمد :

ــ ان اللّه أرحم بعبده المؤمن من هذه المرأة بولدها . فما أعظم هـذه الرحمـة التي خص اللّه بها الإنسان . ومن هذا نتبين نظرية الإسلام في الخطيئة بـوجه عـام ، وفي تقـدير الخالق للضعف الانساني ، فيفيـد القرآن ان اللّه أعلم بـالإنســان من الإنسان نفسه .

٧) إرسال الرسل لهداية الإنسان باسلوب الحكمة والموعظة

وفي هداية الإنسان والبعد به عن مهاوي الكفر وألشرك والشـر يسلك الإسلام أرق سبل في مخاطبة الإنسان . يقول تعالى لرسوله : ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [النحل : ١٢٥] ثم يقول : ﴿ لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ [سورة التوبة آية : ١٢٨] وقولـه :﴿فبما رحمة من اللّه لنت لهم ولـو كنت فظاً غليظ القلب لانفضـوا من حولـك فاعف عنهم واستغفـر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتـوكل على اللّه ان اللّه يحب المتـوكلين ﴾ [سورة آل عمران : ١٥٩] وهو بعد هذا كله يؤكد حرية الإنسان في تحصيل الخير فيقـول القرآن كتاب الإسلام : ﴿ قل يا أيها الناس قـد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتـدى فإنمـا يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليهـا وما أنـا عليكم بوكيـل ﴾ [سورة يـونس آية : ١٠٨] .

٨) اعد اللّه تعالى للإنسان في الدنيا وفي الآخرة الجنة إذا اتبع الهدى

ويكرم اللّه تعالى الإنسان الأول تكريمـاً عظيمـاً عندمـا اسكنه الجنة ، يقول تعالى : ﴿ اسكن انت وزوجك الجنة ﴾ [الأعراف : ١٩] وسواء فهمنا الجنة على انها حقيقة مادية أم فهمناها على أنها رمز للتنعيم والسعادة الروحية ، لأنه مما لا شك فيه بدون الإحساس بالسعادة النفسية فإن النعيم المادي لا قيمة له . ومن هذا المنـطلق نستطيع ان نـدرك ان الإنسان الاول آدم وزوجـه عندمـا اسكنهما اللّه جنتـه على أي

المعنيين السابقين عاشا حياة طيبة في طمأنينة نفسية وسعادة روحية ، حتى زين لهما عدوهما الشيطان عصيان ربهما فينتقم منهما ويفسد ما بينهما وبين اللّه على نحو ما اوردته الكتب المقدسة جميعها .

والإسلام في هذا الموقف يسلك سبيلاً فيه تقدير للإنسان .لقد أدرك آدم كيف قابل فضل اللّه عليه بالخطيئة ويقول تعالى في ذلك : ﴿وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين ﴾ [سورة الاعراف آية : ٢٢] وهذا لون من العتاب تبدو فيه روح السماحة ويفتح الأبواب للصفح والمغفرة فكان رد آدم وحواء : « الابوان الأولان للإنسان استجابة لتلك الروح » قالا : ﴿ ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ [سورة الاعراف آية : ٢٣] .

الغاية من خلق الانسان

أما الغاية من خلق الانسان فهي عبادة اللّه. ولكي تفهم معنى العبادة ومغزاها السامي النبيل في الإسلام نورد هنا ما وصف اللّه تعالى عباده : يقول القرآن الكريم في ذلك :

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً * انها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً * والذين لا يدعون مع اللّه إلٰهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم اللّه إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً * يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيها مهاناً * إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل اللّه سيئاتهم حسنات وكان اللّه غفوراً رحيماً * ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى اللّه متاباً * والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً * والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً * والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾ [سورة الفرقان الآيات : ٦٣ ـ ٧٤] .

هذا هو مضمون العبادة ، وأوصاف عباد اللّه ، وهي كلها تحض على معرفة

اللّه وطاعته التي هي في نفس الوقت قوام حياة الإنسان وأساس الخير والفضيلة ، وهي تشمل علاقة الإنسان باللّه ، وعلاقته بأخوانه في الإنسانية التي تقوم على المودة وعدم الاعتداء والسير في الطريق التي تؤدي إلى تعاون البشر والمحافظة على حقوق الآخرين وحياتهم فالعبادة هنا ليست عملاً مجرداً منفصلاً عن الحياة والناس والخير ، ولكنها أسس الحياة الصالحة الفاضلة .

عقل الانسان

هو هدف الاعلام القرآني لتحقيق الرسالة الالهية

إن عقل الإنسان هو الهدف من أي رسالة وخلق الله الإنسان وجعل العقل هو الميزة التي ميزها به على سائر الحيوان . . . إنه نور من عند الله ينير له طريق المعرفة فالعقل يسيطر على كل شهوة . . . والإنسان به يتدبر كل الأمور ، ونؤكد ذلك بالقول المأثور « لكل شيء أساس ، وأساس الإنسان عقله وبقدر عقله يكون دينه وعلمه » .

ولذلك فالإعلام القرآني موجه إلى عقل الإنسان ويحثنا الله سبحانه وتعالىٰ لأن نستخدم العقل في كل أمورنا فأحكام الإسلام لا تتناقض مع العقل ، وواجب الإنسان أن يستخدم كل المعارف ليصلح من أحواله في المجتمع ويتصرف بعقله وبفكره ويتدبر كل أمر وينمي هذا العقل بالبحث المستمر والاجتهاد في الحياة الدنيا ، وإذا ما أطفأ الإنسان نور عقله فإنه ينساق كالأنعام ويتبع هواه ويتعصب لشهواته وللعادات القديمة الجامدة ويتخبط في الحياة الدنيا . . .

ولذلك يعاقب الله الإنسان إذا ما فعل شيئاً يؤثر على عقله بالضرر مثل شرب الخمر ، فالسكر يفقد عقل الإنسان فيتصرف في أمور الحياة بلا وعي ولا اتزان وقد ذكر القرآن الكريم وهو رسالة السماء الذين يستثمرون عقولهم في الفكر السليم والعمل الجيد بأنهم عقلاء . . أولي الألباب :

﴿ وليذكر أولو الألباب ﴾ [سورة إبراهيم : ٥٢] .

وخلاصة القول ان الإعلام في القرآن يدعونا لاستخدام العقل وتنميته بالفكر والمعرفة والاجتهاد ليكون سلوكنا متفقاً مع العقل السليم ، والإنسان متكامل بجسمه وعقله وكما يقولون : إن العقل السليم في الجسم السليم . ولذلك يجب على الإنسان المحافظة على صحة جسمه .

وجاء ذكرَ العقل باسمه ومشتقاته في القرآن الكريم نحو ٥٠ مرة وذكر أولو الألباب « أي العقول » أكثر من عشر مرات كذلك ورد في سورة طّه ﴿لأولي النهي﴾ [طّه : ٥٤] وفي المأثور : ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ، ويرده عن ردى وما تمَّ إيمان عبد ولا استقامَ دينه حتى يكمل عقله .

وأيضاً :

إن لكل شيء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلاً .

ومن المأثور أيضاً : لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله ، فبقدر عقله تكون عبادته ، أما سمعتم قول الفجار في النار :

﴿ لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ [سورة الملك : ١٠] .

وكذلك روي عن أنس قال : أثنى قومٌ على رجل عند النبي حتى بالغوا ، فقال صلَّى الله عليه وسلَّم : كيف عقل الرجل ؟ فقال : نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله ؟ فقال : إن الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر ، وإنَّما يرتفع العباد غداً في الدرجات الزلفىٰ من ربهم على قدر عقولهم .

فالقرآن وهو المعجزة الخالدة . . قائمة على العقل ، بينما معجزات الأنبياء السابقين مثل انقلاب العصا حية . . وإحياء الموتى . . إلخ ، فهي آيات مادية . . شاء الله بعد أن بلغ النمو العقلي في الإنسان حداً جعله سبحانه وتعالىٰ . . ينزل القرآن الكريم كمعجزة خالدة إلى يوم الدين.

ولذلك حينما طلب الكفار من النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم آيات ومعجزات مادية وهدفهم الاستهزاء والاستخفاف وليس الإيمان نزلت آيات الله من القرآن الكريم تكشف أغراضهم فجاءت سورة الإسراء .

﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو

تأتي بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقىٰ في السماء ولن نؤمن لـرقيك حتى تنـزل علينا كتـاباً نقـرؤه قل سبحـان ربي هل كنت إلاّ بشـراً رسـولاً ﴾ [الإسراء : ٩٠ ، ٩٣] .

فقال سبحانه : ﴿ ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون * لقـالوا إنّما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ [سورة الحجر ١٤ ، ١٥] .

القرآن يأخذ بأحكام العقل :

إن القرآن يأخذ بأحكـام العقل ، ويقـول الشيخ محمـد رشيد رضـا في كتاب الوحي المحمدي « صفحة ٧٠ » بأن الله تعالىٰ جعل رسـالة محمـد صلّى الله عليه وسلّم قائمة على قواعد العلم والعقل . . لأن البشر بدأوا يدخلون بها في سن الرشد والاستقلال النوعي الذي لا يخضع عقل صاحبه ولن تصدر عنهم أمور عجيبة مخالفة للنظام المألـوف في سنن الكون. والقرآن الكريم يتحـدى بمعجزتـه قدرات الإنسـان وعقله ﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ [الإسراء : ٨٨] وقال في آية أخرى ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا ﴾ [البقرة : ٢٤] .

ولذلك كان القرآن معجزة باقية ، ما بقي عقل الإنسان بينما معجزات الأنبيـاء السابقين تظهر في وقت نزولها لا يراها إلاّ من عاشها ثم تنتهي بانتهاء الحدث نفسه .

ويقول الشيخ محمد عبده في كتابه « الإسلام والنصرانية » معجزة القرآن جامعة من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم ، فهي معجـزة عرضت على العقل وعرفته ما فيها ، وأطلقت له حق النظر في أنحائها ونشر ما انطوى في أثنائها ، وله منها حـظه الذي لا ينتقص ، فهي معجـزة أعجزت كـل طرق أن يـأتي بمثلها ، ولكنها دعت كل قدرة أن تتناول ما تشاء منها ، أما معجزة موت حي بلا سبب معروف للمعروف ، أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن ، فهي مما ينقطع عنه العقل ويجمد لديه الفهم ، وإنّما يأتي بها الله على يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم يـضىء عقولهم نور العلم ، وهكذا يقيم الله بقدرته من الأبيـات

للأمم على حسب الاستعدادات .

وكما ذكرنا أن الله تعالىٰ حرَّم في القرآن الكريم الخمر لأنها تعطل العقل عن التفكير والبحث والسلوك القويم وإذا كان الله سبحانه وتعالىٰ خلق الناس متفاوتين في قوة الإدراك بالعقول فمنهم من يتبع التعصب ومنهم من يقلد ومنهم يتبع الظن والهوى وهذه عقبات تقف عثرة عن التقدم والترقي الإنساني الذي يريده الله للإنسان .

ولذلك نزلت الآيات القرآنية في هذه الأمور كلها .

وقد حكى الله ما قاله الكفار للنبيّ صلّى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى النور فقال ﴿ وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون ﴾ [سورة الحجر : ٦] وقالوا : ﴿ أإنّا لتاركو الهتنا لشاعر مجنون ﴾ ؟ [الصافات : ٣٦] فيرد الله عليهم بقوله : ﴿ بل جاء بالحق وصدق المرسلين ﴾ [الصافات : ٣٧] وقال أيضاً : ﴿ أم يقولون به جنة ﴾ ويرد الله عليهم بقوله ﴿ بل جاءهم بالحق وأكثرهم للحق كارهون ﴾ [المؤمنون ٧٠] .

وما جاء من الآيات الناهية عن التقليد في جميع مظاهره قوله تعالىٰ : ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب * وقال الذين اتبعوا لو أنّ لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾ [البقرة : ١٦٦ ، ١٦٧] . وقال في شأن الكافرين عند دخول النار ، وقول الملائكة لزعمائهم : ﴿ هذا فوج مقتحم معكم لا مرحباً بهم إنهم صالوا النار ﴾ أي داخلوها ﴿ قالوا بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار ﴾[ص ٥٩ ، ٦٠].

وجاء في شأن تقليد السابقين عموماً من آباء وغيرهم ﴿ قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادّاركوا فيها جميعاً قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون * وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ﴾ [الأعراف : ٣٨ ، ٣٩] .

يقول تعالىٰ : ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أَوَلَوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون * ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلاّ دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ [البقرة : ١٧٠ ، ١٧١] .

ويقول في آية أخرى ﴿ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أَوَلَوْ كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون ﴾ [المائدة : ١٠٤] .

﴿وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يخرصون * أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون * بل قالوا إنّا وجدنا آباءنا على أمة وإنّا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلاّ قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أَوَلَوْ جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون ﴾ [الزخرف : ٢٠ ، ٢٤] .

﴿ قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلاّ الظن وإن أنتم إلاّ تخرصون ﴾ [الأنعام : ١٤٨] .

﴿ وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ [الأعراف : ٢٨] .

﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين * إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون * قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ [الأنبياء : ٥١ ، ٥٣] وقال في [سورة الشعراء ٧٠ ، ٧٤] ﴿ إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون * قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين * قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو يضرون * قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون ﴾ .

﴿ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم

مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أنداداً وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا هل يجزون إلاَّ ما كانوا يعملون ﴾ [سبأ : ٣١ ، ٣٣] .

﴿ فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ﴾ [الأنعام : ٣٣] .

قال تعالىٰ : ﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهنَّ ﴾ . [المؤمنون : ٧١] .

قال الله تعالىٰ لسيدنا داود :

﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب ﴾ [صٓ : ٢٦] . وقال لسيدنا محمد ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم ﴾ [الشورىٰ : ١٥] .

﴿ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم ﴾ [المائدة : ٤٩] .

وقال له صلَّى الله عليه وسلَّم:

﴿ ومنهم من يستمع إليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفاً أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم ﴾ [محمد : ١٦] .

﴿ أفمن كان على بيِّنة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم ﴾ [محمد : ١٤] .

﴿ فأما من طغىٰ * وآثر الحياة الدنيا * فإن الجحيم هي المأوى * وأما من خاف مقام ربه ونهىٰ النفس عن الهوى * فإن الجنة هي المأوى ﴾ [النازعات : ٣٧ ، ٤١] .

خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت. «وفي معنى آخر » الحكمة ضالة المؤمن ينشدها ولو في فم كافر . « وفي لفظ آخر » الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها . رواه الترمذي وقال حديث غريب .

ويقول الله تعالىٰ فيمن عبدوا اللات والعزى وسواهما : ﴿ إن هي إلاَّ أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلاَّ الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ [النجم : ٢٣] يقول : ﴿ إنَّ الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثىٰ * وما لهم به من علم إن يتبعون إلاَّ الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً ﴾ [النجم : ٢٧ ، ٢٨] . ويقول في شأن الذين يتخذون من دون الله شركاء ولم ينظروا نظراً سليماً ؛ فغفلوا عن الله يرزقهم من لسماء والأرض. ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويدبر الأمر. ويبدأ الخلق ثم يعيده، ويهدي إلى الحق، وشركاؤهم لا يستطيعون من ذلك شيئاً، تحدث اللّٰه عن ذلك في آيات ، ثم أتبعها بقوله : ﴿ وما يتبع أكثرهم إلاَّ ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون ﴾ [يونس : ٣٦] . ويقول في منكري البعث : ﴿ وقالوا ما هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلاَّ الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلاَّ يظنون ﴾ [الجاثية : ٢٤] . وينعي على من جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرَّحمٰن اناثاً وعبدوهم ، فيقول : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثاً اشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون * وقالوا لو شاء الرَّحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلاَّ يخرصون ﴾ أي يظنون . [الزخرف : ١٩ ، ٢٠] ، ويقول ناعياً على من اعتقدوا أن المسيح ابن مريم صلب : ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبِّه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علم إلاَّ اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ [النساء : ١٥٧ ، ١٥٨] . ﴿ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلاَّ الظن وإن أنتم إلاَّ تخرصون ﴾ [الأنعام : ١٤٨] . ويقول أيضاً في شأن الضالين : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلاَّ الظن وإن هم إلاَّ يخرصون ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

قال تعالىٰ : ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ [الإسراء : ٣٦] .

قال تعالى : ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً * إلاَّ من ارتضى من رسول﴾

[الجن: ٢٦، ٢٧]. وقال: ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاَّ هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلاَّ يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاَّ في كتابٍ مبين﴾ [الأنعام : ٥٩] ، ﴿ قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلاَّ الله ﴾ [النمل : ٦٥] ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرضٍ تموت إن الله عليمٌ خبير ﴾ [لقمان : ٣٤] . ﴿ ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ﴾ [الأعراف : ١٨٨] . ويقول النبي صلَّى الله عليه وسلَّم : « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » رواه أصحاب السنن والحاكم وصحيحه ، ويقول : « ليس منا من تطير أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له أو سحر أو سحر له ، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد » رواه البزار بإسناد جيد .

الله يحثّنا على استخدام العقل : لذلك يجب على الإنسان أن يستعمل عقله وقد ورد أمر الله باستعمال العقل في كثير من الآيات القرآنية . وذكرت مادة العقل ٤٩ مرة ومادة الفكر ١٨ مرة ، وجاءت عبارة « أفلا تعقلون » ١٣ مرة وعبارة « لعلَّكم تعقلون » ٨ مرات .

قال تعالىٰ : ﴿ ولقد يسَّرنا القرآن للذكر فهل من مُدَّكِر﴾ [القمر : ١٧] .

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقومٍ يعقلون ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

قال تعالىٰ : ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود * ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنَّما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ [فاطر : ٢٧ ، ٢٨] . وقد رأيت من هذا البيان أن العقل يمكن أن يلتقي مع ما ذكر في هذه الآيات ، ويكون مقصوداً بقوله تعالىٰ : ﴿ لآياتٍ لقومٍ يعقلون ﴾ .[البقرة : ١٦٤].

وقال تعالىٰ : ﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ [آل عمران : ١٩٠] وقال : ﴿ ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار * يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ [النور : ٤٣ ، ٤٤] . وقال : ﴿ أفٍّ لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴾ [الأنبياء : ٦٧] .

وقال : ﴿أفتعبدون من دون اللّه ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ﴾ الأنبياء : ٦٦] .

وقال : ﴿ وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون ﴾ [الصافات : ١٣٧ ، ١٣٨] . وقال على لسان موسى عندما سأله فرعون عن رب العالمين : ﴿ قال ربّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون ﴾ [الشعراء : ٢٨] . وقال : ﴿ إن في ذلك لعبرة لمن يخشى ﴾ [النازعات : ٢٦] . وقال : ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ [الحشر : ٢] . وقال : ﴿ فلينظر الإنسان إلى طعامه * أنا صببنا الماء صباً * ثم شققنا الأرض شقاً ﴾ [عبس : ٢٤ ، ٢٦] . . وقال : ﴿ أوَلَمْ ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء ﴾ [الأعراف : ١٨٥] ، وقال : ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴾ [ق : ٦] . وقال : ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ [الغاشية : ١٧] ، وقال : ﴿ فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها ﴾ [الروم : ٥٠] وقال : ﴿ أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ﴾ [الروم : ٩] وقال : ﴿ أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ [الحج : ٤٦] .

ومما ورد في النعي على من يهملون عقولهم ، واستحقوا أن يكونوا كالبهائم المجردة من هذا الامتياز الكريم ، قوله تعالى : ﴿ إن شرَّ الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ﴾ [الأنفال : ٢٢] . وقوله : ﴿ صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ [البقرة : ١٧١]. وقوله : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك

كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ [الأعراف : ١٧٩] . وقوله في الذين ألغوا عقولهم ، فلم يستجيبوا لنداء الحق ، وكان جزاؤهم النار : ﴿ وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير ﴾ [الملك : ١٠] . وقوله : ﴿ ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ﴾ [يونس : ١٠٠] .

كذلك لا يوجد في القرآن الكريم آية واحدة ولا في أحاديث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم حديث واحد يحول بين الإنسان والله ؛ وذلك حتى يعمل الإنسان عقله . . بلا هيمنة أو سيطرة من أحد فلا سلطان على عقل الإنسان إلاّ الموعظة الحسنة قال تعالىٰ : ﴿ فذكر إنّما أنت مذكر ، * لست عليهم بمصيطر ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] .

يقول النبي : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

الخلاصة :

أوضحنا فيما ذكرنا أن الله سبحانه وتعالىٰ كان يخاطب عقل الإنسان في رسالته الإعلامية القرآنية .ونهى الإنسان عن تعطيل عقله ، أو اتباع الظن أو الهوى أو التقليد الأعمى أو أن يجعل الإنسان سلطاناً على عقله ، وكلها أعمال غير عقلانية .

* * *

إن الإعلام في القرآن هدفه هو تحديد المنهج للإنسان الذي خلقه الله ثم اطلقه في الأرض ، ومنحه الإرادة والعقل ليختار لنفسه الطريق الذي يسلكه في حياته .

ويلخص فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي موقف الإنسان تجاه الحياة والدعوة بقوله :

منهج حياة الإنسان . . الحياة السعيدة . . الآمنة . . وضعها الله سبحانه وتعالى وقال . . هذا منهجي . . وضعته لكم لتطيعوه في الحياة الدنيا . . فتفوزوا في الدنيا والآخرة . . ولقد وضعت لكم في هذا المنهج حرية الاختيار . . وحملتكم الأمانة . . فمن جاءني طائعاً مختاراً . . فهو في كنفي . . ادافع عنه وأحميه . .

وأوفيه أجره في الدنيا والآخرة . . ومن لم يأتني وكفر بنعمتي . . فيتحمل وزر ما فعل . . وكان هدا هو المنهج الذي نزل به آدم إلى الأرض . . والذي ارسل الله الرسل ليذكروا به . . كل إلى قومه . . بعد ان نسي اولاد آدم منهج الله . . وحرفوه . . واخفوه . . واضافوا له أشياء هى من عندهم ونسبوها إلى الله سبحانه وتعالى ظلماً وعدواناً . . ولذلك عندما انزل الله المنهج كاملاً متكاملاً . . وهو القرآن الكريم . . جامعاً لكل رسالات الأنبياء . . ومزيدا عليها . . ومصححا لما حرف . . وجعله خاتم الرسالات في الأرض . . قرر الله سبحانه وتعالى ان يقوم هو بالحفاظ على المنهج حتى لا يدخله تحريف بشري . . وظل القرآن طوال اربعة عشر قرناً . . وسيظل إلى قيام الساعة . . محفوظاً من الله سبحانه وتعالى . . مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾[الحجر : ٩] .

والله سبحانه وتعالى وضع المنهج . . وخلق الإنسان وعلمه هذا المنهج . . وكيف يطبقه برسل ارسلها من البشر لتطبق المنهج تطبيقاً عملياً يكون قدوة وبياناً . . وبرهاناً . . لكل من يجيء بعدهم . . وبشرية الرسول في الرسالات . . حتمية . . لأنه لو انزل الله سبحانه وتعالى رسولاً من الملائكة . . او من الجان . . او من اي جنس غير البشر . . لقال الناس هؤلاء ملائكة مخلوقون من نور . . ولهم قوانين . . ولا نستطيع إن نفعل ما يفعلونه . . أو هؤلاء جان . . مخلوقون من نار . . وقوانينهم مختلفة عنا . . ولا نستطيع ان نفعل ما يفعلونه . . او هؤلاء ليسوا بشراً . . وقوانينهم تختلف عنا . . وقدراتهم فوق قدراتنا . . ولذلك فنحن لا نستطيع ان نقوم بما يقومون به . . ولقالوا لله سبحانه وتعالى . . لو كنت قد أرسلت لنا بشراً رسولاً له نفس قدراتنا . . ونفس قوانيننا لاتبعناه . . ولذلك ارسل الله سبحانه وتعالى رسلاً اصطفاهم من البشر حتى لا يكون لإنسان حجة يوم القيامة في عدم تطبيق منهج الله . . لأنه فوق قوانين البشر وقدراتهم . . بل تكون بشرية الرسول . . حجة عليهم في انه كان بشراً رسولاً . . وكان يطبق ويقدر على تطبيق المنهج . . فلا عذر لكم وحجتكم مرفوضة . .

الحمد لله الذي ارسل منهجه لنا من السماء لنتبعه . . لماذا : لأن الحياة دون

منهج من الله . . لفعل كل انسان ما يهوى . . واتخذ إلهه هواه . . فالقوي يقتل الضعيف . . والحاكم يستعبد المحكوم . . وتصبح الأرض أسوأ من غابة مملوءة بالوحوش . . يفتك كل منها بالآخر . . ولا توجد حماية لأحد . . ان الإنسان حين يفعل ما في هواه بدون قيود عليه . . يصبح الحرام حلالاً . .

ونجد في القرآن : ان كل خير فيه من جنس البشر . . اي كل شيء يكون فيه . . هوى الإنسان هو الذي يحكم يصيب البشرية بشر ولكن الذي يحول الشر إلى خير وينشر السلام والأمان في الأرض . . هو الإيمان . .

ويقول الله سبحانه وتعالى : ﴿والعصر * إن الإنسان لفي خسر[1] ﴾ . . هذا هو حكم . . الله سبحانه وتعالى على البشرية . . بلا منهج . . خسران مبين . . وشر وويل . . وفساد في الأرض . .

وقتل لكل ما هو صالح . . ومنع للخير . . ثم يأتي الله سبحانه وتعالى . . ويستثني من الذين يعيشون في خسران بين . . المؤمنين . . فيقول سبحانه وتعالى : ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾[2] . . ان الإنسان بلا منهج . . وحش يخرب في الأرض . . يحرق الزرع . . وينشر الذعر والخوف والفساد . . فإذا تمسك بالمنهج كان المجتمع الصالح الذي لا يشقى فيه بشر . . ثم يصف الله سبحانه وتعالى نفسية الإنسان الذي يعيش بدون منهج . . فيقول ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسه الشر جزوعاً * وإذا مسه الخير منوعاً ﴾ [المعارج : ١٩ - ٢١] . . أي ان الله سبحانه وتعالى يقول لنا . . ان الإنسان عندما يكون بلا منهج . . ورأى شراً . . او واجه شراً فهو هلوع خائف يستسلم . . ويركن ولا يقاوم . . الجبن هو اساس حياته . . وهذا يفسر لنا . . كيف استعبد البشر الوف السنين . . وكيف كان القوي يستعبد الضعيف . . خشي الناس أقوياءهم . . فكان هناك بشر نصبوه إلهاً يسجدون له . . لأنه قوي . . ولأنه ينذرهم بالشر . . فإذا انذرهم بالشر هلعوا وخافوا . . وسجدوا له وعبدوه . . وعبودية الإنسان للإنسان هي أسوأ أنواع العبودية . . بينما عبودية الإنسان

---

(١) سورة العصر : ١ ، ٢ .

(٢) سورة العصر : ٣ .

لله هي ارقى أنواع الحياة . . لماذا . . لأن الإنسان إذا استعبدك أخذ منك ولم يعطك شيئاً .

وهكذا يدفعك الهلع والخوف . . الذي يضعه في نفسك عدم الإيمان . . يدفعك هذا إلى ان تعيش حياة البؤس والشقاء . . يستعبدك من هو أقوى منك . . ويأخذ منك كل ما تملك . . وإذا اختلفت معه قتلك وسلبك الحياة . .

ولكن عبوديتك لله سبحانه وتعالى . . هي عطاء بلا أخذ . . فالله يعطيك الحياة . . ويعطيك الصحة . . ويعطيك المال . . ويعطيك الولد . . ويعطيك العافية . . ويعطيك الطمأنينة . . ويعطيك الشجاعة والقوة والقدرة . . ويعطيك الأمن . . ويعطيك المنهج الذي يكفل لك كل حقوقك . . فلا يضيع لك حق . . مهما تكن قوة ذلك الذي يظلمك . . لأن الله أقوى منه . . فمنهج الله مع الضعيف ضد القوي . . ومع المظلوم ضد الظالم . . ولقد قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه « الضعيف منكم قوي عندي حتى آخذ الحق له . . والقوي منكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه » . . وهكذا منهج الله . . قوة للضعيف . . ووقوف في وجه الظالم . . فأنت حين تتبع منهج الله تعيش حياة كلها عطاء . .

وتمضي الآية الكريمة في وصف اولئك الذين لا يتبعون المنهج . . ﴿ وإذا مسه الخير منوعاً ﴾[1] . . أي ان اولئك الذين لا يتبعون منهج الله . . إذا أصابهم خير . . اعتقدوا أنهم في منعة من الله . . فاستكبروا . . ونسبوا الفضل إلى انفسهم وقدراتهم . . فإذا بهم يستخدمون هذا الخير . . في إفساد الأرض بدلاً من صلاحها ويعيشون ظلماً وفساداً فيها معتقدين أن مالهم وما أعطوا من خير يجعلهم في منعة فيفترون على الضعيف ويأكلون حقوق اليتامى . . ويعتدون على اعراض الناس . . هذا الافتراء كله . . مرجعه إلى إحساسهم بأن الخير يمنعهم من حساب الله ، ويطلق يدهم في ظلم الناس . . وهم بدلاً من أن يعترفوا بفضل الله عليهم يطغون .

أما ذلك الذي يتبع منهج الله إذا مسه الخير . . يعلم ان ذلك من الله سبحانه وتعالى . . فيحمد الله على فضله . . وينسب الخير لأهله . . والقدرة لله . .

---

(١) سورة المعارج : ٢١ .

ويستخدم هذا الخير في اصلاح الكون حسب ما يأمر به منهج الله . . فيعطي اليتيم والفقير . . ويحسن على المسكين . . ويخاف ان يظلم احداً حتى لا يذهب الله عنه النعمة . . ويرعى الله الذي اعطاه هذا الخير في كل قرش ينفقه . . وكل ما يخرجه . . وهو يصلح ولا يفسد ويقيم ولا يهدم . . ويعمر ولا يخرب . . وبذلك تصبح الأرض كلها خيراً وبركة . . والحياة طيبة آمنة . .

وبعد ان يعطينا الله صورة للإنسان الذي بلا منهج . . بأنه إذا أصابه شر . . او هدده بشر خاف وأصابه الهلع وسقط على ركبتيه مستسلماً . . وإذا أصابه الخير . . أفسد في الأرض . . وحسب انه في منعة من الله . . ويأتي الله سبحانه وتعالى . . ويقول: ﴿الا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون﴾[المعارج:٢٢ ـ ٢٣] . . أي المؤمنين المطبقين للمنهج . . لماذا . . لأن الانسان إذا طبق منهج الله لا يصيبه الهلع أبداً . . ولا الخوف . . لأنه يعلم انه إن كان ضعيفاً يواجه قوياً شرساً . . . فإن الله معه . . والله اقوى من خصمه . . والله اقوى من ذلك الذي جاء يتوعده بالشر . . ولذلك فهو لا يستسلم . . ولا يهلع أبداً . . لأنه حتى ولو وقف في مواجهة اقوى البشر . . يحس بقوة الله معه . . وبقدرة الله بنصره . . فيصبح ذلك القوي أمامه ضعيفاً . . ويصبح ذلك الجبار أمامه بشراً لا يخشاه . . وهكذا يورث الإيمان شجاعة في النفس . .

وقوة الوقوف في وجه أي حاكم جبار مهما بلغ . . فلا تهن النفس . . حتى ولو واجه الإنسان الموت . . لأنه إذا مات الإنسان مدافعاً عن ماله او عرضة . . مات شهيداً . . والمؤمن لا يخشى الشهادة . . ولكنه يتمناها . . ولذلك فإن المؤمن لا يمكن ان يستعبد . . ولا ان يهلع ويخاف . . امام طاغية جبار . . ما دام في صدره إيمان . . ولا يمكن ايضاً ان يجعله الخير يحس بأنه في منعة من الله . . بل انه يستخدم الخير ليزيد حسناته . . ويتقرب إلى الله . . فهو يعلم ان الباقي هو الله وحده . . وان ما يبقى له من عمل . . هو ما قصد به وجه الله .

ونورد فيما يلي ما ورد بالقرآن الكريم من آيات بينات خاصة بالإنسان ؛ خلقه وعمله وارادته وعقله وما اعده الله تعالى للمحسنين والمسيئين من بني الإنسان .

وإتماماً لحديث القرآن عن الإنسان نورد فيما يلي بيان الآيات القرآنية التي تذهب بالإنسان وخلقه وسلوكه ومصيره :

﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها * رفع سمكها فسواها * وأغطش ليلها واخرج ضحاها * والأرض بعد ذلك دحاها * اخرج منها ماءها ومرعاها * والجبال ارساها * متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ . [سورة النازعات : ٢٧ - ٣٣] .

﴿ والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين * لقد خلقنا الإنسان في احسن تقويم * ثم رددناه اسفل سافلين * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون * فما يكذبك بعد بالدين * أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾ [سورة التين : ١ - ٨] .

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمإٍ مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * الا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا ابليس ما لك الا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وان عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ [سورة الحجر : ٢٨ - ٣٥] .

﴿ أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلاً ما تذكرون ﴾ [سورة النمل : ٦٢] .

تنوع أساليب مخاطبة القرآن للناس

ـ اسلوب مخاطبة المؤمنين .
ـ اسلوب مخاطبة أهل الكتاب .
ـ اسلوب مخاطبة الكافرين .

١) اسلوب مخاطبة المؤمنين

خص القرآن الكريم بعض الفئات من عباد الله بدعوة تتجه اليهم ، لها وسائلها وغاياتها الخاصة بهم . ونستطيع ان نميز الفئات الثلاث التالية التي توجه إليها القرآن الكريم بدعوة خاصة بهم وهم :

١) المؤمنون والمسلمون .
٢) اهل الكتاب وبصفة خاصة اليهود والنصارى .
٣) المشركون والكافرون .

ونتناول الحديث عن الأسلوب القرآني للدعوة بالنسبة لكل فئة من الفئات الثلاث :

يتجه الأسلوب القرآني بالنسبة للمؤمنين الذين هداهم الله إلى الإيمان برسالة الإسلام التي أرسل بها رسوله الكريم محمداً بن عبد الله صلى الله عليه وسلم إلى وصفهم .. وما تحلوا به من كريم الفضائل والخصال بآيات تتألق بالنور نلمس فيها تعاطفاً ومحبة عظيمين، ثم يفرق الاسلوب القرآني بينهم وبين غيرهم ليبين للناس ما يفصل هؤلاء عن الآخرين ويبين امتيازهم الذي لا يدرك ... ثم يصعد لنا القرآن جزاءهم عند ربهم . ومن الواضح ان هدف هذا الأسلوب ، هو تثبيت المؤمنين على إيمانهم بأروع الآيات التي تزكيهم عند الناس والله ، وهم بما يرونه من حب الله لهم

واعزازه لا يملكون إلا ان يكونوا جنده واحباءه الـذين يبذلـون حياتهم وأرواحهم في سبيل الله . . .لا يبالون ما يصيبهم لأنهم على اتصال وود بربهم الذي إليه ترجع كل الأمور .

وبهذه المنزلة التي جلاها الأسلوب القرآني بالنسبة للمؤمنين ، يصبح الإيمان غاية كل من يتطلع إلى هذه المنزلة الرفيعة عند الله ورسـوله والنـاس ـ وسنرى كيف سما الأسلوب القراني إلى الذروة بجماله وبلاغته ورمزه وإيقـاعه الـذي يتحدث إلى أسمى ما في الإنسان من إدراك وعواطف ومشاعر .

يقول تعالى في وصف المؤمنين : ﴿ . . كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفـرانك ربنـا وإليك المصير ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٨٥] .

ويقول جل شأنه في ذلك ايضاً : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً * والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً * والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراماً * إنها ساءت مستقراً ومقاماً * والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً * والذين لا يدعون مع الله إلَهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون. ومن يفعل ذلك يلق أثاماً ﴾ [سورة الفرقان الآية من ٦٣ إلى ٦٨] .

ويقول تبارك وتعالى في ذلك : ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعـض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتـون الزكـاة ويطيعـون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم ﴾ [سورة التوبة الآية : ٧١] .

ويقول عز وجل : ﴿ والذين آمنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقـون والشهداء عنـد ربهم لهم أجرهم ونـورهم والذين كفـروا وكذبـوا بـآيـاتنـا اولئـك اصحـاب الجحيم ﴾ [سورة الحديد : ١٩] .

﴿ محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحمـاء بينهم تراهم ركعـاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم

في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع اخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾ [سورة الفتح الآية : ٢٩] .

وفي التفرقة بينهم وبين غيرهم نرى الـذين هداهم الله بـالإيمان يتـألقون في كلمات مضيئة كأنهم النجوم :

يقول عز وجل : ﴿ اومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي بـه في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكـافرين مـا كانـوا يعملون ﴾ [سورة الأنعام : ١٢٢] .

ثم يقول تبارك وتعالى ايضاً : ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ [سورة السجدة : ١٨] .

وفيما اعده الله للمؤمنين والمؤمنات يقدم لنا الأسلوب القرآني صوراً رائعة تبهر الأبصار وتأخذ بمجامع القلوب ، فالله تبارك وتعالى وليهم وحسبهم ذلك شرفاً يتيهون به على كل الخلق .

٢) اسلوب مخاطبة أهل الكتاب

يمثل الأسلوب القرآني لدعوة اهل الكتب المنزلـة ، دعوة من أنبـل الدعـوات وأكثرها سماحة ، وهي بعد دعوة إلى وحدة الدين المنزلة من رب العالمين سواء نزل على موسى او عيسى او محمد عليهم السلام .

ودعوة القرآن على هذا النحو تتلاءم مع كون الإسلام المنزل على رسول الله هو آخر الأديان المنزلة من السماء ، ومع كونه دعوة عالمية تسعى لجعل الناس جميعاً أمة واحدة تستظل برحمة الله وتهتدي بهديه .

وقد تضمن القرآن الكريم كثيراً من الآيات البينات التي تحدثت عن الكتابيين وبصفة خاصة عن اليهود والنصارى من اتباع موسى وعيسـى عليهما السلام .

كمـا نلمس في الدعـوة القرآنيـة تقديـراً لما جـاءهم من الكتب ، وحثـاً على

معاملتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن بقوله تعالى :

﴿ ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي انزل الينا وانزل إليكم وإلٰهنا وإلٰهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ [سورة العنكبوت ﴾ .

وتأكيداً لوحدة الدين ترى الدعوة القرآنية تشيد بمواقف اهل الكتاب ، الذين يشهدون بكل ما ينزل من الله ويؤمنون به بقوله عز وجل :

﴿ وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً اولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب ﴾ [سورة آل عمران : ١٩٩] .

﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً * ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولاً * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعاً ﴾ [الإسراء : ١٠٧ ـ ١٠٩] .

من كل ما تقدم تأتي الدعوة القرآنية ، بما لم تأت به دعوة أخرى ، بتأكيدها لوحدة الأسس والمنبع والهدف لكل الأديان ، كما تؤكد ان الأخوة في الدين والإنسانية هي دعوة أصيلة وأساسية في القرآن والإسلام تعبر عن الإرادة الإلٰهية الحكيمة في إقامة الوحدة بين بني الإنسان ليستظل كل البشر برحمة الله وما يدعو إليه من خير وحب وسلام . .

وتتسق هذه الدعوة في تقرير الخير والسلام لكل البشر مع الآية الكريمة التي تؤكد ان الإسلام جاء متمماً ومكملاً وخاتماً لكل رسالات السماء فيقول تعالى :
﴿ اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾
[المائدة : ٣] .

وندرك سمو هذه الدعوة وصدقها إذا علمنا ان اكثر الآيات المتصلة بأهل الكتاب ودعوتهم انزلت بمكة ، حين لم يكن للمسلمين اتصال يذكر بهم ، وكان الإسلام ما يزال غضاً لم يشتد عوده والمؤمنون قلة لا يحب لهم حساب وفي تلك

المرحلة المبكرة من الدعوة ، تحدث الأسلوب القرآني عن وحدة الدين وأخوة المؤمنين تحت سلطان الإله الواحد الذي لا شريك له في الملك .

في ذلك الزمن تدور الدائرة على الروم وهم أمة دانت بالمسيحية فيحزن المؤمنون لما أصابهم من هزيمة وينزل القرآن الكريم يبشرهم بنصرهم في بضع سنين :

﴿ غلبت الروم * فى ادنى الأرض وهم من بَعْدِ غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [سورة الروم : ٢ ـ ٦] .

لقد كانت دعوة القرآن المبكرة إلى اتحاد البشرية في الدين وما يتبعه من وحدة تحت لواء الله والخير ، دعوة تحسب للدين القيم ، وتستحق كل تقدير وإجلال في عالمنا هذا الذي نعيش فيه وتعصف به أسباب الخلاف والصراع على نحو يهدده بالدمار والفناء . . كانت دعوة نبيلة كريمة لعالم لا يصلحه الا الاتحاد تحت سلطان الحكيم القدير الوهاب ، وتلك هي سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

ويتأكد هذا الهدف السامي مرات في الدعوة القرآنية لعباد الله بقوله تعالى : ﴿ ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ [سورة المائدة : ٦٩] .

ويقول تبارك وتعالى : ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ﴾ [الحديد : ٢٧] .

على ان استجابة اليهود قد اختلفت عن استجابة النصارى . وإذا كانت هذه الاستجابة لم تخرج الدعوة القرآنية عن اهدافها في وحدة الدين واخوة اصحابها في الله ـ كأساس من أسس الدعوة القرآنية ـ لا تبتذل باختلاف مواقف اليهود مع المسلمين ، فإنها تفعل ذلك من باب إدانة كل شر ورذيلة ، وهو ما التزمت به الدعوة بالنسبة للجميع ، لتحقيق طهارة الحياة من كل ما يشوهها .

والدعوة القرآنية لا تتخلى عن مبادئها الأساسية وأهـدافها العلويـة ، وان امعن الأشرار في ضرهم ، واسرفوا في غيهم ، فتراها تفتح قلبها مرات للذين انحرفوا عن الصراط المستقيم :

﴿ ولو أن أهل الكتـاب آمنوا واتقـوا لكفرنـا عنهم سيئاتهم ولادخلنـاهم جنات النعيم * ولو أنهم أقاموا ألتوراة والانجيـل وما انـزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ [سورة المائدة : ٦٥ ، ٦٦] .

وتمضي الـدعوة في طـريقها تؤكـد وحدانيـة الله والدين واخـوة المؤمن لكـل المؤمنين ، وان كـانت في طريقهـا تصحح انحـراف المسرفين والمنحـرفين من أهل الكتاب . . ذلك الانحراف الذي لا يخدم الاهداف العليا لدعوة الدين .

يقول تعالى في ذلـك : ﴿ وإذ قال الله يـا عيسى ابن مريم أأنت قلت للنـاس اتخذوني وأمي إلهـين من دون الله قـال سبحانك ما يكون لي أن أقـول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ﴾ [سورة المائدة : ١١٦] .

ويقول عز وجل تأكيداً للدعوة القرآنية الى وحدة الدين واخـوة المؤمنين تحت راية العليم الحكيم :

﴿ يـا أهل الكتـاب لا تغلوا فـي دينـكم ولا تقـولـوا على الله إلا الحق إنمـا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مـريم وروح منه فـآمنوا بـالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكـم إنمـا الله إله واحد سبحانه ان يكون لـه ولـد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴾ [سورة النساء : ١٧١] .

٣) الاسلوب القرآني لمخاطبة الكافرين

كان بين الناس حين نزل القرآن على رسـول الله صلى الله عليه وسلم فـريق طبع على قلبه ، وأغلق على عقله ، حتى لا يستطيع التمييز بين النور والظلمة ، وبين

الحق والباطل ، هؤلاء عاندوا دعوة القرآن الكريم التي نزلت برحمة الله وعدله للناس وكان أمرهم غريباً وعجيباً ومخزياً في نفس الوقت إذ كيف يتصور عقل أو تنكر عين مبصرة النور يتألق أمامها .

وكيف لا يهتز قلب انسان للرحمة ، وهو يهتز لما هو أدنى من ذلك . . والاسلوب القرآني الذي وصف الله تعالى به الكافرين من أشد الأساليب قدرة على التأثير والزجر والوعيد ، تهتز له كل نفس خشية وفزعاً ، ﴿ وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير * إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور ﴾ [سورة الملك : ٦ ، ٧] .

﴿ والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب * أو كظلمات في بحر لجّيّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾ [سورة النور : ٣٩ ، ٤٠] .

﴿ ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ﴾ [سورة الأنفال : ٥٥] .

﴿ ومن لم يؤمن بالله ورسوله فإنا اعتدنا للكافرين سعيراً ﴾ [سورة الفتح : ١٣] .

﴿ يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون * خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون ﴾ [سورة المعارج : ٤٣ ، ٤٤] .

﴿ وما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون ﴾ [سورة آل عمران : ١١٧] .

﴿ ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [سورة المائدة : ٣٦] .

بهذا الاسلوب الذي لا نجد له مثيلاً في الكتب على امتداد الدعوات والتاريخ وضع الاسلوب القرآني الكافرين في موضع تقشعر من النظر إليه أفئدة الناس ، وبهذا الاسلوب أقام القرآن سداً منيعاً حول الذين كفروا حتى لا يدخل إليهم إنسان آخر ، فكأنما حبسوا في حصن منيع لا يخرجون منه إلى الناس ، ولا يدخل إليهم فيه الناس ، وأصبحوا عبرة ورجساً نجساً فلا يستحب النظر إليهم ولا يود أحد الاقتراب

منهم . وبوسعنا ان نقدر مغزى ذلك في حماية أهل الايمان والدين من شر كبير كان يعيش معهم ويجاورهم مرتدياً أثواب الشرف الدنيوية وسلطان المال العريض

ومن حقنا ان نتساءل هل اغلقت ابواب الرحمة أمام هؤلاء الكافرين ، بلا أمل ولا منفذ إلى مغفرة أو رجعة إلى الحق . ان الاسلوب القرآني المنزل من لدن العزيز الحكيم ، الذي لا تسمو إلى حكمته حكمة الرحيم وسعت رحمته كل شيء يأبى إلا أن يمد لهذه الفئة حبال الندم والتوبة لتدركهم مغفرة الله .

﴿ قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين ﴾ [سورة الأنفال : ٣٨] .

﴿ فإن انتهوا فان الله غفور رحيم ﴾ [البقرة : ١٩٢] .

﴿ ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئاً ولو كثرت وان الله مع المؤمنين ﴾ [سورة الأنفال : ١٩] .

وتتألق رحمة الله كنور الصباح أمام من عاشوا في الظلمات ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون ﴾ [سورة التوبة : ١١] .

﴿ عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾ [الممتحنة : ٧] .

بهذا الاسلوب المعجز ، لانت قلوب كانت بالأمس قاسية متحجرة واطمأنت نفوس كانت حتى الأمس تفور بالشرك والحقد وكل أدران الجاهلية .

وحين أشرق الإسلام على شبه الجزيرة العربية كلها بعد حوالي عشرين عاماً من نزول القرآن . . لم يتجاوز عدد الذين ماتوا على الكفر مائتي رجل وامرأة وكانت تلك المحصلة التي لا مثيل لها في كل الدعوات التي مرت بها البشرية احدى النتائج المشرقة للاسلوب القرآني في الدعوة والاعلام الذي فتح أوسع الأبواب أمام كل الناس لينطلقوا إلى الإيمان ورحمة الله تعالى ومغفرته ، انطلاقاً حراً كريماً لا تشوبه شائبة من إكراه أو ضغط .

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً ﴾ [سورة الفتح : ٢٨] .

وكان فضل الله عظيماً .

ثم ألا يدعونا هذا الاسلوب الالهي السمح النبيل الى مراجعة انفسنا فيما يدفع إليه التطرف والعصبية .

استمرار الدعوة للدين ما استمرت الحياة

المسؤولية الاعلامية في القرآن ـ وجوب الدعوة بحكم تكليفي ـ نوع الوجوب ـ الدعوة إلى الإسلام في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ دعوة الصحابة إلى الإسلام ـ أسلوب الدعوة عند الصحابة ـ السنة وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ـ الجهاد والدعوة الى الإسلام ـ الحرب الإسلامية جهاد ـ الدعوة في أعقاب الحرب ـ دور الوالي في الدعوة ـ حسن الجوار ـ الدعوة الإسلامية الآن ـ تنظيم الدعوة ـ الإشراف عليها ـ الصوفية ودورها ـ أساليب جديدة ـ الداعي وصفاته .

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٤] .

وجاء نصر الله والفتح ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، وقامت أمة جديدة على الأرض يقول عز وجل فيها :

﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء علىٰ الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [سورة البقرة : ١٤٣] .

﴿ كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ [سورة آل عمران : ١١٠] .

وبهذا البيان الحكيم من رب العالمين ، أصبح واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله مسؤولية معلقة بعنق هذه الأمة التي اتم الله نعمته عليها واكمل لها الدين لتكون شهيدة على الناس .

وأمر اللّه تعالى ، إلى استمرار الدعوة إلى الدين ، أمر يقتضيه عمـران الحياة وتغلب قوى الخير على قوى الشر واستمرار الدعـوة إلى الدين هـدفها الأسمى دوام الرابطة بين الخلق ومن خلقهم وهـدفها الـدنيوي صـلاح الحياة وتـطهيرهـا من الشر والرذيلة حتى تتألق بالفضيلة والخير ، وبذلك تكون الدعوة المستمرة منسقة مع تقدم الحياة ومصلحة الناس وسعادتهم في الحياة الدنيا والآخرة .

وهذه الدعوة كما تجلت لنا في الفصول السـابقة ، تهـدف إلى توجيـه ، بصر الإنسان وعقله وقلبه ، إلى المثل الأعلى من كل أمر وإلى الأهداف السامية للوجود ، وهي لا تحرم زينة أو متعة مطهرة من الرجس أو الخبث وهي دعوة إلى الحب والإخاء الانسـاني في أسمى صورهما ، ودعوة إلى تحرر الإنسانية من كل خوف يتصل بهـذه الحياة والحياة الأخرى ودعوة إلى المساواة حيث لا يتفاضل الناس فيها إلا بتقوى اللّه والعمل الصالح .

دعوة يتواصى الجميع فيها بالصبر والحق ، ويتحدون تحت لواء اللّه ورسـوله ومن ولاه اللّه أمـرهـم من خلقه ، ويقيمـون على أساسهـا مجتمع الكفـاية والتكـامل والعدل ، يأخـذون بيد الضعيف واليتيم والمسكين والفقيـر ليكون مجتمعـاً مبرءاً من الفاقة والبغي والانحراف ويتحلون بأخلاق القرآن التي هي جماع الأخلاق وأفضلهـا وأقواها لطهارة المجتمعات وازدهارها تحت ظل الإيمان باللّه .

ان الدعوة إلى مثل هذا المجتمع واجب مفروض على كل جماعة إسلامية بأمر اللّه وقـرآنه ، على ان يتم ذلـك في إطار الأسـاليب القرآنيـة للدعوة التي بينـاها في الفصول السابقة .

وإعداد الدعاة لهذه المهمة المفروضة أمر أساسي في المجتمع الإسلامي يجب ان يكون له مكانه في خطط التربية والتعليم والاعلام ، لأنها اخطر مهمة يتوقف عليها صلاح المجتمع .

والآية الكريمة التي صدرنـا بها هـذا الباب التي تضمنت قول العزيـز الحكيم ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخـير ويـامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك

هم المفلحون ﴾ [آل عمران : ١٠٤] تدعونا إلى استمرار الدعوة للدين في كل مكان وزمان والأساليب القرآنية نبراسها الذي تهتدي به وتجعل الرسول الكريم قدوة لها في عملها الخطير العظيم الأثر في حياة الأفراد والمجتمع الذي يرسم لنا القرآن اسمى تصور له في كتابه الكريم .

﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [التوبة : ١٢٨] ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ [الشعراء : ٢١٥] .

وباتباع الاسلوب القرآني والسنة النبوية الكريمة يتحقق الخير للجميع أفراداً وجماعات : ليكون من حقنا على الله ان يتم علينا ما وعد به المؤمنين .

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً . . ﴾ [النور : ٥٥] .

المسؤولية الاعلامية في القرآن واستمرارها

إذا كانت المنكرات هي المعول الذي يهدم بناء المجتمع ويهدد كيان الأمم فالإسلام حرمها لأن أثر المنكرات غير خاص بمرتكبيها ولأن الساكت عليها يعتبر عاملاً بصمته على نشرها وإذاعتها وترى التوجيه القرآني في هذا الشأن في قوله تعالى : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾ [الآية ٢٥ الأنفال] .

وقد كان من أصول هذه المسؤولية - مسؤولية السكوت عن مكافحة المنكر مع القدرة عليها - ما أرشد إليه الرسول في واجب المسلم ازاء ذلك فروي عنه انه قال : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » وبذلك قيست درجات الإيمان بمراتب القدرة على مكافحة المنكر ، وجعل مكافحته على درجات متفاوتة .

وكفاح المنكر على صاحب السلطان أقوى وأوجب لأن الله قد وضع في يده سلطان التأديب ووسائل الزجر ؛ لأنهم وحدهم القادرون على التغيير العملي العام ثم تأتي بعد ذلك مسؤولية رب الأسرة في حدود سلطته على أفراد أسرته .

أما المرتبة الثانية من مراتب التغيير فهي مرتبة الوعظ الحسن النافذ للقلوب المؤثر في النفوس وتتطلب كثيراً من الحكمة حتى تقع في دائرة قوله تعالى :
﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥] .

والداعي قدوة : وأبرز أهل هذه المرتبة رجال الدين ورجال الاعلام ورجال التربية وهؤلاء جميعاً مسؤولون أمام الله وأمام المجتمع عن موقفهم من المنكرات وكلهم أرباب تغيير بالقول .

والمرتبة الثالثة : من يعجز عن التغيير بالفعل وبالقول فليس شأنه أمام

المنكرات شأناً سلبياً يغمض عينيه ويسد سمعه، وإنما سبيل الإنكار بالقلب قطع الصلات التي تربط المؤمن بهذا المرتكب ، وقد حددها كثير من العلماء منهم المرحوم الشيخ محمود شلتوت الذي ذكر أن الانكار بالقلب يكون بعدم مجالسة أو التعامل مع مرتكبيه بأن لا يجالس ولا يعامل ولا يؤاكل ولا يعاشر. . ولا تقضى له حوائج وملاك ذلك كله أن يقاطع مقاطعة تامة يشعر فيها بعزلته وجعل هذا الموقف تجاه تغيير المنكر من أضعف الإيمان .

أسلوب الدعوة بالحكمة
وعدم تكفير الناس أو رمي الناس بالفسق

عن أبي ذر الغفاري رضي اللّٰه عنه ، عن النبي صلى اللّٰه عليه وسلم قال : « لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو الكفر ، إلا ارتدت عليه ، ان لم يكن صاحبه كذلك » رواه البخاري .

* الفسق : الخروج عن الطاعة . فمنه ما يكون خروجاً عن الإيمان ، ومنه ما يكون معصية إذا تاب عنها المسلم يقبل اللّٰه توبته . والكفر : الجحود والنكران والتغطية فإذا كان في العقيدة كان مخرجاً من الدين وإذا كان في العمل كان معصية من المعاصي لا تخرج صاحبها من مشيئة المغفرة .

وقد[1] حرم الإسلام دم المسلم وعرضه وأن يظن به سوء . ولما كانت الرسالة المحمدية رحمة من اللّٰه بعباده ، فإنها أخرجتهم من ظلمة الفسوق والكفر إلى نور الإيمان والطاعة والاستقامة . وقد أدرك صحابة رسول اللّٰه نعمة اللّٰه عليهم في استنقاذهم مما كانوا فيه ، فكان الإيمان والعمل الصالح مأثرة من المآثر التي يعتزون بها ، ويحرصون عليها ، ويحبون أن يعرف الناس ، في غير رياء ولا تسميع ولا شهرة ، أن اللّٰه قد منّ عليهم بالتوفيق للعمل الصالح .

وقد أصبح وصف أحدهم بما ينزله عن رتبة الطاعة والاستقامة أشد عليهم من

(١) من جوامع الكَلم . . صحيفة الشرق الأوسط .

ضربات السيوف ، وطعنات الرماح ، ولهذا حذر رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن يتهم المسلم أخاه المسلم بفسق أو كفر ، ما لم تكن هناك بينة واضحة تستوفي شروط الشهادة التي أوجبها اللّه عز وجل في مثل هذه المواقف التي يترتب عليها إقامة حد اللّه عز وجل .

ولكن البشر هم البشر ؛ فكثيراً ما ينسى الإنسان في حمى الغضب والمنازعة حدود الأدب الإسلامي فتجري على لسانه ألفاظ يقصد بها أن ينتقم أشد انتقام لفظي من أخيه المسلم ، فيرميه بالفسق أو الكفر . هنا يجيء التحذير النبوي ألا يستهين المسلم بهذه الألفاظ وأن يكون على وعي من سوء عواقبها ، لأن الذي يرمى بهذه الجريمة إن لم يكن متصفاً بها حقاً ، عاد بسوء عاقبتها على الذي رماه بها ، لأنه خالف شرع اللّه وأدب رسوله ، واتهم أخاه المسلم بما هو منه براء .

وفي ضوء هذا التحذير النبوي يجدر بأهل الصلاح والتقى والخير ، العاملين في مجال الدعوة إلى اللّه عز وجل ، ألا يشتد بهم الغضب على اخوانهم من المسلمين وألا يتهموهم بالشديد من التهم التي تنفرهم من دعاة الخير ، وتبعدهم عن الاستماع إلى النصيحة ، وتورث القطيعة والنفرة بين المسلمين .

ان الداعية ملتزم بأدب رسول اللّه ، وما لم يكن مفتوح القلب واعي الحس ، مقدراً للكلمة التي يقولها ، مدركاً للأثر السيء الذي تحدثه في قلب سامعها ، إذا لم يكن الداعية على هذا القدر من الإحساس كان ضرره على الدعوة أشد من نفعه لها ، وخطره عليها أشد من خطر من يرتكب المعصية دون معاندة أو تكبر أو استهتار ، ولكنه يقع فيها كما يقع البشر في كثير من المعاصي ، ولكنهم يفيؤون إلى اللّه عز وجل ويتوبون إليه ويستغفرونه .

ومن أحق بإتباع هدي رسول اللّه من هؤلاء الذين ورثوا عنه الكتاب ، وقاموا بالدعوة إليه فجدير بهم أن يكون سلوكهم قدوة حسنة ، وحديثهم من أحسن الحديث ، وهديهم من خير الهدي ، وكيف لا وهم أتباع خير الدعاة .

جهاز الاعلام الاسلامي

المسؤولية الاعلامية في القرآن

وتأتي المسؤولية الاعلامية بتوجيه مباشر من اللّه تبارك وتعالى لرسوله ـ صلى اللّه تعالىٰ عليه وسلّم ـ في قوله تعالى :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليكَ من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [المائدة : ٦٧] .

قد حملت أمته هذه[1] المسؤولية من بعده ، ولها فيه أسوة حسنة ، لمن كان يرجو اللّه واليوم الآخر .

وانه إذا كانت الدعوة المحمدية عامة للناس كافة ، وأنه لا نبي بعده ، فإن اللّه تعالى يقول :

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ [الإسراء : ١٥] .

وقد بعث الرسول الذي هو خاتم النبيين ، وعلم أصحابه ، وجعلهم أئمة يهدون بأمره وقال : « علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل » .

لقد ربى النبي ـ صلى اللّه تعالى عليه وسلم ـ ذلك الجيل الذي عاصره من الصحابة ، وعلم أصحابه من بعدهم : التابعين ، وتوارث الناس العلم بالرسالة المحمدية ، جيلاً بعد جيل ، وحمل العلماء أمانة التبليغ ، كما حمل انبياء بني إسرائيل ـ الذين جاءوا بعد الرسل أصحاب الشريعة ـ أمانة تبليغ رسالاتهم ، وبيان شرائعهم ، ونشروها بين الناس .

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ـ لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة ـ بحث في ندوة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية .

لقد كان اللّه ـ تعالى ـ يبعث نبيين ، مبينين لشريعة من سبقوهم ، من الرسل ، داعين ، كالأنبياء الذين جاءوا من بعد موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مثل داود ، وسليمان ، وغيرهما من الذين لم يكونوا أصحاب شريعة ، ولكن كانوا مطبقين للشريعة ، حاكمين بمقتضاها .

فلما كان النبي ـ صلى اللّه تعالى عليه وسلم ـ خاتم النبيين ، ولا نبي بعده ولا وحي ينزل على أحد من خلق اللّه بعده ، كان لا بد أن يوجد من يقوم ببيان الشريعة ، وتبليغها للناس ، فكانوا هم العلماء، وكانوا كما ورد في الأثر المنسوب للرسول ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ كأنبياء بني إسرائيل ، الذين جاءوا بعد الرسل : أصحاب الشرائع ، فكانوا بحق عليهم : بيانها ، وتطبيقها ، ونشرها بين الذين خوطبوا بها .

ولذا قام المسلمون الأولون من أصحاب رسول اللّه ـ صلى اللّه تعالى عليه وسلم ـ بحق الدعوة ، وخلفهم من بعد ذلك التابعون . وكان من الحكام بعد الراشدين من قام بحق الدعوة كالحاكم العادل عمر بن عبد العزيز ـ رضي اللّه عنه ـ ، وكان من العلماء من اتخذ مبدأ الدعوة إلى الإسلام ، والدفاع عنه ، منهاجاً من مناهجهم ، كالمعتزلة وغيرهم : ممن حملوا الدعوة إلى الإسلام ، والرد على الزنادقة ، والمتهجمين على الحقائق الإسلامية .

وكان المجاهدون الأولون لا يجاهدون للغلب ، وفرض السلطان ، بل كان جهادهم ، ليشقوا الطريق للدعوة الإسلامية .

ـ يلزم أن يعمل جهاز الاعلام الإسلامي على وضع أسس إصلاح المجتمع في كل دولة من الدول حسب ما جاءت به تعاليم الدين الإسلامي ، وأن يشارك في إيجاد الحلول الإسلامية للمشاكل الشعبية ، فان هناك في كل دولة أكثر من عشرة آلاف قانون وانشغلت المحاكم فيها بالخلافات والمنازعات،ولذلك فإن إصلاح المجتمع يتوقف على أن تكون المعاملة دينية أو دنيوية قائمة على قول الحق والتواصي به بين أفراد المجتمع . يقول الرسول صلى اللّه عليه وسلم : « وخالق الناس بخلق حسن » ان مخالقة الناس بخلق حسن كفيل بإصلاح المجتمع ، ولو أن الناس جميعاً راعوا هذه الصفات في جميع معاملاتهم لذهب الخلاف وقُضي على المنازعات

والمشاحنات فيما بينهم ، ولقد صدق من قال : لـو أنصف الناس لاستـراح القاضي . فإذا قام كل فرد برعاية الحق والعدل ، وخالق الناس بخلق حسن فلا شك أنـه يرعى حق المجتمع ، فيأخذ بالعدل حقه ، ويعطي بالمعروف حق الناس عليه وذلك من أهم العوامل لتحقيق أهداف الرسالة الاسلامية .

ـ وعلى ضوء هذا يتبين للناس أن الشريعة الإسلامية قد رسمت للنـاس منهج الحياة العزيزة الكريمة وأن اللّٰه تعالى قد جاءهم بكتاب مبين ضمنه مصالح العباد وهم أعلم بما فيه نفعهم وقد ملأه بالنذر والتهديد ليقوّم بذلك عوجهم ، وأرسل اليهم رسولاً أنزل عليه هذا الذكر ليبين للناس ما نزّل اليهم .

ـ يلزم أن يهتم الجهاز الاعلامي بأن المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف .

وذلـك هو مـا قـرره علمـاء الاجتمـاع ، وعلى رأسهم عـالم اجتمـاعي : «ابن خلدون » فلقـد قرروا : ان الضعيف مـطبوع دائمـاً على تقليد القـوي ، واتبـاعـه ، ذلك : أن القوة في ذاتها دعوة إلى اتباع فضائل من يتحلى بها ، ولأن ضعف القلوب يجعله يقتبس من أسباب القوة عند الغالب .

ـ يلزم أن يبين الجهاز الاعلامي الإسلامي موقف الإسـلام من الحروب وأخـلاق الاسلام في الحروب ، فان الاحتكاك في الحروب ، يجعل الأخلاق والآداب تسري بين النـاس ، وتعلق الأخلاق القـوية على الأخـلاق الضعيفة ، ويفيض الأعلى على الأدنى ، كشأن طبائع الأشياء في الماديات والمعنويات على سواء .

فكانت الحروب معلمة بالإسلام ، ودعوة إليـه من غير إكـراه ، لقد كـان شأن المسلمين الأولين في غزواتهم : أن يخيروا من يحاربونهم بين أمور ثلاثة : أن يسلموا ويبينوا لهم الإسلام ، أو يعقدوا معهم العهد، ليأمن كل فريق صاحبه ، أو الحرب .

وان ذلك يقتضي حتماً : أن يتعرفوا الإسلام ، وما اشتمل عليه ، ويقابلوا بينه وبين ما عندهم ، وأنهم بلا ريب سيجدون فيه علواً على ما عندهم ، وفي وسط هذا تسري المبادىء الإسلاميه إلى الشعوب ، كما يسري النور في الظلام ، ويزيل كثافة الظلمات .

إن الأخلاق الاسلامية بجوار قوة المسلمين الحربية ، والمعنوية ، وعدالة الغالب مع المغلوب ، كل هذا : يكون من شأنه أن يؤثر في النفس ، ويفيض منها ينبوع الخير ، وتتفجر من القلوب التي كانت كالحجارة ، أو أشد قسوة ، ينابيع الايمان القوي العامل .

ان معاملة المغلوبين الحسنة : من شأنها أن تفتح قلوب المغلوبين إلى الهداية .

وقد كان الغزاة **الأولون في** قلوبهم رحمة ورأفة ، وعدالة ووفاء ، وأخلاق العزة والكرامة التي لا تكذب ، ولا تنافق ، ولا تهن ، ولا تذل ، وأن ذلك بلا شك من شأنه أن يدني القلوب ، ويؤلفها ، واذا دنت القلوب من أهل الايمان ، سرى اليها ، ولا تقف محاجزات بينها وبينه .

ان من واجب الجهاز الاعلامي الاسلامي أن يوضح أن الإسلام لا يعرف التعصب ، وأنه ثبت نفسيا : أن التعصب لدين من الأديان ليس منشؤه قوة الايمان به ، انما منشؤه ضعف في النفوس ، وانحياز فكري ، وعدم النظر الى الأمر من كل نواحيه ، ولا شك أنه اذا دنت القلوب بعد اغترابها ، لانت بعد عصبيتها ، وتركت الانحياز الى الائتلاف ، والابتعاد الى الاقتراب ، وعندئذ يدخل نور الايمان وتتفتح أمامه المغاليق .

ان توضيح مبادىء الاخلاق الاسلامية تعتبر مهمة رئيسية لجهاز الاعلام الاسلامي ، فان الأخلاق الاسلامية تؤلف ، ولا تنفر ، وتقرب ، ولا تبعد ، فلقد أوصى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحسن المعاملة ، وروي في بعض الآثار أن : « الدين المعاملة » .

ولقد أوصى الله ـ تعالى ـ بحسن الجوار ، وقال النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ :

« ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه »[1] .

---

(١) الفتح الكبير : ٣ ـ ٩٣ لأحمد في سنده ، وللبخاري ومسلم ، ولأبي داود ، وللترمذي عن ابن عمر.

وحقوق الجار عظيمة ، من شأنها : أن تربط بينهما بالمودة ، والحسنى ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قالها ثلاثا ،. قالوا : ومن هو يا رسول الله ؟ قال : ذلك الذي لا يأمن جاره بوائقه »

ولقد كان لعبد الله بن عباس جار يهودي ، فكان اذا أحضر لاولاده فاكهة ، اعطى منها لاولاد جاره ، وكان اذا ذبح شاة ، أهدى الى الجار اليهودي منها .

ولقد نص النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ على الاحسان الى الجار المشرك ، فروي عنه : أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قسم الجيران الى ثلاثة : جار مسلم ذو رحم : له حق الجوار ، وحق الرحم ، وحق الاسلام ، وجار مسلم : له حق الجوار وحق الاسلام ، وجار مشرك : له حق الجوار .

ومن هذه الاخلاق التي أوصى النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ فيها بحسن العشرة ، وحسن المعاملة ، دخل الإسلام الى القلوب ، وقرب النفوس .

وان العدالة الإسلامية في الشعوب التي حكمها ، كانت مرطبة لنفوس المغلوبين ملينّة لقلوبهم فالله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى ﴾ [المائدة : ٨] .

والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أوصى بالذميين ، وقال :

« من آذى ذمياً فأنا خصمه ، ومن كنت خصمه ، خاصمته يوم القيامه »[1]

ولقد كان الخلفاء الراشدون حريصين على إكرام الذميين ، والعدالة فيهم ، وحققوا القاعدة الفقهية التي تقول : لهم ما لنا، وعليهم ما علينا ، من غير وكس ولا شطط .

---

(١) الفتح الكبير : ٣ ـ ١٤٤ للخطيب عن ابن مسعود .

ان الإسلام كان دين العدل في وسط عنجهية الحكم الطاغي ، والظلم المبين ، وكان فيه انقاذ الرعية ، من الولاة الظالمين ، والظلمة الآثمين .

ولا شك : أنهم عرفوا أن الإسلام في عهوده التي يعقدها مع الحكام ـ ملوكاً كانوا أو غير ملوك ـ كان يشترط عليهم العدل في رعاياهم ، فان لم يعدلوا ، فقد نكثوا في أيمانهم ، ورد اليهم عهدهم ، وقام المسلمون بقتالهم لابعادهم عن ظلم الرعية ، ذلك : أن الظلم حرام في الإسلام ، جاء بتحريمه القرآن، ووصايا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ـ وكل شرط يحل حراماً ، أو يحرم حلالاً فهو رد على من اشترطه كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم :

« المسلمون عند شروطهم ، الا شرطاً أحل حراماً أو حرم حلالاً »[١] وإن الظلم حرام بحكم الشرع ، وبحكم العقل .

وكانت كل هذه الخصال من اعظم الوسائل التي دعمت الاعلام عن الاسلام وتفتحت له العقول والقلوب .

واذا كان هذا موقفنا الاعلامي الآن بالنسبة للاسلام والدعوة اليه نجد أننا أهملنا الدعوة والتعريف بالاسلام ، حتى بين المسلمين . ان في اطراف البلاد الإسلامية من لم يعرف من الإسلام الا الشهادة والصلاة ، على انحراف في أدائها ، ففيهم من يجهلون أحكام الدين في كثير من الأمور ما يحل منها ، وما يحرم .

وهكذا : كان التقاطع ، والتدابر من أسباب جهل المسلمين بدينهم ، فضلاً عن أن يوفروا أحكامه لغيرهم ، ويبلغوا رسالة نبيهم في الآفاق .

ولكن مع ذلك : استمر الاسلام ينتشر ، لأنه في ذاته حقائق تدعو بذاتها ، وفيها برهان صدقها ، ودليل العرفان بحقها .

وان الرجل يقرأ القرآن في التراجم المتحاملة على الإسلام ، فيحس فيها نوراً

---

(١) الفتح الكبير ٣ ـ ٢٥٧ « المسلمون عند شروطهم فيما أحل » ضمن ثلاث روايات هذه إحداها للطبراني عن رافع بن خديج .

يشع ، وسط ظلمات التشويه والتحامل . فيؤمن العوائق التي تحول بينه وبين الايمان ، من أحوال المسلمين الظاهرة .

ـ واجب الجهاز الاعلامي الاسلامي أن يرشد ويصدر النشرات التي يكتبها كبار العلماء ، فإن اصلاح المجتمع الاسلامي يتوقف على عاملين ، وهناك قول :

« صنفان من أمتي اذا صلحا صلح الناس كلهم ، واذا فسدا فسد الناس كلهم العلماء والأمراء » .

مسؤولية الاعلام الاسلامي مسؤولية كافة المسلمين ، ويلزم أن يبين ذلك جهاز الاعلام .

والاسلام دين كافة الناس فان رسول الله محمداً ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ أرسل الى الناس جميعاً كما قال تعالى :

﴿ وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيرا ﴾ [سبأ : ٢٨] . وكما قال تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً ﴾ [الأعراف : ١٥٨] .

ولقد قال رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ « كل نبي بعث الى قومه وانما بعثت للأحمر والاسود » ، فبمقتضى الأثر ، وتلك الأيات : كان الاسلام دين الكافة ، والناس جميعا مطالبون بالاستجابة لما جاء به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وسجله القرآن الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، في محكم آياته .

وانه لا نبي بعد النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ فهو خاتم النبيين ، وقد قال تعالى في ذلك :

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ [الأحزاب : ٤٠] .

وعلى ذلك : يكون الإسلام دين كل الاجيال ، فهو دين الجيل الذي بعث فيه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ودين الأجيال من بعده ، حتى يوم الدين .

وانه لا تكليف من غير اعلام ، ولا ثواب ولا عقاب من غير علم بالرسالة ودعوة اليها ، فاذا كان الاسلام ديناً عاماً ، وديناً خالداً ، يخاطب الاجيال كلها ، فلا بد من معلمين داعين ، ولا بـد من دعوة دينية مستمرة متجـددة ، ويتنقل فيهـا الدعـاة بين البشر ، ليتحقق العلم بهذا الدين الحنيف الذي هو دين الله كما قال تعالت كلماته:
﴿ ان الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران ١٩] .

وقد تولى النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ الدعوة بنفسه ، وكانت دعـوته الى التوحيد ، وما أمر الله ـ تعالى ـ به ، وما نهى عنه ، بتـلاوة القرآن بين ظهـراني المشـركين ، وبيان أحكـامه للمؤمنين كمـا مَنَّ الله ـ تعالى ـ بـذلك عليهم اذ يقـول سبحانه وتعالى :

﴿هـو الذي بعث في الاميين رسـولاً منهم يتلو عليهم آياتـه ويزكيهم ويعلمهم الكتـاب والحكمة وان كـانوا من قبـل لفي ضلال مبين * وآخرين منهم لمـا يلحقوا بهم . . ﴾ [سورة الجمعة: ٢، ٣] .

وكانت دعوته لمن يلاقيهم من الأقوام أحدا وجماعات ، وكان يرسل جماعات من أصحـابه الـذين علموا علم الإسـلام ، وفقهوا أحكـامه ، الى الاقـوام يهـدونهم ويعلمونهم ، ومنهم من كان يطلب فقهاء في الإسلام ، ليعلموهم فكان النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ يرسل الرسل ومن الاعراب من كان يغدر بهم ، وينافق في دعوتهم ، الى التفقّه ، وهم يبيتـون البشر ، كما قتلوا غدراً ستة من المؤمنين الصـادقين ، وكما قتلوا سبعين قتلة فاجرة ، ولكن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ كان يريد نشر الدعوة ، وما كان يعلم ما تكنه القلوب ، ولكنه كان يريدهم أنصاراً كالحواريين ، كما قال تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا أنصـار الله كما قـال عيسى ابن مريم للحـواريين من أنصـاري الى الله قال الحـواريون نحن أنصـار الله فآمنت طـائفة من بني اسـرائيـل وكفرت طائفة ﴾ [سورة الصف: ١٤] .

ـ ان واجب الجهاز الاعلامي الإسلامي أن يرسل الدعاة إلى كل البلاد في العالم. ولنتذكر لما سيطر النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ على البلاد العربية ، وصارت

كلمة الله ـ تعالى ـ هى العليا ، كان يرسل إلى الذين لم يؤمنوا ويعطون الجزية ، من يدعوهم الى الإسلام ويعلمهم ، وقد أرسل الى جزء من اليمن أبا موسى الأشعري ، ومعاذ بن جبل ، دعاة وهداة ، وأرسل إلى الجزء الثاني خالد بن الوليد ، ولكن لم يستجيبوا له ، فأرسل اليهم علي بن أبي طالب ، فدعاهم ، ثم أمهم من بعد دعوته إلى الصلاة .

قام النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ بالتبليغ الكامل ، استجابة لأمر الله ـ تعالى ـ :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ [سورة المائدة : ٦٧]

ولم يكتف النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى تبليغه رسالة ربه بالرسل يرسلها إلى الأقاليم : قاصيها ودانيها ، سهلها ووعرها ، نجدها وسهلها ، بل تجاوز فى تبليغه إلى غير العرب ، فأرسل إلى هرقل ـ ملك الرومان ـ يدعوه إلى الإسلام ، وجاء فى كتابه :

« من محمد رسول الله ، إلى هرقل ملك الروم » :

إني أدعوك بدعاية الله ، أسلم تسلم ، يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن لم تفعل فإن عليك إثم الأريسيين . (الفلاحين) .

﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [سورة آل عمران : ٦٤] .

وأرسل مثل ذلك إلى المقوقس : عظيم مصر ، وإلى النجاشي : ملك الحبشة ، وإلى كسرى فارس وغير هؤلاء ، ومنهم : من رد رداً جميلاً وان لم يستجب لدعوة الحق ، ومنهم : من قبح رده وأخذته العزة بالاثم ، وهو كسرى ، وقد مزق الله ملكه ، إذ مزق كتاب النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ وبعث من يقتل النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ فقتلته رعيته .

وهكذا : نجد النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قام بحق الدعوة ، ودعا إلى الحكمة ، لتبليغ رسالة ربه كما قال تعالى : ﴿ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [سورة النحل : ١٢٥] .

وكما قال تعالى : ﴿ وادعُ الى ربك ولا تكونن من المشركين ﴾ [القصص : ٨٧] .

وكما قال تعالى : ﴿ وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم ﴾ [الحج : ٦٧] .

وان الدعوة إلى الله هي : عمل الأنبياء ، كما قال تعالى : ﴿ يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً ﴾ [سورة الأحزاب : ٤٥ ، ٤٦] .

وهكذا كانت دعوة النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ ماضية قائمة ، كان يدعو بنفسه وبرسله وكتبه ، حتى بلغ رسالة ربه ، وأودع أمانة الدعوة من بعده الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى يوم الدين .

إن على الذين يعملون في جهاز الإعلام الإسلامي أن يفهموا تماماً أن واجب الدعوة والاعلام للاسلام أمر لا يحتاج للتأكيد فهي مسؤولية شرعية وليست عملاً هامشياً بل هي من صميم الدعوة ، وركيزة دينية أساسية .

فقد خاطب النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ بدعوة التوحيد من عاصروه من العرب ومن جاورهم ، وما كان من شأن دين تطالب به الأجيال كلها ، في مشارق الأرض ومغاربها ، أن يترك من بعده في عماية من أمره ، ولا يعرفون شيئاً عن العقيدة التي دعا إليها ذلك الدين ، بل لا يترك محمد ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ الأمر من بعده من غير تكليف لمن اتبعوه ، واهتدوا بهديه أن يقوموا بحق الدعوة ونشرها ، لأنه لا يمكن أن يكون المخاطبون بهذا الدين ، وهم الانسانية كلها من بعده : من غير هاد يدعو ، ولا مرشد يبين ، قياساً على قوله تعالى :

﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً ﴾ [سورة الأسراء : ١٥] .

وقوله تعالى : ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ [سورة فاطر : ٢٤] .

فالنذير : المحذر ، والبشير ، المبشر لا بد من وجودهما في كل عصر

وأولئك يقومون مقام الأنبياء في بني اسرائيل ، كما أشار الى ذلك الأثر المنسوب الى النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ « علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل » .

ان الله ارحم بعباده من أن يترك الناس من بعد رسوله : خاتم النبيين بوراً ، لا هادي يهديهم ، ولا داعي للحق يدعوهم اليه ، والعقول وحدها لا تكفي في الهداية ، وقد ضلت العقول وتاهت الافهام تحت لجاجة الاهواء والشهوات ، وعندئذ يتخذ الناس آلهم هواهم .

لذلك : كان تكليف النبي تبليغ دعوته تكليفاً لامته ، وقد صرحت بذلك الآيات البينات ، من كتاب الله ـ تعالى ـ فقد قال تعالت كلماته : ﴿ قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [سورة يوسف: ١٠٨]

وقد دلت هذه الآية على أمور ثلاثة :

أولها : أن دعوة المؤمنين الى الله ـ تعالى ـ من اتباع النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ وأنه من تخاذل عن الدعوة لا يعد تابعاً للنبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ

ثانيها : أن تكليف النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ بتبليغ رسالة ربه تكليف لامته ، لا يتخلى عنه مؤمن ولا يتركه أمين .

ثالثها : أن يكون الداعي له بصر بالأمور ، يأتيها من طرقها المسلوكة في رفق ، ولين في دعوته يأتي الأمور من مصادرها ومواردها ، مؤمنا بها على بينة من أمرها ، لا تأخذه في الحق هوادة ، وليس للباطل عنده ارادة .

وان الآية الكريمة في جملتها تدل : على أن الايمان وحده لا يكفي في اتباع النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ ، بل لا بد لكمال الاتباع من الدعوة ، بل عليه لاجل الاتباع : ان يسلك سبيله في الدعوة الى الله ، وهو الهادي الى سواء السبيل ،

فمن اهتدى من بعد البيان فلنفسه ، ومن ضل فانما يضل عليها ، وما الله يريد ظلما للعباد .

وان الله ـ تعالى ـ جعل المسلمين شهداء على الناس ، وجعل الرسول شاهداً عليهم ، وشهادتهم على الناس تقتضي دعوتهم الى الحق ، وشهودهم لحالهم في ايمانهم وكفرهم ، والرسول شهيد عليهم في أنهم بينوا شريعته ، ووضحوا رسالته للناس ، وقد صرح الله ـ سبحانه وتعالى ـ بهذه الشهادة القائمة المستمرة فقال تعالى :

﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو إجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ [سورة الحج ٧٨] .

ان مسؤولية الجهاز الاعلامي الاسلامي خطيرة لانها دعوة لأمة مثالية .

وقال تعالى : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣] .

والمعنى ـ وعلم الحقيقة عند الله ـ جعل الله أمة محمد ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ الأمة المثلى لان الوسط معناه الأمثل ، وكانت تلك المثالية : بأن يكونوا شهداء على الناس ، يبينون لهم الحق والايمان والرسول ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ شهيد بأن ما يبلغونه هو الحق ، ان استقاموا على الطريقة .

والنصوص قد وردت صريحة مطالبة الأمة بالتبليغ ، كل على مقدار علمه وطاقته في التوجيه والارشاد .

أ) ان الله ـ تعالى ـ حرض المؤمنين على أن يجيئوا الى النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ ولمن يخلفه في أمر أمته ، ولمن ينصب نفسه للهداية والدعوة يجيئون الى هؤلاء ليعرفوا حقائق الدين ، وليتفهموها ، ويعودوا الى أقوامهم يعلمونهم ما تعلموا ، فقال تعالى :

﴿ وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ﴾ [سورة التوبة ١٢٢] .

ب) وان الله ـ تعالى ـ أمر بالهجرة دعاة الى الحق ، هداة مرشدين ، يدعون الى سبيل الرشاد ، فقد قال ـ تعالى ـ في فضل من يهاجر في سبيل الله ـ تعالى ـ ، داعياً الى دين الله :

﴿ ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً ﴾ [سورة النساء ١٠٠] .

فالهجرة كما يبدو من ظاهر الآية ، للفرار من ظلم الشرك ، وتتضمن أيضاً اشارتها : الهجرة في سبيل الحق والدعوة اليه .

جـ) ومن الدعوة الى الله ـ تعالى ـ قوله تعالى ـ : موجباً لها : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٤ ، ١٠٥] .

وان هذه الآية دلت على أمور ثلاثة[١] :

أولها : وجوب الدعوة الى الخير : وأي خير أعظم من الدعوة الى الإسلام ، انه الخير ، وهو دين الله ـ تعالى ـ ، وهو الحق الذي فيه اصلاح البشر في معاشهم ومعادهم ، وأي اصلاح ! . . .

ثانيها : أنه بعد الدعوة الى الخير : يكون العمل على ايجاد جماعة فاضلة بين المسلمين ، ترى المعروف فتؤمن به وتدعو إليه ، وترى المنكر فتنهي عنه ، حتى لا يسود الجماعة الا الخير ويختفي من بينها الشر ، فيموت في مكمنه ، ولا يرى النور ، فيذبل ويختفي في الظلام .

(١) الدعوة الى الإسلام ـ لفضيلة الشيخ محمد أبو زهرة .

ثالثها : أن السكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يؤدي الى سيادة الشر في الجماعة واذا ساد الشر ، تحكمت الأهواء والشهوات ، وعندئذ يكون التفرق ، ويركب كل امرىء متن هواه ، فتتفرق الأمة بعد اجتماعها ، وبعد ان جاءتها البينات .

د) وان الدعوة الى الإسلام أخذاً بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فلا يوجد معروف تدركه العقول ، وتقر به الأفهام أكثر من الدعوة الى الوحدانية الكاملة وحدانية الله ـ تعالى ـ في ذاته وصفاته ، وأنه الخالق لكل شيء ، وأنه المعبود بحق وحده وعبادة غيره هي الضلال البعيد ، وتحكم الهوى والاوهام في العقول :

يقول سبحانه وتعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيراً لهم ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠] .

هـ) ولقد ندد الله ـ تعالى ـ بالذين يكتمون العلم ، وخصوصاً علم الكتاب وما أنزله الله تعالى : والله تعالى يقول : ﴿ ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ﴾ [سورة البقرة : ١٥٩ ، ١٦٠] .

ولا شك ان الذين لا يدعون بدعاية الله ، يكتمون الحق الذي أنزله الله ـ سبحانه وتعالى ـ ليعم هذا الوجود الإعلام به .

ـ واجب الجهاز الإعلامي الإسلامي أن يبين الحلال والحرام : لقد أدى النبي محمد صلوات الله وسلامه عليه رسالته وأوضح للناس معالم الحلال والحرام وأرشدهم إلى ما فيه صلاح أمورهم في دينهم ودنياهم ـ بعد أن أتم هذه الرسالة الحق بربه ـ وتولى أمر الخلافة من بعده في المحافظة على الرسالة الإسلامية أصحابه من الخلفاء الراشدين المهديين فكانوا خير من تمسك بها وحافظ على مبادئها ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ » (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد) .

فمن المسؤول عن هذه الرسالة الإسلامية بعد أن مضى هؤلاء جميعاً وسلّموا الرسالة لمن بعدهم وأصبحت أمانة في أعناقهم وفي أعناق من يرثهم من بعدهم .

ورثة الرسالة الإسلامية

بعد أن مضى عهد الخلفاء الراشدين ورث المسلمون عن نبي الإسلام أعظم رسالة دينية رسمت لهم من مبادىء دينهم ما يصلح شأنهم في كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة ، وقد اختار الله لهذه الرسالة في كل عصر صفوة من العلماء حرّاساً عليها أمناء على تبليغها قائمين على أمرها .

و) ان من المقررات الشرعية في الدلالات القرآنية : أن كل أمر للنبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - هو أمر لأمته ، الا أن يقوم الدليل على تخصيص التكليف بالنبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - وقد جاء الأمر بالتبليغ موجهاً للنبي ، وبالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فكان هذا أمراً للناس كافة ، للقيام بذلك الواجب المقدس ، إذ لا دليل على أنه خاص بالنبي ، بل قام الدليل على عموم التكليف ، فيما تلونا وفيما بينا ، وفي الأمر لنا بأن نتخذ رسول الله - تعالى - أسوة حسنة نتبعه في هديه ، وفي أمره ونهيه ، ولقد قال تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ [سورة الأحزاب : ٢١] .

وانه بمقتضى هذه الأسوة التي تجب على المؤمنين ، يكون من الحق عليهم : أن يقتدوا به في هديه ودعائه إلى الإيمان ، وإعلان ما أعلنه ، واتباعه في كل ما اتجه اليه من وسائل الدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله .

ز) وان الله وصف المؤمنين بأنه استخلفهم في الأرض ، أي جعلهم خلفاء له ولأنبيائه وان مقتضى هذه الخلافة عن الأنبياء : أن يقوموا بما كانوا يقومون به من واجب التبليغ والدعوة إلى الله - تعالى - .

وقد قال تعالت كلماته : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى

لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ [سورة النور : ٥٥] .

وان هذا الأمر يدل على حقيقتين ثابتتين ، استلزمتهما حقيقة الإيمان والعمل الصالح .

الأولى : أن المؤمنين الصادقين الذين يقومون بالعمل الصالح هم : خلفاء الله في الأرض ، وخلفاء الأنبياء ذوي العزم من الرسل في الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ وألا يشركوا به شيئاً حجراً أو إنساناً ، فالمؤمنون برسالة محمد ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ خلفاؤه في الدعوة إلى دينه الحكيم ، وبث حكمته وأقواله في قلوب البشر الذين لم تبلغهم رسالته ، ولا يعرفون حقيقة الدين الذي يدعون اليه فذلك حق عليهم .

الثانية : أن الله ـ تعالى ـ وعد المؤمنين الصادقين بأن يمكن لهم دينهم الذي ارتضوه وارتضاه الله ـ تعالى ـ لهم ، وليس ذلك التمكين بغير جهد مبذول ، ولا بغير دعوة مستمرة دائبة ، لا تفتر ، ولا تسكن إنما هو العمل المستمر في سبيل الدعوة إلى الله ـ تعالى ـ ، وان ذلك فوق أنه أداء واجب ، هو : السبيل لسيادة الأمن ، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمناً ، وأن يكونوا في الأرض سادة لا تتداعى عليهم الأمم تداعي الأكلة على قصعتها ، أو تداعي الذئاب عليهم لتفرض عليهم الذلة ، ويستعبدوا في أرضهم ، وتستغل غلاتهم .

وان الحروب التي شنها النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حماية للحوزة ، وتمكيناً للدعوة ، كان يبدأ فيها بالدعوة للإسلام ، فكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يأمر جنده الذين يرسلهم إلى الأقاليم بأن يدعو أهلها أولاً إلى الإسلام ، فإن أسلموا فإخوانهم في الدين ، يعلمونهم أحكامه ، ويبينون لهم هديه ، وان لم يسلموا ، عرضوا عليهم العهد ، فإن عاهدوا على العدل في الرعية ، كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، فإن لم يفعلوا ، كان القتال ، ولا يقاتلونهم ، حتى يبدءوا هم ، وإذا قتلوا قتيلاً يريهم القائد المسلم بأمر محمد أن يقول لهم : أما كان خيراً من ذلك أن تقولوا : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

ـ وكما وردت بالتكليف بالدعوة نصوص قرآنية ، فقد وردت أيضاً أحاديث داعية إلى التبليغ بأن تبلغ ما أمر به النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وما أعلمه من حقائق إسلامية :

أ) ومنها : أنه صلى الله عليه وسلم أمر من أشهده من المؤمنين أن يبلغ من غاب عنه ، سواء أكان من أهل جيله ، أم ممن يجيئون بعده من الأجيال ، لا فرق بين قريب منه ، وبعيد عنه ، فلقد جاء في خطبته في حجة الوداع ، وهو ينادي الأجيال في عرفات ، ببيان موجز للأحكام الإسلامية « ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » .

ـ فتلك دعوة عامة لمن شهد من المؤمنين ، أن يعلم من غاب منهم من الناس ، والمشاهدة التي توجب الإعلام : تشمل من حضر النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وأشرقت عليه أنواره بلقائه بالحمى ، ومن علّم علم القرآن ، ويعلمه قد صاورت النبوة بين جنبيه ، فإنه قد شاهد الرسول بقلبه ، وإن لم يشاهده بعينه ، فكان عليه التبليغ ، لأنه تلقى التكليف عنه وعن الله فيجب أن يبلغ .

ب) وقد صرح النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه يجب أن يعم قوله ، وتعم هدايته ، بالرواية عنه ، وتبليغ قوله وشرعه ، فلقد روى الشافعي ، أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال :

« نصر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها وحفظها ثم أداها إلى من لم يسمعها فرب حامله غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مسلم اخلاص العمل لله والنصح لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحوط من ورائهم » .

وإن هذا يحث على أن تنقل أقوال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى الأجيال من بعده ، وأن أقواله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هي رسالته ، وبلاغها وتبليغها ، فالله تعالى ينضر وجه الذي يفعل ذلك ، ومن ذا الذي لا يريد أن ينضر الله وجهه ولا يكون له عنده وسيلة لرضاه .

ثم الحديث يدل مع ذلك على وجوب النصيحة ، واخلاص العمل لله ـ تعالى ـ

وأي عمل أجل في اخلاص العمل لله ـ تعالى ـ من أن يبلغ رسالة الله ، وأن يحمل ما حمل النبيون ، ويقوم بما يجب عليهم من التبليغ اتباعاً لهم ، وأخذاً بهديهم ، وسلوكاً لسبيلهم وهو سبيل الله ـ تعالى ـ .

وبهذا : نرى الحديث يتضمن في دلالته القريبة : وجوب الدعوة أو الندب لها .

جـ) وأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ جعل خيرية الأجيال بمقدار دعوتهم للإسلام ، والأخذ بتعاليمه ، فقد روى الشافعي : أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ وقف بالجابية بالشام خطيباً ، وقال : إن رسول الله قام فينا ، كمقامي فيكم ، فقال : أكرموا أصحابي ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يظهر الكذب ، حتى إن الرجل ليحلف ولا يستحلف ، ويشهد ، ولا يستشهد ، ألا فمن سرته بحبوحة الجنة ، فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الفذ ، وهو من الاثنين أبعد ، ولا يخلوَنَّ رجل بامرأة ، فإن الشيطان ثالثهما ، ومن سرته حسنته ، وساءته سيئته فهو مؤمن » .

وفي هذا الحديث بيان أن خير[1] الأمة الذين شاهدوا ، وعاينوا ، وهم أصحابه الذين حملوا رسالته ، وبلغوها الناس ، ونشروا أمرها في الآفاق ، ثم الذين اتبعوهم بإحسان في حمل الدعوة ، وتبليغها ، وحملوا علم الصحابة ، وعلم الرسول إلى جيلهم ، ثم الذين يلونهم ، وكانت الأفضلية في نظر الفاروق ـ الذي لم يفر فريه في الإسلام أحد مثله ـ على حسب قوة التبليغ وحمل الأحكام الإسلامية ، وتعريف الناس بها وأن التبليغ قد أخذ يضعف ، حتى بعد أن ظهر الكذب .

والكذب أمارة الضعف النفسي ، ومن ضعفت نفسه تخاذلت عن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإن النفس القوية هي : التى تفيض على من دونها . فالخير يجيء من أعلى وينصب في الأدنى ، ومن أهمل نفسه ، لم يستطع القيام بحق غيره من الإرشاد والتهذيب .

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ـ لفضيلة الشيخ أبوزهرة ـ المرجع السابق .

د) والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يحث المؤمنين على أن يكونوا هداة مرشدين مبينين ، وتعد هداية النفوس لا تقل عن الجهاد في سبيل الله فضلاً ، فيقول لبطل الجهاد وإمام الهدى : علي ـ كرم الله وجهه ـ : « لإن يهدي الله ـ تعالى ـ بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت الشمس وغربت » .

والجهاد بالحرب ، ودفع الأذى هو : لقيام الحرية الدينية ، وفتح الطريق أمام الهدى المحمدي ، فهو وسيلة الدعوة ، والغاية هي : الدعوة ، ومما لا ريب فيه : أن الغايات هي الصورة المطلوبة بالذات والأصل ، والوسائل المطلوبة تبعاً للغايات ، والمتبوع دائماً خير من التابع وأفضل ، فهي : المقصد بالقصد الأول ، والوسائل مقصودة بالقصد الثاني .

هـ) وان الراشدين من الأئمة : أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ، كانوا يرسلون العمال إلى الأقاليم دعاة إلى الإسلام ، هداة مرشدين ، فوق إقامة العدل ، ومنع الفساد في الأرض. فعمر بن الخطاب ، وهو الذي اتسعت في عهده رقعة الدولة الإسلامية ، يقول لولاته : « ما أرسلتكم لتضربوا أبشار الناس ، ولكن لتعلموهم أمر دينهم » ومن تعليمهم أمور الدين : أن يبينوا لغير المؤمنين حقائق الإسلام ، وهم أحرار بعد ذلك في الدخول فيه . ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ [سورة الكهف : ٢٩] .

ولقد نهج منهج الراشدين عمر بن عبد العزيز ، فلقد كان يحثهم على الدعوة إلى الحق ، وتعليم الناس أمر دينهم ، ونشر الحقائق الإسلامية في ربوع الذين لم يدخلوا في الإسلام ، واستظلوا بالعلم الإسلامي ، ونعموا بالعدالة التي تعم ، ولا تخص ، وعاش في ظلها البريء والسقيم ، والمسلم وغير المسلم .

ـ يلزم على جهاز الإعلام الإسلامي الرد على كل الافتراءات التي يرددها أعداء الإسلام ومن هذه الافتراءات فرض الجزية ويجب هنا أن نبين : لقد دخل الناس بالدعوات المستمرة ، وبالاخلاق الإسلامية أفواجاً ، وكثروا ، وكان من أسلم تسقط عنه الجزية ، وتجب عليه الزكاة والكفارات ، والصدقات المنثورة .

ولقد خشي والي بيت المال : أن يخلو بيت مال الخراج والجزية من المال ،

فهمّ بألا تسقط الجزية عمن يسلم ، فأرسل إليه الحاكم ـ عمر بن عبد العزيز ـ يلومه على ذلك ، وقال له في كتابه الحكيم : « ان الله ـ تعالى ـ أرسل محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ هادياً ، ولم يرسله جابياً » .

ويلزم أن نتذكر ان المجندين في الحروب الإسلامية كانوا من المسلمين لأن هذا واجب الجهاد .

ـ يجب تنشيط ومتابعة أعمال جهاز الإعلام الإسلامي ، فقد يقال ان الإسلام هو دين الله وسينتشر ، ولكن يلزم أن نعمل .

وقد اتفق أهل العلم على وجوب الدعوة الإسلامية ، وكان ذلك الاتفاق اجماعاً ، انعقد في عصر الصحابة ، ثم عصر التابعين ، والاجماع لا ينقض إذا تخاذل المسلمون عنه ، وقعدوا عنه فلم يقوموا بحقه .

وكون الإسلام كان ينشر نفسه بتعاليمه ، ويتعرف بعض الناس به ، لا يمنع من الوجوب فالدعوة الحق لازمة ، ووجوبها مستمر دائم ، لأنه لا بد أن يكون للإسلام ترجمان معرف لحقائقه معلم بوجوده ، وانه لا يمكن أن يسأل الناس : لم لا يعرفونه ، قبل أن يعرفهم المؤمنون الصادقون به فلا يسأل الجاهل لم لا تتعلم ، حتى يسأل العالم لم لا يعلم .

ولكن هذا الوجوب الخاص بتعليم الناس حقائق الإسلام أهو وجوب على الخاصة ، أم هو على الكافة ؟ وبعبارة أدق أهو[1] فرض عين أم فرض كفاية ؟

إننا اذا رجعنا إلى ما كان يفعله الصحابة ، ومن بعدهم التابعون : نجد كل من كان يعلم بالإسلام ، وحقائق الإيمان ، يعلم غيره من المشركين ، ومن يتصلون به بصلة قرابة ، أو جوار أو لقاء ، فالدعوة كانت عامة ، لإحساسهم بمسؤولية التعليم لمن لا يعلم ، ولأنهم يعلمون أن الإسلام هداية إلى الحق ، فيدعون اليه من يكون في ضلال من أمره ، وانك إذا قرأت لقاء الذين هاجروا إلى الحبشة من الصحابة ، فقد

(١) المرجع السابق .

تكلموا بالإسلام، وبيان دعوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ؛ فلقد وقف جعفر بن أبي طالب يشرح للنجاشي حقيقة الإسلام : « روت أم سلمة ـ وكانت وزوجها من المهاجرين ـ : أن النجاشي دعا المهاجرين إلى الحبشة ، يسألهم عن الدين الذي أخرجهم قومهم بسببه ، قائلاً لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم ؟ فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب ـ رضوان الله تعالى عليه ـ فقال :

« أيها الملك : كنا قوماً أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، حتى بعث الله ـ تعالى ـ إلينا رسولاً منا نعرف نسبه ، وصدقه ، وأمانته ، وعفافه فدعانا إلى الله ـ تعالى ـ لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبده نحن وآباؤنا من دونه ، والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده ، لا نشرك به شيئاً ، فصدقناه ، وآمنا به ، واتبعناه على ما جاء به من الله ـ تعالى ـ فعبدنا الله ـ وحده ـ فلم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا ، فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا إلى عبادة الأوثان ، ومن عبادة الله ـ تعالى ـ وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا ، وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك » .

قال النجاشي مجيباً عن هذا الكلام المبين بإيجاز ، لما جاءه رسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ : هل معك مما جاء به عن الله ـ تعالى ـ شيء ؟

فقال جعفر ـ رضي الله عنه ـ : نعم .

قال : فاقرأه علي فقرأ عليه من سورة (كهيعص) .

فبكى النجاشي ، حتى اخضلت لحيته ثم قال : « إن هذا والله الذى جاء به عيسى ، أنهما يخرجان من مشكاة واحدة » .

ونرى من هذا : أن جعفراً ـ رضي الله عنه ـ دعي عند طلب بيان الحقيقة فلم

يضن بالبيان وكذلك الشأن في كل مؤمن ، يجب عليه البيان عندما يطلب منه ، ويجب عليه البيان عندما يجد أذناً مصغية ، ويجب عليه عندما يجد إلى ذلك سبيلاً من غير غلظة ، ولا تقحم ، بل يدخل إلى الامور من أبوابها .

ونرى أن جعفراً بكياسته الهاشمية اختار سورة مريم ، التي فيها ذكر لميلاد المسيح وولادته لأنه يخاطب رجلاً مسيحياً ، فكان ذلك أدنى لاستجابته ، وأقرب لهدايته، وذلك : هو طريق الدعوة .

وكذلك كان كل رجل مؤمن ، مع من ارتبط معه برابطة صداقة ، أو قرابة أو جوار معرفة ، يذكر ما هداه اللّه ـ تعالى ـ إليه ، وما كان سبباً لهدايته موازناً بين الحق الذي اعتنقه والباطل الذي تركه .

والنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يرسل الهداة الى القبائل النائية،كما زوينا في إرساله معاذ بن جبل ، وأبا موسى الأشعري ، وعلي بن أبي طالب إلى اليمن ، وقد أرسل وهو في مكة بعد بيعتي العقبة : مصعب بن عمير ، يفقه الأنصار ، ويحفظهم القرآن ، ويعلمهم الصلاة ، ويقيمها بينهم .

ـ وننتهي من هذا : إلى أن الهدى المحمدي في العصر النبوي ، كانت فيه الدعوات الإفرادية والتي يتولاها بهدى النبي ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ كل مؤمن مدرك ، يعرف الحق ، ويستطيع أن يؤديه كما يتسع بيانه ، وكان النبي ـ صلى اللّه تعالى عليه وسلم ـ يتولى الدعوة يبثها بنفسه الطاهرة العالية ويرسل أصحابه إلى الجامعات وإلى القبائل ، ممن أوتوا القدرة ، ولذلك نرى : أن الدعوة إلى الإسلام فرض عين على كل قادر عليها ، ووجد الفرصة سانحة لبيانها ، فينتهزها ، وهو : فرض كفاية على الجماعة الإسلامية ، إذ يجب ألا يخلو عصر من الدعوة ، بحيث لو تقاصرت همم الآحاد أو لم تواتت لهم الفرصة ، قام من عينتهم الدولة ، أو تهيأت لهم الأسباب ، ليقوموا بذلك الواجب المقدس ، ذلك أن الإسلام له اجمال وتفصيل، فأما الإجمال : فالدعوة إلى اللّه ـ تعالى ـ ببيان وحدانيته ، وأنه لا شريك له ، وأن عبادة من لا ينفع ولا يضر باطلة ، ثم بيان أن الإسلام قام على خمسة أمور ، هي دعامته : عبادة اللّه وحده ، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن

استطاع إليه سبيلاً ، وحفظ ما تيسر من القرآن الكريم ، ولا بد أن تكون الفاتحة من بين ما يحفظ .

ويبين لهم الصلاة : أركانها ، وترتيبها ، والوضوء : وأركانه ، وغير ذلك مما لا بد منه ليعد الشخص مسلما ، ويتمكن من أداء فرائضه

وان هذا واجب عيني على كل مسلم ، يبين الإسلام لمن يأنس بأنه ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ولمن تربطه به مودة ويحب الخير له ، كما كان يفعل المؤمنون الأولون ، فقد كان كل صحابي داعية لمن يعرف فأسلم عثمان بدعوة أبي بكر، وكان بينهما ود .

ـ واجب جهاز الاعلام الإسلامي أن يدرب الدعاة على الاسلوب الاعلامي السليم ولا ننسى أن المعاملة الطيبة دعوة صالحة ، وأن الود يقرب ، والعداوة تفرق ، وأنه لا يجوز سب دين أحد ، ولا التهجم على اعتقاده ، فإن التهجم يوجد مقاومة ، والمقاومة توجد الانحياز والانحياز يضع حاجزاً بينه وبين من يريد هدايته .

ولا يجادل في الحقائق ، فإن المجادلة تستلزم ارادة الغلب من كل من المتجادلين ، وإرادة الغلب تمنع وصول الحق ، وإذا كان لا بد من المجادلة ، فإنها تكون بالتي هي أحسن ، ولا تكون بالمعاندة والمغالبة بل بالاتجاه إلى المعنى الجامع ، كما قال تعالى : ﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ [سورة العنكبوت : ٤٦] .

وان المودة تدني ، والمحبة تجعل السبيل إلى الاقناع معبداً ، والإسلام دين الألفة ، والدعوة بالإئتلاف أقرب وأهدى سبيلاً ، والنبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ يقول : « تألفوا الناس » ويقول : « بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا » ولو جئت إلى مخالفك بما يجمع بينكما مبتدئاً به ، انتهيت إلى أن يوافقك فيما تختلفان فيه .

ويدخل ذلك كله في قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [سورة النحل : ١٢٥] .

وان الدعوة الآحادية لمن يكون منك دانياً ، وان هذه سبيل قد انتجت فى الحاضر ، ان خلصت النية ، واعتزمت ، واتجهت ، واستجابت لأمر الله ـ تعالى ـ ونهيه .

هذه هي الدعوة الآحادية ، وقد كان لها الفضل الأكبر ، عندما غفل الحكام بعد الراشدين عن الدعوة الإسلامية ، وشغلوا عن ذلك ، بالافتراق الذي أضعف حكمهم ، وتحول الافتراق إلى تنازع على السلطان ، وعلى مقدار ما يسيطر كل واحد على رقعة من الأرض .

وفي هذا الحين : كان من الناس من انتدب للدعوة الإسلامية احتساباً ، وقام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وان الدعوة إلى الإسلام من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقام بذلك الجماعات ، والآحاد ، من غير ترتيب من ولي الأمر ، ولا تنظيم من الحكام .

ـ ولكن يجب اتباعاً للهدى المحمدي ، أن تقوم الدولة الإسلامية بذلك ، كما ينبغي لها أن تعهد به إلى جماعة إسلامية تخصص لذلك ، إذا كانت تريد القيام بحق الإسلام عليها : في تبليغ الدعوة وان ذلك الواجب لا يغني عن عمل الآحاد ؛ ولكن يجب أن يكون بجواره ، فإنه منذ عهد الحكم الأموي ، وقد وجد في حواشي الملوك من يثير الشبهات حول الإسلام ، وان الآحاد ربما لا يتوافر فيهم المقدرة لدفع الشبهات ، فإن ذلك يحتاج إلى فهم دقيق للمأثور عن النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ .

ـ وفوق ذلك : فإن هناك مسائل تحتاج إلى متفقهين في الإسلام يبينوها ، ويذكرون تفصيلها كأحكام الزواج ، والطلاق في الإسلام ، الميراث ، والحرمات الإسلامية بالتفصيل ، فإن ذلك لا بد من معرفته بالإجمال ، ولا بد لكمال الدعوة أن يذهب ناس لهم ثقافة عالية إلى البلاد المختلفة ويتقنون لغاتها ، ويتعرفون نفوس أهلها ، ومن أي طريق يمكن التأثير فيهم ، وأن أولئك يجب أن يكون لهم دراسات

خاصة ، تكون للاعلام ويجب أن يزودوا بعلم النفس الجماعي ، والنفس الفردي ، ومنطق الدين ، وسياسة البيان ، وسياسة الحق ، والتعرّف إلى النفوس ، ومداواتها وعلاج المنحرف منها .

ـ وكل أولئك تربيهم الجماعة الإسلامية ، كما تربي المهندسين ، والأطباء ، وكل من يقوم بفرض كفائي ، يجب على الجماعة توفير الأسباب لهم ، ليقوموا بواجبهم الكفائي .

النصوص تثبت الوجوب[1] :

ـ ذكرنا في بعض ما ذكرنا ، من أدلة تدل على وجوب التبليغ على الأمة ، بعد النبي ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ [سورة آل عمران : ١٠٤] .

ـ ان هذه الآية تدل على الوجوب على الأمة كلها ، وجوباً فردياً وجماعياً ، والوجوب الفردي قد شرحنا مؤداه ، وبيّنا حدوده ، وطاقات من يقومون به ، وقد تكون محدودة ، تعرف أصل الإسلام ولا تعرف تفصيلات أحكامه ، ونريد أن يعرف كل مسلم جديداً أو قديماً أن يعرف ما أمر الله ـ تعالى ـ به ، وما نهى عنه ، يقوم بذلك قوم من الأمة ، والآية تومىء إلى الوجوب على الكل ، وتخصيص جماعة بالتعريف الكامل لتفصيلات الأحكام فلا يعد المسلم مسلماً إلا إذا أدى كل التكليفات الإسلامية ، يقوم بتعريف بعضها كل مسلم ، ويبين سائرها العلماء بالدراسات الإسلامية ، وليس معنى ذلك أن في الإسلام الكهنوت ، كالذي عند الذين اتخذوا الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله ، فليس لعالم أن يقول الا نقلاً عن كتاب أو سنة ، أو اتباع للذين شاهدوا وعاينوا وتلقوا عن الرسول مباشرة ، وأدركوا منه معاني التنزيل .

ـ يلزم على جهاز الاعلام الاسلامي أن ينشر أهداف رسالة الدين الإسلامي ثم

---

(١) الدعوة إلى الإسلام ـ لفضيلة الشيخ أبو زهرة ـ المرجع السابق .

يبين كيف وبأي أسلوب ينشرها وما أكثر الأساليب التي أوضحناها وجاءت في كتاب الله الكريم .

عليه أن يحصر هذه الأهداف في أمور ثلاثة ينطوي فيها كل ما جاء في الكتاب والسنة من الأوامر والنواهي وما يتصل بهما من الصالحات الباقيات .

(١) إصلاح حال العبد فيما بينه وبين ربه .

(٢) إصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه .

(٣) إصلاح حال المجتمع الإسلامي ، وواجب كل فرد نحو هذا المجتمع الذي يعيش فيه .

تلك أهداف ثلاثة[1] يرتبط بعضها ببعض ، وأولها يعتبر أساساً لثانيها وثالثها ، وسعادة العبد في دنياه وآخرته لا تتم إلا بتحقيق هذه الأهداف الثلاثة .

ـ وإذا كان الإسلام دين قوة وعزة فإن مظهر هذه القوة ، وتلك العزة متصل تمام الاتصال بقوة المجتمع وعزته ، ومبلغ تمسكه بمبادىء دينه ، ومبادىء الدين الأصيلة المقومة له ككل لا تقبل التهاون في بعضها حتى تبقي له قوته وتحفظ له هيبته ، وإلا كان في جملته كبيت حصين انهدم ركن من أركانه ، ويشير إلى هذا المعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث : « بني الإسلام على خمس . . . . . » فإن الأسلوب النبوي في قوله : «بني الإسلام على خمس » يشير إلى أركانه كأركان البيت أو الخيمة يقام عليها البيت أو الخيمة ؛ فإذا هدم ركن منها ذهبت قوته ، ونقصت منفعته ويشير إلى هذا المعنى أيضاً قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[2] فشبه الدين الذي نعتصم به بالحبل ، والحبلُ قوته في قوة طياته ، فما دامت طياته متماسكة كان الحبل قوياً يعصم من تمسك به عند الزلل ـ فإذا نقص الحبل بفك طياته شيئاً فشيئاً ذهبت قوته فيكون المعتصم به كالمعتصم بخيط العنكبوت لذلك يجب ألا نتهاون في شيء من مبادىء الدين حتى تبقى قوته وعزته ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[3] من أين يبدأ المسلم عمله :

---

(١) المرجع : أهداف الرسالة الإسلامية لفضيلة الشيخ كامل محمد حسن .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٣ .

(٣) سورة المنافقون : ٨ .

بالهدف الأول : وإذا أراد المؤمن أن يعرف من أين يبدأ العمل لتحقيق الرسالة الإسلامية فإن له برسول الله أسوة حسنة . فقد بدأ رسالته بتحقيق الهـدف الأول وهو إصلاح حال العباد أولاً فيما بينهم وبين خالقهم وذلك بتصحيح عقائدهم أولاً ليطهروا قلوبهم من دنس الشرك وظلام الوثنية حتى يؤمنوا بالله ربهم ، ويصدروا أعمالهم على أساس الإيمان الصادق والتوحيد الخالص بحيث يكون لهذه العقيدة الإشراف الكامل على أعمالهم حتى تصادق المنهج النبوي ـ فإن رقابة العقيدة التي تصل بين العبد وربه أوسع أفقاً من رقابة القوانين الوضعية ـ فإن الإنسان الذي يمتنع عن ارتكاب الجريمة خوفاً من رقابة القوانين الوضعية فإنه قد يفلت إلى ارتكاب الجريمة إذا أمن من يطلع عليه من البشر ويشهد عليه ،ولكن رقابة العقيدة التي هي في ظل الرقابة الإلهية تمنعه من ارتكاب الجريمة في أي زمان وفي أي مكان لأن الله رقيب عليه وعالم بما يجري بين جنبيه فيخشى ربه أينما كان ، وفي أي زمان كان . فأول شيء عني به نبي الإسلام في بدء دعوته هو إصلاح القلوب وتطهيرها من رجس الشيطان ، فإن القلوب إذا أخلصت ، والنفوس إذا صفت زالت عنها الحجب ، فتوثق صلتها بالله ، وتصلح للمدد الإلهي ، والإلهام السماوي ؛ والإلهام : نور من نور الله ونور الله لا يهدي العاصي .

وإذا كان العبد في حاجة إلى سيده ومولاه ، فيجب أن يصلح أولاً ما بينه وبين مولاه ، فإن الله لا يعطي مدده ، ولا يمنح للعبد معونته إلا إذا خشع قلبه ، وتفانى في طاعة الله . ولهذا يقول الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ : « ألا أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب » .

فكل عمل يصدر من الإنسان ، ولا يقوم على أساس من التقوى وصدق الإيمان فهو لغو وباطل ولو ألبسه صاحبه أحسن صورة من البر والإحسان ، وكل قول يصدر عن قلب لا يؤمن بالله فإن الله لا يرفعه إليه ، ولا يثيب صاحبه عليه مهما كانت صورته ، لأنه صادر عن عقيدة مشلولة ترعى في عملها وأقوالها جانب المخلوق دون الخالق ، وهذا هو السر فيما جاء به القرآن الكريم في شأن من كفر ولم يؤمن بالله ربه ، يقول الله تعالى في شأن الكافرين : ﴿ والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن

ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ﴾ [سورة النور آية : ٣٩] .

ويقول كذلك في شأنهم : ﴿ أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف ﴾ [سورة إبراهيم آية : ١٨] .

ثم يقول : ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً ﴾ [سورة الفرقان آية : ٢٣] .

من هذا يتبين أن الهدف الأول للرسالة الإسلامية هو إصلاح حال العباد فيما بينهم وبين ربهم ، وذلك بتطهير قلوبهم وتصحيح عقائدهم ، ولهذا عني الرسول في بدء دعوته بتوجيه الناس إلى النظر في الآيات والآفاق ، ليعتبروا بما في ملكوت الأرض والسموات ، وكان يأخذهم مرة بطريق العبرة الواعظة ومرة بطريق القصة المؤثرة ، حتى خلصت عقيدتهم ، وصفت نفوسهم ، فتجلت لهم الآيات الدالة على قدرة الله تعالى ووحدانيته فآمنوا بالله عن بينة ، عن طريق الفهم والتفاهم ، وعن طريق الكسب والاختيار .

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٦] .

ويقول الله تعالى لنبيه وكان شديد الحرص على إيمان الناس .

﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [سورة يونس آية : ٩٩] .

ما عليك إلا البلاغ ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ومن هذه النصوص القرآنية يتبين لأهل الحق كذب أعداء الإسلام فيما زعموا ان الدين الإسلامي قام بالسيف ، ومن رجع إلى تاريخ الدعوة الإسلامية يرى أن السيف لم يؤمر به نبي الإسلام إلا بعد أن مر على الدعوة المحمدية ثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر ، لما تجمع أهل الشرك والضلا ن على مهاجمة الإسلام والمسلمين كفراً وعناداً بعد أن عرفوا الحق وعرفوا نبي الله محمداً كما عرفوا آباءهم ولم تفلح فيهم المواعظ لطمس قلوبهم ، وهنا جاء الأمر باستعمال السيف دفاعاً عن حوزة الإسلام لا اعتداء على أحد . ﴿ وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦١] .

ولم يشرع الجهاد بالسيف إلا بعد أن نزل قوله تعالى :

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ﴾ [سورة الحج آية : ٣٩] .

وجاء أمر الله للمسلمين بالجهاد في قوله عز وجل :

﴿ وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٦] .

وكان أول لواء عقد في الإسلام ـ بعد أن مضى على الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر ـ لعم رسول الله سيدنا حمزة . لواء أبيض للإشارة إلى أن الإسلام دين سلم وسلام لا يطلب من الناس إلا إيماناً صادقاً وتوحيداً خالصاً يكونان أساساً يقوم عليهما صالح الأعمال ، واستقامة الناس إلى الكبير المتعال . وهكذا كان جواب الرسول للرجل الذي جاء اليه يقول للنبي عليه الصلاة والسلام : قل لي يا رسول الله في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك فقال له : « قل آمنت بالله ثم استقم » . قول نبوي من جوامع الكلم ، أشار فيه إلى أن الإيمان أولاً لأنه كالأساس لقبول الأعمال . فالإيمان أساسي ، والأعمال بعده لبناء البيت عليه ، ولا يعوّل على بناء بدون أساس ، فلا خير في عمل يقوم على غير إيمان بالله تعالى . وإلى هنا تبين معنى الهدف الأول من أهداف الرسالة الإسلامية ، وهو إصلاح حال العباد أولاً فيما بينهم وبين ربهم ، وذلك بتحقيق الإيمان الصادق والتوحيد الخالص .

الهدف الثاني : إصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه .

وإذ قد عرف المسلم من أين يبدأ عمله ، وعرف أن الأساس الذي تبنى عليه الأعمال هو إصلاح القلوب وتطهير النفوس ، وأدرك أن القلوب المؤمنة ينبعث منها نور العقلية الإسلامية الراجحة ، وأن النفوس الصافية تنبت فيها شجرة الضمائر الإسلامية الواعية ، وأن القلوب التي عمرت بالإيمان ، تقوم فيها الرقابة الدينية على كل عمل من أعمال الانسان ، فلا يصدر عنه قول ولا عمل إلا في ظل الخشية من الله . وبذلك ترتبط القلوب ، بعلام الغيوب ، الذي يعلم السر والنجوى ﴿ والله عليم بذات الصدور ﴾[1]. إذ عرف المؤمن كل ذلك صلحت نفسه واستعدت لتحقيق

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٤ .

الهدف الثاني من أهداف الرسالة الإسلامية وهو إصلاح حال العبد في خاصة نفسه ، وذلك لا يكون إلا إذا استقام واستجاب للّه ورسوله فلا يخرج عن حدود اللّه ، فيما رسمته الشريعة الإسلامية وبينته السنة المحمدية ، ذاكراً في جميع أحواله قول اللّه تعالى : ﴿ تلك حدود اللّه فلا تعتدوها ﴾ [سورة البقرة : ٢٢٩] .

فيخلص للّه في عبادته ، ويصدق مع الناس في معاملته ؛ وتلك مرتبة تأتي بعد صدق الإيمان وقد أوضحت له الرسالة الإسلامية معالم الحلال والحرام ، كما جاء في قول سيد المرسلين : « الحلال بيّن والحرام بيّن ، وبينهما أمور مشتبهات ، فمن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام ، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه » .

ـ والمسلم كإنسان بشر قد تدفعه نفسه إلى أن يزل بارتكاب خطأ شرعي ، أو يفرط في أدب عرفي فواجب عليه أن يبادر بالعلاج ، ويسرع في الخروج من مواطن السيئات إلى رياض الحسنات ، فإذا تاب وأناب فإن اللّه غفار لمن تاب . ﴿ وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ﴾ [سورة الشورى : ٢٥] .

ألا فليعلم المسلم أن من الإحسان في عمله أن يعبد اللّه كأنه يراه ـ وذلك مقام المشاهدة فإن لم يكن يراه لنزول مرتبته عن هذا المقام فليعلم أن اللّه يراه ويراقبه ـ وهذه مرتبة المراقبة ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [سورة فصلت : ٤٦] .

ـ واجب الجهاز الاعلامي الاسلامي أن يعقد الاجتماعات المستمرة ويقوم بتقييم شامل لكل نشاطاته في أزمنة محددة حتى يعرف السلبيات فيتجنبها والإيجابيات ليستثمرها ، ثم يعقد مؤتمراً عاماً كل عام .

ويلزم وجوب التعاون على الدعوة إلى الإسلام ، من الآحاد والجماعات . والآحاد عليهم أن يقوموا بما يستطيعون ، وعليهم أن يعاونوا الطائفة التي تتفرغ لهذه الدعوة أو تكون أقدر على نشرها والقيام بحقها ، والدولة هي الجامعة لهذا الوعي فيها ، وعليها أن تخصص جماعات لها ، كما تخصص جماعات للقضاء وللهندسة وللطب ، والقيادة . . فكل هذه فروض كفاية ، والجماعات الإسلامية ممثلة في دولها ،

عليها أن تخصص لكل فرض كفائي من يقوم به ، ويسقط به الحرج على الباقين ، في الدعوة التي لا يمكن أن يقوم بها إلا الخاصة ، القادرون على مخاطبة الكافة ، في أقاليمها وشعوبها بلغاتهم ، ومن الحق في هذا المقام ، أن نبين موقف العلماء في آخر عصر التقليد ، ومن جاء بعدهم .

اننا نجدهم تخلفوا ، وتركوا الإسلام ينشر نفسه ، مع أن حال المسلمين لم تكن داعية ، بل كانت منفرة منه ، لولا كتاب الله المانع من الضلال ، وان الاستجابة إليه ثابتة ، وأهله أخذوا يتلونه مترنمين ، وحاسبين أن ذلك يكفي لإقامته .

لقد رأينا المقلدين عن غير بينة في كل شيء ، لا في فروع الأحكام فقط ، فقد يكون التقليد في فروع الفقه فيه تحصن من الانحراف عن معنى الإسلام ، واتباع هوى الحكام ، ولكنهم قلدوا في الإهمال والترك ورضوا بأن تهمل دعوة نبيهم ، تقليداً لمن أهملوها ، وتجنبوا تقليد من أقاموها .

لقد رأينا من العلماء المقلدين : من يرون أن أهل أوروبا ، وأمريكا ، والوثنيين عليهم أن يؤمنوا وان لم يُدعوا إلى الإيمان ، ولم تبين لهم حقيقة الإسلام زاعمين : أنه ما دام قد أعلن وجود محمد ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ ودعوته فقد وجب على كل عاقل أن يتعرف ، وان لم يوجد من يعرفه ، ولو كان ما يصل إليه عن الإسلام تشويهاً لحقائقه ، أو من يعلمه يحرفه ، والشعوب في جهالة من أمره ومع ذلك يقول المهملون لأمر الدعوة الإسلامية من العلماء : وان على غير المسلمين أن يبحثو ويعرفوا ، ما دام الإسلام قد اشتهر ، من غير داع يدعو ، ولا نذير ينذر ، ولا هاد يهدي ، بل غير المسلمين عليهم ، وهم يعدون بأكثر من ١٠٠٠ مليون ـ : أن يتعرفوا ، ويستوي في ذلك القارىء والأمي ، والعالم والجاهل ، وان هذا مجانف للإثم ، وهذا قصور وتقصير من علماء المسلمين ، ومخالفة للإجماع الذي انعقد في عهد الصحابة ، ثم كان في عصر التابعين ، فوق مخالفته لنصوص القرآن التي تلوناها وأحاديث النبي التي رويناها .

ولكن أين كان هذا القصور أو التقصير ؟ لكي نعرف سببه ، لا بد أن نحدد وقته ومتى ابتدأ ، وما الذي اقترن به عصر ابتدائه . .

أ) اننا نحسب أن ذلك القصور كان عندما انحلت الدولة العباسية ، وتقطعت أجزاؤها متناحرة ، يضرب بعضها بعضاً ، وشغل المسلمون بأمر دنياهم عن دينهم ، وصار بأسهم بينهم شديداً ، يأكل بعضهم بعضاً .

فأخذت همة العلماء تضعف ، وعزائمهم تنحل ، وانصرف الكثيرون منهم إلى أوهام في الحياة ، ولذلك شاعت وسيطرت بدل الحقائق الشعوذة ، فانشغلوا بها عن الإسلام ، الذي هو حكم العقل المستقيم ، والمنطق القويم ، وحل التواكل محل التوكل ، وبعدوا عن كتاب الله ـ تعالى ـ لا يدركون مراميه وان شغلوا به ففي غير تنفيذه ، وكان المفسرون منهم يتعرفون أسراره ولا ينفذون في الدعوة إلى أحكامه ومنهم : من ادعى أن القرآن المقصد الأول من نزوله : التعبد بتلاوته ، والإنصات إليه وقراءة ما تيسر منه في الصلاة ! . . .

ب) وان تدهور الحكم الإسلامي وفساده، ألقى في نفوس الناس يأساً، وإذا حل اليأس في قلوب ضعفت الهمم ، على أن تقصد قصداً صحيحاً إلى أمر من الأمور وصار الحكام مشغولين بتوطيد ملكهم ، والعلماء في خدمتهم ، ومن لا يفعل ، أبعد وجافوه ، فكانت مجالسهم في كثير من الأحوال بعيدة عن العلم والعلماء .

ــ يلزم أن يبتعد جهاز الاعلام الاسلامي عن المنازعات .

فقد شغل العلماء عن الدعوة إلى الإسلام منازعات ، كما شغلت الحكام ، وانقسموا فرقاً في مسائل حول أصول الاعتقاد فتنازع المعتزلة مع الفقهاء والمحدثين أمداً طويلاً ، وإن كان للمعتزلة مقام في الدعوة معروف ، ولكن الجهد الأعظم كان في مغالبتهم للفقهاء والمحدثين ، ومن ذلك : مسألة خلق القرآن التي شغلت علماء المسلمين قرناً كاملاً ، أو يزيد ، وأوذي العلماء الذين خالفوا الدولة ، التي رأت رأي المعتزلة في عصر الملك العالم : عبد الله المأمون بن الرشيد ، وضرب فيها الأئمة ، وسجنوا من أمثال الإمام : أحمد بن حنبل والبويطي صاحب الشافعي ، وراوي علمه .

ومن هذا يتبين ، أن منازعة الآراء شغلت العلماء ، كما شغلت المنازعات على الأرض الأمراء ، فكان العامة والخاصة في شغل شاغل ، عن القيام بالفروض ،

وعلى رأسها : القيام بالدعوة الإسلامية ، وبذلك : وهنت الدعوة ، ولم يقوموا بحق التبليغ .

جـ) ومع هذه المنازعات الفكرية والسياسية والحرب ، دهمتهم من الخارج داهمة الحرب الصليبية ، التي شنت على المسلمين ، في القرن السادس الهجري ، وأخذ الصليبيون بيت المقدس ، فشغلت هذه الحملة العاتية النفس الإسلامية ، شغلت نفوس العامة واستغرقت نفوس الخاصة ، وأصيب المسلمون بإنكسار ، جعلهم يفكرون في أرضهم وكيف يدفعون عنها الاعتداء ، ولم يفكروا في أن يفيضوا على غيرهم بالهداية ، والدعوة إلى الخير ، فشغلوا بأنفسهم ، عن أن يدعوا غيرهم إلى الإيمان ، وانقبضت النفوس والعقول ، عن أن تعمل على تبليغ الرسالة ، وقد ظنوا بأنفسهم الظنون ، واقترنت هذه الحروب بالحكم الغاشم من الحكام ، الذي ارتكست فيه النفس الإسلامية في مهاوي الذل ، إن لم يكن للأجنبي ، فهو من الحكام الغاشمين الظالمين ، وهم في الأذى أشد بأساً ، وأثر إيغالاً .

ومن أجل كل ذلك رأينا المسلمين قد انصرفوا عن أمور الدعوة والزأي في هذا التقصير أنه لا حجة لمن يترك الدعوة إلى الإسلام ، فالبراهين على وجوبها قائمة ثابتة ، وليس لهم أن يقولوا :

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ﴾ [سورة البقرة : ٢٨٦] .

لأن الطاقة توجدها الهمة والعزيمة ، والوسع لقوه الإيمان ، فمن كان قوي الإيمان بالحق ، كان ذا طاقة تتسع لما يوجبه الإيمان وإن العيب يكون لاحقا لمن كان قادراً ، ولكنه يصم نفسه بالعجز ، فإن ادعاء العجز ينتهي بالعجز ، ولا عذر بالضعف الحربي ، لأن الضعف الحربي وليد الضعف النفسي ، وإذا كان الامراء قد تنازعوا ، فإن ذلك لا ينزع الإيمان من القلوب .

إنه يجب علينا أن نعرف : أن الدعوة إلى الإسلام ، وبيان هدايته ، فرض كسائر الفرائض فهو مطلوب حتماً كسائر المطلوبات الحتمية ، وإذا كان الناس لا يستجيبون في نفوسهم ، كما يستجيبون للصلاة ، فذلك لنقص في إيمان المؤمن بحق غيره عليه . وإن عدم الإحساس بذلك فوق أنه نقص في الإيمان ، هو دليل على

أن المصلي لا يقوم بحق الصلاة ، لأن إقامة الصلاة على وجهها ، يقتضي ذكر الله ـ تعالى ـ ومن ذكر الله ـ تعالى ـ : عليه أن يعلن أمر الله ـ تعالى ـ ونهيه ، وأن يدعو الناس إلى توحيده ، وعبادة الله ـ تعالىٰ ـ وحده ، لا يشرك به شيئاً .

واليأس من سماع الحق ، أو الاستجابة له لا يمنع الدعوة إليه ، بل يجب أن يعمل العالم ولا ييأس ، فإن اليأس ملة الكافرين بالحقائق ، غير المؤمنين بها ، فإن الله ـ تعالىٰ ـ يقول :

﴿ إنه لا ييأس من روح الله إلاَّ القوم الكافرون ﴾ [سورة يوسف : ٨٧] .

ـ إن اليأس لم يصل إلى قلب النبي ـ صلَّى الله تعالىٰ عليه وسلَّم ـ ، وقد تحمل الأذى ثلاث عشرة سنة فما يئس فيها ساعة من زمان ، وما يئس يوم أن رأى شبه إجماع من المشركين على عداوته ، وما يئس يوم أن ذهب إلى ثقيف في الطائف ، فأغروا به سفهاءهم، وأدموه ، بل قال مقالة الراجي ما عند ربه: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون » ، وقال : « إني لأرجو أن يخرج من أصلابهم من يعبد اللّه تعالى » ومن معه عندما كان جيش الإيمان قد أثقل بالجراح في أحد ، بل إنه لما علم أن المشركين همّوا بأن يعودوا للقضاء على جيش الحق ، دعا الجيش الجريح لأن يعود إلى الميدان ، بل إلى تتبّع آثار المشركين ، ولم يدع إلاَّ من ذاق الجرح ، وابتلى في الميدان ، فصدق عليهم قول الله ـ تعالى ـ :

﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣] .

هذا رسول الله ـ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم ـ في تبليغه الدعوة ؛ ما دخل قلبه يأس .

قد يقول قائل : هذا مقام النبوّة ، فهو مؤيد من الله ـ تعالىٰ ـ ، الوحي كان ينزل عليه ، والله يمده بنصر من عنده ، فهو المتبوع في الحق ، فهل يبلغ التابع درجة المتبوع .

ونقول في الإجابة عن ذلك : إن الله عاصم رسوله من الناس ، ومانحه التأييد

والتثبيت ، ولكن جعل سبحانه وتعالىٰ عمله بشرياً ، يخطىء ، ويصيب ، وينتصر وينهزم ، ويحقق الله ـ تعالىٰ ـ له الغاية بنصره وتأييده ، ولكن بسبب من أعماله وقوة إيمانه ، هو وأصحابه ، ونصرهم لله ـ تعالىٰ ـ بالعمل الصالح ، واتخاذ الأسباب ، كما قال تعالىٰ :

﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم ﴾ [سورة محمد : ٧] .

ولأن عمل الرسول ـ صلَّى الله تعالىٰ عليه وسلَّم ـ في أسباب النصر والدعوة بشري ، كان على أصحابه أن يقتدوا به ، ويسلكوا سبيله ، ويتبعوه ، ليبقى التبليغ موصولاً ، غير مقطوع ولتبقى كلمة الله عليا دائماً ، ولذلك قال تعالىٰ :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ﴾ [سورة الأحزاب : ٢١] .

ـ **وإن الدعوة فيما يمكن فيه الأسوة ، وهي : العمل بمقتضى** البشرية . **أما الوحي والتثبيت الرباني من الله ـ تعالى ـ فهو : من أوصاف النبوّة ، لا يسمو إليه أحد من العباد .**

وننتهي من هذا البيان[1] : بالتأكيد على أن التبليغ واجب على المؤمنين ، على النحو الذي بيَّناه . من حيث : أنه واجب كفائي ، وعيني معاً ، وأنه ليس للمسلمين أن يتقاصروا عن أدائه ، وألاّ يعذروا لأنفسهم ، إذا أصابهم أمر ضعف في سبيل الله ، **فالوهن** من التقصير في الدعوة إلى الإسلام وتبليغ الهدى إلى أهل الأرض جميعاً ، لأن الرسالة المحمدية يخاطب بها الناس كافة ، لا فرق بين أبيض وأسود ، وأحمر ، وأصفر ، إنهم إن استمروا على التبليغ ، كانوا طالبين للعلو ، بإعلاء الحق ، فلا يهنوا ولا يستكينوا ولا يراموا بذل أبداً ، ويكونون الأعزة ، فإن العزة لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين ، ولن يكونوا طعمه لأهل الشر في الأرض ، وطغاتها ، ولن يسيروا في غمرة التاريخ ولا يملكوا من أمرهم شيئاً .

ـ على جهاز الإعلام الإسلامي أن يقوم بتسجيل القرآن الكريم على أشرطة الفيديو ، وكذلك الأسطوانات ، وترجمة معاني القرآن الكريم الترجمة السليمة للغات

---

(١) المرجع السابق .

الحية وطبعها على أشرطة فيديو .

ــ ولنتذكر أنه قد اتَّجه الدعاة في صدر الإسلام أول ما اتجهوا إلى القرآن الكريم ، الذي هو سجل الدعوة ، وقد كان محفوظاً في الصدور ، ومكتوباً بأمر النبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ولكن في رقاع ، وقد توزعتها أيدي أصحابه .

وخشي الصحابة بإشارة عمر الفاروق ، أن يموت من حفظوا القرآن ، وجمعوه في صدورهم ، وقد رآهم يتهافتون على الحرب لمقاومة الردة ، وإخضاع أهلها ، تهافت الفراش ، فيضيع القرآن وهو سجل الإسلام ، بل سجل النبوّات ، والرسالات الإلّهية للأنبياء ، الذين عرفوا في الشرق العربي ، وما حوله .

اتَّجه إلى جمع المتناثر من الرقاع ، مطابقاً لما يحفظونه في صدورهم ، ويكون في مصحف تحقيقاً لقوله تعالىٰ : ﴿ إنَّا نحن نزَّلنا الذكر وإنَّا له لحافظون ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

جمعوا المصحف بجماعة من الحفاظ ، سلكوا في جمعه أوثق الطرق ، واتخذوا في ذلك ما يأتي : ـ

أ ـ جمعوه مرتباً ترتيبه المتواتر ، كل آية فى موضعها ، بتوقيف من جبريل عن الله ـ تعالى ـ وحفظه محمد ـ صلى الله تعالى عليه وسلَّم ، كما راجع جبريل روح القدس الأمين ، وكل سورة فى ترتيبها ، وأعلنوا فى المدينة الطاهرة : أن من عنده رقعة كتبت بإملاء النبي ـ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم ـ يقدمها لهذه الجماعة الحافظة ، وفيها زيد بن ثابت ، وأبيّ بن كعب وغيرهما من الحفاظ .

ب ـ من أحضر آية ، أو آيات لهذه الجماعة الحافظة ، لا يقبل ما يأتي به ، إلاَّ إذا كان معه اثنان ، يشهدان بأنه كتب في عهد رسول الله ـ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم ـ بإملائه فإذا جاءت هذه الشهادة الكاملة دُوِّن ما جاء به .

جمع المصحف بهذه الطريقة المحكمة ، وما كان كتابة جديدة ، بل نسخ للمكتوب في حياة النبي ـ صلَّى الله تعالىٰ عليه وسلَّم ـ، فقد كتب القرآن كله ، بلغة قريش في حياته ، عليه الصلاة والسلام .

جـ ـ ولما نسخ ذلك المصحف ، كما كتب في حياته الجليلة الكريمة ـ عليه

السلام ـ لم ينقط ولم تضبط حركات الحروف بما يسمى شكلاً وذلك لسببين :

أولهما : أن تكون قراءته بطريق مقرىء يقرأه ، لأن القرآن ليس متواتراً بلفظه وحروفه فقط ، بل هو متواتر بطريقة قراءته ، وترتيله ، ومده وغنه ، كما قال تعالىٰ :

﴿ ورتلناه ترتيلاً ﴾[1] . ولماقال تعالى فيما تلونا من قبل : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به * إنا علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه ﴾[2] .

فالقرآن متواتر بلفظه ، وحروفه ، وترتيله الذي تلقاه النبي ـ صلَّى الله تعالىٰ عليه وسلَّم ـ عن الله ـ تعالىٰ ـ عليه بتواتر .

ولقد حفظ المصحف الذي كتب في عهد الشيخين : ـ أبي بكر وعمر ـ في بيت أم المؤمنين حفصة .

وكان القرآن يُتلىٰ في كل الأمصار التي فتحت ، لأنه أعظم داع ، ويقرأ في الأمصار التي أنشأها المسلمونَ في عهد أمير المؤمنين : عمر ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ وهي البصرة والكوفة .

وكان يقرأه المقرئون في كل الأمصار ، لأنه لب الإسلام ، ولسانُ الدعوة إليه يتلونه ويتدارسونه ، وعلماء الصحابة : كابن عباس ، وابن عمر ، وابن مسعود ، يعلمون الناس أحكامه .

ولقد اختلف المسلمون في قراءته ، ببعض لهجات عربية ، قد نسخها النبي ـ صلَّى الله تعالىٰ عليه وسلَّم ـ وأبقى لغة واحدة ، هي : لغة قريش ، وكانت قراءته باللهجات العربية ، لتتيسر تلاوتهْ ، ثم نسخت القراءة باللهجات ، ما عدا لغة قريش ، فكان من الناس من يقرأ ببعض اللهجات ، غير عالم بنسخها ، فاضطرب بعض القراء ، وكان اختلاف عمل ذي النورين : عثمان على حسمه .

يقول الله تعالىٰ : ﴿ إنَّا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

---

(١) سورة الفرقان : ٣٢ .

(٢) سورة القيامة : ١٦ ـ ١٩ .

وكان القرآن منار الدعوة ، وحصن الدعاة .

فعندما اتجه الدعاة في عصر الصحابة إلى الفرس ، والعراق ، ومصر ، كان معهم القرآن يعلمونه للناس، ويحفظون الناس ما يتيسر منه ، كما كان النبيّ - صلّى الله تعالىٰ عليه وسلّم - عندما أرسل دعاته إلى يثرب ، أرسل معهم القراء يقرئونهم القرآن .

وكان في الأقاليم غير العربية تعلم أحكامه ، وتحفظ آياته ، للدعاية الدينية أولاً ، ولنشر اللغة العربية ثانياً ؛ فيمكن تدوين الدواوين بها ، وقد صارت الأمرة للعرب ، والدولة لهم .

أما الإعلام الديني : فإنه كان يجب على كل مسْلم ، أن يحفظ قدراً من القرآن ، يؤدي به عبادة الصلاة وهي عمود كل دين ، فلا دين من غير صلاة كما قرَّر النبي - صلّى الله عليه وسلّم - وفوق ذلك : فإنه سجل الأحكام الإسلامية ، وهو المرجع الأول لها ، فلا يمكن أن يستغني الداعي عن تعليمه ، وتحفيظه .

والقرآن بذاته كان دعوة قوية للإسلام ، لأنه مما اشتمل عليه من أخبار الأولين ، وما فيه من شرائع ، وأحكام ، وعلوم إنسانية ، وتوجيه للكون ، ودراسته بكل ذلك وهو بعض مما اشتمل عليه من هدى ، وتوجيه ، داعياً للإيمان ، كان كافياً للدعوة إذا أحسن بيانه .

وإذا كانت الفيدا ، هي : كتاب عند البراهمة ، مؤثرة في نفوسهم فالقرآن وهو : علم ، وهداية وشفاء لما في الصدور ، أشد دعاية ، وأقوى تأثيراً .

وقد عكف العلماء عليه يتدارسونه، ويتعرفون مبادءه ، وأحكامه ، ولم يكن غريباً أن نجد كثيراً من الفرس في صدر الإسلام ، قد انصرفوا إلى فهم القرآن الكريم ، وكان كثيرون من تلاميذ الصحابة الذين لازموهم - من الفرس وغيرهم - من الذين دخلوا في الإسلام في عصر الصحابة ، ومن جاء بعدهم .

وإن تلاوة الصحابة للقرآن في البلاد التي كانوا يفتحونها ، كانت تجذب إليهم

بترتيله وجمال فواصله ، ونغماته العربية ، وحلاوته وطلاوته ، فالقرآن كان هو وحده داعية للإسلام .

ـ يلزم على جهاز الإعلام الإسلامي أن يصدر كتباً ونشرات عن السنّة وسيرة الرسول .

لقد أخذ الصحابة يعرفون بالرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وينشرون ذلك في وسط البلاد التي يفتحونها ، ويذكرون سيرته قبل البعثة ، وقد كان الأمين في قريش ، ويذكرون إرهاصات النبوّة ، وما كان عليه من أخلاق قبل البعثة ولازمته بعدها .

وسيرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم دعاية للمسلمين ، فلم يكن في أخلاقه ـ عليه السلام ـ إلا ما يدل على صدقه حتى كان الأعرابي يؤمن برسالته لمجرد رؤيته ، وحتى لقد قال الأعرابي : أأنت الذي تقول عنه قريش : انه كذاب ، والله ما هذا بوجه كذاب .

ولما سأل هرقل عندما جاء خبر الدعوة المحمدية بكتاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولقي أبا سفيان ـ كان سؤاله عن سيرة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن شخصه وأخلاقه ، قبل أن يسأل عن حجته ، وما جاء به .

سأله : عن نسبه ، وعن خلقه ، وصدقه ، وعما يتعلق بأسرته، وعن رفاقه ، وعن أتباعه أهم الاغنياء الأقوياء ، أم العبيد الفقراء والضعفاء ؟

وقد اعلن من بعد بيان « أبي سفيان » المسؤول ، أن صفاته هي صفات النبيين الصديقين ، ولذلك نقول : ان سيرة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أعظم دعاية للإسلام بعد القرآن .

وانا نحسب أن سيرة الرسول ، وكمال عقله ، وخلقه ، واستقامة نفسه ، وسلامة ما يدعو إليه ، كل ذلك في نفسه دعوة إلى الإسلام ، في وسط غياهب الجهالة في الماضي ، وهو لا يزال القوة الداعية إلى الإسلام ، في عصرنا الحاضر ، وانا نجد بعض الناس يسلمون اذا علموا السيرة النبوية وأدركوا عقله وبعده عن الأوهام والخرافات ، التي تسود العامة ، وتستهوي تفكير السذج ، منهم .

وأما أقوال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأفعاله ، وتقريراته . فإنها نعم الهادي إلى سواء السبيل ، وانه في عصر الصحابة كان الاتجاه إلى السنة أمراً لا بد منه ، فقد كانت الحوادث تتوالى ويتعرفون حكمها ، وما يقتضي به ، فكانوا اذا لم يجدوا حكماً في كتاب الله ـ تعالى ـ تعرفوا الحكم من سنته الشريفة ، غير مدخرين جهداً في روايتها ، وتنافس الثقات في النقل عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ. واتخذ الصحابة الكرام تلاميذ لهم من الموالي ، الذين كانوا من الفرس وغيرهم ، فكانوا رواة الحديث عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فنافع ـ مولى عبد الله بن عمر ـ ، والحسن البصري ، ومحمد بن سيرين ، وغيرهم ، كثيرون من الموالي ، الذين أسلموا على أيدي الصحابة ، بالدعوة الإسلامية العامة في الحروب وخاصة بين الذين جيء بهم أسرى ، وأقاموا بالمدينة ؛ وارتضوا الإسلام ، وتعلموا بتعليم الصحابة الكرام ، فأخذوه ممن شاهدوا ، وعاينوا ، وكانوا من بعدهم كمن شاهدوا وعاينوا ، وبذلك استقوا الإسلام من الينبوعين الدافقين : الكتاب ، بما أخذوه من تفسير لمعاني كتاب الله ـ تعالى ـ من القرآن الكريم ، وثانيهما : ما رأوه من سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وكان الكثيرون منهم من رواة السنة أهل الثقة فيها .

وهكذا : كانت الدعوة الإسلامية في عصر الصحابة متجهة في بعض نواحيها إلى تعليم الأسرى الذين يجيئون إلى المدينة ، يعلمونهم الدين ، ويصطفونهم بالمودة الواصلة الهادية ، وجعلوا منهم مدرسة علمية ، علموها التفسير ، وعلموها الحديث ، وعلموها فقههم ، وكان منهم رواة الفقه إلى من جاء بعدهم ، وعلموا بذلك اقوامهم ، وكان منهم دعاة مخلصون ، ومفسرون وحكماء وعلماء ، نقلوا علم الإسلام إلى من جاءوا ، فكانوا حملة العلم ، وكان لهم فقهه ، ثم حملوه إلى بعض من هم أفقه منهم .

وكانت الدعوة متجهة إلى تعليم غير المسلمين في الجهاد ، فقد كانت الدعوة إلى الإسلام هي روح الجهاد ، وما كان إلا لحماية الدعوة ، لا لإكراه الناس على الإسلام ، بل كان لتفتح الطريق إلى الدعوة إلى الإسلام وحمايتها ، ومن شاء بعد ذلك فليؤمن ، ومن شاء فليكفر ، ومن آمن كان من المسلمين ، وكان أخاً في الدين

والمسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يسلمه ، ولا يحقره ، ولا يخذله فيكون عوناً للمسلمين في الدعوة إلى الإسلام ، والجهاد في سبيل الله ـ تعالى ـ.

ومن لم يدخل في الإسلام طوعاً واختياراً ، ورضي بالإقامة بين المسلمين ، لا يضار في عقيدته .

ـ على الجهاز الإعلامي الإسلامي أن يبين موضوع الجهاد والدعوة إلى الإسلام .

لأنه لم يكن الجهاد في الإسلام لغرض الغارات على الجماعات والأمم ، ولم يكن في أصل شرعته للغلب والقهر ، فما كان محمد ليكره الناس على الإسلام ، فقد قال تعالى :

﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ [سورة البقرة : ٢٥٦] .

وقال تعالى : ﴿ أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ [سورة يونس : ٩٩] .

ولم يكن محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ملكاً ، يفرض سلطانه على الناس بقوة الغلب والحرب ويفرض الحكم على الناس كرهاً ، وإجباراً .

ولكن كان محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بشيراً ، ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، فكان ـ عليه الصلاة والسلام ـ يجاهد ، ليفتح الطريق أمام التبشير والإنذار ، اي أمام الدعوة إلى الحق ، والتوحيد الخالص .

وكان لا بد من الجهاد ، لأنه ـ صلى الله تعالى عليه وسلم ـ بعث رحمة للعالمين ، وكان العالم في هذه العصور يرزح تحت نير الملوك ، الذين طغوا في بلادهم ، لا يهمهم الا فرض حكمهم ، رضي الناس ، أو كرهوا ، وكانت الديانات القائمة تفرض لهم الطاعة المطلقة ، وان لم يرتضوها ، ساقوهم إلى الهوان والعذاب .

ولذلك : ما كانوا ليسمحوا بأن يدخل أرضهم من يدعو شعوبهم إلى عبادة اللّه وحده ، لا يشركون به شيئاً ، وفي الديانات التي اعتنقوها ، بعد أن حرفت وغيرت ، وبدلت طاعتهم ففرض سلطانهم بالقهر ، والغلب ، والسلطان ، وما كانوا ليرتضوا

ديناً يفرض العبودية لله وحده لا لأحد من الناس أياً كان وصفه ملكاً قاهراً أو متغلباً عادياً .

وفوق ذلك : لقد أتى محمد بمبدأ المساواة الإنسانية بين الحاكم والمحكوم والغالب والمغلوب وأتى محمد بمبدأ العدالة في كل شعبها ، أتى بالعدالة في تطبيق الشرع ، وبالعدالة الاجتماعية ، فكان لا بد أن يقاومه الملوك ، بأن يحاجزوا بين هذه الدعوة المحررة للشعوب التي ترزح تحت نير حكمهم العاصف الفاسد .

ولذلك وقفوا دون هذه الدعوة ، أرسل النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى كسرى فمزق كتابه ، وإلى هرقل ، فلم يرد ، وأرسل إلى المقوقس ، فرد رداً حسناً ولم يؤمن ، وهكذا . . . .

ولكن لا بد أن يبلغ محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الدعوة ، وأن يتقدم بها ، وقد وعده الله ـ تعالى ـ بأنه يعصمه من الناس ، حتى يبلغ دعوة ربه ، ورسالته إلى خلقه ، وقد قال تعالى :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ﴾ [سورة المائدة : ٦٧] . فإذا كان الملوك والطغاة لا يمكنونه فلا بد أن يتمكن هو منهم ، ويخلو له وجه الناس ليتلقوا دعوة الحق ، ولهم الخيار في أن يتبعوا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ او يختاروا الجبت والطاغوت .

كان إذن القتال ، والملوك بادروا بالاعتداء ، فكسرى ارسل من يقتل الرسول وهرقل قتل بعض المؤمنين ، وما كان لمحمد وأصحابه من بعد أن يتركوا الطاغوت يتحكم ويحكم ، بل لا بد من فتح الطريق إلى الحق ، ومنع الفساد والظلم والحكم بغير الحق ، وبغير ما أنزل الله :

﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾ [سورة البقرة : ٢٥١] .

إذن : فالقتال كان للدعوة ، وليس للإكراه على الإسلام ، إنما كان القتال لمنع الإكراه على البقاء على الكفر ، ومنع الظلم والعدوان ، وارهاق الشعوب من أمرهم عسراً ، كما قال تعالى :

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ [سورة البقرة : ١٩٣] .

ولم يكن القتال محبوباً للنبي - صلى الله عليه وسلم - ، إنما المحبوب المطلوب هو : الدعوة إلى الحق ، مستشهدين في سبيله ، ولذا قال تعالى : ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ [سورة البقرة: ٢١٦].

كان المؤمنون كارهين للقتل ، وازهاق الأرواح ، ولكن كانوا راغبين في الدعوة إلى التوحيد وأن يخلو وجه الناس للحق ، والحرية ، والعدل ، والإيمان بالله وحده الذي لا شريك له .

الجهاد صورة للحرب الإسلامية .

كانت تسمية الحرب الإسلامية جهاداً فيها إيماء إلى أنها ليست حرب قتل وغلب ولكنها دعوة للحق ، وحماية له ، من ان يعتدى عليه ، وفتح الطريق ليصل إلى النفوس ، وإزالة الحواجز المانعة ، ولذلك كان على القائد الذي يقود جيش الإسلام إلى الجهاد : أن يدعو إلى الإسلام ، فإن أسلم من يدعوهم ، فهم إخوان مسلمون ، علينا حمايتهم ولهم أخوتنا ، وان لم يسلموا عرض عليهم العهد ، على اساس إقامة الحق ، ومنع الملوك من ان يظلموا رعيتهم ، وأن يفتحوا الطريق للدعوة الإسلامية ، ليتقدم الدعاة المهديون للدعوة للإسلام ، يجيب من يجيب ، فيهتدي ومن لا يجيب فهو حر في اعتقاده ، فمن اهتدى فلنفسه ، ومن ضل فإنما يضل عليها ، وما ربك بظلام للعبيد .

- على الجهاز الإعلامي الإسلامي أن يبين أن الدعوة في أعقاب الحرب لم تترك آثار الأحقاد .

إن الحروب الإسلامية[1] لا تنتهي بإثارة الأحقاد فلا يقول الجيش المؤمن

---

(١) الدعوة إلى الإسلام - لفضيلة الشيخ محمد أحمد أبو زهرة - من بحث في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية صفحة ٨٢ .

المنتصر : ويل للمغلوب ، ولكن يقول رحمة بالمغلوب ، ورفقاً بـه ، لأنه لا يقـاتل الشعـوب ، إنما يقـاتل معسكـر السلطان فقط ، لأن السلطان هـو الـذي يحـول بين الشعوب ، وبين الدعوة إلى الإسلام ، ثم الـدخول رغبـاً لا رهباً لمن يـريد اعتنـاقه واتباع الهدى .

ولأن انتهاء الحرب يفتح باب الدعوة ، يكون العفو ، والمعذرة ، ويدخل في الإسلام من أراد ويبقى على دينه من يريد .

ومن يبقى على دينـه يحكم بالعـدل والحق ، لا بـالعسف والـظلم ، فـالـظلم حرام ، أياً كان المظلوم ، والعدل المطلوب ، أياً كان من ينتفع به ، وتكون من بعده المساواة ، ونشر العدل على المغلوبين ، إذ بعد الحرب لا غالب ولا مغلوب ، بـل مودة وحسن جوار وعدل ، والله تعالى يقول :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [سورة المائدة : ٢] .

﴿ ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقـرب للتقوى ﴾ [سـورة المائدة : ٨] .

وإن العدل يكون مع الشعب الذي يكون قد رفع نير الذل والاستعباد والطغيان وأما معركة السلطان ، فإنـه يؤسر فيهـا من يؤسر بعـد رفع رايـة الأمان في الأرض ، واليـأس من أن يكون لهم كـرة ، وعدم تـوقعها من جيش الإيمـان ، ويتحقق قـولـه تعالى :

﴿حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإمّا منّاً بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ [سورة محمد : ٤] .

وإنه كان المتبع في عهد الراشدين : أن يرسل الأسـرى إلى المدينـة ، حيث مقر الحاكم ، وهنالك : يتصرف أمير المؤمنين مع الأسرى بما يراه مصلحة للمسلمين ولهم ، فكان يمن على من يرى المن ، ويسترق من يرى استرقاقه ، معاملة بالمثل ، لأنهم كانوا يسترقون أسـرى المؤمنين ، فكان حقـاً على المؤمنين أن يسترقـوهم وقد

أمرنا الله تعالى أن نرد الاعتداء بمثله فقال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ [سورة البقرة : ١٩٤] .

ويقول تعالى : ﴿ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ﴾ [سورة النحل : ١٢٦] .

ولو أنه جرى عرف الحرب ، على ألا يسترق انسان قط في حرب أو سلم ، فإنه لا يحل الرق حينئذ ، إذ يكون ذلك اعتداء ، وليس رداً للاعتداء ، وينطبق عليه النهي في قوله ـ تعالى ـ .

﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ﴾ [سورة البقرة : ١٩٠] .

وأولئك الأسرى يعمل المسلمون على ربطهم بالمودة مع المؤمنين ، يتزوجون نساءهم ، ويدخلون عليهن بملك اليمين .

ولقد كان من السبايا نساء من كبار الناس ، في فارس ، فلم يتركهم الخلفاء يمتهن بين الاعراب والعرب ، بل اختاروهم لكبراء المؤمنين ، ذوي النسب الرفيع ، كعلي بن أبي طالب وغيره ، ليرفعوا من خسيستهن ، فيكون بذلك المزج الجنسي ، ووراءه الائتلاف النفسي ، والروحي .

ثم من اولئك الأسرى من اتجهوا إلى المعرفة، ليستعيضوا عن إنكسار الحرب، بسلطان العقل حتى كان من اولئك : علماء للإسلام ، وفقهاء في أحكامه ، ومبينون لشرعه .

ولذلك : كان من اكثر التابعين الداعين للإسلام ، وورثة علم الصحابة من الموالي ، وهم أولئك الذين آمنوا ، وحسن إيمانهم ، وانصرفوا إلى فقه الإسلام ، والدعوة إليه .

ـ على جهاز الإعلام الإسلامي أن يبين أن من أهداف الرسالة الإسلامية العمل الصالح الذي تعود فائدته إلى الإنسان نفسه فيما يكسبه من الصالحات الباقيات .

فمثلاً تبيان أخلاق الفرد المسلم كما بيناه في الفصول السابقة وتوضيح بعض الأمثال كحسن الجوار وأثره في الدعوة .

إن اخلاق المسلمين الاجتماعية والأخوية التي تربوا عليها في ظل الإسلام ، كانت تجلب المحبة لهم ، والائتلاف لهم ، واتخاذهم قدوة ، وان ذلك يجعل العقيدة تسري إلى نفوسهم من قلوب محبة ومحبوبة ، فما كانوا يشعرونهم بالغلب ، بل كانوا يضعون في نفوسهم : أنهم أخوة متحابون ، وليسوا غالبين يتحكمون ، فكانت هذه الأخلاق مقربة مدنية ، وذلك : فوق ما في الحقائق الإسلامية من معان تدركها العقول وان البراهين لا تدني إلى الإيمان وحدها ، بل لا بد أن يكون معها الف وائتلاف .

فكان امام غير المؤمن او المسلم امران يجذبانه إلى الإسلام ، أولهما : تآلف النفوس ، وثانيهما : براهين العقول ، فيدخل الإيمان إلى قلبه ، من غير تردد ولا عوج .

وان المؤمنين كانوا متمسكين بأوامر النبي - صلى الله عليه وسلم - في الرفق بالناس ، فلقد كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « تألفوا الناس ، وارتفقوا بهم » . وكان يقول : « يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا » .

وإن حسن المعاملة والإحسان إلى الجار ، وقد أوجد الفتح جواراً بين المسلمين ، وغير المسلمين ، سواء أكان أولئك الجيران من العرب ، ممن دخلوا في الإسلام من غير العرب ، فكانت هذه المعاملة مع العلم بأن الإسلام دعا إليها في كتابه الكريم ، إذ قرن الإحسان بالجار بالإحسان إلى الأقربين ، وقرن الإحسان بعبادة الله وحده لا يشركون به شيئاً ،

وان المودة تدني ، والمحبة تجعل السبيل إلى الاقناع معبداً ، والاسلام دين الالفة ، والدعوة بالائتلاف أقرب وأهدى سبيلاً ، والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول : « تألفوا الناس » ويقول : « بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا » ولو جئت إلى مخالفك بما يجمع بينكما مبتدئاً به ، انتهيت إلى أن يوافقك فيما تختلفان فيه .

ويدخل ذلك كله في قوله تعالى : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [سورة النحل : ١٢٥] .

وان الدعوة الآحادية لمن يكون منك دانياً ، وان هذه سبيل قد انتجت في الحاضر ، ان خلصت النية ، واعتزمت ، واتجهت ، واستجابت لأمر الله ـ تعالى ـ ونهيه .

هذه هي الدعوة الاحادية ، وقد كان لها الفضل الأكبر ، عندما غفل الحكام بعد الراشدين عن الدعوة الإسلامية ، وشغلوا عن ذلك ، بالافتراق الذي أضعف حكمهم ، وتحول الافتراق إلى تنازع على السلطان ، وعلى مقدار ما يسيطر كل واحد على رقعة من الأرض .

وفي هذا الحين : كان من الناس من انتدب للدعوة الإسلامية احتساباً ، وقام بواجب الأمر المعروف والنهي عن المنكر ، وان الدعوة إلى الإسلام من قبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقام بذلك الجماعات ، والآحاد ، من غير ترتيب من ولي الأمر ، ولا تنظيم من الحكام .

ــ ولكن يجب اتباعاً للهدى المحمدي ، أن تقوم الدولة الإسلامية بذلك كما ينبغي لها أن تعهد به إلى جماعة ، إسلامية تخصص لذلك ، إذا كانت تريد القيام بحق الإسلام عليها : في تبليغ الدعوة وان ذلك الواجب لا يغني عن عمل الآحاد ، ولكن يجب أن يكون بجواره ، فإنه منذ عهد الحكم الأموي ، وقد وجد في حواشي الملوك من يثير الشبهات حول الإسلام ، وان الآحاد ربما لا يتوافر فيهم المقدرة لدفع الشبهات ، فإن ذلك يحتاج إلى فهم دقيق للمأثور عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ــ وفوق ذلك : فإن هناك مسائل تحتاج إلى متفقهين في الإسلام يبينوها ، ويذكرون تفصيلها كأحكام الزواج ، والطلاق في الإسلام ، الميراث ، والحرمات الإسلامية بالتفصيل ، فإن ذلك لا بد من معرفته بالإجمال ، ولا بد لكمال الدعوة أن .هب ناس لهم ثقافة عالية إلى البلاد المختلفة ويتقنون لغاتها ، ويتعرفون نفوس أهلها ، ومن أي طريق يمكن التأثير فيهم ، وأن أولئك يجب أن يكون لهم دراسات خاصة ، تكون للإعلام ويجب أن يزودوا بعلم النفس الجماعي ، والنفس الفردي ،

ومنطق الدين ، وسياسة البيان ، وسياسة الحق ، والتعرّف إلى النفوس ، ومداواتها وعلاج المنحرف منها .

ـ وكل أولئك تربيهم الجماعة الإسلامية ، كما تربي المهندسين ، والأطباء ، وكل من يقوم بفرض كفائي ، يجب على الجماعة توفير الأسباب لهم ، ليقوموا بواجبهم الكفائي .

وما كان الزنادقة إلا عدداً ضئيلاً جداً ، لا يصلون إلى نسبتهم لجماعة المسلمين إلا بمقدار واحد في كل ألف ، بل أنهم دون ذلك بكثير .

وان استمساك المسلمين من غير العرب بدينهم الذي ارتضوا ـ وهو الإسلام ـ دليل على أنهم اختاروه ، وما أجبروا عليه ، وما اختاروه لمجرد التفكير ، واتباع القوي ، ولكن اختاروه ، لأنهم اقتنعوا به ، وأدركوا حقائقه ، ووازنوا بينه وبين ما كانوا عليه من أوهام ، انحرفت بها الديانات السماوية عن مواضعها، ورأوا أن كل ما فيه يوافق العقل السليم ، ورأوا ما رآه الاعرابي عندما آمن بمحمد ، وقد سئل : لم آمنت به ؟ . فقال : « ما رأيت محمداً يقول في أمر أفعل ، والعقل يقول : لا تفعل ، وما رأيت محمداً يقول في أمر : لا تفعل ، والعقل يقول افعل » .

وبذلك يتبين : أن المسلمين في الأراضي التي فتحها الإسلام ما دخلوا في الإسلام رهباً ، وما دخلوا تقليداً للأقوياء ، ولكن دخلوا رغباً ، واقتناعاً وإدراكاً .

ـ واجب جهاز الاعلام الاسلامي أن يبين أن من أهداف الرسالة الإسلامية إصلاح حال المجتمع وان التوضيح واجب على كل فرد نحو هذا المجتمع .

الهدف الثالث : (إصلاح حال المجتمع وواجب كل فرد نحو المجتمع الذي يعيش فيه).

فإصلاح المجتمعات هو المهمة الأولى المقصودة من إرسال جميع الأنبياء والمرسلين فكل نبي كانت مهمته وعنايته هي إصلاح حال المجتمع الذي أرسل إليه ؛ يرشدونه أولاً إلى حسن الصلة بالله وتوثيق العلاقة بين العباد وربهم ، وذلك على أساس الصدق في الإيمان والإخلاص في التوحيد ، وكل نبي يدعو أمته بدعوة واحدة

في قضية واحدة هي قوله لهم : ﴿ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا ﴾ [الشورى : ١٣] . ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾(١) ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾(٢).

وتلك هي الأصول التي اتفق فيها جميع الأنبياء في كل عصر من عصور النبوات ويشير إلى ذلك المعنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : ـ « الأنبياء أولاد علّات أمهاتهم شتى ودينهم واحد» . وإذا عني الإسلام بإصلاح المجتمع فذلك لأن قوة الإسلام ومظهر عزته يرتبطان بقوة المجتمع الذي يتمسك بمبادئه ويناضل عن شرفه وعزته فإذا تأرجح المجتمع بين القوة والضعف كان لذلك أثره في تمسك المسلمين بمبادىء دينهم أو انصرافهم عن أهداف الرسالة المحمدية .

ولهذا تضافر الكتاب والسنة على تشريع المبادىء القويمة والآداب الاجتماعية التي تربي المجتمع تربية دينية ، وقد امتلأ كتاب الله ، وسنة رسول الله بالحث على رعاية هذه المبادىء ، وتلك الآداب بين الأفراد والمجتمع حتى يكونوا جميعاً أخوة يجمع شملهم مجتمع قوي عزيز كريم يكون كالبنيان الواحد يشد بعضه بعضاً ، ويكون كالجسم الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

وحرصاً على قوة المجتمع وبقائه سليماً من أسباب النزاع والضعف والوهن أرشد الكتاب والسنة إلى كثير من الآداب التي إذا روعيت بين الأفراد والجماعات تحصن المجتمع من أسباب الخلاف والنزاع ، وترفع عن سريان الحقد والضغائن فيه لتبقى المحبة فيما بينهم ويسود الوفاق والتعاون في مجتمعهم ، وهذا من أهم السبل لإصلاح المجتمعات .

فأوّل مبْدَإٍ وَضَعَهُ الإسلام لإصلاح المجتمع مبدأ الأخوة الدينيّة . لقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا المؤمِنون أخوة(٣)﴾ وأخوة الدين أقوى من لُحْمَةِ النَّسَب ، بل النَّسبُ يَنْقَطِعُ بانقطاع المُتَابَعَةِ في الدين كما انقطع نَسَبُ ابن نُوح عن أبيه حين بدت العاطفةُ الأبَويةُ من نوح عليه السلام فقال ﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾(٣) فأجابه الله بقوله :

---

(١) سورة الأعراف : ٥٩.
(٢) سورة الشورى : ١٣.
(٣) سورة الحجرات : ١٠ .
(٤) سورة هود الآية ٤٥ .

﴿ إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح ﴾[1]

وقد قال الله لِنبيه نوحٍ قبل ذلك : ﴿ ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنَّهم مغرقون ﴾[2] .

لذلك اسْتَغْفَرَ نُوحٌ ربّه .

ومن المبادىء الدينية لإصلاح حال المجتمع تشْرِيعُ التَّحِيَّةِ عند المقابلة واللقاء . يقول الله تعالى للمؤمنين : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيُّوا بأحسن منها أو رُدُّوهَا ﴾[3] .

والْمُبَادَأَةُ بالتَّحِيَّات تَرْبطُ بين القلوب بالود الصادق والحب الخالص بين أفراد المجتمع .

ومن المبادىء كذلك تعليم الأفراد وَحَثُّهُمْ على الزِّيارة مع رعاية آدابها . يقول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنِسوا وتُسلِّموا على أهلها ﴾[4] .

ومحل ذلك إذا لم يكن هناك إذن وموعد سابق فإن ذلك ينفي الضرر ، كذلك من الآداب الاجتماعية ، النهي عن السُّخْرِيَةِ وَاللَّمزِ والتَّنابُزِ بالألقاب المكروهة مع اجتناب الظُّنون السَّيِّئةِ ، وَترك الغيبة والنميمة ، كما جاءَ في آيات من سورة الحجرات :

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أن يَكُنَّ خيراً منهن ولا تَلْمِزُوا أنفسكم وَلَا تَنَابَزُوا بالألقاب بئسَ الاسمُ الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأُولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضكم بعضاً ﴾[5] .

كذلك نهت الشريعة عن الْهَمْزِ واللمز ﴿ وَيْلٌ لكل هُمَزَة لُمَزَة ﴾[6] .

---

(1) سورة هود الآية ٤٦ .

(2) سورة هود الآية ٣٧ .

(3) سورة النساء : ٨٦ .

(4) سورة النور آية ٢٧ .

(5) سورة الحجرات الآيتان ١١ ، ١٢ .

(6) سورة الهمزة ، آية ١ .

والهمز الطعن في أخيك من طريق الإشارة الخفيفة واللمز : الطعن فيه بالإشارة ـ الظاهرة ـ وكلاهما ناشىء عن الاحتقار وذلك يتنافى مع الآداب والتربية الدِّينية للأفراد والمجتمعات .

كذلك نَهت الشريعة عن القَذف ورمي المحصنات : ﴿ إنَّ الذين يَرْمُونَ الْمُحصنات الغافلات المؤمنات لُعِنوا فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

ومن الآداب الدينية الاجتماعية رعاية حق الطريق والجلوس فيه ؛ فَلا يعترض المارَّة بأذى وَلْيَغُضْ بَصَره وسواء في ذلك الرجال والنساء . قال تعالى :

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِير بِمَا يَصْنَعُون * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهنَّ وَيَحفظنَ فُرُوجَهن ولا يُبْدِين زينتهن . . ﴾ الخ الآيات[2] .

ومن أمثال ذلك كثير من الآداب في كتاب اللّه وسنة رسول اللّه رعاية لإصلاح حال المجتمعات التي جعلها اللّه مهمَّة جميع الأنبياء والمرسلين .

ومن أهم الإرشادات الاجتماعية رعاية حقوق الجيران فإن حقوقهم تتصل بكمال الأيمان قال عليه الصلاة والسلام : « واللّه لا يؤمن واللّه لا يؤمن واللّه لا يؤمن. قيل : منْ يا رسول اللّه؟ قال : الذي لا يأمن جارُهُ بوائقه[3] ـ أي غَوائِلَهُ وشُرورَهُ ـ والجيران[4] ثلاثة كما جاءَ في الحديث فجار له ثلاثة حقوق : حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة ، وجار له حقان حق الجوار وحق الإسلام (إن لم يكن قريباً)

---

(١) سورة النور ، آية ٢٣ .

(٢) سورة النور ، الآيتان ٣٠ ، ٣١ .

(٣) الحديث عن أبي شريح رضي الله عنه أن النبي صلّى الله عليه وسلّم قال : « والله لا يؤمن . . . إلخ » رواه البخاري ومسلم ولفظه : « لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه » . أ . هـ .

(٤) وحديث «الجيران ثلاثة» رواه البزار وأبو الشيخ في الثواب وابو نسيم في الحلية عن جابر، والطبراني عن شيخه، والحديث ضعيف وله طرق متصلة ومرسلة وكلها لا تخلو عن مقال ولفظ الحديث : الجيران ثلاثة ، فجار له حق واحد ، وهو أدنى الجيران حقاً وجار له حقان ، وجار له ثلاثة حقوق فأما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك لا رحم له ، له حق الجوار ، وأما الجار الذي له حقان ، فجار مسلم له حق الإسلام وحق الجوار ، وأما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الإسلام وحق الجوار وحق الرحم .

وجار له حق واحد وهو حق الجوار فقط إذا كان كتابياً . ومن أهم الوصايا الدينية لتربية المجتمع والمحافظة على سلامته تحذير المسلمين من أثر السعاية والوشاية حتى لا يقعوا في جُرْمها وسُوءِ عَاقِبَتها . يقول مولانا جل شأنه :

﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[1] .

وَقَـدْ طُلِب إلى المسلمين أن يبادروا بإصلاح ذات الْبَيْن قَبْـل أن تَمَسَّ الفِتنـةُ قلوبَهُمْ وتَجرَحَ وحدتهم فقال تعالى للمؤمنين : ﴿ فَـاتَّقُوا اللَّهَ وأَصْلِحُـوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[2].

كل هذا من طب القلوب وعلاج النفوس حتى يبقى المجتمع الإسلامي سليماً من المفاسد قوياً يَجْمـع القلوب ويتجَنَّب العُيُوب ، عَـزِيزاً بـوحدتـه الشاملة ومحبتـه المخلصة وهناك ناحية مهمة تحتم على الأفراد والمجتمعات توثيق الروابط حتى يوم التعاون بينهم وثيقاً فإن ذلك التعاون يتوقف عليه نظام المعيشة والعمران ، ومنشأ ذلك أن اللّه تعالى خَلَق الإنسان مَدَنيًّا بطبعه لا يعيش وحده ، ولا يستطيع أن يستقل بأسباب الحياة وحده حتى في أبسط الأمور التي تتصل بحياته .

ومثل ذلك يقال في تجهيز الملابس والمنسوجات وكل ما يتصل بالحياة ؛ فإن الأفـراد يحتاجـون فيه إلى التعـاون الصادق حتى لا يعجـز الفـرد عن الـوصـول إلى مصالحه ، لذلك حث اللّه تعالى على التعاون :

﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَىٰ البِرِّ والتَّقْوَىٰ وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَىٰ الإِثْم وَالْعُدْوَانَ ﴾[3].

وقد جعلت الشريعة مبدأ التعاون واجباً اجتماعيا ، وَجَعَلَتْ لِلْمُجْتَمَع رِقَابَةً فَعَّالة على سلوك الأفــراد واسْتِقَـامَتهم حتى لا يَخْـرُجُـوا عَمَّـا رسم اللّه لهم في دينهم ودنياهم .

---

(1) سورة الحجرات ، آية ٦ .

(2) سورة الأنفال : ١ .

(3) سورة المائدة ، آية ٢ .

مسؤولية المجتمع عن سلوك الأفراد:

وتتجلى مسؤولية المجتمع عما عسى أن يَأتِيه بعض أفراد المجتمع من شطط الجهالة ودوافع الهوى والملذات في تمثيل واضح قد وَرَدَ في حديث من أحاديث رسول اللّه ـ صلوات اللّه وسلامه عليه ـ حيث يقول :

« مَثَلُ القائم على حدود اللّه والواقع فيها كمثل قومٍ اسْتَهمُوا على سفِينة فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسْفلها إذا اسْتَقَوْا من الماءِ مَرُّوا على مَنْ فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا من نصيبنا خرقاً ولم نؤذِ مَن فوقنا ؟؟ فَإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً ، وإن أخذوا على أيديهم نَجَوْا وَنَجَوْا جميعاً »[1] .

ففي هذا الحديث تمثيل المجتمع الإسلامي بمن فوق السفينة وفيهم المحافظون على حدود اللّه والمفرطون فيها ، وفيه تمثيل المجتمع الطائع الواعي بمن أصاب الطابق الأَعْلَى من السفينة (والعلو يناسب الطائعين) وفيه تمثيل الطبقة الْمُنْحَرِفَة التي تَميل إلى ارتكاب المنكرات بالطائفة التي أصابت أسْفل السفينة والسُّفولُ يناسب العصاة الذين يرتكبون ما نهى اللّه عنه .

ومُحَاوَلَةُ الطبقة السفلى لخرق السفينة تمثيل لإرتكاب المنكر ، والشُّروع في عمل فاسد كخرق السفينة تمثيل لِلْهَمِّ بفعل المنكر الذي لَوْ تَمَّ لكان فيه غَرْق السفينة وهَلاَكُ جميع مَن فوقها بسبب فعلهم السَّيِّء . فلو أن الطبقة العليا التي تمثل العلماء المتمسكين بمبادىء دينهم سَكتت وَرَضِيت عن فعل المنكر لكان في ذلك هَلاَكُ الجميع ، وهذا تمثيل لعذاب اللّه الشامل للطائعين والعصاة إذا لم يكن هناك نهي عن المنكر .

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الذين ظَلَمُوا مِنْكم خَاصَّةً ﴾[2]

أما إذا قام الطائعون بواجباتهم وَنَهَوْهُم عن ارتكاب المنكر فإن النجاة تكتب لهم

---

(١) الحديث رواه البخاري والترمذي وأحمد.

(٢) سورة الأنفال ، آية ٢٥ .

جميعاً ، وفي الحديث النبوي[1] « إنَّ النَّاسَ إذا رَأَوُا المنكر فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ يُوشِك أن يعمهم اللّه بعذابه » . أما السَّفينة نفْسُها فهي تمثل أحكام الشريعة ومبادِئِها فكما أن السفينة قد أُعِدَّت لِتشق عُباب البحار وَتَحْمِلَ مَن فوقها إلى برِّ السَّلاَمَةِ وشاطِىء النجاة فكذلك أحكام الشريعة ومبادئها قد شرعت لترسُم للمسلمين حُسْنَ السلوك إلى اللّه فمن تمسك بسبيل اللّه واعتصم بحبل اللّه فقد فاز ونجا من عذاب اللّه .

المسؤولية الشرعية في باب التكليف

بمناسبة الحديث عن مسؤولية المجتمع فتتم الكلام في مَرَاتِب التكليف والمسؤولية فنقول :

إن مراتب المسؤولية فيما يُكَلَّفُ به الإنسان شرعاً أربعة :

الأولى : مسؤولية الفرد عن نفسه إذا بَلَغَ وكان عاقلاً وقد بَلَغَتْه الدعوة الإسلامية فهو المكلف والمسؤول عن نفسه في الاستقامة والانحراف .

الثانية : مسؤولية ولي الأمر المباشر لولده وَمَن في حكمه تنتقل إليه المسؤولية إذا انحرف مَن هو تحت إشرافه وَولاَيَته فَهُوَ الْمَسْؤُولُ عَن تقْوِيمِهِ وحَمْلِه على الاستقامة ، فإذا انحرف وَلِيُّ الأمر المباشر ولم يَصْلُح لِلْقَوَامَةِ بل انطبق عليه قول القائل :

إذَا كَانَ رَبُّ الْبَيْتِ بالدّفِ ضارباً فَشِيمَةُ أَهْلِ البيْتِ كُلّهمُ الرَّقص

فإنه لا يصلح للولاية ، ومن هنا نفهم أنه ليس كل رب بيت يَصْلُح للإشراف على توجيه اهله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجادلهم بالتي هي أحسن ويوجه أنظارهم إلى النظر في الآيات والآفاق ، والاعتبار بملكوت الأرض والسموات ، حتى يؤمنوا عن بَيِّنَة . ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[2] . واستمر النبي يدعو إلى اللّه على هذا الأساس ثلاثة عشر عاماً وسبعة

---

(١) روى أصحاب السنن بسند صحيح حديث: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم اللّه بعقاب» .

(٢) سورة البقرة ، آية رقم ٦

أشهر لم يستعمل فيها قتال ، وبعد أن أوضح للناس معالم الحلال والحرام وأصبح الحلال بيناً والحرام بيِّنا ، آمن مَن آمن عن بيِّنَة ، وَتَخَلَّفَ عن الإيمان ، مَن لَمْ يتذوق حلاوة الإيمان . ومن هذه الطائفة قامت المعارضة للدعوة الإسلامية ووقفت وراء الحجاب ولم تستجب للَّه ورسوله تَعَصُّباً وعِنَاداً مع أنهم عرفوا الحق كما يعرفون أنفسهم وأبناءهم ، فتآمروا على وضع العقبات ، وقَلْبِ نظام الدعوة التي جاء بها محمد عليه الصلاةِ والسلام ، وكادت فتنتهم تزلزل هذه الدعوة لولا أن أسْعَفَ اللَّه نبيَّه بالعامل الثاني عامل القوة والسلطان ، فأمره بالجهاد ، ونزل قول اللَّه تعالى :

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يقاتَلُون بأنَّهم ظُلِمُوا ﴾(١) .

وبالجهاد دِفَاعاً حصَّن اللَّه دعوته ونشر رسالته ، ولما وضع السيف في رقاب الكفرة المعاندين ، ذَلَّتْ جَبْهَةَ الكفر ، ودالت دولة الشرك . وبذلك أسْعد اللَّه النَّاس بنعمة الإسلام وأمِن الناس في أوطانهم ، ودخل الناس في دين اللَّه أفواجاً ـ وأبى اللَّه إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

ومن هذا ترون أن الرسول صلوات اللَّه وسلامه عليه مع رجاحة عقله ، وقوة بيانه وسطوع حجته في سبيل دعوته ، لم تتم له هذه الرسالة آخر الأمر إلاَّ بالجهاد والجلاد، وعلى هذا المنوال يكون شأْنُ من وَرِث الرِّسالة وَتَحَمَّلَ تَبْليغها والحِفاظ عليها ، وأصبح مسؤولاً عن مبادئها ، فَإِنَّهُ لا ينجح في النهوض بها إلا بهذين العاملين .

ويؤيد ذلك ما ورد عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم في شأن هذين العاملين ، وأن إصلاح المجتمع الإسلامي يتوقف عليهما ، وهناك قول :

« صنفان من أمتي ، إذا صَلَحَا صَلَح الناس كلهم ، وإذا فَسَدا فَسَدَ الناس كُلُّهُم ، العلماءُ والأمراءُ» . فالعلماءُ عنوان رجالِ الدين وهم الذين يبينون للناس معالم الحلال والحرام، والأمراء عنوان القوة والسلطان. فإذا توثقت العلاقة بين العلماء والحكام ومن مجموعهما يكون البيان والسلطان صَلحَ المجتمع الإسلامي ،

(١) سورة الحج ، آية ٣٩.

وقام أمر الناس على النهج المحمدي في ظل توثيق العلاقة بين العلماء أصحاب البيان، والحكام أصحاب السلطان .

الصلة بين العقيدة والقوة

فنجاح المسلمين في رسالتهم تحتم الربط القوي بين العقيدة والقوة ؛ فإن القوة وحدها لا تؤتى ثمرتها ، ولا تكفي في رفع الروح المعنوية في الجهاد ، ونشر الأمن بين الناس في المجتمع الإسلامي إلا إذا استندت على العقيدة الدينية التي تُنَمِّيها وتذكيها . كما أن العقيدة وحدها لا بد لها من قوة ترعاها وتحميها، ولهذا يقول سيدنا عثمان رضي الله عنه : « إن الله لَيَزَعُ بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » .

يتضح مما سبق : أن الدعوة الإسلامية واجبة ، وأنها تبليغ رسالة النبي - صلى الله تعالى عليه وسلم - وأنها فرض على الكافة ، على الجماعة الإسلامية كلها ، بحيث يجب على الأمة الاسلامية مجتمعة ، أن تهيىء جماعة من بينها ، تكون عندها القدرة على الدعوة الإسلامية ، لها مؤهلات علمية، بحيث تكون على علم كامل بالإسلام في كلياته ، ولها علم بالبيان وقدرة عليه ، ولها علم بالنفوس الجماعية والآحادية ، ولها قدرة جسمية وعقلية ، على الاتصال بالجماعات والمشاركة الوجدانية بهم ، والتغلغل في نفوسهم ، وهؤلاء هم الذين ينطبق عليهم قول الله - تعالى :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إنّ ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [سورة النحل : ١٢٥] .

كما أن كل واحد من المسلمين عليه واجب خاص ، وهو : أن يدعو من يعرف ، من عشراء وجيران ، ودعوته إليهم ببيان الإسلام على قدر ما يعرف ، وكذلك كان يفعل الصالحون من المؤمنين في صدر الإسلام ، وما جاء بعده من عصور .

- وان من أقوى وسائل الدعوة : حال المسلم في خلقه ودينه ، وعقله واستقامة نفسه ، فقد ذكرنا أن القدوة كانت أقوى داع إلى الإسلام ، ولا نقول - مثبطين - : أن حال المسلمين منفرة منه ، مبعدة عن الدخول فيه ، نقول ذلك ويجب أن تكون

الأخلاق الاسلامية المستمدة من القرآن والسنة وأعمال السلف الصالح واضحة فينا ، وإذا كنا قد تخلفنا عنها في الماضي ، فإنه يجب علينا أن نزيل غباره في نفوسنا وأخلاقنا ، وأعمالنا ، وأن نظهر هادين مرشدين ، كما كان أسلافنا ـ رضي اللّه تبارك وتعالى عنهم ـ .

ولا يسوغ لنا أن نظن : أن الفقر منفر من الإسلام ، وأن الغنى والظهورية مقرب من الإسلام إنما الأمر أمر النفوس ، وحسن العشرة ، وقد رأينا في عصرنا ، وفي الأيام القريبة : أن أصحاب المهن الصغيرة في الأعين ، كالحمالين والنساجين والعمال غير الفنيين تبدو منهم أخلاق في حسن العشرة والائتلاف مع اخوانهم ، والوفاء والفداء ، ما ليس في غيرهم ، وكان منهم ، وهم الذين لا يعلمون إلا قليلاً ، يؤدون أركان دينهم ، من صوم وصلاة ، وصدقات من قوتهم وبذلك يجذبون الناس إلى الإسلام ، وهم بهذه الحال المتواضعة وما نقص تواضع من عزة .

ـ واجب جهاز الإعلام الإسلامي تنظيم الدعوة :

تبرز في أمر تنظيم الدعوة عدة تساؤلات من ذلك :

أ ـ كيف تتكون الجماعة الداعية إلى الإسلام ، تنفيذاً لفرض الكفاية ، وكيف يكون تنفيذ الدعوة الأحادية ، أو الفردية ؟

ب ـ ما هي أساليب الدعوة ؟

جـ ـ ومما تكون مادتها ؟

والجماعة التي تتولى الدعوة : يجب أن يكون تكوينها عمل الجماعات ، او الأقاليم الإسلامية ، وقد أهملنا في الماضي تكوين تلك الجماعة ، التي تقوم بهذا الغرض الكفائي ، الذي يكون واجباً على الخصوص ، وعلى العموم ، كما يقول الإمام الشافعي ـ رضي الله تبارك وتعالى عنه ـ في رسالته في علم الأصول .

ووجوبه على الخصوص : أن يكون فرضاً عينياً ، بالنسبة للجماعة التي تكونت وحملت عبء الدعوة . ووجوبها على العموم ، من حيث ان جميع المؤمنين عليهم أن يكونوا هذه الجماعة ، وكذلك الشأن في كل الفروض الكفائية ، لها جانب خصوصي تلتزم به الجماعة ، التي تألفت لذلك الغرض الكفائي ، وواجب على

العموم ، من حيث ذلك التأليف ، كالطب : هو فرض عين على الأطباء وفرض كفاية على العموم من حيث انه يجب على الجميع أن يعملوا على تربية الأطباء ، في كل فرع من فروعه .

فعلى : كل اقليم أن يربي جماعة للدعوة إلى الإسلام ، ولعلنا لا نكون داعين إلى عجب ، اذا دعونا في كل جامعة اسلامية ، أن يكون في الدراسات العليا بها دراسة خاصة بالدعوة الإسلامية ، تخصص لهذه الدعوة ، تدرس علوم القرآن.

ـ وان الدعوة فيما يمكن فيه الأسوة ، وهي : العمل بمقتضى البشرية ، أما الوحي والتثبيت الرباني من الله ـ تعالى ـ فهو : من أوصاف النبوة ، لا يسمو إليه أحد من العباد .

وننتهي من هذا البيان[1] : بالتأكيد على أن التبليغ واجب على المؤمنين ، على النحو الذي بيّناه ، من حيث : انه واجب كفائي ، وعيني معاً ، وانه ليس للمسلمين أن يتقاصروا عن أدائه ، وألا يعذروا لأنفسهم ، اذا اصابهم أمر ضعف في سبيل الله ، فالوهن من التقصير في الدعوة إلى الإسلام وتبليغ الهدى إلى أهل الأرض جميعاً ، لأن الرسالة المحمدية يخاطب بها الناس كافة ، لا فرق بين أبيض وأسود ، وأحمر ، وأصفر ، انهم ان استمروا على التبليغ ، كانوا طالبين للعلو ، بإعلاء الحق ، فلا يهنوا ولا يستكينوا ولا يراموا بذل أبداً ، ويكونون الأعزة ، فإن العزة لله ، ولرسوله ، وللمؤمنين ، ولن يكونوا طعمة لأهل الشر في الأرض ، وطغاتها ، ولن يسيروا في غمرة التاريخ ولا يملكوا من أمرهم شيئاً .

ـ ولنتذكر أنه قد اتجه الدعاة في صدر الإسلام اول ما اتجهوا إلى القرآن الكريم ، الذي هو سجل الدعوة ، وقد كان محفوظاً في الصدور ، ومكتوباً بأمر النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن في رقاع ، وقد توزعتها أيدي أصحابه .

وخشي الصحابة بإشارة عمر الفاروق ، أن يموت من حفظوا القرآن ، وجمعوه في صدورهم ، وقد رآهم يتهافتون على الحرب لمقاومة الردة ، واخضاع أهلها ،

---

(١) المرجع السابق .

تهافت الفراش ، فيضيع القران وهو سجل الإسلام ، بل سجل النبوات ، والرسالات الإلّهية للأنبياء ، الذين عرفوا في الشرق العربي ، وما حوله .

اتجه إلى جمع المتناثر من الرقاع ، مطابقاً لما يحفظونه في صدورهم ، ويكون في مصحف تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ انا نحن نزلنا الذكر وانا لـه لحافـظون ﴾ [سورة الحجر : ٩] .

جمعـوا المصحف بجماعـة من الحفـاظ ، سلكـوا في جمعـه أوثق الـطرق ، واتخذوا في ذلك ما يأتي : ـ

وهؤلاء : فيهم من يعلمون حق العلم ، ويدركون رسالة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حق الإدراك ، وبينهم من يعلمون علماً ابتدائياً ، وقـد يبلغون من يـدعونهم أحياناً تعاليم غير سليمـة في تفصيلات الإسـلام ، ولذا : يجب على القـائمين على الدعوة الإسلامية المتخصصين ، أن يكونوا على علم بما يقوم بهؤلاء ، ويعلموهم ، ويتعرفوا حال من استجابوا لهم ، ويصححوا لهم ما عرفوا .

ـ جهـاز الإعلام الإسـلامي عليه أن يتبـع بعض الأساليب الجـديـدة للدعوة

أساليب الدعوة تتكيف بحال العصر ، من أساليب الإعلام ، وقد صارت الآن طـرق الإعـلام متعـددة النـواحي ، فمنهـا الكتب المنشـورة ، والصحف السيـارة ، والأقوال المذاعة بالإذاعة المرئية وغير المرئية ، ومنها اللقاء بالجماهير والآحاد .

أ ـ ولا شك أن الكتب التي تكتب عن الإسلام ومبادئه ، بما اشتمل عليه من عقائد سليمة تتفق مع ما يحكم به العقل السليم ، والأحكام التكليفية ، سواء أكانت تتعلق بتهذيب الآحاد ، أم تتعلق بتنظيم العلاقـات في داخل المجتمـع الإسلامي ، وعـلاقات بني الإنسـان بعضهم مع بعض ، وأسـاسها الـوحدة الإنسـانية ، والأخـوة العامة ، والتعاون الإنساني ، ومع هذا التعارف : التعاون الإنساني العام الذي يدعو إليه الإسلام ، وما دعا إليه الإسلام من عدالة اجتماعية .

وهكذا : تكتب الحقائق الإسلامية بكل اللغات الحية ، وغير الحية ما دامت

بوضع الدعاية الإسلامية .

إن العالم لا يعرف الحقائق الإسلامية إلا عن طريق أعداء لها ، ينقلونها مشوَّهة، كما يحبون ، وعلى ما تهوى أنفسهم المعادية التي لا تنظر إلى الإسلام نظرة غير متحيزة ، أو غير جانبية ، لا يرى بها القرطاس ، الا من جانب الهوى المضلل ، والكذب المفتري .

والعامة لا يعرفون شيئاً عن الإسلام ، فمن الخير في الدعوة الإسلامية أن نكتب رسائل صغيرة في كل موضوع ، من موضوعات الإسلام ، يسهل تناولها ، ويسهل هضمها وتكون الموضوعات التي تشكل الرأي العام ، كنظرية العلاقات الإنسانية في الإسلام وكنظرية الحرب ، والتكافل الإجتماعي ، وذلك كله مع بيان العقائد الإسلامية ، والعبادات الإسلامية السهلة الإدراك ، التي لا نرى فيها اضطراباً في فكر ، ولا التواء في اعتقاد .

ويجب ان تتوافر الجماعات التي تتخصص في هذا ، لكتابة ما يكون في الإسلام علاج له في وسط ذلك المضطرب الإنساني ، وخصوصاً في المسائل التي تثير النزاع في هذا الوجود الإنساني .

ب ـ ومن بعد هذه الكتب المبينة لحقائق الإسلام ، اذاعة هذه الحقائق بالمذياع المرئي وغير المرئي ، في البلاد الإسلامية وغيرها إن أمكن ، فتخصص ساعات من الإذاعات الإسلامية بنوعيها ، لبيان الحقائق الإسلامية الإنسانية والجماعية والأحادية ، ليكون الناس على علم بالإسلام ، أو ليعرفه من يتعرفه ، وبالنسبة للعقيدة : تذكر آيات القرآن الداعية إليها بأسلوب لا يعلو على العامة ، ولا تنبو عنه أذواق الخاصة .

وتذكر حياة الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وما اقترن بها من معجزات وخوارق للعادة ، مع بيان اخلاقه الذاتية ، وفضائله المحمدية ، من وقت مولده ، إلى أن لقي ربه .

جـ ـ والمجلة الإسلامية : بدل أن تكتب المقالات المسهبة ، في اختلاف

العلماء أو تهويل الأحكام الإسلامية ؛ أو تتبع ما هو مستور ، مما لا يعلن !! تخصص كل مجلة باباً من أبوابها لبيان الحقائق الإسلامية ، فتبين العقيدة ، وتبين الأحكام التكليفية ، ويكون باب الدعوة مكتوباً باللغة العربية ابتداء ومترجماً إلى لغة من اللغات الحية ، أو لغة من اللغات المنتشرة في العالم ، ويعمل على توصيلها إلى كل أجزاء الأرض .

د ـ وتنشأ جماعات متخصصة للدعوة ، في كل بلد غير إسلامي ، كلما أمكن ذلك ، فإن تعسر او تعذر ، تكون في بلد قريب منه ، يمكن ان تصل الحقائق منه إليه ، فتنبث الجماعات الإرشادية ، التي كونها الفرض الكفائي لهذا الغرض ، في طول الأقاليم وعرضها ، داعية مبينة مع اللقاء بالذين تدعوهم ، وتهديهم إلى الله ـ تعالى ـ ، وأن يحسوا بالخير الذي يكون فيه من يتبعون الإسلام حقاً وصدقاً .

وان هؤلاء الذين يدعون إلى الإسلام عن قرب ، ويلتقون بالمدعوين ، لا يقتصرون على القول ، بل يجب ان يكون تأليف القلوب بجوار الدعوة القولية ، التي تبين الحقائق الإسلامية ، فيجب أن يكون بجوار ذلك وسائل عملية ، تؤلف ولا تنفر وتقرب النفوس من غير ان يكون فيها ما ينفر ، وذلك بالمعاونات الإنسانية المختلفة ، فإنها تدني القلوب النائية .

فإذا كان الداعي طبيباً عالج المرضى ، وطب لذوي الأسقام ، وفي سبيل ذلك تقام المصحات الإسلامية في وسط الأقوام الضعاف ، لطب أجسامهم ، ومن وراء ذلك : تأليف قلوبهم ، والمبشرون المسيحيون يفعلون ذلك في البلاد الإسلامية وإذا كانوا لا ينجحون ، فلأنهم بين أقوام دينهم أهدى سبيلاً ، وأقوم دليلاً .

وتكون الرعاية الاجتماعية والاقتصادية قائمة على دعائم انسانية ، لا يبدو فيها أنها شراء للنفوس ، ولا يكون ذلك مقصداً بأي وجه من الوجوه ، بل يطعمون الطعام على حبه أولئك المساكين . وإذا كان التأليف غاية من حيث الدعوة ، فإنه يجب أن يكون الباعث انسانياً دينياً ، تأليفاً محبباً في الإسلام وليس اتجاراً ، وبيان أن ذلك مقصد جوهري من مقاصد الإسلام ، ويبين لهم في هذا المقام : أن الإسلام يرحم الإنسان ويكرمه ـ لأنه انسان ـ ولو كان وثنياً أو مجوسياً ، ويذكر لهم سيرة

السلف الصالح في ذلك .

وان الإسلام لا ينظر في التعاطف الإسلامي إلى الاختلاف في العنصر أو الجنس او الدين ، وإنما الجميع سواء أمام الله ـ تعالى ـ كما قال تعالى :

﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنَّ أكرمكم عند الله اتقاكم ﴾ [سورة الحجرات : ١٣] .

فهذا التبرع بمصحة او علاج أو معونة أو هداية إلى أسباب الانتاج : من زراعة وهندسة ، واستخراج المياه ، هو من باب التعاون الذي حث الله ـ تعالى ـ عليه ودعا إليه ، فقد قال تعالى :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [سورة المائدة : ٢] .

وقال عليه السلام: «اللّه في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » ؛ يبث فيهم هذه المعاني عن الإسلام، وهو يمدهم بهذا العون، لكيلا يعلموا أنها ثمن الاتباع.

هـ ـ ويجري معهم بسنة التدرج ، لا يعطيهم الإسلام جرعة واحدة ، كما اشرنا من قبل بل يتدرج بهم من السهل المقبول الذي لا ينفرون منه بمقتضى عاداتهم ، وان كانت آثمة .

يبتدىء معهم ببيان العقيدة ، ويقويها بالصلاة، ويعلمهم الصلاة عملاً ، ويقول لهم : « صلوا كما رأيتموني أصلي » ويسير بهم سيراً إلى الأمام ، في بيان الشريعة بالتفصيل ، يبتدىء بالعبادات ، ثم بالمحرمات : الأسهل قبولاً فالأسهل قبولاً ، حتى يبين لهم الشريعة كاملة ، فيكونون مثلنا ، ان لم يكونوا خيراً منا .

ـ يجب أن يهتم جهاز الإعلام الإسلامي بموضوع الثقافة الدينية .

إن العناية بالثقافة الدينية في الجامعات كانت موضع مناقشة طويلة في شعبة التعليم الأزهري في المجلس القومي للتعليم .

« توجيه العناية في التعليم الجامعي إلى التراث الديني ، وتمكين طلابه من

الاطلاع عليه ودراستهم له ، وابراز الفضائل التي تحث عليها الأديان السماوية ، وأثر ذلك على سلوك الإنسان ، وتطعيم هذا التعليم بقدر من الثقافة الدينية والدراسات الإنسانية، على أن ينتظم ذلك صفوف الدراسة العالية ، وتؤلف فيه الكتب على مستوياتها ، ويخصص لكل صف محاضر يمكن رجوع طلابه إليه ، لاستيضاح ما هم في حاجة إليه بما تنتظمه هذه المؤلفات وما يشتبه أمره عليهم ، فيما يثيره المغرضون والمشككون وأصحاب المآرب والأهواء المنحرفة » .

وهذا مشروع منهج مقترح لمادة الثقافة الدينية لطلاب الجامعات والمعاهد العليا وضعته شعبة التعليم الديني بالمجالس القومية في مصر يمكن الاستفادة به كمرجع للثقافة الدينية المقترحة .

في العقائد : ـ حاجة البشرية إلى الدين ـ العقل وحده لا يستقل بالهداية الكاملة ـ حكمة ارسال الرسل والكلام عن الوحي .

ـ العقيدة التي جاء بها الرسل ـ عقيدة التوحيد وأثرها في حياة الفرد والجماعة .

ـ قصص الأنبياء في القرآن ودلالته بالنسبة للمجتمعات ـ أولو العزم من الرسل نوح ـ ابراهيم ـ موسى ـ عيسى ـ محمد .

ـ المعجزة ، معجزات الرسل ، القرآن معجزة خالدة ، نزوله ، جمعه ، رواياته ، بعض وجوه اعجازه ، ما اشتمل عليه من الأغراض ، عناية المسلمين به ، التفسير والمفسرون .

ـ القرآن يدعو إلى الأخذ بالحجة ، القرآن يدعو إلى النظر في الكون كله .

ـ الإسلام والإيمان والإحسان .

الإسلام والمسيحية :

ـ نشأة المسيحية ـ مذاهبها ـ معاملة الرسول لأهل الكتاب ـ استقبال الرسول لنصارى نجران وصلاتهم في مسجده .

ـ معاملة الرسول لأهل الكتاب وتسميتهم أهل ذمه ـ عصور الاضطهاد للمسيحية .

ـ وصايا الخلفاء لقادة الجيوش .

ـ فتح بيت المقدس ـ عهد عمر للمسيحية في بيت المقدس .

ـ صلاة عمر خارج الكنيسة .

ـ المسيحيون عند فتح مصر على يد عمرو بن العاص .

ـ مريم أبنة عمران في القرآن الكريم .

في العبادات : معنى العبادة ـ العبادة في الإسلام ـ العبادة لا تكون الا لله وحده .

لا يعبد الله إلا بما شرع ـ الابتداع في الدين وأخطاره .

قصد الإسلام من التكليف بفرائض الصلاة والزكاة والصوم والحج وعلاقة ذلك بالسلوك .

كل تصرف مشروع في الحياة يمكن أن يكون عبادة .

في مصادر التشريع : القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع .

اشتماله على نظم الحكم ومقومات المجتمع .

السنة : المصدر الثاني للتشريع : تعريفها ـ عناية المسلمين بها ـ جمعها ـ مكانتها في التشريع ـ أشهر كتب السنة .

الاجماع : معناه ـ شروطه ـ منزلته في التشريع :

ـ الاجتهاد والتقليد ـ المذاهب الفقهية المعروفة وكيف نشأت (الأربعة المشهورة ـ مذهب الجعفرية ـ مذهب الزيدية ـ مذهب الظاهرية) .

ـ أسباب الاختلاف بين هذه المذاهب أمثلة لذلك ـ تعريف ببعض أعلام المذاهب المتقدمة .

ـ حرية الرأي في الإسلام وحدودها .

قواعد مقررة في الإسلام : لا إكراه في الدين ـ الدين يسر ـ لا ضرر ولا ضرار ـ نفي الحج ـ لا تزر وازرة وزر أخرى ـ الدين النصيحة ـ الضرورات تبيح المحظورات ـ المؤمنون عند شروطهم ـ سد الذرائع ـ الدين المعاملة ـ ليس منا من

دعا إلى معصية ـ ان الله لا يغفر أن يشرك به ـ المسلمون تتكافأ دماؤهم ـ ان أكرمكم عند الله أتقاكم ـ ان تنصروا الله ينصركم .

نظرة الإسلام إلى المال : ـ المال ونظرة الإسلام إليه بالنسبة للفرد والجماعة ـ رعاية الإسلام للمال العام والخاص .

ـ الميراث : قواعده العامة ـ عقد مقارنة بين النظام الإسلامي فيه والنظم الوضعية الآن .

ـ الوصية : تثمير المال ـ نظرة الإسلام للمعاملات الحديثة (الأسهم السندات ـ شهادات الاستثمار ـ صناديق التوفير) .

ـ التأمين : وأنواعه .

ـ الربا : الضرائب ـ الزكاة .

ـ الفكر الإسلامي في مواجهة الاتجاهات السياسية والاقتصادية المعاصرة .

العلم في نظر الإسلام : عناية الإسلام بالمعلم والتعليم ـ حركات التأليف والترجمة في الأقطار الإسلامية .

المدارس العلمية الإسلامية في العصور المختلفة : ـ حرية الفكر في المدارس المختلفة .

ـ أثر هذه المدارس في النهضة الأوروبية الحديثة .

ـ تعريف بطائفة من العلماء المسلمين البارزين في العلوم المختلفة وجهودهم في تطوير العلوم .

النظام الاجتماعي في الإسلام : تصور الاسم للمجتمع البشري وتطبيقه : ـ

ـ الأسرة : المرأة قبل الإسلام وبعده ـ الزواج ـ تنظيم النسل ـ الطفولة وتنشئة الأبناء .

ـ تعدد الزوجات ـ الطلاق ـ زوجات الرسول ـ المحرمات وحكمة تحريمهن .

ـ رأي الإسلام في بعض الظواهر المستحدثة في المجتمع المعاصر .

في النظم العامة : رأي الإسلام في المذاهب المعاصرة التي تتعارض مبادؤها مع الإسلام والتيارات المتطورة التي تعمل تحت شعار الدين .

ـ الشورى ـ عصمة الدماء والأموال والأعراض ـ حقوق الانسان في الإسلام .
ـ الحدود والتعزيزات في الإسلام وحكمتها ـ الحسبة في الإسلام .
ـ وجوب السعي والعمل ـ التكامل الاجتماعي .

من خصائص المجتمع الإسلامي : المساواة ـ الإخاء ـ الحرية ـ العدل ـ التسامح في الإسلام ـ تحريم الفواحش النفسية والخلقية .

بعض الفضائل الخلقية في الإسلام ـ الصدق ـ الصبر ـ الوفاء بالعهد ـ الأمانة ـ من غش فليس منا ـ التعاون ـ العفو ـ كف الأذى ـ حفظ اللسان ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

الإسلام والحرب : الحروب في الإسلام ـ الإسلام لم ينتشر بالسيف ـ غزوات الرسول وأسبابها والغاية منها .

البلاد المفتوحة في الإسلام .
الرق قبل الإسلام وبعده .
الحروب في العصور الحديثة وغاياتها .
الاستعمار في العصور الحديثة .
الإسلام دين التقدم والحضارة .

هل تخلف المسلمون بسبب دينهم ؟ طرق الإصلاح[1].

مستقبل الإعلام الإسلامي

إن نظرة فاحصة للإعلام الإسلامي على مستوى الأمة الإسلامية كلها في الوقت الحاضر ، تؤكد أن هذا الإعلام في كثير من مضامينه وأشكاله قد تنكب الطريق السليم الذي رسمه لنا القرآن الكريم . فنرى كثيراً من الدعاة يدخلون على الدين أموراً ليست من الدين بتأويلات خاطئة لبعض آيات الذكر الحكيم ، ونراهم يغرقون جوهر الدين بطوفان من الكلمات الجوفاء الفارغة والشكليات التي تصرف الناس عن الجوهر

---

(١) ملحوظة : يجوز لكل كلية ذات نوعية خاصة أن تتخذ عناصر تراها مناسبة للمنهج متصلة بالمواد التي تدرسها.

والهدف الأساسي للإسلام .

ونرى في كثير من البلاد الإسلامية تطرفاً وتعصباً للمذاهب والفرق الدينية ، التي لا ترى الصواب إلَّا في نفسها وتخطىء غيرها وتنصرف عن الدعوة للدين ، إلى الدعوة للقضاء على خصومها من أمة الإسلام .

وإذا كان الدين الإسلامي هو دين السماحة والتسامح والتعايش بالحسنى مع سائر الأديان ، فإننا نشهد بعض الدعاة ، يكفرون كل من يختلف معهم في نظرتهم إلى الدين ، ويتّخذون أسلوب العنف والإرهاب لفرض آرائهم على الناس ، وقد علموا أن الله تبارك وتعالىٰ أمر رسوله المؤيّد بوحيه الذي لا ينطق عن الهوى ، أمره بأن يجادل بالتي هي أحسن .

ويستخدم بعض الدعاة ألفاظ الوعيد القاسية التي تبعث على اليأس والقنوط ، وقد علموا أن الله أرسل رسوله رحمة للعالمين ، وأنه تعالىٰ هو الغفور الرحيم .

وإذا كانت وسائل الاتصال الحديثة قد استخدمت بمهارة لدعاوى أقل شأناً من الدين بنجاح وأحدثت وتحدث كل يوم تأثيراً قوياً لتغير القيم والاتجاهات عند الناس لصالح المذاهب السياسية والاجتماعية ، فإن استخدام هذه الوسائل في الدعوة إلى الدين ما زال مشوباً بالقصور والعجز مع أن الدين هو مرفأ النجاة الذي ترجو الإنسانية الوصول إليه لإنقاذها من الفوضى الخلقية والانهيار الاجتماعي بسبب كثير من الآفات والعادات السيئة التي تعصف بالشباب وغيرهم ، لذلك يكون من الخير ، بعد أن عرضنا الوسائل والأساليب القرآنية للدعوة والإعلام أن نبين بعض النقاط التي يمكن أن تكون معالم على الطريق لتحقيق إعلام إسلامي أفضل وهذه النقاط هي :

* ضرورة إجراء تقييم شامل لكل أوضاع أجهزة الإعلام الإسلامية لمعرفة الإيجابيات فنستثمرها ونعرف السلبيات فنتجنبها .

* الحاجة إلى إعلام إسلامي يقوم على أساليب الإعلام التي جاءت في القرآن وذلك لخدمة القضايا والمصالح الإسلامية .

* إعداد شامل للدعاة من ناحية التكوين الثقافي ، من ناحية دراسة الإعلام في

القرآن . . ومن ناحية معرفة أساليب وأنواع الإعلام في العالم المعاصر . فلا يكفي أن نقول أن الإسلام صالح لكل وقت ومكان . . بل يجب أن نمارس هـذا عملياً وفعلياً .

* جعل المسجد منارة إسلامية . . . مع إعداد الأئمة إعداداً إعلامياً إسلامياً .

* يجب على الدعاة ، أن يحببوا الناس في الدين وأن يبتعدوا عن طرق التهديد ويبتعدوا عن فكرة أن الناس جميعاً غارقون في الذنوب منغمسون في الخطايا . . وأن مصيرهم النار وبئس المصير .

ويقول فضيلة الشيخ محمد الغزالي . . في كتابه مشكلات في طريق الحياة الإسلامية : اليوم يقوم ناس من المسلمين بدور الكهان القدامى فيصورون الإسلام ديناً دموي المزاج شرس المسلك يؤخر اللطف ويقدم العنف .

* واجب الخطيب أن يشخّص الداء الذي يواجهه ، وأن يتعرّف على حقيقته بدقة ثم يرجع إلى الكتاب والسنّة .

* يحسن أن يكون للخطبة موضوع واحد واضح غير متشعّب الأطراف ولا تتعدد القضايا فلا داعي لأن يخوض الخطيب في مواضيع كثيرة تشتت الأذهان .

* أهمية الوضوح والبعد عن الغموض والتعميم في إلقاء الخطب .

* أهمية التسلسل المنطقي المقبول في الخطبة ، ويكون الموضوع من الحقائق المقبولة مع البعد عن الاستشهاد بالأحاديث الضعيفة .

* البعد عن المسائل الخلافية ، أو التعصب لوجهة نظر إسلامية محددة فإن المسجد يجمع ولا يفرق ويلم شمل الأمة ، وقد شقي المسلمون بالفرقة أياماً طويلة

* تناول الأحداث العابرة والملابسات المحيطة ، فلا تكون الخطبة في وادٍ ومشاكل الناس في وادٍ آخر .

* إظهار الجوانب الخلقية والاجتماعية في الإسلام .

* تجنّب الأخذ والرد والجدال السيء في الخطب مع الرد على الشبهات دون عناية

بذكر مصدرها ، وليس المهم تجريح الآخرين .

* أهمية الوقت واختصار الخطبة . . فالبلاغة في الإيجاز وبراعة الخطيب أن يلم بأطراف موضوعه بعبارات محددة .

فالتطويل . . . يشتت أفكار الناس . . كما يضطر الخطيب إلى التكرار الممل فتضيع أهداف الخطبة .

* إن الزيادة في بناء المساجد أصبحت ظاهرة حسنة ولذلك يجب استثمار المساجد بإعداد أئمة على علم بفنون وعلم الإعلام مع الإلمام بعلوم النفس والإعلام والاجتماع .

* لا تفتي لما ليس لك به علم . . حتى لا تفقد ثقة المستمعين .

* إنه لو اتبعت برامج الإذاعة والتليفزيون الأسلوب الإعلامي كما جاء في القرآن فإنها ستجد الإقبال الجيد ، فإن البرامج المشوقة الجذابة والعرض الذي يتفق مع النظرية الإعلامية سيساعد على انتشار هذه البرامج التي تبث قيم الإسلام ومبادئه السامية .

* إن ربط الإعلام الإسلامي بالقضايا الجماهيرية الراهنة التي تهم المسلمين أمر حيوي لنجاح هذا الإعلام .

* إن الإعلام الإسلامي مطالب بشرح العقيدة والشريعة والأخلاق الإسلامية لجميع الدول الإسلامية سواء لا تنطق اللغة العربية أو التي تنطق هذه اللغة كما هو مطالب بشرح مبادىء الإسلام بطريقة وأسلوب يفهمه الذين لا يعرفون اللغة العربية من شتّى بلاد العالم .

* إن الإسلام لديه الحلول لكثير من مشاكل اليوم سواء المشاكل الاقتصادية أو الاجتماعية فواجب وسائل الإعلام ورجاله أن يتصدوا لطرح الحلول .

* يجب أن نبتعد عن الجدل العقيم والنقاش غير المفيد الذي سادَ الأمة الإسلامية مدة طويلة فكان سبباً لضعف الأمة الإسلامية .

* ينبغي أن نشجع الاجتهاد في مسائل الإعلام ولا نرمي من يجتهد بالكفر وسوء النية . . . فلا احتكار لأحد ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن . . . ﴾ الخ .

* إن تطوير المساجد أصبح أمراً ضرورياً ويجب السعي بكل الوسائل ليكون المسجد منارة إسلامية يجب على كل مسلم أن يتواجد فيه للاطّلاع والقراءة .

* يلزم عمل تخطيط إسلامي لدوائر عالمية لشرح الإسلام بأسلوب مبسّط يتفق مع كل مجتمع .

* إن القدوة الحسنة للمسلمين ستدعو الكثيرين للاهتمام بالإسلام واعتناقه . . فأخلاق المسلم ومعاملته لأخوانه أو الأجانب تعتبر دعامة أساسية لأن يعرف الجميع الإسلام من خلال ما يقوم به المسلمون ، وما يتحلّون به من صفات أخلاقية حميدة تظهر في المعاملات معهم .

* تعليم القرآن الكريم في المدارس بدءاً بالسور البسيطة ثم التدرج بعد ذلك في الآيات والسور ،وكذلك تعليم الآيات التي تحضّ على الأخلاق الفاضلة ثم التدرج بعد ذلك في إدراك عظمة وحدانية الخالق من مطابقة الكون ومظاهره وما ورد عن ذلك بالقرآن .

* إنتاج أفلام سينمائية وأشرطة فيديو تخدم الدعوة الإسلامية بكل اللغات الحية وتوفيرها للعرض على المسلمين بأثمان زهيدة في متناول الجميع .

* تخصيص مساحات أكبر في برامج الإذاعة والتليفزيون للمادة الدينية المفسرة تفسيراً علمياً وخاصة ما يتصل منها بالسلوكيات والأخلاق التي تهم كل إنسان ليتبين الخطأ والصّواب فيما يسلك أو يعتقد .

* وضع وطبع ونشر كتيّبات تشتمل على الآيات القرآنية المفصلة بالجوانب المختلفة للحياة البشرية ، مثل أن ننشر كتيّباً يتضمن ما نزل في القرآن في الأخلاق والسلوك الحميد المهذب وكتيّب آخر في الآيات المتصلة بإدراك عظمة الله وقدرته فيما خلق من نبات وحيوان وسموات وأرض . . . وكتيّب ثالث عن التوبة والمغفرة إلى آخر ذلك من الموضوعات ينبغي أن يكون للناس علم ووعي بها وبحدودها .

بين رسالة الماضي ورسالة الحاضر :

من عظمة الرسالة . . التحم الإسلام بالمجتمع . . فتحققت الحضارة . . . وازدهرت الحياة . . وكان المسلمون مصدر الإشعاع للبناء الاجتماعي لكل البشر . . ثم ساد ظلم وظلام . . فعزل الدنيا عن الدين فتغير العالم العربي من قوة إلى ضعف . . ومن تقدم وتماسك . . إلى تأخير وتفكك . . حتى رضي في حياته وسلوكياته بالشكل عن المضمون واستمرأ ذلك زماناً طويلاً . . ثم بدأ يفيق من غفوته . . ويدرك مدى ما تردى فيه . . قافلة الحضارة تسير . . . وهو في أمجاد الماضي يعيش فبدأ يدرك الأبعاد . . وتحرك يتحرر من الضعف والتعويق . . ويتسامى إلى الحياة الأفضل .

في الماضي حقق المسلمون ذاتهم ، وأثبتوا وجودهم ، وقدموا للعالم رسالة ومدنية وحضارة ، واليوم يقف العرب تأخذهم حيرة ويسودهم قلق ، ويطغى عليهم اضطراب لا يعرفون ماذا يأخذون ولا ماذا يدعون ، لا يعرفون ايتطلعون إلى الخلف منه يستمدون ، أم يتطلعون إلى ما حولهم ، وبما حولهم يتأثرون ، أم يهملون هذا وذلك وفي ذات أنفسهم يتعمقون ، فيخلقون جديداً ويبدعون .

في الماضي نقل إليهم النبي محمد رسالة ، وفعلت فيهم تلك الرسالة فعل العجب ، ونقلتهم من حال التعصب والفرقة والقبلية ، واستعباد الانسان للإنسان وعبادة الفرد وتقدير العادات المتخلفة ، والانصراف إلى سفائف الحياة ، والتهالك على الدنيات ، إلى حال مغاير تماماً . . انتقلوا بها إلى مجتمع متماسك . خلقت منهم تلك الرسالة شعباً يؤمن بربه ونبيه وبمجتمعه وبذاته . . خلقت شعباً ازدرى الجهالة وأقبل على ما يفيد الناس ، هجر العادات الدنيا ليعيش بالقيم العليا السامية ، نبذ التعصب والتفرقة ليستبدل بها وحدة لحمتها الإيمان بأدائه رسالة شريفة ، وسداها العمل على تحقيق متطلبات هذه الرسالة . شعب رفض نظام الطبقات وثار على قيود الاستعباد ونادى بأن الناس جميعهم سواء أمام الله وأمام الحق ، أهمل صغائر الدنيا ليتمسك بأهداب مثل سامية ، آمن بها ايماناً عميقاً لا يقف عند حد الرضا عن النفس حين يقوم بواجبه نحو خالقه ، بل يمتد إلى خدمة المجتمع الذي يعيش فيه (هو) بنشر

الرسالة التي يؤمن بها لتعم العالم أجمع . فبذل هذا الشعب نفسه وأبناءه في سبيل نشر رسالة ويذر بذورها في الصدور ، وإذا بهذا الشعب الجاهل المتعصب المتفرق المستعبد قد تحول إلى رسول حضارة ومدنية وسلام وإنسانية ، وإذا بهذه الإمكانات النفسية العظيمة التي كانت تزخر بها النفس العربية دون أن تجد مجالاً للإنطلاق لما يحيط بها من قيود وأغلال تنطلق بانطلاقة واحدة تحقق ذاتها ، وتتحول القوى البشرية العربية من قوى هدامة نزاعة إلى الشر إلى قوى بناءة مبدعة نزاعة إلى الخير .

ويمكن القول بأن هذه الطاقة التي انطلقت من النفس العربية قبل أربعة عشر قرناً لتحقق ذاتها وإمكاناتها وتؤدي رسالة ، لم تفقد حيويتها وروحها ، وان الأمة العربية التي بعثت لتقود العالم وحدها للحق والعدل والسلام ، لا بد أن تبعث من جديد ، في القرن العشرين ، في العصر الذي اختصرت فيه الاختراعات الحديثة المسافات وعمت الثقافات ، وزودت ترابط العالم بعضه ببعض ، وان تبعث برسالة مستمدة من حقيقة وجودها كأمة وسط بين الشرق والغرب ومن كونها حملت رسالة في الماضي وستحمل رسالة في المستقبل .

هذه الأمة لا بد أن تؤمن ببعثها ، وان تؤمن برسالتها التي تنبع من ذاتها ، بل ان هذه الأمة قد بدأت تفيق من السبات الطويل الذي استغرقت فيه ، وبدأت في إرادة وتصميم تأخذ مكانها في ركب الحضارة كما بدأت ترنو هنا وهناك لتختار مكان القيادة والريادة .

علم المستقبل

ان التخطيط هو سمة هذا العصر ، بل ظهر علم جديد يسمى « علم المستقبل » ، مبني على أسس علمية لتخطيط المستقبل من الآن . ومن واجبنا اليوم نحن المسلمين ، وما دامت الدعوة الإسلامية مسؤولية كل مسلم ، ان تقوم بوضع تخطيط طويل المدى للدعوة الإسلامية .

فكفى ما نراه اليوم عندما يلمس البعض فساداً في المسلمين فيقومون بحملة كبيرة تزعم أن هذا هو فساد الدين الإسلامي ! هل نذكر هزيمة ١٩٦٧ ؟ وماذا قال الصهاينة عنها ؟ لقد قالوا ان الفساد سمة العرب ، وزادوا على ذلك زعمهم أن دين الإسلام هو دين الفساد ! وإذا أخطأ زعيم إسلامي فإن هذا البعض يملأ الدنيا ضجيجاً زاعماً أن هذا بسبب الدين الإسلامي . .

كذلك إذا قام بعض المسلمين بما يوصف بأنه سفه في أثناء زيارتهم للدول الغربية ، نسمع من يقول : انه هنا بسبب دينهم .

واجبنا ألا نترك هذه الحملات المعادية للدين الإسلامي ، وألا نغمض الأعين ولا نصم الآذان عن هذه الحملات وغيرها من المزاعم والأكاذيب لديننا .

وهناك نقطة أخرى هامة : إننا نجد أصحاب العقائد الأخرى يخططون لنشر عقائدهم فانتشرت مذاهب لادينية وأخذت هذه المذاهب المنحرفة تتغلغل في أوساطنا وتغزو عقول أبنائنا ونحن لا نفطن لابعادها ، بينما هم يدرسون ويعمقون مذاهبهم حسب خطط موضوعة ونحن لا نحصن أبناءنا ضد هذه المذاهب ، بل إننا لا ندرسها حتى نقاومها ، وما يعرفه أصحاب الدعوة الإسلامية عن هذه التيارات والمذاهب المعادية لا يعدو أن يكون صوراً أو أموراً سطحية فتكتفي بعدم الرد أو عدم

الدراسة بل نعلن فقط أن أصحاب هذه المبادىء مصيرهم جهنم وبئس المصير .

إنهم يستخدمون كل الوسائل الفنية والعلمية الحديثة من أفلام وفيديو وقصص ومسارح وتليفزيون ليضللوا بهذه المبادىء بطريقة غير مباشرة ، ونحن لا نناقش ولا نحاور هؤلاء مع أن في ديننا وشريعتنا وفي الأساليب الاعلامية التي جاء بها القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ما يعيننا على دحض كل هذه الأفكار اللادينية ، التي تتسلل أمام أعيننا بل وصل الحال في تخطيط هذه المبادىء والعقائد أنهم يلتحقون بمنظماتنا الدينية ويكونون أكثر حماساً منا للدين بينما هم ينخرون في داخل هذه المنظمات الدينية .

أليس من الواجب علينا أن ندحض قول هؤلاء ومذاهبهم فليس فساد بعض المسلمين هو فساد الإسلام ، ولنسائل انفسنا : هل أوضحنا مبادىء الإسلام سواء للناطقين باللغة العربية أو غير العربية أو لغير المسلمين ؟ لا أغالي إن قلت أننا لم نشرح هذه المبادىء لكثير من المسلمين . .

أليس من واجبنا أن نفعل شيئاً ولدينا كل الإمكانات : الحجةالقوية والأموال الكثيرة ، بل خبراء اعلام الذين فاقوا خبراء الاعلام الصهاينة . وان اعلام حرب اكتوبر المجيدة خير شاهد على ذلك ، بل ان اعلام العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ حينما كانت كل اجهزة الاعلام والدعاية لثلاث دول تعمل ضد إعلام مصر يقول لنا كما اعترف بن جورين : « لقد هزمت اسرائيل بواسطة دعاية مصر » .

هل ننسى اعلام حرب اكتوبر عام ١٩٧٣ . . وكيف نال احترام كل اجهزة الاعلام في العالم ؛ فقد كانت هزيمة ١٩٦٧ قد صاحبها ثغرة ثقة بين أجهزة الاعلام العربية وبالذات المصرية واجهزة الاعلام العالمية وسبب هذه « ثغرة الثقة » كثرة المغالاة في انتصارات مزعومة وأكاذيب لا حد لها . . وكلنا يعرف إعلام ١٩٦٧ ولكن حينما تم وضع تخطيط اعلامي حضاري صادق أمين لحرب ١٩٧٣ . . وما أن شعرت اجهزة الاعلام العالمية بذلك . . حتى احترمت اجهزة الاعلام المصرية لصدقها وأمانتها وحضارتها .

التخطيط المستقبلي للاعلام الاسلامي

إن الواجب علينا اليوم أن نضع تخطيطاً مستقبلياً للإعلام الاسلامي ، مستفيدين من الاعلام القرآني والسنة المحمدية ، وما فصله التراث الإسلامي من وسائل وأساليب تفوق كل ما جاء في نظريات الاعلام الحديثة. وهناك مبادىء لهذا التخطيط المستقبلي : يلزم أولاً اعداد الدعاة وتدريبهم على مبادىء الاعلام القرآني ثم تدريس نظريات الاعلام الحديثة ، ووسائل الاتصال الجماهيرية من مرئية ومسموعة ، مع دراسة مستقبلية لهذه الوسائل المختلفة ، ونجد أن من بينها الأقمار الصناعية التي ستقوم بإرسال البرامج مباشرة من أجهزة البث لتستقبلها أجهزة التليفزيون في منازلنا دون أن يمر هذا الارسال بمحطة أرضية .

سيكون بوسع الانسان في منزله أن يستقبل كل ما يذيعه العالم دون تحكم أو رقابة من أي نوع ، أي أن اجهزة التليفزيون في المنازل ستستقبل هذه البرامج مباشرة ولا شك أنها ستتضمن في بعض فقراتها الكثير من البرامج التي لا تتفق مع المبادىء والعادات والتقاليد الإسلامية . السؤال هنا هو كيف يمكن تحصين الانسان المسلم بالاخلاق الاسلامية لمقاومة هذه التيارات الوافدة علينا ؟

وهناك أيضاً الفلسفات والايدلوجيات اللادينية ومعرفة كل أساليب الدعاية التي تتبعها حتى يمكن مقاومتها والرد عليها بالحوار السليم والمنطق القويم ومبادىء الإسلام الحنيف .

فكل فقيه في علوم الإسلام لا ينبغي أن يقتصر علمه على فقه الإسلام فقط بل يجب أن يدرس العلوم والايدولوجيات الأخرى ، حتى يعرف نقاط الضعف فيها ليقاومها بأسلوب علمي سليم ، مستخدماً الأساليب الاعلامية الصحيحة .

التخطيط والتنسيق

لا ينقصنا الا التخطيط طويل المدى والتنسيق ، وتدريب الدعاة على أسس اعلامية جاءت في القرآن الكريم والسنة الشريفة ، والتدريب أيضاً على وسائل

اعلامية حديثة تتلاءم مع هذا العصر والعصور القادمة .

انىا في حاجة إلى أن نفهم علم المستقبل ، وأن نقوم بدراسة جادة لكل عناصره ومقوماته ، مع دراسة وافية للتخطيط طويل المدى ومبادئه ، وأن يكون في تخطيطنا دائماً ما يضمن التنسيق والمتابعة المستمرة ، لتقويم الأخطاء وتصحيح المسار إلى أن نبلغ بالاعلام الاسلامي وبالدعوة الإسلامية أهدافها بإذن اللّه وتوفيقه .

يلزم التخطيط بأن يكون لدى الأمة الإسلامية « ديوان الترجمة الإسلامي » . يكون منظماً على الأسس الآتية :

ـ يجمع المترجمين المتخصصين في الترجمة الدينية .

ـ يكون به قسم خاص بالموسوعات لفقه الإسلام وترجمة للمصطلحات باللغات الأجنبية المختلفة وكذلك قواميس دقيقة لكل المصطلحات الدينية وترجمتها.

ـ ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة دقيقة وكذلك السنة المحمدية وكتب ائمة الإسلام والعلماء والمسلمين ، وذلك كله باللغات الأجنبية .

ـ تحضير دعاة مسلمين يجيدون اللغات الأجنبية ولهجات الشعوب الأخرى .

ـ ترجمة كل ما يكتب في بلاد العالم عن الإسلام والشعوب الإسلامية الى اللغة العربية مع توزيع هذه الكتب المترجمة على المسؤولين واجهزة الاعلام والبحث العلمي .

ـ ترجمة كل ما يكتب في بلاد العالم عن العلوم والاختراعات الحديثة لمعرفتها .

ـ ان يقوم « ديوان الترجمة الإسلامي » بترجمة كل الردود التي يكتبها علماء عن كل ما يشيعه اعداء الإسلام .

ـ ان يصدر نشرات باللغات الأجنبية بقلم العلماء المتخصصين من المسلمين في موضوعات تهم المجتمعات الحديثة مثلاً :

١ ـ الحرية في الإسلام .

٢ ـ دراسات مقارنة عما جاءت به الفلسفات والنظريات السياسية والاقتصادية وما جاء في الإسلام .

٣ ـ المساواة في الإسلام .

٤ ـ التكافل الاجتماعي .

ـ انشاء مكتبات إسلامية في جميع المدن الإسلامية يكون فيها الكتب الإسلامية المختلفة المترجمة لتكون في متناول الجميع .

الدعوة الإسلامية
وتدريب الدعاة

الدعوة ومفهومها[1]

الدعوة التي نعنيها هي الدعوة إلى سبيل الله . . هي الدعوة الى دينه الذي بعث به رسله إلى خلقه ، وأكده وجدده على لسان خاتمهم سيدنا محمد بن عبد الله ، صلى الله عليه وسلم ، وذلك ما أشار إليه قوله تعالى :

﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴾. [سورة الشورى: ١٣].

وما جاء من قوله سبحانه :

﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .[سورة النحل: ١٢٥].

الرسول : ولقد هيأ الله رسوله الكريم :

أولاً : لحمل أعباء الدعوة والجهاد في سبيله .

ثانياً : تحويل المجتمعات المتنافرة البعيدة عن ربها إلى أمة واحدة متآلفة .

وجاهد الرسول في سبيل الدعوة حق الجهاد ، لم تلن له قناة أو تضعف له عزيمة ، وإنما كان يلين حيث يجد اللين سبيلاً إلى القلوب ، ويحزم إذا رأى أن الحزم هو الوسيلة لتوجيه النفوس إلى الله ، ولذلك خاطبه رب العزة بقوله : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[2]. ولم يكن

(١) من تقرير لشعبة التعليم الأزهري بالمجلس القومي للثقافة والإعلام . . في جمهورية مصر العربية .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩

يغضب حين يدعو ويسيء إليه بعض الناس، بل كان يقول « اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون » . . وكان هذا دستوره في الدعوة . . يأخذ به دعاته . . وبذلك انتشر دين الله . . ودعوة الإسلام متجددة على مدى الأزمان وستظل قائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ذلك لأنها دعوة إلى الحياة الكريمة في الدنيا وفي الآخرة ، ومن ثم فان دورها في مجتمعنا هو دور البناء والتعمير . . بناء النفوس وتزكيتها وترشيد سلوكها وهدايتها إلى الصراط المستقيم ، وردها عن الانحراف ودلالتها على الاسوة الحسنة والقيم الكريمة ، وما يصلح به الأفراد ويقوم عليه المجتمع بنائها بناء شامخاً لا يتأثر بالأعاصير . ومن أجل هذا كان علينا أن نعد من بيننا فئة تحمل رسالة الدعوة كما أراد منا الله سبحانه ، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ . [سورة آل عمران: ١٠٤].

أهمية الدعوة في عصرنا

وإذا كانت الدعوة ، بالمفهوم الذي شرحناه . . ضرورية في كل وقت ، ومتجددة بتجدد الزمان ، فإن الظروف التي تواجه مجتمعنا اليوم تضفي على موضوع الدعوة واعداد الدعاة أهمية خاصة لأسباب أهمها :

١) ما يتعرض له مجتمعنا من تيارات وأفكار متباينة ، قد تتعارض في كثير من القيم والاتجاهات مع قيمنا الدينية الأصيلة ، والطريق مفتوح أمام هذه التيارات عن طريق وسائل الاتصال الحديثة ، ومهما يبذل القائمون على الثقافة في مجتمعنا من جهود في الرقابة على البرامج أو في الانتقاء فيما ينشر أو يذاع ، فلن يستطيعوا الوقوف أمام التيار الجارف ، تيار الأقمار الصناعية والكاسيت والفيديو كاسيت وغيرها ، ومن هنا كانت الطريقة المثلى ـ مع الرقابة والانتقاء ـ هي التوعية الرشيدة المستمرة عن طريق الدعوة والدعاة ، وتحصين نفوس ابنائنا وبناتنا ـ وبخاصة الشباب ـ بالتربية الدينية السليمة ، وبالقيم الأصيلة ، والتفهم الواعي للفكر الإسلامي .

٢) استشراء بعض السلبيات في السنوات الأخيرة في سلوكيات بعض فئات من المجتمع ـ ولا سيما تلك الفئات التي تتعامل مع جماهير الشعب في العمل والتجارة والأسواق ـ لأسباب قد يغلب من بينها الجانب الاقتصادي ، ولا تجد هذه السلوكيات

السلبية من الوازع الديني ما يكبح جماحها في كثير من الأحيان . .

٣) تطرف بعض فئات من الشباب في فهم دينهم، أو تعصب البعض الآخر تعصباً أعمى ، وفي كلتا الحالين ، يرجع السبب أما إلى سوء فهم لأحكام الدين ، وللشريعة السمحة وأما إلى تأثر ببعض المذاهب الهدامة المستوردة ، واما إلى انقياد اعمى لبعض المضللين الذين يتخذون من الدين تجارة ، وأما إلى فراغ ديني لم يجد من يسده .

٤) ظهور بعض اتجاهات نشيطة ، مناوئة للإسلام، في بلاد اسلامية ، أو بلاد بها اقليات إسلامية ، وضرورة التصدي بقدر ما تتيحه امكاناتنا لهذه الاتجاهات بتجلية احكام الإسلام ومفاهيمه لهذه الشعوب .

من هنا نرى أهمية الدعوة والدعاة اليوم ، ونحن نعلم أن رسالة الأزهر الشريف وغيره من المعاهد الدينية لا تقف عند الجانب التعليمي فحسب ، وإنّما تتجاوز هذه المهمة إلى حفظ التراث الإسلامي ودراسته وتجليته ونشره ، وإلى أداء رسالة الإسلام إلى الناس جميعاً والعمل على إظهار حقيقته وأثره في تقدم البشر ، ويقتضي الأمر ـ لكي تؤدّى هذه الرسالة على أكمل وجه ـ أن تكون هناك خطة لإعداد الدعاة وتدريبهم على أسس علمية سليمة .

أهداف الدعوة في مجتمعنا

١) إيضاح الطريق السليم أمام الأمة الإسلامية في شتّى الأقطار بما يتلاءم مع مبادىء الإسلام ويواكب التطوّر العصري ويبعد عنها الجمود والتخلف .

٢) التقريب بين المذاهب الإسلامية ، وهي لا تخرج عن معين الإسلام الصافي بحيث تذوب الفوارق بين الفرق الإسلامية وينصهر المسلمون جميعاً في بوتقة الإسلام الحنيف وتزول من بينهم الاختلافات المذهبية .

٣) حماية الشباب المسلم من الانحرافات المدمرة التي تحاول أجهزة معادية لنا . . تصديرها إلى وطن الإسلام لإشاعة الضعف في النفوس وتحطيم القيم الدينية والمثل الروحية وصرف أبناء المسلمين إلى الحياة المادية والمبادىء الهدامة وتخليصهم من التعصب الأعمى وتبصيرهم بحقائق الإسلام وروحه .

٤) الانطلاق بالإسلام إلى كافة الشعوب التي لا تزال غارقة في ظلمات الجهالة ويجد فيها المبشّرون أرضاً خصبة لبث سمومهم ونشر آرائهم التي تحارب الإسلام وتطعن في حقيقته وتشوه صورته أمام تلك الشعوب .

٥) العمل على تكوين الفرد المسلم والأسرة والشعب المسلم الذي يؤمن بتطبيق الشريعة الإسلامية منهجاً وسلوكاً في حياته .

٦) محاربة العادات التي لا تتفق مع الإسلام والتي انتشرت بين المسلمين في حقبة من الزمن لأهداف سياسية أو لأغراض شخصية وأصبحت جزءاً من حياة بعض الناس وتحوّلت إلى ألوان من الشعوذة والدجل وفي ذلك إساءة للإسلام والمسلمين .

٧) التعاون مع الأجهزة المختلفة في سبيل محاربة الأمية ونشر الثقافة الإسلامية والتخلّص من آفة الجهل التي تؤدّي إلى ضياع أمة الإسلام وتأخرها عن غيرها .

٨) توجيه الناس إلى العمل وعدم التواكل واعتبار ذلك عبادة يثبت الله عليها لينطلق الجميع إلى الإنتاج والإبداع والله تعالىٰ يدعو إلى العمل في قوله تعالىٰ : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[1] والرسول صلّى الله عليه وسلّم يقول : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً ، فيأكل منه إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .

٩) توجيه الجماهير إلى المعاونة في المشروعات الخيرية والمشاركة في الجهود الذاتية من أجل تحسين حياة المسلمين بإقامة المدارس والمستشفيات والجمعيات الخيرية وغير ذلك .

١) معاونة الجهات المسؤولة في القضاء على الشائعات المضللة والفتن المدمرة التي يلجأ إليها بعض ذوي النفوس الضعيفة لأهداف سيئة .

مجالات الدعوة

والدعوة الإسلامية كأسلوب للتغيير الاجتماعي تتعامل مع جماعات الناس في

(١) سورة التوبة : ١٠٥ .

جميع مجالات الحياة .

أولاً : تأخذ في فلسفة التغيير الاجتماعي بسياسة التربية بالهوينا دون العجلة والثورة والقسر ، إنها تطمئن النفوس والمشاعر ، وتأخذ بالخطوة حتى تصل بالناس إلى برّ الأمان دون مضاعفات أو مضايقات أو انتكاسات ، مثلما كان أمرها في تحريم الخمر والرقّ والربا ، والتبني .

ثانياً : تعالج قضايا الاقتصاد لا بالخطب والشعارات ، بل بتحويل الأرض الموات إلى حياة حافلة بالخضرة ، وجعل الأيدي المسلمة العليا خيراً من السفلى ودفع الحماسة في نفوس الشباب إلى العمل ، وجعل طلب الرزق باباً أساسياً من أبواب التقوى والقربى والطاعة ، وإغلاق أبواب الفساد الاقتصادي ، مثل الرشوة ، والإسراف والتبذير وكنز المال دون تنميته ووضع حد متّزن للإنفاق في العسر واليسر واحترام حرمة الحيازة الشخصية والتأكيد على صيانة مال المسلمين العام . .

ثالثاً : قضايا الأسرة فتقيمها على أساس من الإيمان بالله وليس عنصر المال وحده أو الجاه وحده أو العاطفة وحدها ، وجعل قيامها على هذا الأساس الاختيار الحر الذي لا يفسده سيف الحيازة ، ولا تعطله التقاليد فالبكر تستأمر وأذنها صماتها والأيم تعبر عمّا في نفسها ، وجعل حل مشكلات الأسرة (أسرياً) لا يتدخل فيها أحد إلاّ في نهاية المطاف « حكم من أهله وحكم من أهلها ، أن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » .

رابعاً : وتقوم الدعوة بدورها في المجال السياسي فتنصح لرئيس الدولة والأجهزة التي تعمل معه بما يرضي الله ورسوله ويضمن صلاح المسلمين ، فكلكم راع وكلكم مسؤولٌ عن رعيّته والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم . . وهي بهذا عامل مهدىء لما يثيره أصحاب الهوى والمصالح الشخصية لإفساد الحياة على المسلمين في أوطانهم .

خامساً : وللدعوة الإسلامية دورها الهام في المجال الاجتماعي من حيث رعاية اليتامى والأرامل وأصحاب الحاجة من الفقراء والمساكين وابن السبيل ، وعليها عبء في توعية الناس بحقوق الجوار وبث الرخاء والبحبوحة بين المواطنين ، وتعبئة الجهود

الشعبية ضد المستغلين ومحاربة الخارجين على القيم والأخلاق ، فهي الحارسة على الأخلاق والداعية إلى الفضيلة .

سادساً : ومن ناحية أخرى تقوم الدعوة بحماية الأوطان من الاستعمار والغزو بأنواعه وتوقظ الشعور بالانتباه إلى ما يفعله المخططون ضد الإسلام والأمن القومي ، وقوت الأمة وتراثها وتاريخها .

للدعوة في كل مجال منهاج

وللدعوة في كل مجال منهاج ورثته عن سيدنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وعن الخلفاء الراشدين من بعده ، ثم رجال الدعوة المخلصين . فهي لا تنطلق من فراغ ولا توظف نفسها من لا شيء بل هي صاحبة تاريخ مجيد في رفع قيمة الإنسان وحمايته وتحقيق الأمن له والكرامة والاحترام .

والدعوة الإسلامية على هذا دعوة تخصصية ، يضطلع بها من هم أهل لها ، وليس من المعقول أن يترك الأمر فيها إلى فرق متخاصمة ، ولا إلى جماعات ذات شعارات متضاربة ، بل هي النور الذي يستضيء به الإنسان

ميادين نشر الدعوة

كل طريق يتأتَّى عنه توصيل الدعوة إلى المدعوين من المسلمين أفراداً وجماعات فهو مطلوب ، وفي مجتمعنا الحاضر يمكن أن تتأتَّى الدعوة بطرق عديدة ، طبقاً للظروف المختلفة ، والبيئات المختلفة ومنها :

١) المسجد : وهو من أهم المجالات لنشاط الداعية ، فهو مكانه المقدس الذي يتجمع فيه الناس وتنتظمهم روحانيته للاستماع إليه ، والذي تنبعث منه دعوته إلى الخير وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر .

وقد يقال إن الذين يغشون المساجد إنَّما يقبلون عليها مختارين فهم متدينون أصلاً ، ومن ثم فإن حاجتهم إلى الدعوة ليست ملحة كحاجة غيرهم ممَّن لا يغشون المساجد ، وقد يكون في هذا شيء من الواقع ، ولكن أيّاً كان الحال ، فكل مسلم

في حاجة الى التزود إلى الله ﴿وتزوّدوا فإن خير الزاد التقوى﴾[1] ثم إن كثيراً من الأطفال يفِدون إلى المساجد مع ذويهم فتتعلق قلوبهم بها منذ الصغر.

٢) التجمعات الشعبية : سواء أكانت دائمة كالمصانع والمؤسسات والقوات المسلحة وقوات الشرطة ، والنوادي ودور المسنين والمستشفيات والسجون أم كانت موسمية كالموالد والأسواق والاحتفالات التي تقام في المناسبات الدينية المختلفة .

ولهذه التجمّعات أهميتها بشرط أن يكون الداعية على معرفة وثيقة بالذين يدعوهم واهتماماتهم وحاجاتهم ومشكلاتهم فيعالجها بما يتفق مع مستوياتهم ، وظروفهم .

٣) مقار لجان الفتوى والوعّاظ : حيث يفِد إلى هذه المقار كل من يرغب في الاستفسار عن مسألة تتعلق بعباداته أو معاملاته أو علاقاته الأسرية والاجتماعية أو الفتيا في مسألة شرعية ، أو النصح في مسلك معين ، أو التحكيم في شقاق .

٤) أما الدعوة الإسلامية في الخارج فتتم عن طريق إيفاد الدعاة المعدّين لهذا اللون من الدعوة اعداداً خاصاً ، كما تتم بإيفادِ المبعوثين من الأساتذة للتدريس في البلاد الإسلامية ، أو استقبال الوافدين من هذه البلاد وتزويدهم بالعلم والثقافة الإسلامية ، ليفقهوا قومهم إذا رجعوا إليهم .

٥) ويمكن أن يُضاف إلى ميادين الدعوة بأسلوب الاتصال المباشر ، الدعوة عن طريق الكلمة المقروءة ، في الصحف والمجلات المتخصصة وسلاسل الكتيّبات والنشرات أو الكلمة المسموعة في أجهزة الإذاعة أو التسجيلات الصوتية والأفلام السينمائية ونحوها . .

ولهذه الوسائل التكنولوجية الحديثة أهميتها في العصر الحاضر ، نظراً لما لها من جاذبية ، ولسهولة استخدامها في أي زمان وأي مكان . .

٦) كذلك يمكن أن يضاف إلى ألوان الدعوة المتخصصة ، مفهوم آخر اختصّ به الأزهر من قديم الزمان ، حيث كان خرّيجوه ، أيّاً كان تخصصهم ، وأيّاً كان عملهم دعاة في كل مكان ينزلون به ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويستفتيهم

---

(١) سورة البقرة : ١٩٧ .

الناس في أمور دينهم . وقد تكون مثل هذه الدعوة في بعض المواقف أنجح من الدعوة المتخصصة لما تتميز به من تلقائية ، ولاسيّما إذا توافر فيمن يقوم بها سمات معينة ، أهمها العلم والفضل والصلاح والتقوى والقدوة الطيبة .

مواصفات الداعية

الداعية إلى سبيل الله هو لسان الشريعة ، وترجمان النص والموقع عن رب العالمين فيما يبلغ من فريضة وتعاليم دينه وهو المتأسّي في سلوكه بسيدنا رسول الله فمهمته جليلة الخطر ، ولذا وجب أن يكون من أهلها ، وأن يتحلّى بالمشابة في السلوك ، والقدرة الصالحة فيما يدعو إليه .

والداعية - بهذا المفهوم - له مواصفات ، ومواصفاته تحتاج إلى إعداد وتربية ، ولكي نستطيع أن نناقش وسائل إعداده وتربيته ، ينبغي أن تكون هذه المواصفات واضحة تنير لنا السبيل .

وبداية ، يجب أن نتفق على أن مهمة الداعية ليست مقصورة على إمامة المسلمين في الصلاة ، وإلقاء الخطب والمواعظ التقليدية في الجمع والأعياد وغيرها من المناسبات ، بل إن غير المترددين على المساجد من الحيارى التائهين الذين يضربون في شتّى مناحي الحياة على غير هدى أحوج إلى من يأخذون بأيديهم ليخرجوهم من الظلمات إلى النور .

وفي ضوء هذا المفهوم الشامل للدعوة ، وفي ضوء الأهداف التي سقناها لها ، ومجالات العمل فيها ، يمكن أن نحدد أهم مواصفات الداعية فيما يلي :

١) أن يكون ذا صفات شخصية متميزة ، قوي الشخصية ، واضح الصوت ، عذب الحديث ناصع الحجة ، هادىء النفس ، واسع الأفق .

٢) أن يكون حافظاً للقرآن الكريم ، محسناً تلاوته ، دارساً للأحاديث ، ملمّاً بقسط من السنّة المطهرة ، ومن العلوم الحديثة ليتمكن من ربط الدين بالدنيا .

٣) أن يتمتع بالسمعة الطيبة والسلوك الحسن والمعاملة الطيبة ، بعيداً عمّا يعاب من قول أو عمل ، ليكون قدوة للناس .

٤) أن يكون مؤمناً برسالته ، لا ينظر إليها على أنها وظيفة أو وسيلة لكسب العيش فحسب ، وإنما على أنها واجب مقدس يؤدّيه غير مرتبط بوقت معين أو ساعة محددة ، أو دروس مرسومة بخط ثابت .

٥) أن يؤكد صلته بالمسؤولين ممن بيدهم مقاليد الأمور ليستطيع التأثير فيهم والاتجاه بهم إلى خدمة الإسلام وإلى تيسير مهمته في الدعوة .

٦) أن يسعىٰ إلى الناس في المناسبات المختلفة ولا يتعالى عليهم ، فيكون مع الفقير مثلما يكون مع الغني ، وأن يندمج في المجتمعات دون تحيز لفئة دون أخرى ، وأن يبتعد عن التيارات الحزبية أو الطائفية .

٧) ألا يقنع بمؤهله العلمي والديني ، وإنما يديم الاطلاع والدراسة للاستزادة من العلم والتفقّه ومتابعة الأحداث ليتمكن من مواجهة ما يلقى عليه من أسئلة خلال لقاءاته وندواته .

٨) أن يستخدم أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ، وأساليب الإقناع التي تصل إلى القلوب ، بضرب الأمثال ، والاستشهاد بمواقف الأبرار ، وغير ذلك .

٩) أن يكون لسانه من وراء عقله ، لا يتكلم إلاّ بعد تدبر ولا ينطق إلاّ بما يتحقق منه ، ولا يروج شائعة لم يقم الدليل القاطع على صدقها ، وأن يكون عف اللسان ، بعيداً عن أسلوب التهكم والتهجم وازدراء ولاة الأمور والتندّر عليهم ، وليتجنب إثارة عواطف الشباب بالباطل ، وما يؤدّي إلى بلبلة طمعاً في نيل أغراض سياسية أو حزبية أو طائفية ، فهذا ليس من الدين في شيء ﴿ يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ﴾ .[سورة الأحزاب: ٧٠].

١٠) أن يعاون في حل مشكلات الناس ، ويعمل على إزالة الخلافات ، ويصلح بين المتخاصمين ، ويشيع روح التآلف بين الجميع .

١١) أما الداعية الذي يعد للدعوة في الخارج ، فلا بد له ـ فوق ما سبق ـ أن يكون ملمّاً بظروف البلد الذي يعمل به ، وأحوال المسلمين فيه ، وباللغة التي يتحدثون بها ، وسوف نعود إلى هذا الموضوع فيما بعد .

في ضوء أهداف الدعوة ومجالاتها وميادين نشرها ، ومواصفات الداعية التي ذكرناها يمكن أن نضع تصوراً لإعداد الداعية ، وفي تقديرنا أن اختيار الداعية ينبغي أن يبدأ مبكراً ، ويراعىٰ في هذا الاختيار المواصفات الجسمية والعقلية والنفسية العامة ، التي أشرنا إليها من قبل ، ثم تبدأ مرحلة الإعداد التي نرى أن تمر بثلاث مراحل نتناول كلاً منها بإيجاز .

المرحلة الأولى ـ مرحلة التحصيل :

ويركز فيها على القرآن الكريم حفظاً وفهماً وإجادة للتلاوة كما يدرس القدر المناسب من الحديث الشريف ، هذا بالإضافة إلى تعلم لغة أجنبية ، مع إتقان اللغة العربية ، ومن المهم في هذه المرحلة أن تشمل المناهج سير الدعاة ومواقفهم ، وفي مقدمتهم الرسل عليهم الصلاة والسلام ، وفي مقدمتهم جميعاً سيرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم من سار على طريقه وطريق أصحابه كما يراعى أن تشمل المناهج في تلك المرحلة أمهات معارف العصر التي تؤثر في حياة الناس وتشغل أفكارهم كعلوم الطبيعة والفضاء والإلكترونيات وغيرها (ويمكن أن تستمر هذه المرحلة حتى نهاية المرحلة الثانوية) .

المرحلة الثانية ـ مرحلة الإعداد لتبليغ الدعوة :

وفي هذه المرحلة تتجه الدراسات القرآنية إلى تذوق أسرار العظمة والكمال في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة ، مع الاهتمام بأسباب النزول ومناسبات الحديث ويضاف إلى هذا اللون من الدراسات الدينية دراسات المجتمعات الحديثة وتقاليدها وموروثاتها ثم المقارنة بين تلك التقاليد والمعتقدات ، وبين الإسلام .

ويوجه اهتمام خاص إلى بعض مزاعم الحاقدين وحملاتهم على الإسلام بالنسبة لبعض ما جاء من نظم في الاقتصاد أو نظم الأسرة أو الجهاد . . إلخ .

كما يركز في هذه المرحلة على دراسات علم النفس الاجتماعي والأخلاقي

وتدرس كذلك أهم مذاهب العصر واتجاهات مفكريه ، ولم يفتن كثير من الناس بتلك الدعوات (وهذه المرحلة هي مرحلة الدراسة الجامعية) .

المرحلة الثالثة ـ مرحلة التدريب العملي على المواقف :

وفيها يركز على مواجهة الجماهير . ومن المؤسف حقاً أن بعض الدعاة قد تفاجئهم تلك المواقف التي لا عهد لهم بها ، وهنا تكون المأساة وعلاجاً لمثل تلك المواقف لا بد أن يمر الداعية بتدريب ، نرى ألاّ يقل عن عام يواجه فيه الجماهير ويسأل ويناقش في المساجد وفي غيرها من التجمّعات ، ويدرب على إلقاء المحاضرات والبحوث والمناظرات في النوادي والقاعات العامة ونحوها .

وقد يمتد التدريب العملي بالنسبة للبعض إلى أكثر من عام ، والمهم ألاّ يتعرض الداعية في المستقبل إلى موقف لم يألفه ويتعود عليه في بعض الأماكن والمناسبات .

اللجنة العليا للدعوة : وفى ضوء ما تقدم برزت فكرة انشاء لجنة عليا للدعوة برئاسة الامام الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وعضوية عدد من كبار العلماء المسلمين وبعض أعضاء مجمع البحوث الاسلامية والوزراء المعنيين بشؤون الدعوة وبعض المتخصصين فى مجال الاعلام .

وتختص هذه اللجنة بما يأتي : -

أ) اقتراح خطط وسياسات الدعوة الإسلامية في الداخل والخارج .

ب) دراسة الوسائل والإمكانات التي تساعد على نشر الدعوة الإسلامية .

جـ) التنسيق بين الأجهزة المختلفة العاملة في مجال الدعوة الإسلامية أو المتصلة بها .

د) اقتراح وإعداد التشريعات واللوائح والقرارات المنظمة للدعوة الإسلامية .

هـ) دراسة المشكلات التي تواجه جهاز الدعوة واقتراح الحلول الملائمة لها وكذلك التقارير التي تقدمها الأجهزة المختلفة العاملة في حقل الدعوة الإسلامية .

و) دراسة تقارير لجان التوعية الدينية بالمحافظات للوقوف على مسار الدعوة إلخ إلخ . . .

ولا شك أن هذه الأهداف التي حددتها اللجنة عامل أساسي في نشر الدعوة الإسلامية - كما أنه يوجد في كثير من الدول الإسلامية لجان مختصّة بالدعوة - ويا حبّذا لو حدث تنسيق للاستفادة من هذا الجهد العظيم لتحقيق أسمى غاية وأنبل هدف وهو نشر دين الله .

فيما يتعلق بتوفير الدعاة وتدريبهم

- وضع خطة لتدريب العاملين بالدعوة وفقاً لمستوياتهم ، على أن تتضمن هذه الخطة برامج تأهيلية لغير المؤهلين ، وبرامج تجديدية للعاملين القدامى ، مع وضع نظام للحوافز لمن يجتازون هذه البرامج بنجاح .

ـ أن يتم اختيار الوعاظ عن طريق مسابقة علمية فنية ليكون الواعظ اهلاً للوعظ علمياً وثقافياً، مؤمناً بدعوته ، عاملاً فيها برغبته وحبه لها .

ـ إلى أن يتم توفير الاعداد الكافية للدعوة في المساجد الرسمية والأهلية في الجمهورية ، تعد مسابقات بين من يرون في أنفسهم القدرة على تحمل أعباء الدعوة من أبناء الأزهر أو غيرهم من المشتغلين بالتدريس أو غيره ومن خرّيجي المعاهد الدينية ذات المستوى الديني الرفيع في البلاد الإسلامية ، كما يمكن الانتفاع بالمتقاعدين من علماء الأزهر ومن المعاهد الإسلامية في مهمة الدعوة الإسلامية وتكريمهم فيما يبذل لهم ، وفي الأماكن التي يختارون لها .

ـ عقد لقاءات متكررة بين المشرفين على الدعوة والقائمين بها للتأكيد على أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وإحاطة الدعاة بما ينبغي أن توجه إليه العناية من قضايا المجتمع واطّلاعهم على ما قد يكون خافياً عنهم مما لا بد من معرفته من الحقائق والبيانات ، وإمدادهم بالمراجع التي ربما لا يتمكنون من الحصول عليها .

فيما يتعلق بتهيئة المناخ الصالح للدعاة

ـ تمكين الدعاة من أداء مهمتهم في إطار ما دعا إليه الدين الحنيف .

ـ أن يكون للأئمة والوعّاظ نظام خاص للمكافآت والحوافز بما يتناسب مع مكانتهم ورسالتهم الدينية ، وبما يمكنهم من أداء هذه الرسالة على الوجه الأكمل .

فيما يتعلق بالدعوة في الخارج

ـ الإسراع في اتخاذ خطوات إنشاء معهد للدعوة الإسلامية للإعداد والتوجيه والتدريب للمبعوثين إلى الخارج في دراسات خاصة مكثّفة تهيئهم للقيام بهذه المهمة على الوجه الأكمل ، ويعنى فيها ـ بصفة خاصة ـ بدراسات لغات البلاد التي سيعملون فيها وعاداتها وتقاليدها وظروف المعيشة فيها .

ـ التوسع في إنشاء المراكز الإسلامية في الخارج طبقاً للأولويات وتزويدها

بالكتب والمراجع الإسلامية بالعربية وباللغات الأجنبية ، وبالوسائل التعليمية الحديثة .

ـ العناية بالمبعوثين إلى الخارج من حيث حسن اختيارهم ، ورفع مستواهم وضمان حرية العمل والأداء في الأماكن التي يتوجهون إليها .

وقد يكون من المستحب إيفاد مجموعات من العلماء الدعاة من آنٍ لآخر لزيارة بعض البلاد لإلقاء محاضرات وعقد ندوات إلخ . . . على أن يزودوا بالكتب والوسائل المعنية .

ـ إنشاء هيئة متفرعة عن اللجنة العليا للدعوة الإسلامية تتولى التنسيق بين الهيئات التي يتبعها الدعاة ، وتخطيط لبرامج تدريبهم وتقترح الضوابط والوسائل التي تعينهم على أداء رسالتهم على الوجه الأكمل ، على أن توافى اللجنة العليا بتقارير متابعة منتظمة .

تنظيم جهاز الاعلام الاسلامي

يمكن تنظيم جهاز الاعلام الاسلامي على الأسس الآتية :

١ ـ انشاء جماعة في كل دولة من الدول الإسلامية وتقوم بهذا الفرض الكفائي الذي يكون واجباً على الخصوص وعلى العموم .

فعلى الخصوص يكون :

فرضاً عينياً بالنسبة لهذه الجماعة وعلى العموم يكون جميع المؤمنين عليهم أن يكونوا هذه الجماعة .

٢ ـ أن يكون هناك تربية دينية لكل المهن المختلفة كالطب والتجارة والتعليم الخ . . . . أي تخريج اطباء وتجار واقتصاديين في البنوك ومعلمين وائمة المساجد . . . الخ لديهم القدرة على القيام بالاعلام الاسلامي مع فهمهم التام لمهنتهم الأصلية وأصول الاسلام .

٣ ـ انشاء اقسام في كل الجامعات الإسلامية للدعوة الإسلامية مع التربية الدينية واصول الاعلام الاسلامي كما بيّنا في هذا واتباع أساليب القرآن الكريم في الاعلام . الاعلام .

٤ ـ إنشاء أقسام لتدريس اللغات الأجنبية والمصطلحات الدينية مع تعليم الاعلام في القرآن وأساليبه ، وذلك في أقسام الدعوة الإسلامية في جهاز الاعلام الاسلامي .

٥ ـ تدريس العادات والتقاليد الاجتماعية للدول التي ترسل إليها الدعاة حتى يعرفوا كل أحوالهم الاجتماعية

٦ ـ تشمل الدراسة علم النفس والاعلام والنظم السياسية ودروس الخطابة

والحديث وعلم مقارنة الأديان مع دراسة التفسير والفقه .

٧ ـ ان يختاروا هؤلاء الدعاة من خيرة المتقدمين خلقاً وسيرة . . . فهم انفسهم قدوة ليحتذى بهم السامعون لهم . . المراقبون لعملهم .

٨ ـ أن تمنح شهادات لهم بعد امتحانات خاصة تجيز لهم القيام بالدعوة والاطمئنان لمستواهم ؛ فعملهم هو تبليغ رسالة سيد المرسلين والدعوة إلى الحق والصراط المستقيم .

٩ ـ ان تدرس لهؤلاء . . كل ما يقوله اعداء الإسلام وكيفية الرد عليهم بالحجة والمنطق والمجادلة الحسنة والعشرة الطيبة والرفق والمودة .

١٠ ـ ان يكون في هذا الجهاز الاعلامي الاسلامي . . أقسام مختلفة واشراف تام للتخطيط والمتابعة .

١١ ـ ان يقوم هذا الجهاز بدراسة وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة ـ وهي متعددة ومتطورة ـ كمابيّنا في هذا الكتاب .

١٢ ـ ان تؤلف رسائل مبسطة كخطب الجمعة والمحاضرات بأساليب اعلامية حديثة تربط الدين بالدنيا ، وبها نظريات العلاقات الانسانية في الاعلام والتكافل الاجتماعي ، والعبادات السهلة والادراك .

١٣ ـ يلزم البعد عن الخلافات التي أضاعت جهد ووقت المسلمين وفرقتهم شيعاً وأحزاباً وأبعدتهم عن الصراط المستقيم ، وينبغي أن يكون الجهد كله للإعلام الاسلامي الذي هو بمرتبة الجهاد .

١٤ ـ يلزم معرفة الأساليب الاعلامية الحديثة التي تستخدم في اجهزة الاعلام الحديثة حتى تكون الموضوعات مشوقة بها ترغيب وتشويق ، تجمع ولا تفرق ، تقنع العقول وتربط المستمع بما يقوله الداعي .

١٥ ـ انشاء مجلة إسلامية بطباعة حديثة بها مقالات شارحة الإسلام الحنيف ومبادئه القويمة والحقائق الإسلامية ، وبها أبواب متخصصة .

١٦ ـ انشاء خدمات اجتماعية واقتصادية إسلامية ثم مصحات علاجية ومراكز للتدريب ومدارس لتقوية التعليم وملاجيء للايتام ومنازل لكبار السن والرعاية الاجتماعية وبنوك إسلامية . . الخ ، ومساجد للعبادة والتعليم ومجمعات اسلامية خبرية وتعليمية وثقافية .

١٧ ـ ان يكون تنظيم لكل مناطق العالم في الشرق والغرب . . ويكون هناك متخصصون لكل منطقة من المناطق وإذا كان للإسلام أعوان وأنصار وقلوب في كل جهات العالم وان البيئات التي وجدوا فيها لم تكن حائلة دون تطبيق تعاليمه وأن أجناسهم وألوانهم ولغاتهم لم تقف حائلاً دون اعتناق هذا الدين الحنيف والتفاعل مع مبادئه ، لذلك يمكن الاعتماد على هؤلاء لنشر الدعوة الإسلامية وفهمهم أصول الدين الإسلامي ليكونوا قدوة لغيرهم .

١٨ ـ كذلك يمكن معرفة المناطق في العالم التي بها تفرقة باللون أو تفرقة عنصرية أو عدم مساواة . . لتبيان أن الدين الإسلامي يدعو إلى المساواة ولا فضل لأحمر على أسود أو أبيض إلا بالتقوى والعمل الصالح ، والجميع بشر أمام الله يتمتعون حسب مبادىء الدين الإسلامي بالمساواة التامة في الحقوق والواجبات .

١٩ ـ كذلك هناك شعوب ترزح تحت الاستعمار وهذه الشعوب يلزم أن نوضح لها بأن الإسلام دين الحرية ولا استعباد ولا استغلال في الاسلام فقد خلق الله تعالى الانسان ليكون حر الارادة حر التفكير ـ لا سلطان لأحد عليه ـ ولا إكراه في الدين والإسلام لا يعرف إلا المساواة والحرية والاخاء والعمل الصالح وعقيدة التوحيد والمعاملات والشريعة السمحة وسمو الأخلاق .

٢٠ ـ أن المرأة المسلمة الداعية لدين الله يمكن أن تتعلم أصول الاعلام الإسلامي ، وتبين للشعوب المختلفة ونسائها بأن المرأة في الإسلام لها دور هام اجتماعي وانساني وقامت بهذا الدور في مرحلة قيام الإسلام ، وانها بدورها الانساني يمكنها ان تكون قدوة تحتذى للنساء في العالم من حسن خلقها وعملها الصالح الذي يتفق مع مبادىء الإسلام الحنيف . ويلزم ان تبين ان الاسلام دين انساني عالمي وعقيدته شاملة عامة تجمع كل الأجناس تحت لوائها وان تعاليمه تبث العزة والكرامة

والانسانية في الإنسان ، وانه دين تحضر وعلم ، وانه دين يوفي جميع مطالب الانسان الروحية والبدنية .

٢١ ـ ان هناك محطات اذاعية وتلفزيونية في العالم يمكن شراؤها ويمكن ان تدار من أجل الدعوة الإسلامية بطريقة اعلامية سليمة . . تبث اللغات الأجنبية للمتكلمين غير العربية وباللغة العربية للجاليات الإسلامية . فيا حبذا لو قام جهاز الاعلام الاسلامي بتنظيم تأجير أو شراء مثل هذه المحطات الاذاعية والتلفزيونية لشرح الدين الإسلامي الحنيف بأسلوب اعلامي سليم يتفق مع الاعلام القرآني الذي بيناه في هذا الكتاب .

٢٢ ـ ان دولاً إسلامية كثيرة لا تعرف اللغة العربية مثل الباكستان وبنجلاديش وغيرها وهؤلاء يطلبون آلافاً من المدرسين للغة العربية وواجب جهاز الاعلام الاسلامي أن يمد هذه الدول بأسرع ما يمكن بالمدرسين للغة العربية والدارسين للإسلام وأسلوب الاعلام الاسلامي السليم ، وخصوصاً وقد قررت دولتا الباكستان وبنجلاديش بأن اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، بل اللغة الأولى ، أليس من الواجب الإسلامي أن نمد هؤلاء بكل ما يحتاجونه من المدرسين ؟ .

٢٣ ـ ان الأفلام السينمائية باجهزة الفيديو والتمثيليات التلفزيونية لها معول كبير في شرح الاعلام الإسلامي بما يمكن أن تقدمه من مسلسلات اسلامية تاريخية للشخصيات الاسلامية ودورها الانساني والاجتماعي في الحرية والمساواة والعمر والتسامح والتعامل مع أسرى الحروب بالحسنى والمودة . . وما تتمتع به من علم وأخلاق لذلك يجب على هذا الجهاز الاعلامي الاسلامي أن ينشىء قسماً خاصاً بهذه الأفلام والمسلسلات التلفزيونية لتؤدي دورها كوسيلة من وسائل الاعلام الاسلامي الذي يتلاءم مع العصر الحديث .

٢٤ ـ إذا كان عالم الاتصال الجماهيري في المستقبل سيستخدم الأقمار الصناعية التي يمكنها بث برامجها ويستقبلها مباشرة أي جهاز تلفزيوني في أي منزل دون رقيب ، فواجبنا انشاء محطة تلفزيون متصلة بالاقمار الصناعية لتستفيد من هذا الأختراع الحديث ، وتبث من هذه المحطات التلفزيونية الكثير من المسلسلات

الاسلامية التي تبين عظمة الإسلام الحنيف .

٢٥ ـ أن يقوم جهاز الاعلام الاسلامي بالاعلام بطريقتين الأولى الاعلام العام أي اتباع كل ما جاء في الاقتراحات السابقة لعامة الناس في كل بقاع العالم والثانية الاعلام على مراحل في كل دولة من الدول وهنا نتذكر المراحل التي اتبعت في صدر الإسلام ويمكن الأخذ بهذا الاسلوب بشرط ألا يكون سرياً هنا حتى لا تتكون عداوات رسمية ضد الاسلام . . بل يمكن اختصار هذه المراحل حسب ظروف كل دولة من الدول التي ستقوم بالدعوة بها ، أي يمكن تكوين جماعات ثم يتسع نطاقها ويزداد أعدادها . . . الخ .

٢٦ ـ الاعداد الحسن للداعي من ناحية حسن الخلق وأن يتخذ من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الاسوة الحسنة .

وليتذكر ما قاله النبي حينما صدع بالدعوة كما أمره ربه وكثر نداؤه لقومه بأسلوب بارع في فرض الحجة واستمالة النفوس والتشويق لما يقول ، وقد قال لهم في أحد هذه النداءات . .

« ان الرائد لا يكذب أهله واللّه لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم واللّه الذي لا إله إلا هو اني رسول اللّه اليكم خاصة وإلى الناس كافة » .

كذلك كان النبي يود من كل قلبه أن يسلم قومه وكان يأسف ويألم عندما يلقى منهم هذا العناد وذلك الصدود مع ما يلاقيه من ضروب الاستهزاء والانكار والإيذاء ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً * وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً ﴾ [المزمل : ١٠ ـ ١١] .

﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴾ [الحجر : ٩٧ ـ ٩٨] .

٢٧ ـ ان يراعي الدعاة ان ينشروا الدعوة الإسلامية بلا تفريق بين الأغنياء والفقراء . . ولا ننسى ما قاله اللّه تعالى . . في كتابه الكريم : ﴿ عبس وتولى * ان

جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر فتنفعه الذكرى * أما من استغنى * فأنت له تصدى * وما عليك ألا يزكى * وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى * فأنت عنه تلهى * كلا انها تذكرة ﴾ [عبس : ١ - ١١].

ونتذكر سبب نزول هذه الآية الكريمة حينما غفل الرسول[1] صلى الله عليه وسلم ، عن نداء فرد من عامة المسلمين الضعفاء مكفوف البصر جاء لا ليدخل في الدين فقد كان مسلماً ولكن يريد مسائل أخرى يمكن أن يجاب عليها في غير هذا الوقت الذي يرى النبي أن هناك أهم من ذلك وهو ادخال الكبار في الإسلام لتكثير سواد المسلمين بمن يسلمون معهم ولكن هذه الصورة توحي الى من يراها أو على الأقل توحي للضعيف أن الرسول يميز بين الناس ويؤثر الأغنياء على الفقراء والأشراف على الضعفاء وربما يكون لهذه الصورة أثرها غير المحمود في نفوس بقية المسلمين الذين سبقوا إلى تصديقه ونصرته .

٢٨ ـ وقد يقابل الدعاة البعض من المتعصبين فلا يجوز الاهتمام بعنادهم وليمض الدعاة في دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى لأنهم على حق ويجب ألا يطيلوا معهم المجادلات فهي غير مفيدة لأن روح التعصب تسودها ونتذكر قول الله تعالى : ﴿ وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون * الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ [الحج : ٦٨ ، ٦٩] .

٢٩ ـ يجب أن يأخذ الدعاة من أعمال النبي صلى الله عليه وسلم ، مثلاً يحتذى بأن يخلصوا في الدعوة ولا يريدون شهرة ولا منفعة ذاتية ولا طمعاً في ملك أو مال .

ولذلك إذا استشعر المرسل اليهم من الدعاة أن لهم مأرباً شخصياً أو منفعة ذاتية أو مطمعاً في جاه أو مال . . فهنا تسقط أسس الدعوة كلها . . فغير المسلم ينظر إلى الدعاة المسلمين على أنهم يطبقون خلق القرآن الكريم .

٣٠ ـ ان يقوم جهاز الاعلام الاسلامي . . بجهد في فض المنازعات بين الدول

---

(١) كتاب الدعوة الإسلامية دعوة عالمية لفضيلة الشيخ عطية صقر (ص ١٠٩) .

الإسلامية وكذلك بإرسال **الارشادات** الاسلامية الى بعض الشعوب الإسلامية التي لا تتبع تعاليم الإسلام بأسلوب يدل على الاخوة الإسلامية بعيداً عن أسلوب التدخل في الشؤون الداخلية أو الاستيلاء أو السيطرة . . فان ما نراه ويراه غير المسلمين من أحوال الدول الإسلامية التي يحارب بعضها البعض وكل منها تدعي انها تطبق الشريعة الإسلامية بينما الذي تطبقه يخالف الشريعة الإسلامية . . كل ذلك يعطي صورة تستغل ضد الإسلام الحنيف .

فواجب جهاز الاعلام الاسلامي . . القيام بدور هام حتى لا يستغل ما يحدث بأنه من الإسلام ، ويكون مثلاً سيئاً ودعاية ضد التعاليم الإسلامية الحنيفة والتي هي منها براء .

٣١ ـ ينبغي على اجهزة الاعلام الاسلامي أن تضع مناهج تعليمية دينية مبنية على فهم عقلية الطالب مراعية مقدرته في الاستيعاب لهذه المناهج وعلى قدر سنه ومستواه التعليمي تتناول هذه المناهج الرسالة السماوية ، عقيدة وشريعة وأخلاقاً .

٣٢ ـ عقد ندوات دينية في المدارس والنوادي والمساجد تناقش شؤون الدين والدنيا برحابة صدر وبأسلوب علمي ومجادلة حسنة لا تعصب فيها ولا سيطرة ولا إكراه . . حرية تامة في المناقشة وربط مسائل الدنيا بمسائل الدين ؛ فالإسلام دين ودنيا يتلاءم مع كل عصر ومكان .

٣٣ ـ ان الندوات التي تعقد للشباب لها أهمية خاصة ويلزم عرض كل الشكوك الدينية وبخاصة ما يثور منها في عقل الشباب غلى الخصوص فيجب أن تحصر هذه الشكوك حصراً مستوعباً وتدرس مصادرها ومواضع الضعف الكمينة فيها والتي تخفى في العادة على عقول الناشئين ثم تناقش مناقشة واضحة حية تظهر ضعفها وزيفها وتنجي الناشئين من شرها وضررها .

٣٤ ـ استخدام أسلوب الاعلام العلمي الاسلامي . . فاختيار الافلام العلمية التي يمكن عرضها في التلفزيون ، ستعطي للمشاهد ملكة التأمل والتفكير في قدرة الله سبحانه وتعالى ، فالإسلام نشأ حليفاً للعلم . ويقول سبحانه وتعالى :

﴿اقرأ بإسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم﴾ [سورة العلق : ١ ـ ٥] .

وهذه الآيات الكريمة وما يشبهها من القرآن الكريم ، لا تحتاج إلى تأمل بالغ ، أو تفكير بجهد ، من أجل فهم معانيها ، وذلك أن المعنى في هذه الآيات الكريمة واضح كل الوضوح ، فهي تبين أن الحكمة في إرساله صلى الله عليه وسلم تتمثل في أمرين :

١ ـ العلم .

٢ ـ التزكية .

والعلم إذن في الرسالة الإسلامية شطرها ، بل هو شطرها الأساسي ، أي الشطر الذي تقوم عليه التزكية ، إذ لا يتأتى أن تقوم التزكية على الجهل .

نشأ الإسلام حليفاً للعلم .

ولعل مما يبين الأهمية الكبرى التي منحها الإسلام للعلم أن نرجع بنظرة سريعة إلى اللحظات الأولى التي أشرق فيها فجر الرسالة الإسلامية .

وحينما قرأ المرحوم الشيخ محمد عبده هذه الآيات عقب عليها قائلاً : « لا يوجد بيان أبرع ، ولا دليل أقطع ، على فضل القراءة والكتابة والعلم بجميع أنواعه ، من افتتاح الله كتابه بابتدائه الوحي بهذه الآيات الباهرات » .

لقد افتتح الوحي في الدين الإسلامي بهذه الآيات المعجزة الخالدة ، التي تذكر القراءة والكتابة والقلم ، والتي ترددت فيها مادة العلم أكثر من مرة :

وبعد أن نزلت هذه الآيات الكريمة ، نزل قوله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ﴾ . [سورة القلم : ١].

أما اسم الكتاب الموحى به ، فإنه : القرآن ، يقول الراغب الأصفهاني : « قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لا لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ وقوله : ﴿ تبياناً لكل شيء ﴾ أ ـ هـ .

منزلة العلم في الإسلام عن طريق القصص :

لقد نشأ القرآن حليفاً للعلم ، وأشرق نوره مبشراً بالعلم ، وأخذ القرآن فيما بعد يوالي الحث على العلم بشتى الأساليب .

الطريق المباشر لبيان مكانة العلم في الإسلام :

والآن نأتي إلى موقف القرآن من العلم عن طريق مباشر ، أي من خلال الآيات التي تتحدث عن العلم حاثة عليه مشيدة به :

يقول الله تعالى : ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ [فاطر : ٢٨] .

وانه بمقدار تعمق الإنسان في الجانب العلمي في صدق واخلاص تكون خشيته لله تعالى ذلك أنه يرى من نواميس الكون ومن الاتقان في الصنع ، ومن الحكمة في التدبير ما يجعله ساجداً لمبدعه ومنسقه .

والآيات والأحاديث التي وجهت الأمة الإسلامية إلى العلم كثيرة مستفيضة ، وإذا كان العلماء يشهدون التوحيد مع الله ومع الملائكة ، فإن منزلتهم بالمكان السامي ، ودرجاتهم سامية ، في الرفعة والعلو .

﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾ [المجادلة : ١١] .

ولهذه الجوانب من فضل العلم والعلماء ، أمر الله سبحانه وتعالى رسوله ـ وهو قدوة المسلمين وأسوتهم ـ أن يقول :

﴿ رب زدني علماً ﴾ [طه : ١١٤] .

رب زدني علماً في كل يوم ، بل قل كل لحظة ، ذلك ما يجب أن يكون شعار المسلم ، وإذا ما ازداد المسلم علماً : ازداد خشية تحقق فيه اسلام الوجه على صورة أكمل .

ومن الملاحظات التي يجب أن تكون دائماً في الذاكرة ، أن الكلمة الأولى التي نزل بها الوحي على المصطفى صلى الله عليه وسلم ـ مبشرة بعهد من النور جديد ، هي كلمة : اقرأ .

يقول فضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود في باب العلم الذي يدعو إليه القرآن والحديث :

وقد يظن بعض الناس أن العلم الذي يدعو إليه القرآن إنما هو العلم بالدين ، أي العلم بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والعلم بالفروض الدينية من صلاة وصيام وزكاة وحج . والعلم بالقانون والأخلاق والتشريع الإلّهي .

والواقع أن العلم بالدين : عقيدة وأخلاقاً وتشريعاً مما يحث عليه الإسلام ، بل هو في المرتبة الأولى ، لأن الإيمان هو الأساس في كل دعوة دينية منذ أن كان الدين. ومعرفة الإنسان بالله وصلته بالله عن طريق رسله ، هي أسمى معرفة بالنسبة للإنسان باعتباره فردا ، وبالنسبة لأمن المجتمع ، وطمأنينته على الدماء والأموال والأعراض .

بيد أنه إذا كانت المعرفة بالله عن طريق رسله لها الصدارة في الأجواء الدينية ، فإن القرآن بين لنا أن الكون كله هو كتاب العلم بالله سبحانه وتعالى . إنه مجموعة من النواميس الإلّهية التي يؤدي اكتشافها إلى زيادة المعرفة بالله وزيادة الخشية منه .

١) العلم في الإسلام شطر الغاية التي من أجلها نزلت الرسالة وذلك أن مهمة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، كما حددها القرآن التعليم ، والتزكية :﴿ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم﴾. [سورة البقرة : ١٢٩].

٢) نشأ الإسلام حليفاً للعلم منذ أن ابتدأ الوحي بقوله تعالى : ﴿ اقرأ ﴾

٣) الاشادة بالعلم في القرآن والسنة لا يماثلها في سموها وجلالها ، اشادة في الآداب العالية .

٤) العلم الذي يدعو إليه القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، هو العلم بكل نافع في مجال الكون وفي مجال ما وراء الكون ، في مجال العقائد ، وفي مجال الأخلاق ، وفي مجال الطبيعة .

٥) المنهج العلمي الأوروبي الحديث ، منهج أخذته أوروبا عن الإسلام باعتراف الواضع الحقيقي للمنهج وهو «روجر بيكون» .

٦) لا تعارض بين الدين والعلم ، لأن دائرة الدين : الإيمان ، ودائرة العلم

المادة ، وأن الأمل لكبير في أن تستجيب الأمم الإسلامية لدعوة الله ورسوله ، فتجعل من العلم أساساً لنهضتها وشعاراً لها في قيامها برسالتها .

٣٥ ـ ان اهتمام الدعاة وجهاز الاعلام الإسلامي بالخدمة الاجتماعية الإسلامية عمل هام. فالخدمة الاجتماعية جزء أساسي من الديانة الإسلامية ولكنها لاتتمتع في حياة المسلم المعاصر بالمكانة التي يجب أن تتمتع بها فمؤسسات الخدمة الاجتماعية الإسلامية قليلة إذا قيست بنظائرها لدى الأمم الأخرى .

والإسلام كان دائماً ضد الظلم الذي يعيش فيه الفقير واليتيم في المجتمع ، ولذلك يلزم ان توزع على الأسر المعوزة والأطفال الغذاء والملابس والكتب واللعب وبعض الأموال مع الاهتمام بالعناية الطبية المجانية ، ورعاية الأمومة والطفولة والشيخوخة والأيتام والتمريض في المستشفيات .

ويلزم ان نبين ان الزكاة ليست التكليف الإسلامي الوحيد فقد طالب الله عز وجل المسلمين بالصدقة أيضاً وحثهم على بذل المال في جميع طرق الخير . ويقول الغزالي : « فإن لم تملك شيئاً فليست الصدقة كلها في المال لكن كل كلمة طيبة وشفاعة ومعونة في حاجة وعيادة مريض وتشييع جنازة وفي الجملة أن تبذل شيئاً مما تقدر عليه من جاه ونفس وكلام لتطييب قلب مسلم فيكتب جميع ذلك لك صدقة ».

٣٦ ـ يلزم على جهاز الإعلام الإسلامي أن يقيم المساجد وتهيئتها تهيئة كاملة في البلاد الإسلامية أو في غيرها من الدول وقد أجاز بعض العلماء أن يبذل أقصى جهد في اظهار بنائها بالمظهر الرائع الذي يشعر النفوس بعظمة الإسلام واهتمام المسلمين بها ، وكذلك أن تبقى المساجد نظيفة مضاءة في الليل بها أجهزة للتدفئة والتهوية ما أمكن وتكون مكاناً للعبادة والتعليم والتعارف وان تؤدي رسالة الإسلام من خدمات دينية ودنيوية التي يتطلبها العصر .

٣٧ ـ يلزم الا يدخل جهاز الإعلام الإسلامي في الخلافات التي أخرت الدعوة الإسلامية .

٣٨ - ينبغي على هذا الجهاز أن يسعى إلى الوحدة القوية بين المسلمين وإلى التقريب بين المذاهب المختلفة وإلى تطهير المجتمع من الأفكار الضالة والفلسفات **الملحدة** لكي يقف المسلمون صفاً واحداً أمام التكتلات والمؤامرات المعادية للإسلام والدول الإسلامية سواء المؤامرات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية وغيرها .

٣٩ - ينبغي للجهاز الإعلامي الإسلامي تبني النهضة النسائية الحديثة التي تهدف إلى تحرير المرأة من القيود الثقيلة التي كبلتها قروناً طويلة لتسير مع الركب الناهض الثائر لبناء نفسه من جديد . والمرأة المسلمة اذا أعدت لتحمل رسالتها فيمكن ان تؤدي أجل الخدمات في بناء الأسرة المسلمة والمجتمع الإسلامي السليم .

٤٠ - ان الجهاز الإعلامي الإسلامي عليه دور هام في مقاومة الجرائم الاجتماعية وأن يقول رأي الدين في هذه السموم القاتلة مثل المخدرات وغيرها ، ومثل اللامبالاة والكسل وعدم الانتاج وكثرة الاستهلاك والسفه الذي نراه من البذخ الذي يفعله بعض أغنياء الإسلام في الدول الغربية مما أصبح عملاً مشيناً سيئاً يؤذي الشعور الإنساني .

٤١ - على الجهاز فى التدبير انشاء جمعيات تعاونية اسلامية هدفها المعاونة فى الحصول على الغذاء والكساء والمسكن والعلاج والتعليم بلا استغلال ، فإن مثل هذه الجمعيات التعاونية الاسلامية التى يمكن أن تنشىء المصانع والمتاجر ستؤدى دورا إعلاميا وخدمة اسلامية ضرورية ويقول الله تعالى : ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ﴾
[المائدة : ٢] .

فالذي ينقصنا هو التعاون . . ويلزم أن يتجسد في مشروعات انتاجية أو خدمية إسلامية .

٤٢ - ينبغي على الجهاز الإعلامي الإسلامي أن يهتم بدور هام وهو محاربة الأمية في البلاد العربية فانتشارها وصمة عار في جبين الأمة الإسلامية ، والدول قادرة

بالمال والاخصائيين أن يقضوا على هذه الوصمة التي هي سبب التخلف والفقر

٤٣ ـ ان يقوم جهاز الإعلام الإسلامي بجمع التراث الإسلامي وتصنيفه وتحقيقه وجمعه في اجهزة كمبيوتر يمكن الاطلاع على كل هذا التراث مع ترجمة الصالح للترجمة بواسطة ديوان الترجمة الإسلامي وان كتب النهضة الإسلامية وأئمة العلماء المسلمين وما قدموه من ذخائر علمية في شتى العلوم جعلت الغرب والشرق **تقتني هذه الذخائر مما يجعلنا ان نكلف جهاز الإعلام الإسلامى بإنشاء قسم للتوثيق خاص بالتراث الإسلامي ، وكذلك تبسيط بعض ما جاء في التراث بالنشر في نشرات . والأسرة والمجتمع والكيان الإسلامي وحديث الإيجابيات يحتاج إلى عناية وواقعية بلا مبالغة . . حتى تقنع وتحث المستمعين على المزيد وكذلك يجب ان يبتعد الامام عن اسلوب النقد العنيف والعصبية وذكر النار دائماً وبئس المصير . . . ومن السهل أن يجذب المستمعين لو كان عنيفاً في نقده . . هدّاماً في قوله . . مستغلاً الحرية ليقول ما يشاء . . ولكن اذا رجعنا الى اسلوب الإعلام الإسلامي فإننا نجد قول الله تعالى : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن [النحل : ١٢٥] .**

إن الإمام القادر على إيجاد الصلة بينه وبين المصلين يجعل المسجد حبيباً إلى قلوبهم ويشجعهم على احضار ابنائهم معهم وتصبح صلاة الجمعة لقاء علمياً يتحقق فيه قوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير ﴾ [المجادلة : ١١] .

٤٤ ـ ان **ينشىء** الجهاز الإسلامي الإعلامي مكتباً فنياً مكوناً من العالم الديني والسياسي القدير والاقتصادي الكفء والاجتماعي المتخصص والعالم المتخصص في الإعلام ويتألف هذا المكتب الشامل الجامع من كل هؤلاء ليضعوا نماذج لخطب الجمعة أسبوعية تتناول أحداث الأسبوع والتعليق عليها والمشاركة الدينية في حلها ومقاومة العادات السيئة والجرائم الاجتماعية الاسبوعية ويا حبذا لو تكون اكثر من مكتب فني به مثل هذه المجموعة لتقوم بتأليف اكثر من خطبة حتى تتنوع الخطب في كل حي وفي كل إقليم وفي كل محافظة وفي كل مدينة، وبذلك يكون هناك خطب

معدة جيدة تكون تحت تصرف ائمة المساجد .

٤٥ ـ ان إخراج موسوعة معارف عامة إسلامية في احجام مناسبة سواء المطولة منها أو الموجزة . . أصبحت ضرورة إسلامية يجب على الجهاز الإعلامي الإسلامي القيام بها . وبالنسبة للموسوعات الموجزة يمكن مراعاة ناحية الحجم وبساطة الأسلوب وحسن الاخراج ودقة المعلومات ليجعل الشباب المسلم هذه الموسوعة الإسلامية صديقة له ، ويا حبذا لو قمنا بترجمة هذه الموسوعات إلى اللغات الأجنبية .

٤٦ ـ يا حبذا لو أنشأ الجهاز الإعلامي الإسلامي نشرة مبسطة بها كل تعاليم الاسلام التي تحقق

أ ـ إصلاح حال العباد فيما بينهم وبين ربهم .
ب ـ إصلاح حال العبد فيما بينه وبين نفسه .
جـ ـ إصلاح حال المجتمع الإسلامي وواجب الفرد نحو اسرته ومجتمعه وعلاقة المجتمع الإسلامي بالدول الأخرى .

ومرفق نموذج مختصر لهذا العمل ليكون قدوة لكل مسلم ، وكذلك ان ترجمة هذا النموذج ستكون لها اهمية كبيرة ليعرف الأجنبي ما هي الأخلاق الإسلامية وأركان الإسلام . .

٤٧ ـ لا دعوة بلا دعاة ، لذلك فواجب جهاز الإعلام الإسلامي التعريف بالمنهج السليم للدعوة الإسلامية ، لتوجيه الحياة الإنسانية في كل جوانبها إلى غايتها الكريمة التي يسعد بها الإنسان في اخراه ودنياه .

٤٨ ـ العمل على إعادة بناء الحضارة الإسلامية البناء المتكامل ليلبي دائماً حاجات البشرية وتحقيق مطالب الروح والجسم معاً على أسس إسلامية سليمة.

٤٩ ـ يعمل جهاز الإعلام الإسلامي على قيام تنسيق كامل بين « وزارات الدولة المسؤولة » أي وزارات الإعلام والتربية والتعليم والأوقاف والعدل والشؤون الإسلامية وكذلك نقابات الصحافة والمؤسسات الإعلامية والثقافية في جميع البلاد الإسلامية وذلك من أجل تحقيق أهداف رسالة الإسلام الخالدة في داخل البلاد

الإسلامية والعالم أجمع عن طريق الإعلام السليم الناجح لغرس الروح الإسلامية وتعميق التدين العلمي في حياة الفرد والمجتمع والمجتمعات الدولية .

٥٠ - على جهاز الإعلام الإسلامي دراسة كل وسائل ومشاكل وصعوبات تنفيذ الدعوة وتصحيح مسارها مع العمل على حل المشاكل والصعوبات بالوسائل الممكنة .

٥١ - يقوم جهاز الإعلام الإسلامي بمتابعة يومية سريعة لكل ما ينشر أو يذاع في جميع وسائل الإعلام المختلفة ، ويصحح كل ما يقال من معلومات غير سليمة عن الإسلام وكذلك الرد على كل الدعوات والاتجاهات المضادة للإسلام .

٥٢ - على جهاز الإعلام الإسلامي أن يكلف مجموعة من العلماء بدراسة كتابة التاريخ الإسلامي بما يبرز أمجاد الأمة الإسلامية ، على أن تكون هذه الدراسة على مستويات الطالب الذي في مراحل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي وما بعد الجامعة .

٥٣ - تشجيع إقامة المسرح الإسلامي . . في كل المدارس والجامعات وتقديم التاريخ الإسلامي من خلال مسلسلات وروايات بها بعض أعمال وبطولات وأمجاد الشخصيات الإسلامية .

٥٤ - يشجع تعليم الفتاة . . التعليم الديني السليم فالمنزل هو المدرسة الأولى وربة البيت هي التي ستخرج المسلم المؤمن بدينه عقيدة وشريعة وأخلاق ، لذلك يجب الاهتمام بالتثقيف الديني للمرأة حتى تكون قادرة على القيام بوظيفتها وأداء رسالتها في الحياة .

٥٥ - العمل على إقامة المساجد المتعددة الأغراض ، الصلاة وقاعات حفظ القرآن وقاعة الندوات . . إلخ وذلك في المدارس والجامعات والمصانع والأحياء .

٥٦ - أن يعمل جهاز الإعلام الإسلامي على إرسال النشرات الإسلامية إلى السفارات الإسلامية ويلزم أن يكون أفراد السفارات قدوة إسلامية ، فالعالم الأجنبي

يرى الإسلام من خلال سلوك وأخلاق المسلمين ولاسيّما أعضاء سفارات الدول الإسلامية .

٥٧ ـ أن يقوم جهاز الإعلام الإسلامي في بعث الدعاة للبلاد المحتاجة على أن يكون هناك تعاون بين الدول التي لديها قدرة مالية مع تلك التي لديها طاقات بشرية .

٥٨ ـ يلزم الإعداد السليم للدعاة . . فالداعي يعرف الرسالة . . يكون قدوة ونموذجاً حياً لتعليم الإسلام . . درس وسائل وأساليب الإعلام . . فيعرف دعوته تماماً ويعرف لمن يدعو وكيف يدعو والمجتمع الذي سيرسل له . . والمنهج المناسب للدعوة . . وأن يكون لديه قدر من الثقافة العامة والعلوم الحديثة وبخاصة العلوم الإنسانية . .

ويفضل لمن يرسل إلى نقابة الأطباء أن يكون الداعي طبيباً درس الإعلام الإسلامي . .

ولمن يرسل إلى نقابة المهندسين أن يكون مهندساً درس الإعلام الإسلامي . . وهكذا فإذا لم يتوفر الداعي من المهنة المرسل إليهم . . فيرسل الداعي المثقف الملائم للجماعة التي سيتحدث إليها .

٥٩ ـ العمل على إنشاء كليات إعلام إسلامية يدرس فيها الإسلام وكذلك الإعلام الإسلامي والنظريات الإعلامية المختلفة والعلوم السياسية . . والمذاهب المعاصرة والدراسة المقارنة للأديان .

على أن يكون الاختيار للطلبة المتقدمين دقيقاً ولا يقبل بها إلاّ كلّ من يتوفر فيه الاستعداد المطلوب للداعية من حيث المواهب والأخلاق والصفات الخلقية .

٦٠ ـ تدريب المرأة الداعية للإسلام تدريباً متكاملاً . . فالمرأة يمكنها أن تؤدّي دوراً هاماً في المجتمعات النسائية . .

٦١ ـ وضع قواميس باللغات الأجنبية للمصطلحات الإسلامية حتى يمكن أن يعرفها الداعي ليستخدمها في أعمال الدعوة .

٦٢ ـ من واجب جهاز الإعلام الإسلامي أن يبحث عن البديل لبرامج التليفزيون والإذاعة الحالية فقد تعود المشاهد على هذه البرامج والأمر يحتاج إلى نموذج لبرنامج إسلامي به التسلية والترفيه البريء والثقافة الرفيعة المشوّقة والمسلسلات والروايات المحببة التي يفضلها المشاهد عن البرامج الحالية . .

فكثير من المشرفين على برامج التليفزيون والإذاعة في حيرة من عدم وجود البديل الذي يتفق مع الروح الدينية وخصوصاً . . فلا سيطرة على المستمع في الإذاعة فيمكنه أن يغير البرنامج في ثوان .

لذلك فإن الأمر يحتاج إلى دراسة عميقة لاقتراح البرامج المشوقة الإسلامية . إن هذه الدراسات ضرورية وهي التي تعطي الحلول الإيجابية لهذه المشكلة .

٦٣ ـ يلزم إيجاد وكالة أنباء إسلامية تعطي الأنباء الصحيحة عن الدول الإسلامية ، وخصوصاً هناك نوع من التعتيم الإعلامي عن كل الدول الإسلامية وتقدمها .

٦٤ ـ يقوم الجهاز الاعلامى الإسلامي بإنشاء معارض للكتب الإسلامية باللغة العربية واللغات الأجنبية .

٦٥ ـ إن مجلة علمية إسلامية أصبح صدورها من الأمور الضرورية بها كل الاكتشافات الحديثة ، وشرح وتفسير لكثير من الأيات القرآنية الكريمة ؛ فإن عدو المسلمين اللدود هو الجهل فإن المسلمين بحاجة إلى محو الأمية وإلى الثقافة وإلى الوعي وإلى نقل مراكز العلم إلى العالم الإسلامي .

٦٦ ـ إن إنشاء محطة تلفزيون إسلامية في الدول الكبرى تذيع باللغات الأجنبية وبها أصول التعاليم الإسلامية أمر حيوي .

وهناك الكثير من الدول يمكن شراء محطات إذاعية بها سواء المرئية أو السمعية والعالم الإسلامي لا ينقصه المال .

المـــراجع

المراجع العربية :

١ ـ الإعلام كوسيلة للاستقرار الداخلي وتحقيق السلام الغالي ، للدكتور محمد عبد القادر حاتم .

٢ ـ الرأي العام ، للدكتور محمد عبد القادر حاتم .

٣ ـ الدعاية والإعلام ، للدكتور محمد عبد القادر حاتم .

٤ ـ من أخلاق النبيّ ، للدكتور أحمد محمد الحوفي .

٥ ـ الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ، للأستاذ علي عبد الحليم محمود .

٦ ـ ورثة الكتاب ، للسيد/ محمد فهمي عبد الوهاب .

٧ ـ إلى القرآن الكريم ، لفضيلة الشيخ محمود شلتوت .

٨ ـ في مهبط الوحي ، للدكتور محمد بديع شريف .

٩ ـ الشخصية الإسلامية ، دراسة قرآنية ، للدكتورة عائشة عبد الرَّحمن (بنت الشاطىء) .

١٠ ـ الطريق إلى الله ، لفضيلة الشيخ عبد الحليم محمود .

١١ ـ مرآة الإسلام ، للدكتور طَه حسين .

١٢ ـ الحكم والأمثال ، للأستاذ حنا الفاخوري .

١٣ ـ الخطب والمواعظ ، للأستاذ محمد عبد الغني حسن .

١٤ ـ الأسرة في التشريع الإسلامي ، للسيد/ محمد أحمد فرج السنهوري .

١٥ ـ خطب الجمعة والعيدين ، لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي .
١٦ ـ الحرية في الإسلام ، للدكتور علي عبد الواحد وافي .
١٧ ـ القرآن وقضايا الإنسان ، للدكتورة عائشة عبد الرَّحمن (بنت الشاطىء) .
١٨ ـ الإسلام والغرب وجهاً لوجه ، لفضيلة الشيخ الدكتور عبد المنعم النمر .
١٩ ـ مكانة المرأة في الأسرة الإسلامية ، المركز الدولي الإسلامي ـ جامعة الأزهر .
٢٠ ـ الخطب الرائدة ، وزارة الأوقاف .
٢١ ـ التفسير الفريد للقرآن المجيد ، للدكتور محمد عبد المنعم الجمال .
٢٢ ـ رياض الصالحين ، الإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي .
٢٣ ـ الأحاديث القدسية ، دار المعرفة .
٢٤ ـ صفوة التفاسير ، للسيد/ محمد علي الصابوني .
٢٥ ـ مختصر تفسير ابن كثير ، اختصار وتحقيق ، للسيد/ محمد علي الصابوني .
٢٦ ـ من هدى الإسلام ، تأليف الدكتور زكريا البري وآخرين .
٢٧ ـ شخصية المسلم ، للدكتور مصطفى عبد الواحد .
٢٨ ـ كتاب الدعوة الإسلامية ـ دعوة عالمية ، لفضيلة الشيخ عطية صقر .

المراجع الأجنبية :

1 - Hans Speier, «The Historical Development of Public Opinion», American Journal, Social, 33,4, 376:388.
2 - A. V. Dircey, «Law and Public Opinion in England», Mcmillan and Co., London, 1905, P.3.
3 - Raphael Demos, «The Philosophy of Plato» (New York: Charles Scribner's, Sons, 1939) PP. 352, 360, 372.
4 - George Sabine, «A History of Political Theory», (New York: Henry Holt and Co., 1937) P.64.
5 - A. L. Kroeber, «Configurations of Culture Growth» (Berkeley and Los Angeles: University of California Press, 1949).
6 - Measure For Measure, Act 1, Scene 2.
7 - David M. White, «Shakespeare and Psychological Warfare». The Public Opinion Quarterly (Spring 1948, vol. 12, no. 1) P.68.
8 - «The Federalist».

9 - Francis G. Wilson, «The Federalist on Public Opinion», The Public Opinion Quarterly (Winter, 1942; vol. 6 no.4), P. 573.See also Henry Stecle Commager's introduction to «Selections From the Federalist» (New York: Appleton Century - Crofts, 1949).
10 - Henry Cabot Lodge (editor), «The Federalist» (New York: G. P. Putnam's Sons, 1888, PP. 53 - 54).
11 - Alexis de Toqueville, «Democracy in America» (New York: A. S. Barnes and Co. 1904 edition) vol. 2 PP.8, 10, 276, 277, 278.
12 - «The American Commonwealth».
13 - James Bryce, «The American Commonwealth», P. 203.
14 - Ibid, P. 365. For additional discussion of Bryce, see Francis G. Wilson, «James Bryce on Public Opinion: Fifty Years Later», The Public Opinion Quarterly (July 1939, vol. 3, No. 3, PP. 420 - 435).
15 - Mackinnon.
16 - C. H. Cooley, «Social Organisation», Charles Scribners Sons, New York, 1909, PP. 123, 124.
17 - Ferdinand Tonnies, «Fundamental Concepts of Sociology» (New York: American Book Company) PP. 270 - 271. Translated and Supplemented by Charles P. Loomis. Ibid, PP. 161, 192, 193.
18 - Ibid, P. 256.
19 - Gustav Lebon, «The Crowd - A Study of the Popular Mind» (London: T. Fisher Unwin, 1896 - translation) P. 32.
20 - A. V. Dicey; «Lectures on the Relation Between Law and Public Opinion in England During the Nineteenth Century».
21 - Edward Alsworth Ross, «Social Control» (New York: The Mcmillan Co., 1901).
22 - «Public Opinion».
23 - Stereotype.
24 - Walter Phelps Hall and William Stearns Davis, «The Course of Europe Since Waterloo» (Second Edition, New York: D. Appleton - Century Co. 1947) P. 714.
25 - Adolf Hitler, «MeinKampf» (New York: Renyal and Hitchcock, 1940) P. 234.
26 - G. H. Easterbrooks, «Hypnotism» (New York: E.P. Dutton and Co., Inc,1943) P. 208.
27 - Lewis P. Lochner, «The Goebbel's Diaries» (Garden City: Doubledey and Co., Inc. 1948).
28 - Floyd. H. Allport. «Toward a Science of Public Opinion» The Public Opinion Quarterly (January 1937: vol. 1. no.1) P.23.
29 - David Krech, «Concepts of Public» and «Public Opinion» and Psychological Theory». International Journal of Opinion and Attiude Research (Spring 1948, vol. 2 No.1) P.88.

30 - **Leonard W.Doob. «Public and Propaganda» (New** York **John Wiley and Sons,**
Inc., 1945) P. 48.
31 - Harwook L. Childs, «An Introduction to Public Opinion» (New York: John,
Wiley and Sons,Inc.1940) 48.
32 - Earl L. Vance, «The News: Fourth Dimension of Education», Bulletin of the American Association of University Professors (Autumn. 1948; vol. 34, No. 3) PP. 553 - **556.**
33 .- **Samuel A. Stouffer, «A.Study of Attitudes», Scientific American (May,1945.**
Vol. 180, No. 5) P.14.

٣٤ ـ الإنجيل ـ الإصحاح الخامس ، إنجيل متى ، ترجمة عربية .
٣٥ ـ أعمال مختارة من ماركس وإنجلز ، ترجمة عربية .
٣٦ ـ إثارة القلاقل والدعاية ، الحزب الشيوعي اليوغوسلافي ، ترجمة ويبر جويما.
٣٧ ـ نقد الدين والفلسفة ، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي.
٣٨ ـ الحرب الشيوعية على الدين ، جاري ماكيون .
٣٩ ـ في الطريقة العلمية في الدعاية ، الحزب الشيوعي .
٤٠ ـ علم الاجتماع ، دكتور موريس جنبرج ، ترجمة د. فؤاد زكريا .
٤١ ـ فلسفة التاريخ ، جوستاف لوبين ، ترجمة عادل زعيتر .
٤٢ ـ الولايات المتحدة وحرب الدعاية ، هارولد لامبن وجيمس وجلز ، ترجمة عربية .
٤٣ ـ الصحافة الأمريكية ، فرانك مات ، ترجمة عربية .
٤٤ ـ تكوين الرأي العام ، ي . بوجادس .
٤٥ ـ تطوّر المجتمع التقليدي وتنمية الشرق الأوسط ، د. لوبيل بنسنر .

المؤلف

دكتور محمد عبد القادر حاتم

المؤهــلات

١ ـ دكتوراه في العلوم السياسية ـ جامعة القاهرة ـ كلية الحقوق .

٢ ـ دكتوراه فخرية تسلمها من الرئيس ديجول رئيس جمهورية فرنسا السابق ممنوحة من أقدم جامعة فرنسية ـ ايكس دي بروڤانس ـ عام ١٩٦٧ بعد اختيار الدكتور محمد عبد القادر حاتم عن منطقة أفريقيا وآسيا والشرق الأوسط وقد قررت فرنسا اختيار أربعة من كبار علماء العالم ـ أحدهم الدكتور محمد عبد القادر حاتم عن المنطقة المذكورة ـ (لم تمنح هذه الجامعة العريقة من كبار مفكري العرب إلا الدكتور طه حسين) . .

٣ ـ دكتوراه فخرية في القانون ـ من جامعة سيول عام ١٩٧٤ . .

٤ ـ بكالوريوس العلوم العسكرية عام ١٩٣٩ ـ القاهرة . .

٥ ـ دبلوم الاقتصاد السياسي عام ١٩٤٧ من لندن (المعاهد البريطانية لمدة خمس سنوات) . .

٦ ـ دكتوراه فخرية من جامعة كوريا . .

٧ ـ ماجستير علوم الاستراتيجية من كلية الأركان حرب بالقاهرة . .

٨ ـ ماجستير علوم سياسية عام ١٩٥٣ من معهد العلوم السياسية ـ جامعة القاهرة .

٩ ـ أشرف واشترك في مناقشة عشر رسائل دكتوراه وماجستير . .

١٠ ـ أستاذ غير متفرغ بالجامعة الأزهرية .

١١ ـ استاذ غير متفرغ بجامعة القاهرة . .
١٢ ـ استاذ زائر بجامعات لندن وأكسفورد وكمبردج ودرهام . .
١٣ ـ حاضر بكلية الآداب جامعة القاهرة . .
١٤ ـ استاذ غير متفرغ بكلية الاعلام جامعة القاهرة . .
١٥ ـ حاضر بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة . .
١٦ ـ حاضر بأكاديمية ناصر العسكرية . .
١٧ ـ اختير رئيساً للمؤتمر الدولي للسياسة والطاقة الذي نظمته جامعة كولورادو بالولايات المتحدة . .
١٨ ـ اختير من اللجنة الدولية لمفكري العالم ضمن ٥٠٠ شخصية عالمية منحت لقب « مفكر عالمي » . .

الوظائف

(١) الوظيفة الحالية : مشرف عام على المَجالس القومية المتخصصة، وحسب الدستور هو الجهاز المعاون للسيد رئيس الجمهورية في وضع سيّاسته وهي تابعة لرئيس الجمهورية مباشرة ، وبها أربع مجالس :

١ ـ التعليم والبحث العلمي والتكنولوجيا . .
٢ ـ الانتاج والشؤون الاقتصادية والمالية . .
٣ ـ الثقافة والآداب والفنون والاعلام . .
٤ ـ الخدمات والتنمية الاجتماعية . .

وتضم أعضاء بها نواب رئيس الوزراء والوزراء وكبار رجال مصر ومفكريها وفقهاء المهن الفنية المختلفة لرسم استراتيجية مصر حتى عام ٢٠٠٠ في شتى الميادين المختلفة . .

(٢) المناصب التي شغلها

١ ـ شغل منصب مساعد رئيس الجمهورية .
٢ ـ كلف برئاسة مجلس الوزراء نائباً عن رئيس الجمهورية في عام ١٩٧٣ وقت حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وكان مسؤولاً عن حكومة حرب اكتوبر ١٩٧٣ . .

ورئيس لجنة العمل العليا وضمت اللجنة رئيس مجلس الشعب ونواب رئيس الوزراء ورئيس المخابرات وأمين التنظيم السياسي في مصر وغيرهم . .

٣ ـ عمل نائباً لرئيس الوزراء ووزيراً للاعلام والثقافة والسياحة أكثر من عشر سنوات .

٤ ـ عمل مستشاراً لرئيس الجمهورية ورئيس مجلس الثورة . .

٥ ـ عضو في مجلس الشعب من ١٩٥٧ ـ ١٩٨٤ ـ في ثلاثة فترات .

٦ ـ رئيس مجلس ادارة جريدة الاهرام . .

٧ ـ عمل عضو اللجنة التنفيذية العليا للتنظيم السياسي . .

٨ ـ رئيس الجمعية المصرية للعلوم السياسية . .

٩ ـ رئيس جمعيتي الصداقة اليابانية وكذلك جمعية الصداقة المصرية الأسبانية . .

١٠ ـ رأس المؤتمر الدولي للسكان بطوكيو الذي نظمته الأمم المتحدة . .

١١ ـ رأس المؤتمر الدولي للسياسة الدولية والطاقة بجامعة كولورادو . .

الأوسمة والنياشين

١ ـ حصل على قلادة الجمهورية وهي حسب القرار الجمهوري تعتبر قلادة الجمهورية القلادة الثانية في جمهورية مصر العربية وتمنح لأولياء العهد ونواب رئيس الجمهورية ورؤساء الحكومات . .

٢ ـ حصل على وسام الشمس المشرقة ـ من امبراطور اليابان ـ وهذا الوسام أعلى وسام في اليابان . .

٣ ـ حصل على تسعة وثلاثين وساماً من رؤساء دول مختلفة . .

٤ ـ حصل على ستة نياشين حربية . .

المؤلفات

باللغة العربية

١ ـ الاعلام كوسيلة للاستقرار الداخلي وتحقيق السلام العالمي . .

٢ ـ الرأي العام . .

٣ ـ الدعاية والاعلام . .

٤ ـ الاعلام في القرآن الكريم . .

٥ ـ علم المستقبليات . .

٦ ـ الأخلاق في القرآن الكريم . .

٧ ـ الدعاية نظريات وتجارب . .

٨ ـ الاقتصاد السياسي والإسلام . .

٩ ـ القمر الصناعي والقانون الدولي . .

١٠ ـ المعاهدات الدولية والإسلام . .

١١ ـ الاشتراكية العربية . .

١٢ ـ التقاليد البرلمانية في العالم . .

١٣ ـ الصحافة في مصر . .

١٤ ـ النظام السياسي في مصر . .

١٥ ـ الأحزاب السياسية في العالم . .

١٦ ـ الاعلام العربي في خمس حروب . .

١٧ ـ المعاهدات الدولية بين الالغاء والانهاء والتعديل . . . الخ . .

١٨ ـ من أسباب تقدم اليابان . .

١٩ ـ التخطيط الثقافي .

باللغات الأجنبية : (انجليزية)

١ ـ أرض العرب ـ طباعة لندن . .

٢ ـ الاعلام والقضية العربية ـ طباعة لندن . .

٣ ـ الحياة عند قدماء المصريين ـ طباعة لندن ـ اليابان ـ الولايات المتحدة .

٤ ـ توحيد النقد في البلاد العربية . .

٥ ـ قيم إسلامية (تحت الطبع) . .

مترجمة باللغة اليابانية

١ ـ مصر أمس واليوم وغداً . .

٢ ـ الأرض القريبة من الشمس . .

أعمـــاله

١ ـ أنشأ محطة اذاعة القرآن الكريم من القاهرة . .

٢ ـ انشأ التليفزيون المصري ـ السوري . .

٣ ـ انشأ نهضة مسرحية وسينمائية . .

٤ ـ انشأ أكبر محطات اذاعية في العالم . .

٥ ـ انشأ أكبر قاعدة للفنادق والسياحة باعتباره أول وزير للسياحة والاعلام والثقافة في مصر .

٦ ـ أشرف على أعـلام مصـر عام ١٩٥٦ ـ واعلام ١٩٧٣ . .

٧ ـ انشأ وكالة أنباء الشرق الأوسط .

٨ ـ أشـرف على إقامـة « أكبر نهضـة ثقافيـة » في مصـر عـام ١٩٦٠ ونشـر الكتـاب العربي . . كتاب كل ستة ساعات يومياً ـ تخرجها المطابع المصرية . .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠٣/ ١٣٩٠١

I.S.B.N 977 - 01 - 8737 - 2



وبعد أكثر من عشرة أعوام من عمر مكتبة الأسرة نستطيع أن نؤكد أن جيلاً كاملاً من شباب مصر نشأ على إصدارات هذه المكتبة التى قدمت خلال الأعوام الماضية ذخائر الإبداع والمعرفة المصرية والعربية والإنسانية النادرة وتقدم فى عامها الحادى عشر المزيد من الموسوعات الهامة إلى جانب روافد الإبداع والفكر زاداً معرفياً للأسرة المصرية وعلامة فارقة فى مسيرتها الحضارية.

سوزان مبارك



التنفيذ

الهيئة المصرية العامة ل

الثمن ٣ جنيهات